

مجلة ثقافية شهرية ـ العدد ٢٥٧ ـ ذو القعدة ١٤١٨ هـ ـ مارس ١٩٩٨ م
ALFAISAL MAGAZINE - ISSUE 257 - MAR. 1998

محمود شاكر
وتأسيس الوعي النقدي

المدارس الإسلامية في إفريقية
المشكلات والحلول

اليهود:
هل يعرفون الفكاهة؟

وقت الفراغ:
مشكلة اجتماعية
تبحث عن حل

الكيمياء:
لغة التفاهم بين الحيوانات

منهاج المحدثين وسبيل تلبية المحققين

ليحيى بن شرف بن مري، النووي (ت ٦٧٦هـ)

كتب على ورق مشرقي بخط النسخ في مدينة بصرى على يد علي بن إبراهيم الحنفي في سنة ٧٩١هـ . كتبت العناوين ورؤوس الفقرات بخط كبير وبالحبر الأسود. وقد قوبل المخطوط بالأصل، حيث تبدو عليه التصحيحات في الهامش، وعليه تملكات أقدمها سنة ٩١٩هـ . كما يوجد في أوله مطالعة نصها: «نظر في هذا الجزء محمد بن علي بن محمد بن علي العشماوي الشافعي القادري»، وعليه بعض الحواشي والتعليقات. أما الجلد فهو من الورق المقوى المغلف بجلد أحمر فاتح في وسطه ميدالية بداخلها رسوم نباتية بارزة، ومجدولة بخطوط متوازية غائرة.

يقع المخطوط في ٢٢٠ ورقة، ومسطرته ٢٥ سطرًا ، ومقاسه ٢٧٫٣ - ١٩٫٢سم.

والمخطوط من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم ٣٣٦.

إعداد : فراج عطا سالم

في العدد القادم

- الحج: دروس وعبر (صفحات خاصة)
- تقنية المعلومات في خدمة التعريب
- التعليم وضرورات تأصيله في هذا العصر



مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

ملاحظات عامة :

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١ - أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢ - ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣ - حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤ - أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

٥ - الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

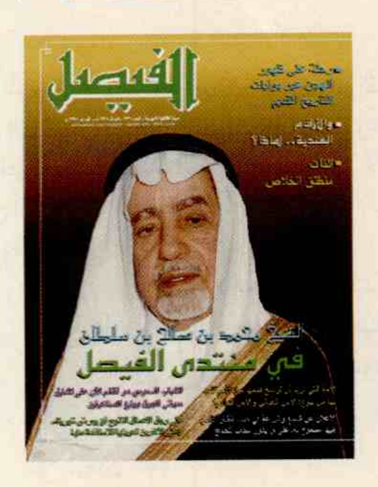
العنوان ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٤٧٨٨٤ - فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١
ردمد ١١٤٠-٠٢٥٨ رقم الإيداع ١٤/٠٥٤٢

الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريال سعودي، للمؤسسات ٢٥٠ ريال سعودي.

الإعلانات :

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.



عن العدد الماضي

نشرت مجلة الفيصل في عددها ٢٥٦ مجموعة من المقالات والتحقيقات والدراسات التي تستحق التوقف عندها والتنويه بها. ولعل الإطلالة التي عنونها الدكتور زيد بن عبدالمحسن الحسين (بين بيع الوهم وتأصيل الفهم) هي التي شجعتني هذه المرة على الكتابة، آملاً أن تكون هذه الأسطر القليلة دعوة إلى الحوار حول هذا الموضوع الساخن، أعني موضوع البث التلفازي عبر الأقمار الصناعية، لما يحمله هذا الموضوع من شؤون وشجون وتساؤلات مهمة حول سلطة التلفاز وصلته بالشخصية الوطنية والقومية؛ فهي تستحق ملفًا خاصًا أرجو أن يجد طريقه إلى صفحات مجلة الفيصل التي عوّدت قراءها على الملفات المهمة والمثمرة. كما أنني تابعت في هذا العدد ما بدأه الدكتور حسن ظاظا في العدد الماضي حول كشف النقاب عن بنية الشخصية اليهودية الصهيونية، واستطاع الدكتور ظاظا أن يسلط الضوء على حقيقة الكيان الصهيوني في الوقت الراهن من خلال قراءته التاريخية المعمقة لهذا الكيان.

وإذا كنا نتفق مع الدكتور جابر قميحة على أهمية الدور الذي تؤديه وسائل الإعلام في حياة اللغة العربية، فإننا نتمنى أن يُستكمل هذا البحث ليشمل الدور السلبي أو لنقل الدور التخريبي الذي يؤديه البث الفضائي في بعض المحطات الخاصة، التي لا تكتفي باستخدام العاميات شفاهيًا، بل تثبت هذه العاميات بكتابة إعلاناتها ونشراتها، ناهيك عن التشويه الذي يصيب اللغة الفصيحة - عن جهل أو عن قصد - عند استخدامها.

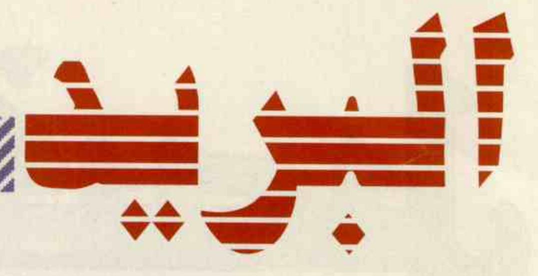
ومما لاشك فيه أن تجربة الشيخ محمد بن صالح بن سلطان التي خصّ بها منتدى الفيصل غنية ومفيدة لإغناء معارف النشء العربي الذي هو بأشد الحاجة إلى هذا النوع من التجارب. إنها تجربة جديرة بأن تقتدي بها الأجيال الصاعدة من أجل تعميق رؤيتهم للكون والحياة. ويحافظ الدكتور محمود جبر الربداوي على تألقه في اختيار النصوص الشعرية وقراءتها وتوصيلها بسهولة وعمق. وثمة قراءات نقدية وترجمات ودراسات ضمها العدد وتحتاج إلى وقفة متأنية لا يتسع المقام لها.

ولكن تبقى صفحات (مناقشات وتعليقات) من الصفحات التي تتميز بها مجلة الفيصل، فهي تدل دلالة واضحة على الفكر الموضوعي المتبع في هذه المجلة. فما لا ريب فيه أن الكاتب الذي ينتظر الرأي الآخر (الهادئ والمنهجي كما هو الحال في صفحات مناقشات وتعليقات) يجعله مسؤولاً عن كل كلمة يثبتها. فليس مهمًا أن نختلف، بل أن نعرف كيف نختلف.

د. محمود إسماعيل بصل
جامعة تشرين - سورية

الأسعار

السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلس - الإمارات ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلس - عُمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٤٠ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ١٥٠ جنيه - المغرب ٨ دراهم - تونس ٦٠٠ مليم - الجزائر ١٠ دنانير - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٣٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنك - لبنان مايعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.



نافذة على الحياة

إطلالتكم الشائقة هي الموعد المنتظر للقراء بحنين، فنجتلي عبرها أفقًا جديدًا من آفاق الثقافة والحياة، وكأنما هي فصولٌ من الوعي على مدار السنة تتوالى لتنبِّه القارئ إلى شأن لم يكن يدري ما فيه من دَخَل أو زيف، وقد كان يظنُّه بريئًا من الهوى، أو تلفته إلى أمر مشتبه مريب، لا يعرف وجه الحق فيه، حتى إذا دعوتموه إلى الإطلالة عليه، والتعرف إليه، تنبَّه إلى خفيٍّ مراميه وخطير أبعاده. وتزود بجملة صالحة من الأفكار عنه. مستنيرًا بالبراهين الساطعة لرفضه أو قبوله. كلُّ ذلك في عرض دقيق، وطرح شائق وأداء آسر، وأسلوب فذٍّ فريد، خلوصًا إلى الرأي السديد الذي توخيتموه في كل إطلّالة.

وأشهد أنني جنيت ـ كما جنى قراء الفيصل ـ الجمَّ الكثير من الثمار؛ علمًا راشدًا وفكرًا مستنيرًا. من هذه الإطلالات النافذة، تفاعلتُ معها، وتفاعلت مع معارفي، بل انسربت إلى الينابيع العميقة ـ من ثقافتي ـ التي تمدني بالفكر والموقف في الحياة. إنني لا أعدُّها إطلالة علمية فحسب، بل هي نافذة على الثقافة والحياة. نافذة بالمعنى الاصطلاحي كما في «الفيصل: الملك والإنسان». و«سياسة التعليم وسلامة التوجه». و«القدس في عمق ـ التاريخ». ونافذة بمعنى النفوذ والنفاذ؛ الاختراق. كقولهم «أنفذتُ فيه السهم» و«طعنة نافذة» كما في «الاستشراق ورسالته الاستعمارية» و«التبعية وأزمة المصطلح» فحبَّذا الفيصل من مجلة رائدة. وحبذا إطلالتكم من نافذة، تدل على الحق، وتصدع به. وترمي الباطل بسهام نافذة تخترق ريبه، وتودي بزيفه، وأغلب ظني أن قراء الفيصل يدركون أن رأيي هذا ليس ثناءً خالصًا بقدر ما هو شهادة مخلصة على قيمة ما أحدثته تلكم الإطلالات «والنوافذ» من صدى في نفوسهم، وتأثير بالغ فيها.

أخي د. زيد أرجو أن يبقى فكرك نفاذًا في الثقافة والحياة، وقلمك نافذًا فيهما. وكذا صوتك في الأسماع والنفوس فاعلاً مؤثرًا، كما عهدناك في كل إطلالة.

أكرم محمود قنوص

دمشق ـ سورية

الهدف المنشود

لقد وقعت مجلتكم العريقة في يدي عن طريق المصادفة وهو العدد ٢٤٦ لشهر ذي الحجة لعام ١٤١٧هـ. وقد أعجبت بها كثيرًا وذلك لحسن الموضوعات الأدبية والثقافية والإسلامية القيمة والشائقة التي تنشرونها في هذه المجلة السمحة والقضايا الإسلامية النيرة التي تعالجونها بدقة وموضوعية، والتي تهم المسلم في هذا العصر.

وأسأل الله سبحانه أن يوفقكم لتحقيق الهدف الذي تنشدونه وهو تزويد القارئ العربي والمسلم بشتى الثقافة والعلوم.

محمد أوجلي عبدالواحد

ص.ب (٧٩) ـ مدينة أبشه ـ جمهورية تشاد

إعجاب

أنا من قراء مجلة الفيصل المداومين عليها وذلك إعجابًا بالموضوعات القيمة المختلفة والمتنوعة التي تأتي إلينا بها في مستهل كل شهر، وهي موضوعات منقطعة النظير وذلك لمعالجتها لقضايا علمية واجتماعية وثقافية وإسلامية مهمة بمستوى رفيع. ومن أكثر الزوايا الثابتة إعجابًا عندي «إطلالة رئيس التحرير» و«البريد الثقافي» و«الطريق إلى الله» و «تباشير».

عباس با بكر الطاهر عبدالله

الخرطوم ـ شركة فوجا العالمية للتأمينات

ص.ب ٨٧٩ ـ السودان

عن العدد ٢٥٥

لم يخف قطُّ أي مسطِّر خواطره عن مجلة «الفيصل» الإطراء في حقّها ولكنّه دومًا يخشى من التقصير عن إيفائها وصفها الحق! ولذا يحمل ما يقال هنا ـ وما قد قيل ـ على التقريب لا التحقيق. فعدد رمضان ـ كالأعداد السابقة ـ قاصدٌ إلى إمتاع القارئ أولاً وتغذية فكرته ثانيًا وإحياء وقته الثمين ـ لا قتله ـ ثالثًا، غير أنه يزيد عليها ببصمات رمضانية منعشة.

وفي السلوك الحضاري والوعي الاجتماعي وجدنا إطلالة العدد تربط بين حادثة السيارات القاضية ومستوى النضج الذهنيّ والحضاريّ لقوّاد العجلات المتحركة ربطًا وثيقًا يجسّد بجلاء مدى خطورة هذه «اللامبالاة» الصادرة من شتى أصناف المجتمع. وإذا مضينا إلى عالم الأدب رأينا دراسة د. أحمد صلاحية تحليلاً دقيقًا وموجزًا للأدب الأندلسي واسترحنا لدعوته للتصنيف الجديد لهذا الأدب الرّطيب. هذا وسلسلة الأستاذ عبدالله خياط الرائعة عن حياة أحد رواد الأدب الأعلام حمزة شحاتة لاتزال لنا سلسبيلاً سائغًا، ولاشك أنّ فحولة حمزة شحاتة في الشعر لا تقل عن عبقرية أحمد أمين في النقد كما رأينا ذلك جليًا في مناولة الكاتب يوسف الشاروني لحياة هذا الناقد الكبير.

وأما الدكتور حسن ظاظا فقد كشف لنا في «صهيونياته» الأخيرة عن الألاعيب السياسية والمكايد الشرسة التي قامت بها بعض القوى التي تبدو المحبة من أفواههم وما تخفي صدورهم الشحناء. وإلى جانب هذا استنشقنا هواء ماليزيا الطلق وتجوّلنا في شوارعها النزيهة واحتككنا مع شعبها المتكاتف ونحن في عقر ديارنا. والعدّد حافل بجوانب عدة من محاسن رمضان الذي تجلّى أثره النفسي والتربوي في «الصيام وتحقيق السلام الداخليّ» وغيره من الدراسات المتعمقة التي اجتنيناها في العدد.

هذا وغيره ممّا لم يقل هو الذي قادنا إلى القول أنه لو وجدت للمجلات مملكة ما كانت ملكتها إلا الفيصل»!

عبدالحفيظ أحمد أديد ميج النيجيري

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

وردت رسائل كثيرة من الإخوة القراء لم تتسع لها المساحة المحددة للبريد، وسيتوالى نشرها في الأعداد القادمة

بين الوهم وتأصيل الفهم

فقد قرأت ما كتبتموه في العدد ٢٥٦ من مجلتنا الرصينة المحترمة «الفيصل» بعنوان: «بين الوهم وتأصيل الفهم». وقد شعرت بالسعادة وأنا أقرأ مقالتكم على الرغم من أنها تتعرض لهم عربي شامل وحيوي، وعلى الرغم من أن التفكير في الواقع الذي تعرضتم له مصدر أكيد للغم والحسرة، ولكن سعادتي نبعت من جهدكم الذي أسأل الله العلي القدير أن يجعله في ميزانكم وأن يثيبكم عليه في الدارين: حسن ثناء وجزيل ثواب. أسعدني أنني قد وجدت همًا من أضخم همومي يعرض برصانة وانسياب ويعبر عن معاناتي ومعاناة أغلبية أهل زمني، بسبب من هؤلاء الذين يضخّون القرف والتفاهة والحماقة وانعدام الذوق في بيتي وفي أفهام أولادي.

اشتريت عدد الفيصل هذا منذ أسبوع، وقرأت افتتاحيتكم اليوم، كنا نتناول الغداء وعندما حان موعد مسلسلة سورية اسمها «عائلة خمس نجوم» قام كبير أبنائي «١٣سنة» وشغل التلفزيون على هذه المسلسلة، فانسحبت إلى غرفة الجلوس واصطحبت مجلة الفيصل وقرأت الافتتاحية ولا أدري أكنت محقًا في تفكيري ببيع جهاز التلفزيون ولا أدري أكنت سأفعل ذلك حقًا. أسعدتني مقالتك، أسأل الله تعالى أن يطيل في عمرك أيها الأخ الفاضل الحبيب، وأن يكثر في أمتنا من أمثالك، وأرجو أن تغض الطرف عن تشتت أفكاري وجملي فأنا في غاية الانفعال، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد سعيد محيي الدين عبلا
الدمام

تراجم كتّاب المجلة

رجاءً - استكمالاً لمسيرة الفيصل الثقافية - الناجحة - بفضل الله - إصدار ملحق مع المجلة، على غرار الملاحق السابقة - يتناول هذا الملحق تراجم كُتّاب المجلة على مدى مسيرتها، وذلك تعريفًا للقراء بهم، وتوثيقًا لعلماء وأدباء نعتز بهم، وفي ذلك ما لا يخفى عليكم من خدمة للمثقفين جميعًا.

رعاكم الله ووفق على طريق الحق خطاكم.

إسماعيل حامد إبراهيم رخا
البحرين - المحرق ٢٠٦ / طريق ٦١٧ - مبنى ٤٤٨ شقة ١١.

مسابقة الفيصل والبعد عن السطحية

اشكر لكم ما تقدمون، عبر صفحات الفيصل للقراء، من علم نافع دينًا ودنيا، وثقافة توسع المدارك وتجعل القارئ متابعًا لما يدور حوله بوعي، واستيعاب للأبعاد المختلفة للقضايا والمشكلات التي تنال كثيرًا من وسائله، ولا سيما المجلات التي تعج بها المكتبات وتتناول الأمور بسطحية وبمنظور قاصر.

إنني من المتابعين لمسابقة «الفيصل» الثقافية، وحقيقة لقد استفدت كثيرًا من هذا الباب، الذي شجعني على الاطلاع الشخصي والاغتراف من بطون الكتب، والبحث الجاد عن إجابات عن كل ما يطرح من أسئلة.

إن ما يستفيده القارئ الجاد المجتهد ثقافيًا وعلميًا، من الأسئلة المتنوعة التي ترد في هذا الباب، لهو أعظم من العائد المادي، وأعلم أن المبلغ المرصود للفائزين جائزة رمزية، وأن الهدف الرئيس هو تنمية الثقافة، وتشجيع النشء للتغلب على الإحباطات في هذا الزمان.

أبو عبدالرحمن عبدالله الشيخ محمد شريف
السودان - كسلا ص.ب ٧١

الانطلاق الحضاري يبدأ من الماضي

يعجبني كثيرًا الباب الذي يكتبه د. عبدالعزيز الخويطر بعنوان «أقوال الماضي للحاضر»، لما يتميز به أسلوبه من سلاسة، ولما في الموضوعات التي يطرحها من عمق، يمتزج فيه الماضي بالحاضر، مما يؤكد أن أي انطلاق حضاري ينبغي أن يعتمد على تحليل دقيق لمجمل أحداث الماضي، والنظرة العميقة للحاضر ودروسه.

وأسأل عن الكتاب الخاص بمقالات د. حسن ظاظا، وهل تحدد موعد صدوره أم لا؟ فنحن في شوق إلى هذه المقالات لما فيها من قيمة فكرية رفيعة، وقد حرمنا من كشكول الدكتور ظاظا في جريدة «الرياض»، فلعل المانع يكون خيرًا، وآمل أن أعرف طريقة الحصول على كتبه.

هشام مرسي صالح
السلطان الحنفي - السيدة زينب
مصر

بالفيصل أمانينا وللفيصل تهانينا

لا أجامل إذا قلت إن مجلتنا الغراء - الفيصل - كانت رائدة في المعهد التكنولوجي للتربية (مالك بن نبي) بالمسيلة في الجزائر، واحتلت الحيز الأكبر في مرابع رسائل التخرج خاصة أساتذة اللغة العربية والعلوم الطبيعية.

وبمناسبة تخرجنا كأساتذة نتقدم بالشكر الجزيل إلى طاقم المجلة وعلى رأسهم رئيس التحرير. وها نحن نرفع صوتنا ونقولها صراحة أمانينا كانت بالفيصل وتهانينا للفيصل التي كانت منبرًا وقبلة وشعاعا ينير الثقافة العربية، فدامت الفيصل في خدمة الجميع، والله يكون في العون، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

عن أصحاب البحث
صلاح الدين سيد علي
المسيلة - الجزائر

ذن الله -، فمعذرة للذين تأجل نشر رسائلهم، ومرحبًا بآراء الإخوة القراء ووجهات نظرهم واقتراحاتهم.



إطلالة



ففي النزعة

اهتمام الإنسـان المسلم بالعـمل الخـيـري التطوعي هو جـزء أصيل من رسالتـه في هذه الحيـاة، إذ إن الإسـلام أتى رحـمـة للعـالمين، ومن مـعـاني هذه الرحـمـة أن يحـمل الإنسـان هموم النـاس، وأن يعمل بـكل إخلاص وتفـان لتخفيف معاناتهم، وأن يستشعر مسؤولياته الكاملة تجاه نفسه ومـجتمعه وأمته وأخيه الإنسـان، حتى إن إدخال السعادة في قلوب الناس صدقة، يثاب عليها المرء.

والإنسان حين ينطلق إلى العمل الخيـري من مفهوم إسلامي أصيل، فـإنما يتحرر من ضيق الذات والتـمحور حـولها إلى رحـاب المجتمع الإنساني الواسع. وترسيـخ مثل هذا المفهوم في النفوس شديد الصلة بقضية التربية، لأنه مـعـيـار لمدى إحساس الفرد بذاته، بوصـفه إنسـانًا فـاعلاً يستطيع أن يخدم مـجـتـمـعـه، ويشـارك في حل قضاياه ومـشكلاته بمقدار ما تتيح له قدراته، من منطلق الإيمان بأن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها.

وهذا الاندفاع نحو المشاركة الفعالة في تبني قضايا المجتمع والمشـاركة في إيجاد الحلول لها، تعبير عن وعي الفـرد بـالدور المنوط به في المجـتـمـع، وإدراك لأهـمـيـة المبـادرات الفـردية في إيجاد وعي بقـيـمـة الفـرد في المجتمع، وضرورة تفاعله مع مـا في مجـتـمعه من قـضايا وهـمـوم، مما يوجد تيـارًا عـامًا في المجـتـمـع، يتعاظم أثره بتزايد المبادرات الفردية، واتجاهها إلى الغايات والمقاصد الخيرة، لتتفتح أبواب الحلول لمشكلات المجتمع وهمومه.

ووجود مثل هذا الوعي بقيمة الفرد في مجتـمعه، وطبيعة التفاعل الذي ينبغي أن يكون بين الفرد والمجتمع، يحتاج إلى منهج تربوي يرسّخ في الأذهان أبـعاد تَبِعَات الفرد، وأبعاد علاقته بمجتمعه، وغـياب مثل هذا المنهج يعني إتاحـة مناخ لتشجيع روح الأَثَرة وشيـوعهـا، وقد يتـفـاقم الأمـر إلى حـدوث انفـصـام الفـرد عن الواقـع المعيش، وتمحوره حول ذاته؛ بما ينبئ عن قيم الأثرة التي تختزلها المقولة الشائعة «أنا، ومن بعدي الطوفان».

ومـثل هذا الواقع تنكره القيم الإسـلامـيـة، لأنه يتنافى مع إنسانيـة الإنسان، وينزل به إلى غير المستوى الذي خـصه الله به، حين ميزه من غيـره من المخلوقـات بالعـقل والفكر، واسـتخلفه في الأرض، ليعمـرها وفق مقتضيات العدل والرحمة.

ومـا نزوع الإنســان إلى الأثرة إلا تـعطيل لملكة العقل والفـكر، وإشاعة لقيم الغاب، حيث لا بقاء إلا للأقوى، فيـتسلط الإنسان على أخيـه الإنسان، ويشيع الحقد والكراهية بين الناس، فيبدو المجتمع بكل خيراته أضيق من أن يستوعب مطامع أفراده واستغلالهم.

والتكافل الاجتماعي من القيم الإسلامية الأصيلة التي ينشأ عليها الإنسان المسلم الذي يستمد من الطاقة الروحية الفاعلة التي يبثها الإسلام في نفسـه ما يخمد في تلك النفس النزعة الفردية، ويوقظ فيها قيم الإيثار، وتغليب مصلحة الجماعة على المصلحة الشخصية.

فـهـذا التكافـل الاجـتـمـاعي ركن مـن أركـان الإسلام، فـما فرض الله الزكاة والصـدقات إلا ليكون بنيـان المجـتمـع المسلم على أسس وطيـدة من التـراحم، والتعاون على البر، والتواصي بالخير.

وقـد عـالج الإسـلام مـشكلة الروح المادية التي كانت سمة لمجتمعات أخرى، شاع فيها التكالب على المال، والتهالك على جمـعه، والتفـاخر به، وشيـوع المعـامـلات الربوية، وفـسـاد الذمم، وعـدم الرأفـة بالمسـاكين، فـقرن القرآن الكريم الإحسان بالعبـادة، وحفز على المسارعة إلى الخيرات في السر والعلن، ولم ينكر الإسـلام حقـوق الملكيـة الفـردية، وإنما جعل لهـا مفهومًا جـديدًا فوضع ضوابط مـحكمة تحقق مـصلحة المجتمـع، وتضمن حق الفرد في التصـرف في ماله بما لا يضر نفسه أو المجتمع.

والإسلام حين يقـرر طبيعـة العلاقة التي ينبغي أن تكون بين الفرد والمجتمع، وهي طبيعة تتـميز بالتـفاعل الدائم والحركة الدائبة إلى ما فيه مصلحة المجتمع، إنما يقرن العبـادة بالعمل، فلا يسع الإنسان أن ينـأى بنفسه عن حركـة المجتـمع، مدعيًا إيثار السـلامة، والبـعد عن المشكلات، لأن في هذا قـصـورًا في الفـهم الصـحيح للإسـلام الذي يـبـعث الفـاعليـة في الإنسـان المسلم، وينمي فيه الإحساس بالآخرين، ويدفعه إلى تحمل تبعاته التي تتعدى حـدود مجتمعـه إلى العالم أجمع، من واقع عالمية رسالة الإسلام.

وهذه السلبية ليست صـفة الإنسـان المسلم بأي حـال من الأحوال، بل المسـلم سبـاق دائمًا إلى الخير، مهـما كلفـه ذلك من تضحيات، وقـد قال عبـدالله بن عبـاس ـ رضي الله عنهمـا ـ: «إني لأعجب من صـحابة رسـول الله يتـركون ديارهم، وبلادهم، ليـجاهدوا في سبيل الله، فـيمـوتوا ويقـتلوا من أجل أن يُدخلوا الناس الجنة، ويسـوقـوهم إليهـا سـوقًا». وسلبيـة أيّ فـرد في المجـتـمع تعطيل لقـدرات يمكن توظيـفـهـا فـيـمـا يخـدم المجتمع، ويحقق غاياته.

ولقد عبـر مفهوم «الوقف» فـي الإسلام من خلال المـارسة العـملية عن تلك الحيوية التي تتسم بهـا علاقة الفرد بمجتمعـه، إذ يُدهشُ الباحثَ في تاريخ الحـضارة الإسـلاميـة مـا للوقف من أثـر عـمـيق في ازدهار هذه الحـضـارة، بما كـان له من دور في خـدمـة الدعـوة الإسـلاميـة، وتطور التـعليم، والنهوض الاجتـمـاعي والاقتـصـادي؛ بل إن الوقف كـان من أسبـاب نهضة العمارة الإسلامية، وتميز خصائصها، إذ أوقف المسلمون الدور، والأســواق، والبـســاتين، ودور العــبـادة، والمصاحف، والمدارس والمكتبات، والمستشفيات، ودور الرعاية الاجتماعية، والخانات (الفنادق)، والسقايات.

ومثّل الوقف مصدرًا مـهمًا لحيوية المجتمع وفاعليته وتجسيدًا حيًا لقيم التكافل الاجتماعي، وترسيخًا لمفهوم الصدقة الجارية، برفدها الحياة الاجتماعية والاقتصادية بمنافع مـستـمـرة ومتـجددة، تنتقل من جيل إلى آخر، حاملة مـضمونـاتها العـميقـة في إطار عملي، ينمي وعي الفرد بمسـؤولياته الاجتماعية، ويزيد إحسـاسه بقـضايا الآخرين ومـشكلاتهم، ويدفعـه إلى التفـاعل معهـا وفق الاستطاعة.

وقـد اتسع مـفـهـوم الاسـتـطاعـة في ظل رسـوخ مؤسـسـة الوقف، لأن المسلمين تتبعوا مـواضع الحاجات مهـما قل شـأنها، حتى عينوا أوقـافًا لإطعام الحيوانات وعـلاجـهـا، ولتـعـويض الخـدم عن الأواني التي قـد يكسـرونها فـي السوق، مما أتاح المجال لأفـراد المجتمع للإسـهـام في التـخـفـيف عن مـعـاناة الآخـرين بما يسـتطيعـون، والمشاركـة في التطور الاجـتـمـاعي والاقتصادي للمجتمع تبعًا لما تسمح به قدراتهم.

وكـانت هذه الحيـوية التي أضفـاهـا الوقف على حركـة المجتمع، سببًا في أن تجتذب المدارس والمكتبات الوقـفـيـة العلمـاء من جـمـيـع أنحـاء العـالم، كـمـا أن

لكل كريم مفنعة

المستشفيات مثلت دورًا للتدريب إلى جانب كونها مكانًا للعلاج.

وتوافد طلاب العلم من جميع أنحاء العالم إلى مراكز الحضارة الإسلامية اقتضى إنشاء الخانات التي تؤويهم، إلى جانب تهيئة الطرق، وإقامة السقايات للقوافل التجارية، بل وصلت فوائد الأوقاف وعوائدها إلى المساجين سواء بالإنفاق عليهم، أو على أسرهم، إضافة إلى تعليمهم وتهيئتهم للاندماج الاجتماعي باكتساب صناعة يتعيشون بها بعد انقضاء مدة العقوبة.

وقد حققت المؤسسات الوقفية في المجتمع الإسلامي تكاملاً واضحًا في توكيد القيم الإسلامية وإبرازها في صورة عملية حية.

والمؤسسات الوقفية لم تكن تعبيرًا عن حس إيماني وإحساس الفرد بمسؤولياته الاجتماعية فحسب، وإنما كان لها دور فاعل في استقرار المؤسسات التعليمية والدينية والاجتماعية على الرغم مما كان يسود كثيرًا من البلاد الإسلامية من اضطرابات سياسية في بعض الأحيان، كما أنها حافظت على خصائص المجتمع الإسلامي وهويته.

ومن واقع الاحتكاك الحضاري تأثر الأوربيون بهذا المفهوم الإسلامي، وعملوا على تمثله، وفق ما يفرضه واقعهم، فأوجدوا نظام الترست TRUST على غرار الوقف الإسلامي، فشاع عندهم إيقاف المكتبات والمدارس ودور الرعاية الاجتماعية.

وأنشئت مؤسسات تعليمية عريقة وفق هذا النظام، حتى إن الكنيسة الكاثوليكية في إنجلترا لها أملاك واسعة وعقارات في أفضل المواقع، ومؤسسات تعليمية وصحية وغيرها.

وبلغ عدد المؤسسات التطوعية في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من ٣٢ ألف مؤسسة، وقدرت ممتلكاتها في عام ١٩٨٩م بما يزيد على ١٣٧ مليار دولار، وبلغ مجموع تبرعات الأفراد والمؤسسات في ذلك العام نحو ١١٥ ألف مليون دولار. وهذه الأرقام تؤكد أن العمل التطوعي أصبح جزءًا من ثقافة سائدة، كما أن التبرع المادي لم يعد هو المظهر الوحيد لهذا النوع من العمل، إنما تشيع في تلك المجتمعات الأعمال التطوعية، التي قد تكون في شكل مشاركة في مناسبة اجتماعية تخص قطاعًا من قطاعات المجتمع، كتلك التي تنظمها دور الرعاية الاجتماعية، أو إسهامًا في مجال من المجالات التي تخدم المجتمع كالصحة والتعليم.

وعلى الرغم مما يقال عن الأغراض والمنافع الذاتية التي قد تكون وراء بعض الأعمال التطوعية في الغرب، كمحاولة بعض الشركات التمتع بالإعفاءات الجمركية والضريبية التي تمنح للمؤسسات التطوعية، أو العمل على اكتساب الشهرة، أو اتخاذها وسيلة دعائية للأشخاص أو المؤسسات، إلا أن الواقع يشهد أن هذه المؤسسات التطوعية في الغرب باتت تؤدي دورًا كبيرًا في خدمة المجتمع، وفي حل كثير من مشكلاته، ولاسيما في ظل تزايد الأعباء على الحكومات.

ولا يفوتنا أن نذكر أن كثيرًا من المؤسسات ذات الصفة التطوعية تعمل في مجال التنصير، كما أن هناك مؤسسات صهيونية في الغرب تدعم إسرائيل، بل إن كثيرًا من اليهود يوقفون أموالاً لشراء الأراضي في فلسطين، والمشاركة في بناء الأراضي المغصوبة مما يسمى بالمستوطنات، وقيل إن أحد أثرياء اليهود الروس تبرع بدفع رواتب جميع علماء الذرة في الاتحاد السوفييتي بعد انهياره حتى لا يذهب أحدهم إلى دولة إسلامية تستفيد من علمه وخبرته.

ويشهد مجتمعنا قيام كثير من المؤسسات الخيرية التي تتمثل فكرة الوقف الإسلامي، وتعمل على الإسهام في دفع حركة المجتمع في المجالات الحيوية كالتعليم والمكتبات والرعاية الاجتماعية وغيرها، وقد حققت هذه المؤسسات كثيرًا من غاياتها بفضل ما تجده من دعم مادي ومعنوي من أولي الأمر في هذه البلاد.

وتأتي مبادرة أهالي منطقة الرياض بإنشاء كلية علمية أهلية تحمل اسم صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام، والتي يتبناها صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض توكيدًا لأصالة التوجه إلى تنمية إحساس الفرد بتبعته تجاه مجتمعه، وإشراكه في تحقيق النهوض الحضاري للمجتمع بما يستطيع من جهد وفكر.

وفي هذا العمل استمرار لنهج الأمير سلمان بن عبدالعزيز في المبادرة بتشجيع الأعمال الخيرية، وتقديم ما تحتاج إليه من دعم مادي ومعنوي، والسعي الدؤوب إلى كل ما ينفع الناس، ويحفز الآخرين على الاقتداء.

والاجتماع الذي دعا إليه نخبة من المواطنين هو تجذير لممارسة حضارية تأصلت من خلال مباشرته للعمل التطوعي لدعم المسلمين في فلسطين والصومال وأفغانستان والبوسنة والهرسك.

وتنوع مجالات العمل الخيري والإنساني التي يتبناها سموه، يأتي من قناعته بأن ميدان أعمال الخير يظل متسعًا مهما تعددت الأنشطة وكثرت الجهود، وأن استباق الخيرات محمدة، ينبغي أن ينال شرفها كل مسلم.

ولأن ميدان المبادرة الجديدة لسموه هو ميدان العلم الذي حفظ له الإسلام قدره، منذ أول يوم بدأ فيه نزول القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه يستحق أن تتكاتف حوله الجهود، ليرى هذا المشروع الحضاري النور في أكمل وجه يحقق مصلحة الوطن، ويلبي طموحاته في أن تكون مؤسساته التعليمية رافدًا من روافد التنوير، وقناة للتواصل الحضاري مع العصر، ومواكبته.

ومثل هذه المبادرة الكريمة التي تحفز المواطن على المشاركة في إقامة مؤسسات المجتمع لا يقصد بها تقليل الأعباء المضطلعة بها الحكومة، بل من شأنها ترسيخ قيم الانتماء في النفوس، مما يجعل الفرد أكثر استعدادًا للمشاركة الفاعلة في تبني قضايا مجتمعه دون الاتكالية المفرطة على جهود الدولة.

وبما لا يدع مجالاً للشك، أن تبلور هذه المبادرة إلى أن تكون واقعًا ملموسًا يحتاج إلى كثير من الفكر والعمل، حتى تأتي هذه المؤسسة التعليمية متسمة بالجدة والتميز، لتصبح معلمًا حضاريًا بارزًا من معالم نهضتنا الحديثة، وأنموذجًا حيًا لثمرة الوعي التطوعي، ومجالاً تستثمر من خلاله جميع أعمال الخير من تبرعات وأوقاف، وهو مجال خصب لكل طالب فضل، وصاحب عطاء وكرم، «ففي المرنعة لكل كريم مفنعة».

تنوع مجالات العمل الخيري والإنساني التي يتبناها سمو الأمير سلمان، يأتي من قناعته بأن ميدان أعمال الخير يظل متسعًا مهما تعددت الأنشطة وكثرت الجهود.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الأقمار الصناعية تخترق الحواجز!!

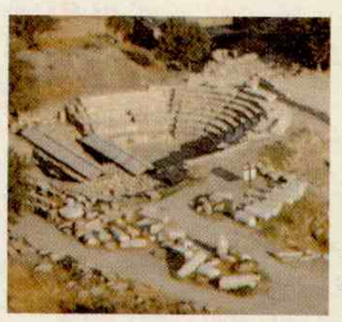
كان من قبيل المبالغة القول: إن من الممكن قراءة لوحات السيارات التي تقف في مواقف سيارات الكرملين من خلال الاستطلاع عبر الأقمار الصناعية، أما الآن، فإن على المرء أن يخشى على خصوصية فناء منزله.

فالقمر كي اتش ـ ١١ له قدرة على العمل في الظلام، وعلى أهداف استطلاعية مغطاة بالسحب.

قسم الترجمة أعد موضوعًا مصورًا عن آخر تطورات الأقمار الصناعية ومجالات استخدامها في السلم والحرب.

طالع ص١٨

ما وراء حكاية طروادة!!



كانت طروادة النقطة التي تقاطعت عندها الطرق التجارية القديمة شرقًا وغربًا، شمالاً وجنوبًا، مما جعلها مسرحًا للعديد من المعارك التي شكلت أرضية ملحمة هوميروس.

ولايزال العلماء يعتقدون أن هناك مدينة مدفونة تحت قلعة طروادة السادسة، ولكن السؤال: ما الأهمية التي لاتزال تحتفظ بها بقايا أصل طروادة؟

هذا ما يجيب عنه العلماء ونقل هذه الإجابة أدهم شاكر عضيمة وهي توضح «ما وراء حكاية طروادة».

طالع ص٨٤

الكيمياء لغة التفاهم بين الحيوانات



في كل يوم يكتشف العلم ما يؤكد عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وفي مملكة الحيوان، كثير من دلائل هذه العظمة، فقد أكد العلماء أن الحيوانات من أصغرها إلى أكثرها تعقيدًا تمتلك وسائل مسموعة ومرئية وحسية وكيماوية للاتصال والتواصل فيما بينها.

وتعد الوسيلة الكيماوية أكثرها شيوعًا، وهي لغة غير مرئية.. لغة الروائح والرسائل الصامتة، وهي التي تحدد شخصية كل حيوان، ومنطقة نفوذه، وجنسه.

في مقالة د. مسعد شتيوي، كثير من أسرار هذا العالم العجيب.

طالع ص٩٦

أدب وفكر

تربية وتعليم

لغة

اجتماع وإعلام

رحلات

تراث وتاريخ

شخصيات

شعر وقصة

الأبواب والزوايا الثابتة

من كتاب العدد



د. مسعد مسعد أحمد شتيوي

- من مواليد محافظة الدقهلية، مصر ١٩٥١م.
- حاصل على بكالوريوس العلوم الزراعية، كلية الزراعة، جامعة أسيوط ١٩٧٥م، وماجستير في العلوم الزراعية (إنتاج حيواني) من الكلية نفسها ١٩٨٠م، ونال دكتوراه الفلسفة في علوم الحيوان (فسيولوجيا الحيوان) من جامعة ولاية نيو مكسيكو ١٩٨٨م.
- يعمل أستاذ مساعدًا بكلية العلوم الزراعية البيئية بالعريش، جامعة قناة السويس.
- له أكثر من ٢٠ بحثًا منشورًا بالاشتراك مع آخرين في المجلات والمؤتمرات العلمية في مصر وأمريكا وبريطانيا، وأشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه، وشارك في أعمال الترجمة للموسوعة العربية العالمية.

د. عثمان سيد أحمد محمد خليل

- من مواليد الأبيض، السودان ١٩٥٥م.
- حاصل على البكالوريوس في الصحافة والإعلام، جامعة أم درمان الإسلامية ١٩٧٩م، والماجستير في الإسلام التربوي ١٩٩٢م، ثم الدكتوراه ١٩٩٦م.
- له مجموعة من البحوث والدراسات باللغة العربية منها: «دور التكامل الإعلامي التربوي في حل أوقات الفراغ لدى الشباب - دراسة تقويمية لأداء مراكز الشباب في الخرطوم»، «دور الصحافة السودانية في تربية الشباب - دراسة ميدانية في مدينة الخرطوم»، «تأثير إدارتي العلاقات العامة بمؤسسة حلفا الجديدة الزراعية ومصنع سكر حلفا الجديدة، بشرق السودان في المجتمع المحلي»، «المعلم عامل ديناميكي في عملية التعليم»، «الثواب والعقاب وأثرهما في عملية التعليم».

ومن بحوثه باللغة الإنجليزية:

MASS COMMUNICATION RESEARCH ON FRANCE HAS THE. NON - ALIGNMENT MOVEMENT ACHIEVED ANYTHING, NATIONALISM AND NATIONAL UNITY IN SUDAN.



عمر حسن القيّام

- من مواليد الأردن، ١٩٦٣م.
- حاصل على بكالوريوس اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، ١٩٨٩م، وماجستير نقد أدبي حديث من الجامعة نفسها ١٩٩٦م، وكانت الأطروحة بعنوان «محمود محمد شاكر وقضية الشعر الجاهلي».

يعمل باحثًا متفرغًا للتأليف ونشر المخطوطات في مؤسسة الرسالة، فرع الأردن.

- من مؤلفاته: الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي وتحقيق بالاشتراك مع الشيخ شعيب الأرناؤوط، ثلاثة مجلدات ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، «محمود محمد شاكر: الرجل والمنهج» ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، «شرح حديث: اللهم بعلمك الغيب، لابن رجب الحنبلي» ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- له تحت الطبع: «تهذيب شرح السنة للإمام النووي»، «رسالة الغنية عن الكلام وأهله» للإمام الخطّابي.

محمد علي دولة

- من مواليد سورية ١٩٣٩م.
- أتم الدراسة المتوسطة والثانوية في دمشق.
- تخرج في جامعة دمشق عام ١٩٦٣م.
- عمل مدرسًا في الثانويات الحكومية من عام ١٩٦٥م إلى ١٩٧٤م.
- استقال من الوظيفة، وانصرف إلى العمل في النشر والتأليف.
- أسس دار القلم بدمشق والدار الشامية في بيروت وأشرف على مسيرتهما.
- صدرت له أربعة كتب، وهناك كتب أخرى سوف ترى النور قريبًا إن شاء الله.



صبي كفيف يرسم لوحات فان جوخ

فاز صبي لم يتجاوز عمره أحد عشر عامًا في منافسة فنية وذلك برسمه نسخة من لوحة «دوار الشمس» للفنان فان جوخ.

ولكن الذي يجعل نجاح الصبي كايل أوران بشكل خاص بارزًا هو أنه كفيف البصر منذ أربع سنوات.

إن طالب المدرسة الابتدائية هذا يتسم بروح المثابرة ويرفض الاستسلام للإعاقة، ويعتمد على ذاكرته القوية بتعرف الألوان في رسوماته إنه يستخدم معدات خاصة ترسم صورًا نافرة على ورق مميز حساس، ومن ثم يلونها بأقلام شمع ملونة ذات روائح مختلفة ليستطيع معرفة اللون الذي يمسكه.

لقد فاز بالمرتبة الثانية عن النسخة التي رسمها عن رائعة فان جوخ (دوار الشمس) في فئة ذوي الاحتياجات الخاصة في منافسة جرت بين مدارس من عشرة أقطار.

يقول كايل إنه مسرور لأنه لم يسبق له أن فاز بمنافسة فنية. وإنه على الرغم من كونه كفيفًا فإنه ينقر على الدف في فرقة الموسيقى بمدرسته. يعاني كايل من حالة تسبب تفسخ شبكية العين ،ولقد أخذ يفقد بصره عبر السنين إلى أن فقده بالكامل الآن.

قالت والدته هايدي: إن كثيرًا من الناس يواجهون حرجًا في قبول حقيقة أن كايل هو فنان. ولكنه يستطيع أن يشارك برباطة جأش ويستمتع بعمله مثل أي شخص آخر. إنه من ذلك النمط الذي يحاول عمل كل شيء.

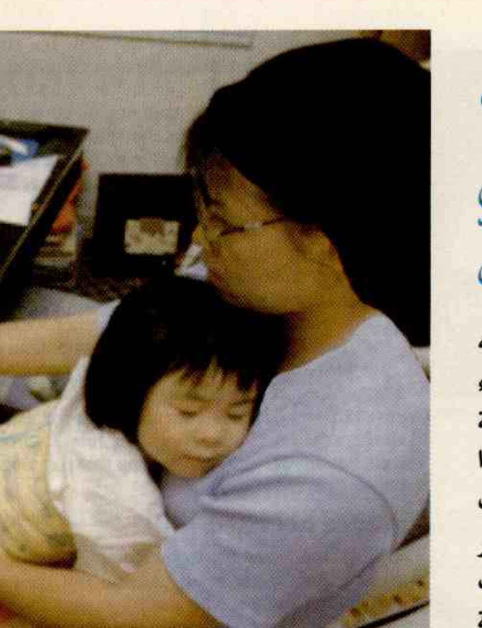
يدرس كايل مع بقية طلاب صفه في مدرسة كنغ بارك في بول، ولكن دراسته كلها بموجب نظام بْرَيْل، كما أن لديه حاسوبًا ناطقًا. ويخطط لتقديم اختبار دخول إلى مدرسة متوسطة بواسطة نظام بريل.

وتقوم بمساعدة كايل مدربة هي فال بلاكوود التي خطّت رسمة فان جوخ على الورق الخاص الذي يرسم عليه كايل، وذلك ليستطيع تحسس ما ينتجه.

تقول فال بلاكوود: إن لدى كايل كثيرًا من الأصدقاء وهذا شيء جيد بالنسبة لهم لأنهم يتعلمون أن يكونوا حول شخص معاق في بيئة طبيعية. إنهم جميعًا متعاونون، وودودون. وتقول أدريين ألن نائبة مدير مدرسة كنغ بارك: إن كايل شخص اعتيادي منتظم في فصله وإنهم فخورون به لأنه يتمتع بروح الفكاهة وشخصيته محبوبة. ويقول كايل: إنه شعر بإحباط كبير أثناء تقديم الجوائز لأن عمله الفني كان مغلفًا بإطار وزجاج بحيث لم يستطع أن يتحسسه ليتذكر شكله، إنه ولد ذكي جدًا متفوق في كثير من الميادين.



الكمبيوتر يوفر لربات البيوت العمل المستقل في منازلهنّ



قد تكون أكبر التحديات التي تواجه العاملين المستقلين تتمثل في كيفية بناء قاعدة اتصالات عمل قوية. وقد جاءت شبكة الإنترنيت لهم هدية من السماء لتساعدهم في هذا المجال، فقد أصبح بوسعهم استقصاء مئات الآلاف من فرص العمل، كما أن البريد الإلكتروني صار عاملاً آخر في مساعدتهم، وأصبح من مجالات أعمالهم هندسة البرامج الحاسوبية وفهرسة معلومات الشركات وتخزينها، وعمل تصاميم لأغلفة البضائع وغير ذلك.

لقد بزغ فجر الناس الذين يعملون بشكل مستقل في مكاتب صغيرة أو منزلية في تايوان. وقد عمل معظم أولئك الناس بضع سنوات في مناصب في شركات مختلفة قبل أن يتخذوا قرارهم بالعمل المستقل. وعلى أنهم يفتقدون وظائف مستقرة ورواتب تقاعد إلا أن مزيدًا من التايوانيين يتجهون إلى أعمالهم الخاصة بهم ليكونوا رؤساء أنفسهم. وقد تنامى هذا العمل حتى أصبحت نسبته ١٧٪ في القوى العاملة التايوانية حسب ما نشرته مجلة سوهو.

هذه النسبة تقريبًا تعادل نسبة العاملين المستقلين الأمريكيين التي تبلغ حاليًا ٢٠٪، وتراوح أعمار العاملين في هذا المجال بين ٢٥ ـ ٣٤ عامًا، ويلاحظ أن نسبة الإناث في هذا المجال تربو قليلاً على نسبة الذكور.

وتذكر شركة جريت ماستر انفورميشن أن ٨٠٪ من طلابها البالغ عددهم عشرة آلاف طالب يركزون على دورات الحاسوب الشخصي ليعملوا لحسابهم الخاص عند التخرج، وتبلغ نسبة الإناث بين طلاب هذه الشركة ٧٠٪، وهذا يدل على أن النساء التايوانيات يفضلن العمل بشكل مستقل.

يقول بعض الذين يعملون بشكل مستقل: إنهم مسرورون جدًا بالحرية ومرونة الوقت الذي يتمتعون به، والأهم من ذلك أنهم رؤساء أنفسهم، وكل ما يحتاج إليه العامل هو غرفة مزودة بمنضدة وكرسي وهاتف وحاسوب ليمتلك مكتبه الخاص به إما في مجمعات مخصصة لهذا الغرض أو في منزله.

وهناك تنبؤات تقول: إن نصف القوى العاملة في الولايات المتحدة الأمريكية ستدير أعمالها الخاصة بها من خلال مكاتب صغيرة أو منزلية مع حلول عام ٢٠٠٠م.

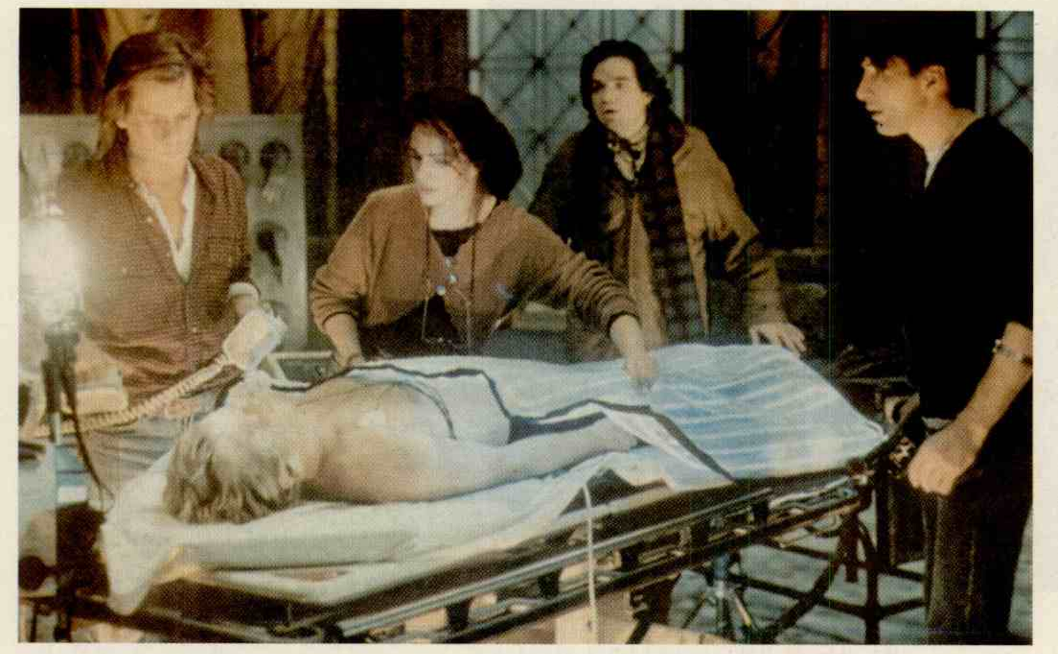
ويقول تشانغ ناشر مجلة سوهو في تايوان: إن من يريد أن يعمل بشكل مستقل يجب أن يتحلى بسمات عديدة كالخبرة، والمصداقية، والاحتراف، والشعبية، ومهارات التفاوض والحماسة لعمله، وتقديم أسعار مغرية، وخدمات زائدة، وأن يتحلى بانضباط ذاتي كبير، وأن يكون متفتح العقل، وله اتصالاته الجيدة، بمعارفه وبالعملاء.

هل المرضى حقًا في أمان تحت أيدي هؤلاء الجراحين

إن القفازات التي يرتديها الجراحون تسبب المرض لبعض المرضى، ولاسيما عندما يضاف إليها ـ عادة ـ مسحوق من النشا لكي يسهل ارتداؤها وخلعها، وهذا المسحوق يسبب التهابات خطيرة مما يزيد من خطر التلوث الذي يعقب العمليات الجراحية، بل ويسبب أعراضًا زائفة تشبه أعراض السرطان والإيدز.

إن الأخطار التي قد تسببها القفازات المزودة بالمسحوق هي موضوع ملحق خاص ستصدره المجلة الطبية الأوربية للجراحة EUROPEAN JOURNAL OF SURGERY. وقد استبعد هذا النوع من القفازات على مراحل في بريطانيا والدول الإسكندنافية، إلا أنها في الولايات المتحدة وفي بقية البلدان الأوربية الأخرى ماتزال تستخدم على نطاق واسع.

يقول كلو ينغنز، أستاذ الجراحة في مستشفى فيغسبيرغ بألمانيا: إنهم جمعوا معطيات علمية كافية



للخلوص إلى القفازات المزودة بذلك المسحوق يجب أن تحذر.

كان العلماء يعتقدون سابقًا أن ذلك المسحوق فاقد لنشاطه الكيماوي والبيولوجي (غير فعّال). ويمكن أن تترك كميات كبيرة من مسحوق النشا في الجروح بعد الجراحة. إلا أن كثيرًا من البحوث العلمية كشفت أن هذا المسحوق يمكن أن يسبب الالتهابات والحساسية.

يقول كارل أريك جير كسكي، المتخصص في السرطان من جامعة أوسلو في النرويج: إن هذا المسحوق قد يؤدي إلى تكوين كتل ملتهبة من الأنسجة يُظَنّ أنها أورام. كما أن

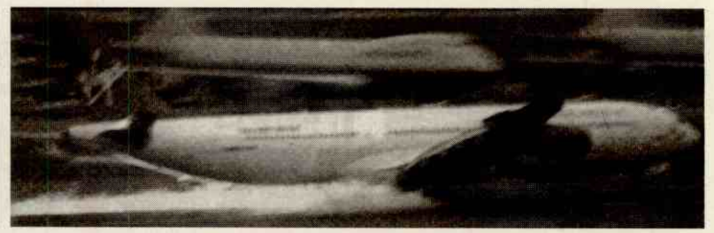
طائرة نفاثة تتأرجح بين المطارات

طيارة من طيارات شركة فيرجن أتلانتيك عطبت في الجو، وعلقت عجلاتها، وما عادت تفتح، وكان يقودها طيار بطل اسمه تيم بارنبي، وكانت طائرته تحوم فوق مطار هيثرو، وتلقى إرشادات متضاربة حول المطار الذي ينبغي أن يهبط فيه. فقد أبلغ المدير المناوب لشركة طيران فيرجن الطيار بارنبي بأن يتوجه إلى مطار مانستون التابع لسلاح الجو الملكي البريطاني في كنت حسبما صرح بذلك كبار موظفي مطار هيثرو. أما مصادر شركة فيرجن فتقول: إن المرشدين الجويين في مطار هيثرو اقترحوا على الطيار أن يتجه بطائرته الإيرباص ٣٤٠ إلى مطار ستانستد مما أحدث ارتباكًا للطيار.

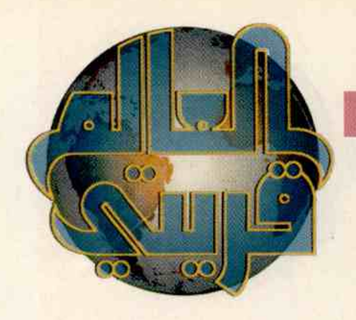
أما الطيار البطل بارنبي فقد رفض كلا الاقتراحين، وقام بهبوط اضطراري ناجح كان معجزة في مطار هيثرو، فقد استخدم العجلات اليمنى والوسطى فقط، وسط وابل من اللهب والشرر. ولم يصب أحد من الركاب بسوء، واستطاع الطيار أن ينقذ طائرته وركابه برفضه إرشادات الحركة الأرضية.

وسيكون موضوع ذلك الارتباك الذي وقع بين المرشدين الأرضيين وإدارة التدابير الطارئة للشركة يوم الأربعاء الماضي موضوع تحقيق لدى فرع التحقيقات في الحوادث الجوية.

وقد زعمت بعض مصادر الخطوط الجوية أن العاملين بوكالة الطيران البريطانية لم يجدوا أمامهم إلا أن يوجهوا الطائرة إلى مطار هيثرو وحماية للمصالح التجارية، بينما رفض بول فوكس مدير وكالة الطيران البريطانية للأمن والسلامة تلك المزاعم، وقال: إن المدير المناوب لشركة فيرجن في جيتوبك استدعى مدير العمليات المناوب، وأبلغه أن الطائرة متجهة إلى مانستون، وقال وِلْ وايتهورن الناطق الرسمي باسم شركة فيرجن: لقد قام الطيّار بارنبي بهبوط حسب النصوص، وأضاف أنه لا مجال لمناقشة تفاصيل من قال ما قال، وحتى الآن لا يزال التحقيق جاريًا.







ذلك الالتهاب قد يتدخل بالفحوصات التي تجري لاكتشاف الإصابة بالإيدز مما يؤدي إلى تشخيص خاطئ. ويضيف جيركسكي أنه ينبغي اعتبار مسحوق النشا مادة فعالة جداً.

وتقول لينا هول مدال المتخصصة في علاج الجروح من جامعة فلوريدا في جيزفيل: إن مسحوق النشا يعمل على إبطاء برء الجروح، ويمكن أن يتدخل في وظائف جهاز المناعة؛ وهذا يزيد فرصة تلوث جروح المرضى عقب العمليات الجراحية. مما يؤكد أن الجراثيم تنتشر في المسحوق الذي تزود به القفازات. وتضيف أنه لايوجد مسوّغ للاستمرار باستخدام القفازات بالمسحوق مع وجود أبدال خالية من المسحوق، ولا تسبب مشكلات للمرضى بعد العمليات.

في العام الماضي أوصت وكالة الأجهزة الطبية في بريطانيا بعدم استخدام القفازات المزودة بالمسحوق.

ويقول إيان وايت، أحد المتخصصين بالأمراض الجلدية في مستشفى توماس في لندن: إن القفازات المزوّدة بمسحوق النشا لا تستخدم في المستشفى الذي يعمل فيه، كما ينبغي ألا تستخدم في أي مستشفى آخر.

إن بعض البلدان قد استبعدت استخدام القفازات المزودة بمسحوق النشا واستخدمت بدلاً منها قفازات بلاستيكية لا تتسم باللزوجة التي تتسم بها القفازات اللَّثِّيَّة (من عصارة الأشجار)

وفي الولايات المتحدة الأمريكية تؤكد استطلاعات مجلة أل نيوسينتست أن فرقًا جراحية في أشهر المستشفيات الأمريكية بما في ذلك مستشفى ماساتوستس العام في بوسطن ومستشفى جونزهو بكنز في بالتيمور تستخدم بشكل اعتيادي القفازات الجراحية المزودة بمسحوق النشا.

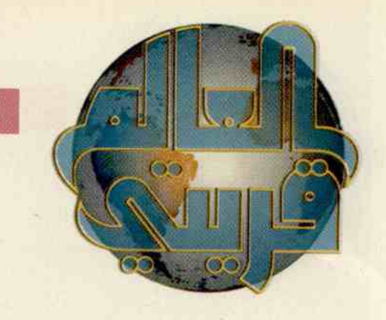
وقد وضعت الهيئة الأوربية سياسة مراجعة لمدى أمان القفازات التي تحتاج إلى مسحوق النشا. أما إدارة الغذاء والدواء الأمريكية فقد تفحصت الأمر بعناية، ولكنها لم تجد المعطيات الكافية لمساندة الحذر. هذا وستقوم الجمعية الطبية الأمريكية بمناقشة مدى أمان القفازات وسلامتها في اجتماعها السنوي الأسبوع القادم في شيكاغو.

الأرض كرة جليدية



إذا صدق ديف إيفانز DAVE EVANS فإن العصر الجليدي الأخير على الأرض كان فترة قصيرة جداً، إذا ما وزن بالتجمد العميق الذي حدث في الأزمان الغابرة على سطح الكرة الأرضية. لقد وجد إيفانز الذي يعمل جيولوجيًا في كالتش دليلاً على أنه قبل ٢ر٢ بليوني سنة واثنين بالعشرة من البليون غطت ألواح الجليد كل سطح الكرة الأرضية تقريبًا، وربما وصلت إلى خط العرض ١١، أي قريبة جداً من خط الاستواء، وإلى خط عرض كوستاريكا. وإذا وازنا ذلك بالعصر الجليدي الذي حدث قبل ٢٥ ألف سنة فإن هذا لم يمتدّ جنوبًا إلا إلى باريس.

لقد وجد إيفانز مع باحثين من جامعة راندا



فريكانز في جنوب إفريقية دليله على ما ذهب إليه تحت ترسبات الحمم البركانية في جنوب إفريقية التي غطت - لحسن الحظ - الترسبات الجليدية القديمة. وقد عرف أن عمر طبقات الحمم البركانية (اللابة) يبلغ ٢ر٢ بليوني عام واثنين بالعشرة من البليون، وكان كل منها يحتوي على مقادير صغيرة من ذرات معدنية مغناطيسية، وعندما بردت الحمم البركانية في الأصل اصطفت تلك الذرات باتجاه المغناطيس للأرض، وكأنها بوصلات صغيرة.

يقول إيفانز: إنّ ما نشاهده هو أن الاتجاه المغناطيسي في القطب الشمالي ينحو نحو الأسفل، وفي القطب الجنوبي نحو الأعلى. أما في خط الاستواء فإنه مستو، ولذلك فإن الزاوية بين الاتجاه الأفقي والمغناطيسي تتغير حسب خطّ العرض. إن العينات الجليدية التي وجدها الجيولوجيون في جنوب إفريقية قد رقدت على بعد ١١ خط عرض من خط الاستواء، وقد ينقص ذلك أو يزيد بمقدار ٥ درجات وبسبب الجَرْف القاري فإن جنوب إفريقية تقع الآن على خط عرض ٣٠ تقريبًا جنوب خط الاستواء.

لا يذكر إيفانز أن الجليد قد غطّى كل سطح الكرة الأرضية، ويقول: إن المناطق الاستوائية لم يصل إليها الجليد، إذ لو وصل إليها لما استمرت الحياة على وجه الأرض.

ولم يتوصل الباحثون بعد إلى سبب تدنّي درجة حرارة الأرض إلى هذا القدر من البرودة، ولكنّ هناك دليلاً ظنيًا على كيفية ذوبان ذلك الجليد. إذ توحي ترسبات الحمم البركانية التي تغطي الطبقات الجليدية أنه قد يكون حدث نشاط بركاني على نطاق واسع أطلق مقادير كافية من ثاني أكسيد الكربون، وعمل على احتباس الحرارة في جو الأرض مما أذاب الجليد. وهناك احتمال آخر - كما يقول إيفانز - هو أن شهابًا أو كوكبًا صغيرًا عمل على تبخير أطنان من الصخور التي تحتوي على الكربون، ولكننا حتى الآن لم نجد أي فوهة بركان أو ترسبات ناجمة عن تصادم ما.

قرود بحرية مدهشة

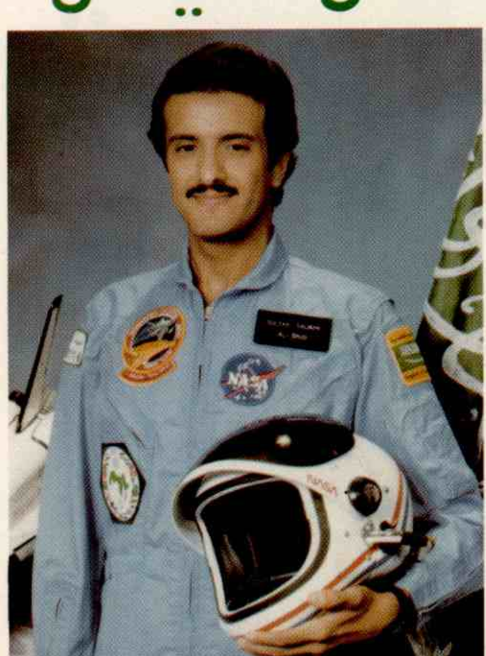
أوضحت رسومات بشكل مذهل مخلوقات تشبه الإنسان تثب مرحًا تحت الماء، إنها القرود البحرية التي كانت تجذب الاهتمام عند الإعلانات عنها في الكتب الهزلية. تقول الإعلانات: إن القرود البحرية لعوبة وقابلة للتدريب، ويمكن الحصول عليها بثمن بخس لا يتعدى بضعة دولارات. وإذا حاولت الحصول على واحد منها فستصاب بخيبة أمل لأنك ستجد هذا الحيوان الداجن لا يشبه أي واحد من القرود التي سبق لك مشاهدتها.

وهذه القرود البحرية المعروفة باسم ارتيميا فرانسيسكانا أو القريديس البحري تتميز بخاصية مدهشة حقًا، فهي تستطيع العيش لسنوات بلا أكسجين. وأراد جيمس كليغ أستاذ الكيمياء الحيوية في جامعة كاليفورنيا في ديفس التثبت من هذا الأمر، فأخذ جنينًا مجففًا لأرتيميا فرانسيسكانا يبدو ميتًا، وأعاد تزويده بماء خال من الأكسجين، وكذلك عمل عملاً آخر وهو تفقيس قرود بحرية تبدو أجنتها ميتة، وبعد أربع سنوات عرّضها للماء، فاستأنف ٦٠٪ منها تطوره الاعتيادي.



يظن كليغ أن طائفة من البروتينات تسمى مرافقات جزيئية تحمي البروتينات الأخرى من التحلل قد تكون المسؤولة عن سهولة تكيف القريدس وإعادة الحياة إليه. لقد حفظ كليغ تلك الأجنة غير الميتة تمامًا كل تلك السنوات تحت درجة الحرارة المنزلية العادية، ويظن أنها لو حفظت تحت درجة حرارة أدنى ببضع درجات لعمرّت عقودًا (عشرات السنين).

صاحب السمو الملكي الأمير
سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز
في «منتدى الفيصل»



يسعد «منتدى الفيصل» أن يستضيف أحد شباب الأمة الإسلامية الذي عُرف بطاقته المتجددة، وعمله الدؤوب، وسعيه إلى ارتياد آفاق المعارف الجديدة، هو سمو الأمير سلطان بن سلمان ابن عبدالعزيز. فقد كان سموه أول رائد فضاء عربي مسلم، استرعى الأنظار إلى ضرورة طرق هذا المجال الحيوي في السباق الحضاري، وتحدَّث إلى العالم أجمع - خلال رحلته التاريخية على متن مكوك الفضاء - بلغة قوية مؤثرة، مقدِّمًا لشباب الأمة نموذجًا يُحتذى في الطموح والإقدام. كما عمل في مجال الإعلام الذي لا اختلاف على تأثيراته الواسعة في البناء الفكري لأي أمة، ثم ارتبط اسمه - ولايزال - بالعمل الاجتماعي، لما اتسمت به رؤيته، في هذا المجال، من عمق وشمول، ومن أبرز أعماله المتميزة في هذا الشأن رعاية الأطفال المعوَّقين وتأهيلهم ليكونوا أعضاء نافعين في المجتمع.

عن هذه التجارب المتنوعة والثرة لسمو الأمير سلطان، وعن جوانب مختلفة من شخصيته وآرائه وأفكاره وطموحاته، يسعدنا أن نتلقى أسئلة القراء الكرام كي يدور الحوار المتنوع بين سموه وبينهم في «منتدى الفيصل».

نبذة من سيرة سموه:

- من مواليد مدينة الرياض في ١٨من ذي القعدة ١٣٧٥هـ - حزيران/ يونيو ١٩٥٦م.
- درس الإعلام والطيران في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم عاد إلى المملكة في عام ١٩٨٢م وشغل وظيفة باحث بإدارة الإعلام الخارجي بوزارة الإعلام.
- في عام ١٩٨٤م أصبح نائبًا لمدير لجنة الإعلام الأولمبية للمملكة في دورة الألعاب الأولمبية بلوس أنجليس، وعند إنشاء إدارة الإعلان بوزارة الإعلام - في العام نفسه - تولى منصب مدير الإدارة بالنيابة.
- في عام ١٩٨٥م أنيطت به مهمة إخصائي الحمولة على متن مكوك الفضاء «ديسكفري» في رحلته ٥١ جي (٢٩ رمضان - ٦ شوال ١٤٠٥هـ - ١٧- ٢٤ تموز/ يوليو ١٩٨٥م). وكان ضمن الطاقم الملاحي العالمي المكون من سبعة رواد من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.
- شارك في إنشاء جمعية مستكشفي الفضاء، وهي هيئة دولية تضم في عضويتها جميع رواد الفضاء، وبقي في مجلس إدارتها عدة سنوات.
- في عام ١٩٨٥م تم تعيينه ضابطًا في القوات الجوية السعودية، وترقَّى بها إلى أن حصل على رتبة عقيد طيار في عام ١٩٩٤م. وفي عام ١٩٩٦م تقاعد تقاعدًا مبكرًا من الخدمة العسكرية.
- انتُخب رئيسًا لمجلس إدارة جمعية الأطفال المعاقين في عام ١٩٨٩م، وأعيد انتخابه لدورتين عامي ١٩٩٢، و١٩٩٥م، كما تولى رئاسة مجلس الأمناء في مركز الأمير سلمان الاجتماعي لأبحاث الإعاقة.
- رئيس اللجنة الاستشارية لمشروع واحة العلوم، والرئيس الفخري لجمعية الحاسبات السعودية، والرئيس الفخري للجمعية السعودية لعلوم العمران.
- عضو بالجمعية السعودية الجغرافية، وعضو بجمعية مستكشفي الفضاء، وعضو بالجمعية الفلكية البريطانية، وعضو بالجمعية الجغرافية الأمريكية، وعضو بالجمعية الفضائية الأمريكية، وعضو ببرنامج الفضائيين الشباب (الولايات المتحدة)، وعضو بالجمعية الوطنية للفضاء (الولايات المتحدة)، وعضو بمعهد الدراسات الفضائية (جامعة برنستون)، وعضو بأكاديمية رواد الفضاء الدولية (فرنسا)، وعضو بالجمعية الفضائية الأمريكية، وعضو مشارك بندوة الأوضاع الدولية.

ومن آراء سموه حول بعض القضايا:

• عن رحلته ضمن طاقم مكوك الفضاء ديسكفري:

.. كنت أقرأ القرآن الكريم خلال الربع أو النصف ساعة.. وأضع خطوطًا تحت الآيات التي أقرؤها، ثم أنظر من شبَّاك المركبة، وأشاهد عظمة الخالق مجسدة أمامي.. لقد كان اصطحاب القرآن معي أمرًا عظيمًا..

الفضاء سوف يكون فيه صناعات مختلفة في المستقبل، وهناك مدن فضائية سوف تُبنى، ونأمل أن تسهم فيها المملكة؛ ليس من طريق إرسال رواد فضاء من العلماء والعسكريين وغيرهم؛ بل الإسهام في المدن الفضائية، والاستفادة من البيئة التي يوفرها الفضاء.

• الإعلام الوطني:

بلا شك أن التقنية الحديثة أصبحت تُملي علينا التعامل معها بطرق مختلفة، وإن استطعنا اليوم أو في أي وقت آخر تفادي بعض ما تخلفه هذه التطورات التقنية من بعض السلبيات، إلا أنه في المستقبل سوف يتغير الوضع - والله أعلم - بحيث يصبح التعامل مع السلبيات حقيقة واقعة، وأمرًا غير ممكن تلافيه تقنيًا. ولهذا كنت ولا زلت أشعر دائمًا بأن الأهمية الأساسية تكمن في ضرورة تطوير إعلامنا الوطني حتى يمكن أن يواكب ويتجاوز بما يقدمه القنوات الفضائية المختلفة الأخرى، وأن يستطيع أن ينافسها في عقر دارها.

• الاستنساخ:

إن ضرورة تصدي العلماء المسلمين لاتخاذ موقف علمي وديني وأخلاقي من موضوع الاستنساخ أصبحت تشغل بال كثير من العلماء والمفكرين والمثقفين في العالم الإسلامي. فالمؤشرات تدل على أنّ هذا العلم سيتطور في المستقبل، شأنه في ذلك شأن الكثير من العلوم والمعارف الإنسانية التي تنطوي على إيجابيات وسلبيات. ودور العلماء المسلمين هنا هو تقويم عوائد هذه المعرفة ومضارها؛ بحيث لا يُحرم المسلمون من فوائدها الطبية والعلمية، وفي الوقت ذاته يتجنبون سلبياتها الدينية والأخلاقية.

• المجال التقني:

إنني أرى أنّ أسباب التأخر التقني الذي نعيشه في عالمنا العربي متباينة، فبعضها اقتصادي، وبعضها اجتماعي وسياسي.. وجذور التأخر الحضاري تعود إلى قرون مضت لازمتها ملابسات تاريخية يطول الحديث فيها.. لكن بالنسبة إلى الواقع الراهن أعتقد أنّ عوامل غياب الاستقرار السياسي والضعف الاقتصادي والخلل الاجتماعي هي أهم عوامل التأخر العلمي والتقني.

• اهتمامه بمجال رعاية الأطفال المعوَّقين:

أسباب ودوافع كثيرة جعلتني أهتم بمجال رعاية الأطفال المعوَّقين، لكونهم - في نظري - أكثر فئات المجتمع عوزًا وحاجة.. فأنا بطبعي أحب الأطفال جدًا وأسعد عندما ألتقي بهم.. إنّ السعادة التي أجدها في ضحكة طفل بريء يصعب وصفها.. هذا الارتباط بالأطفال جعل إحساسي بمعاناتهم مضاعفًا.

• الصحافة السعودية:

.. لا أؤيد أولئك الذين يعتقدون أن عصر الصحافة المكتوبة قد انتهى. لكنني أرى أن الصحافة تحتاج إلى إعادة نظر في وسائل جذب القارئ عبر التطوير المدروس إذا أرادت أن تبقى في الحلبة.

أقمار صناعية ترصد حركة العالم

إعداد : قسم الترجمة

أطلق من قاعدة «كاتدينيدج» الجوية في كاليفورنيا، صاروخ «تيتان»، الذي يضاهي ارتفاعه ارتفاع مبنى من عشرين طابقًا، وذلك في ٢٠ كانون أول/ ديسمبر ١٩٩٦م، حاملاً معه أحد أكبر أسرار الحكومة الأمريكية.

لقد تم تصنيع الصاروخ «تيتان» لهدف واحد فقط، وهو إطلاق أقمار صناعية خاصة بالاستطلاع الشامل تعمل في مدارات خاصة بها، ويمكن الاستدلال على درجة تعقيد هذه الأقمار وأهميتها من خلال تكلفتها العالية، حيث تفوق تكلفة القمر الواحد الـ ٨٠٠ مليون دولار، وبذلك تزيد تكلفته على تكلفة القاذفة الـ ٢٥ المشهورة، مع العلم أن الطائرات الحربية تبقى في الخدمة لعقود عديدة، بينما لا تتجاوز مدة خدمة هذه الأقمار خمس سنوات.

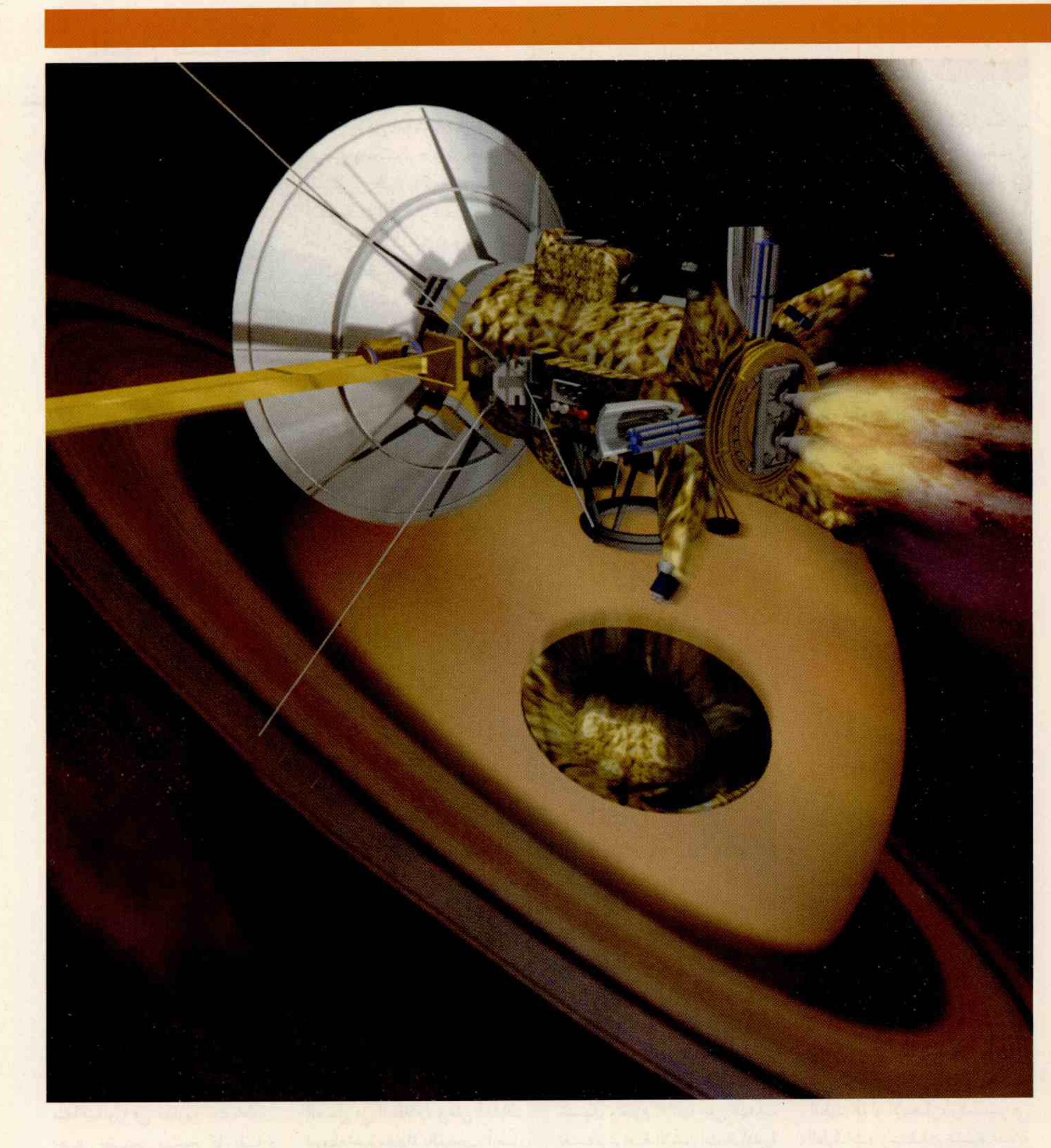
وينفق «البنتاغون» مبلغ مليار دولار سنويًا للمحافظة على تجميع ٢٠ قمر استطلاع؛ وتم الكشف مؤخرًا عن مكتب الاستطلاع الوطني، وهو المسؤول عن تطوير جميع أقمار الرصد العالمية وتشغيلها، ويعد وكالة من وكالات «البنتاغون»، وعلى الرغم من الكشف عن هذا المكتب، فإن المعلومات حول الأقمار التي أطلقت خلال ربع قرن مضى مازالت أسرارًا، إذ يرفض المكتب الإفصاح عن أسعار أقماره أو أغراضها التي صُممت من أجلها، أو تاريخ صنعها، أو هُوية صانعها، أو تكلفتها، وما تستنزفه من أموال دافعي الضرائب.

ولا يخفى على أحد وجود هذه الأقمار، ومقدار ما تلتقطه من صور، حيث استطاع أحد المحللين الاستخباريين في البحرية الأمريكية يدعى صامويل مورسون أن يلتقط صورًا لأول حاملة طائرات سوفييتية تعمل بالطاقة النووية في ميناء على البحر الأسود عام ١٩٨٤م، وكانت الصورة شديدة الوضوح لدرجة رؤية المعدات وحركة العمال على متن السفينة.

وحتى الآن هنالك قمر واحد تم تصنيفه وهو القمر «كي اتش - ٤ كورونا»، وتم إطلاقه في أول رحلة إطلاق ناجحة عام ١٩٦٠م، ويعد بسيطًا ورخيصًا مقارنة بالأقمار التي تصنع حاليًا، وطبعًا كانت مدة الاستفادة من هذا القمر قصيرة نسبيًا، ومع ذلك تم تصنيع أكثر من ١٤٥ قمرًا من هذا الطراز حتى خروجه من الخدمة عام ١٩٧٢م.

وبعد ذلك بدأت القوات الجوية الأمريكية ووكالة الاستخبارات الأمريكية في البحث عن مركبة استطلاعية ذات قدرة على التقاط صور واضحة، ولها عمر افتراضي أطول من خلال «المختبر المداري» الذي تم بناؤه على أن يكون مركبة فضائية مخصصة لشخصين، وحملت هذه المركبة تصميمًا سريًا وهو «كي اتش - ١٠»، ولكن تم إلغاء هذا التصميم عام ١٩٦٩م، «حيث إن تكلفته بدأت ترتفع، وجاء الحل من خلال مركبة «كي اتش - ٩»»، وهي لا تحوي رماد فضاء، ويطلق عليها بعث «الطائر الكبير»، فهذا القمر يعد أكبر بمقدار ثلاث مرات من أي قمر سبقه، ويحمل أربعة أفلام وزوجًا من (الكاميرات)، كل منها تحوي مرآة قطرها خمسة أقدام، ولها القدرة على التقاط صور عالية الوضوح، وتم إطلاق تسعة عشر قمرًا من هذا الطراز ما بين عامي ١٩٧١م و ١٩٨٦م.

والجدير بالذكر أنه عند التقاط الصور يتم إعادتها للأرض عند انتهاء الفلم، أما إذا اقتضى الأمر،



فكان يرسل الفلم قبل نهايته إلى الأرض، وجاء حل هذه الإشكالية بتدشين الجيل الأول من أقمار «كي اتش - ١١» أحد أبرز الأجهزة الاستطلاعية في التاريخ، ويعدّ أول جهاز ينتج صوراً فضائية تقترب في وضوحها من الأفلام العادية، ويقوم المسجل الإلكتروني بتسجيل الصورة وإعطائها رمزاً ثم بثها من خلال أقمار الاتصالات.

ما مدى فعالية الكاميرا المستخدمة في هذا القمر؟؟

كل النظريات البصرية والدلائل تشير إلى أن الإشاعة القائلة إن من الممكن قراءة لوحات السيارات في مواقف سيارات الكرملين ليست ببعيدة من الحقيقة، ومن الأمثلة على قدرة هذه الأقمار على تحسس أدق التغييرات وتسجيلها أن هذه الأقمار استطاعت رصد تغيير أقطار

أقمار صناعية ترصد حركة العالم

الصواريخ بمقدار ثلاث بوصات، واعتماداً على هذه المعلومات أصبح على المرء أن يخشى على خصوصية فناء منزله.

لقد تم إطلاق قمر استطلاعي ليدور حول الأرض في مدار حول القطب مع انحراف بسيط، ومع دورات الأرض، لينتج من ذلك مدار بيضاوي تبعد نقطته القصوى

ولكن تحمل معها أحدث أنماط التقنية (التكنولوجيا)، ومنذ أول قمر من طراز «كي اتش - ١١» أصبحت الأقمار تتطور بشكل اطّرادي وبطرق شتى. ومثال على ذلك يعتقد «بليك» و«فيك» أن الأقمار الحديثة لها القدرة على الرؤية من خلال ضوء القمر أو النجوم، ولم يكن القمر «كي اتش - ١١» قمر الاستطلاع الوحيد

الرادارات مقيدة بأحجام هوائياتها، ولكن استطاع الرادار - المحمول على القمر «لاجروس» من تخطي هذا الإشكال من خلال جمعه لعدة رادارات، مما يمكنه من رسم خريطة تفصيلية لأي جسم ثابت، وإعطاء فعالية كما لو كان القمر يحوي هوائيًا ضخمًا.

وتعد البحرية الأمريكية هي القوة المحركة لإنتاج أنماط متميزة

وفي عام ١٩٩٤م تمكن مكتب الاستطلاع الوطني من الحصول على الموافقة على إنتاج سلسلة من الأقمار كبيرة الحجم، وتبعها تصنيع مجموعة من صواريخ (تيتان)، لإطلاق الأقمار إلى مداراتها، وهذه الصواريخ صممت لتحمل أوزانًا أكثر من سابقاتها لتتمكن من حمل هذا الجيل الجديد من الأقمار الذي يعد أثقل من سابقه.

ومن المتوقع أن يطلق القمر الأول من هذا الجيل عام ٢٠٠٠، ويعتقد بأنه سيحمل مجسات بصرية ورادارية معًا.

وفي عام ١٩٩٦م أعاد مكتب الاستطلاع الوطني النظر في موقفه، وقرر أن أقمار المستقبل سوف تكون أخف بما نسبته ٢٠ - ٢٥٪ من أوزان الأقمار المستخدمة حاليًا، حيث سيتراوح وزنها بين ٦٠٠٠ - ٧٠٠٠ باوند (رطل إنجليزي = ٤٥٤ غ) وستكون الخطوة التالية هي تصنيع نماذج مصغرة لأغراض الاختبار.

وأثناء ذلك تم طلب تصنيع صواريخ «تيتان» لحمل هذه الأقمار، ولن يتم تصنيع صواريخ صغيرة الحجم حتى عام ٢٠١٠ على أقرب تقدير.



الأقمار الجديدة تخترق الحواجز لتصل إلى المعلومة

مسافة ستمئة ميل، والدنيا مئة وثمانين ميلاً من القطب، وهذا المدار يوفر للقمر مدى غنيًا بالأهداف الاستطلاعية المهمة، وتطلق الولايات المتحدة عادة قمرين من طراز «كي اتش - ١١» معًا ليدورا في مدارين متقاطعين حتى تضمن مسح كل بقاع الأرض مرة كل يومين.

ولقد تم تصنيع هذه السلسلة من الأقمار بتكاليف أقل، حيث صنعت مرة واحدة، وجميع هذه الأقمار تختلف عن سابقاتها،

الذي طُوِّر بوساطة مكتب الاستطلاع الوطني، حيث بدأ هذا المكتب في عام ١٩٨٣م بالعمل على إنتاج قمر استطلاعي يختلف عن القمر «كي اتش - ١١»، وهذا القمر ذو قدرة على العمل في الظلام، وعلى أهداف استطلاعية مغطاة بالسحب أيضًا، وأطلق عليه الاسم الرمزي «لاجروس»، وصمم ليحمل مكوك فضاء، ويحمل هوائيات كبيرة خاصة بالرادارات.

ومن المعروف أن قدرة

من أقمار الاستطلاع، وقام نظام البحرية الأمريكية لمراقبة المحيطات بإطلاق ثلاثة من الأقمار الاستطلاعية في مدارات متقاربة، والسبب في قرب هذه المدارات كونها تحمل أنظمة الاستطلاع نفسها، وتقوم ثلاثتها على الهدف نفسه، بمراقبة الإشارات الرادارية التي تبثها سفينة مبحرة في المحيط، ومن خلال مقارنة الزمن اللازم لوصول الإشارة من الهدف إلى الأقمار يستطيع القمر تحديد مصدر الإشارة بدقة.

وقد أفادت هذه الأقمار - في السلم، وذلك في إرشاد السفن والطائرات والقطارات والحافلات في المدن إلى المسالك الآمنة للطيران أو الإبحار، والسير في الطرقات، وبتقديم نشرة جوية كاملة عن حالة الجو والتقلبات المحتملة، مما ساعد على رفع نسبة الأمان في استخدام وسائل النقل والمواصلات المختلفة برًا وبحرًا وجوًا.

قصيدة

أنا والتحدي... والليل

شعر: **تغريد منذر لطفي**

١

وحـــدي أنا.. يا ليلُ.. وحـــدي
ضَـيَّـــعتُ في الأوهامِ رُشْــدي
أرعى النجـــومَ.. وأشـــتكي
للبــدر أحــزاني.. وسُـــهـدي
وأرى شــواطئَ للصبـــاح .. تغـيب في جَـزْرٍ.. ومـدٍّ
وأرى حــدائقَ.. غـيــر أنــي لا أرى فــيــهنَّ وَرْدي
أين الـطيـوبُ..؟.. وأين أعــراسُ الضيــاء تَزورُ مَـهـدي..؟
غــابا.. فــلا عطرٌ يَضـوعُ.. ولا سَنًا وَضَّـاءُ يَهـدي..!

٢

يا ليلُ.. يا ليلَ الحَـزاني.. كـيـفَ حـالُ الدار بَعـدي..؟
مـــاذا أقـــولُ..؟.. وإنَّ مَنْ
أهوى.. يَظلُّ يخــونُ عـــهـــدي
فــأســيــرُ في دربِ الكآبة.. مـن رؤى سـهـلٍ.. لِنَجْـدِ
إني الشَّـــقـيَّـــةُ.. رُغمَ مـــا
ألقـــاهُ من وَرْدٍ.. وشَـــهْـــدِ
لا شيءَ يُــهــجني.. فـــقــد
ودَّعتُ أحــلامي.. ومــجـدي
لا شيء يَنصــرُني.. فـــقـــد
سَلَّمْتُ «للطاغــوتِ» بَندي(١)

٣

يا ليلُ عــفــوًا ـ إن شكوتُ ـ فــأنتَ أمطاري.. ورعـدي
وأمُرُّ «بالعـاصي»(٢) الجـميـلِ.. فـلا أرى في الماء وِرْدي(٣)
هذي «النَّواعــيــرُ» الحِـســانُ.. تَئِنُّ.. لكن ليس تُبــدي
النَهرُ يعـرفني.. وأعـرفـهُ.. كـمـا لو كــان بُردي(٤)
الزهرُ يعـرفني.. وأعـرفـه.. كـمـا لـو كـان عـقـدي
والبـــدرُ يعـرفنـي.. وأعـرفــه.. ويقـضي الليلَ.. عندي
لكنهـــا ـ مـــا دمت يا
قلبي حــزينًا ـ ليس تُجـدي

٤

يا ليلُ.. رُغمَ شَـــقـــاوتي
رُغم المصـائب.. والتَّـحـــدي
لنْ أستكينَ.. وإنْ تَوارى، في الظلام المُرِّ سَــعْـــدي
سـأظلُّ أبسمُ للخطوب.. وقـــد وقَـفْـنَ اليـومَ ضدي
لا.. لن أُديرَ لكفِّ غـــولِ النَّحْسِ والأحـزان خَـدِّي
سـأُحطِّمُ القـيــدَ اللَّعــينَ. فلنْ أرى أثرًا لقَـيْـدي
فلقـــد عَـرفتُ ـ على المدى ـ
معنى الشـجـاعـةِ.. والتَّـصـدِّي
ولقـــد أجَـــدْتُ ـ على المدى ـ
صُنْعَ البطولةِ.. والتَّـحَـــدي

الهوامش

١ـ البند أي العلم.. أو الراية.
٢ـ إشارة إلى نهر «العاصي» الذي يمر بمدينة «حماة» بلد الشاعرة
٣ـ مورد الماء
٤ـ البُرْد هو الثوب.. وجمعه أبراد

أقوال
الماضي للحاضر

التردد وضعف العزم



د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

يبدو أنه من طبيعة الناس أن يكون بينهم المتردد، الذي لا يقرر سريعًا، ولا يعمل فكره في سبر غور ما يقال، ولا في معرفة مراميه، ولا في إدراك كنهه، ودأبه أن يملأ جوانب فكره، ومسارب عقله، لا بما عليه أن يستنتجه، ولكن بما يريد أن يكشفه له محادثه بكل دقائقه وتفاصيله، حتى لو أحوج الأمر أن يسأل عن أي جزء بدهي، يعرفه الطفل، ويدركه البليد.

ولعل هذا يعود، بجانب طبيعة بعض الناس، إلى نقص التربية، وعجزها عن زرع الثقة في الفرد، بحيث يأخذ نفسه بإقناعها بأن ما فهمه، مما دلت عليه الكلمات، هو المقصود ، وأن أي إلحاح في طلب المزيد من الإيضاح يدل على تقعر وتنطع، لا داعي له، وهو يدل على نقص العقل، والإدراك.

وأول أمر دُوِّن، وَوُثِّق، عن مثل ذلك، أمر بقرة بني إسرائيل، وقصتها واردة في القرآن الكريم، وقد رسمت صورة لمن ألقي إليهم الأمر واضحًا بذبح بقرة، وسيلة لمعرفة القاتل، فأخذ القوم يسألون عن صفة البقرة، وأكثروا من ذلك، دون داع، وشددوا، فشدد الله عليهم، وأوصلهم تتالي سؤالهم إلى بقرة بعينها، فدفعوا فيها ثمنًا باهظًا.

ويتصف عمال الدول، والعاملون فيها، في الأزمان المتلاحقة، إلى اليوم، بوجود من ينحو هذا النحو، ويضيِّق على نفسه ما وسَّعه الله عليه، ويسأل، ويستقصي حتى لا يبقي في القوس منزعًا، فيُضيع بهذا وقتا، وجهدًا، وفائدة، ويؤكد بعمله هذا أنه رجل لا يرقى إلى ما يحتاج إليه مركزه من ذكاء، وسرعة بديهة، وحسن تصرف.

وبعض الناس تكون هذه صفته في كل أمر يأتيه، ولا يقتصر هذا على العمل الرسمي، بل يتعدى إلى الأمور الخاصة، فيمل التعامل معه أقرب الناس إليه، ويدعو إلى الانعتاق منه، ومن أسلوبه، من يضعه الله في طريقه من مراجع، أو صاحب حاجة.

والتردد فيما لا يجب التردد فيه، والسؤال فيما لا يحتاج إلى سؤال، يدل - كما قلنا - على عقدة قد تذهب في عمقها إلى الصغر، ولهذا يحرص بعض المربين على إعطاء الطفل، والصبي، والشاب، حرية التصرف فيما يتناسب مع سنهم، أو حتى فيما يسبق، في بعض الأمور، سنهم. والثقة جوهرة تخالط دم الإنسان، فتضيء جوانب نفسه، وتزرع فيه ملكات متنوعة، تمشي مع عمله، وتساهم في إتقانه تجاربه، وتهدي طريقه إلى الأهداف التي يقصدها، مع توفير في الوقت، والجهد، وتجعله يبز غيره ممن لم يرزق بهذه الدرة الفريدة، ولم يتمتع بما تشعه من ضوء هادٍ مرشد.

وإذا حرم المرء من زرع هذه الثقة في نفسه، فاته أمر ثمين، وحلَّ في نفسه ما لا يمكن محوه، بل يزيد عمقًا مع الأيام، حتى يصبح في وضع لا ينجز على يده عمل، وإذا أنجز فبعد لأي،

وجهد، وإضاعة وقت.

وأكثر ما تعانيه الإدارة الحديثة اليوم هو ما يقابله الرئيس مع مرؤوسيه، ممن ابتلوا بهذه النقيصة، فإن تَعلَّم فيهم الصبر، وأطال لهم الحبل، فقد يصاب بمرض السكر، أو بالقرحة في المعدة، أو بنوبة قلبية، أو بدرجة من درجات الجنون. ولا يعدم الإنسان أن يقابل مثل هؤلاء في حياته أكثر من واحد في دروب الحياة المختلفة، وفي المراكز المتعددة، ولعل خير مثل، يمكن أن يُؤتى به، بعض ما ورد في التراث، وهو صورة صادقة لما يحدث من بعض الناس في زمننا هذا، في كل دول العالم، وهذا أحد الأمثلة:

«قال أبو الزناد:

كنت كاتبًا لعمر بن عبدالعزيز، وكان يكتب إلى عبدالحميد بن زيد بن الخطاب في المظالم، فيراجعه فيها، فكتب إليه:

يُخيَّل إلي أني لو كتبت إليك أن تُعطي لرجل شاة لكتبت إلي:

أضأن أم ماعز؟

ولو كتبتُ إليك بإحداهما، لكتبت:

أذكر أم أنثى؟

ولو كتبت إليك بإحداهما، لكتبت:

أصغير أم كبير؟

فإذا أتاك كتابي هذا فلا تراجعني فيه.»

(التذكرة الحمدونية: ٤٥٩/١)

ومثله القصة الآتية:

«كتب أبو جعفر إلى سلم، يأمره بهدم دور من خرج مع إبراهيم بن عبدالله بن الحسن، وعقر نخلهم.

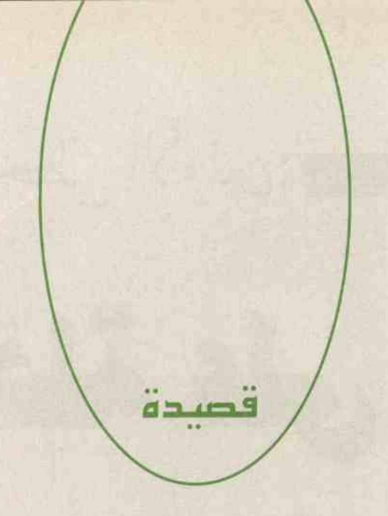
فكتب إليه: بأي ذلك نبدأ بالدور أم بالنخل؟

فكتب إليه أبو جعفر:

أما بعد، فإني لو أمرتك بإفساد تمرهم، لكتبت تستأذن بأيِّه نبدأ، بالبرني أو الشهريز؟

وعزله، وولى محمد بن سليمان مكانهُ».

(التذكرة الحمدونية: ٤٦٠/١)



الورد والإنسان

شعر: د. عبده بدوي

طُرِحْتُ على سريري في عَياءٍ ... كأنّي قَدْ خرَجْتُ من الوجود

وَدَاخلَني خَيالٌ ظلَّ يَنْمو ... ويَرْسِمُ صورةَ الرَّجل الفقيد

ومَنْ سيسيرُ من خَلْفي حزينًا ... ومن سيطير في خَطْو سَعيد

ومن سَيَقُولُ عاشَ العُمْرَ وَثْبًا ... ومَنْ سيقولُ أوْغَلَ في الجمُود

ولكنْ بالْمَصَحِّ وَجَدْتُ وَرْدًا ... يُغَرِّد، أو يرفرفُ للصعود

فداخلني التَّعجبُ من حياةٍ ... ومن مَوْتٍ على نَفْس الصَّعيد

فقلتُ ـ ولم يزل للموتِ نَبْضٌ ... يُسَقْسِقُ عند أطراف الوريد ـ

هو الإنسان دَمْعٌ، ثم كَدْحٌ ... وقَهْرٌ، ثُمّ صَمْتٌ في اللّحود

ألا يا ليْتَني قد كُنْتُ وَرْدًا ... على غُصْنٍ ببُستانٍ فريد

تقولُ ليَ الطيورُ هناك شعر ... ويَدْفعني العبيرُ إلى الخلود!

ودَارَ الوقْتُ.. ثم وَجَدْتُ نَفْسي ... على أمَلٍ، وفي بأسٍ شديد

وأنّي أسْتَديرُ بلا قيودٍ ... وأجْري، ثم أقْفِزُ كالوليد

وأنسى أنّني قدْ كنتُ يومًا ... أودُّ بأنْ أكونَ من الورود

وأنّ رسالةً للموتِ طارَتْ ... على لَهَفٍ، وَحَطَّتْ في بريدي

.. فقُرْبَ السُّور كان الوردُ يَذْوي ... ويَهْوي في شحوبٍ، ثم يُودي

وأنّ يدًا تُجمِّعُهُ بِبُطْءٍ ... وتُلقيه إلى قَبْرٍ بعيد.!

.. ولكنّي هنا فَجْرٌ جديدٌ ... تَداعى، ثم أشْرقَ من جديد

وأنّي نَخْلَةٌ صَعَدَتْ ببطءٍ ... وَجَاوَزَت السَّماءَ بلا حُدود

وأنّي سوف أبقى بعد موتٍ ... يموتُ.. ولَنْ يُرى مَوْتُ القصيد!!

رحلة على ظهور الهجن عبر



د. زياد بن عبدالرحمن السديري

توكّل على الرحمن في الأمر كله

بدأت رحلتنا عصر يوم الأحد التاسع عشر من شهر شعبان ١٤١٦هـ من «لغف قارا» على بعد عشرين كيلاً تقريبًا جنوبي مدينة سكاكا، وأقمنا ليلتنا على مقربة من «أبي راسين» بعد مسير ثلاث ساعات أو نحوها(٣٧). وقد اخترنا أن تكون الليلة الأولى مرحلة تجريبية نختبر فيها أنفسنا وركائبنا، ونتأكد فيها من اكتمال مؤونتنا وعدتنا قبل أن نبتعد من سكاكا. وبالفعل فقد أقمنا اليوم التالي على مقربة من منزلنا هذا؛ بينما عاد بعضنا إلى سكاكا لاستكمال بعض مستلزماتنا(٣٨).

وفي ضحى يوم الثلاثاء تابعنا رحلتنا مارين بأويسطات إحدى آبار الشقيق(٣٩) ومن ثم بكثبان محاقين قبل أن نصل إلى منزلنا الثاني. وقد كان يوم الثلاثاء هذا هو أول الأيام التي سرنا فيها يومًا كاملاً تقريبًا، ورسمنا النهج الذي بقينا عليه حتى نهاية الرحلة. فقد أفقنا قبل صلاة الفجر، وأفطرنا قبل طلوع الشمس، ومشينا بعد الشروق بقليل. وبحلول الظهر، بعد مسير أربع ساعات تقريبًا، وقفنا (للمظحى)(٤٠)، أي للغداء، ثم بعد ذلك ركبنا مدة مماثلة حتى قبل الغروب بساعة أو أقل عندما حللنا بمنزل المساء. وبعد صلاة الجمع، أي بعد المغرب بقليل، تم تجهيز العشاء، وبحلول الساعة الثامنة مساء كان أكثرنا في فراش النوم.

الرفق أحسن ما تُؤتى الأمور به

هذا الموجز لبرنامجنا اليومي بطبيعة الحال يغفل الكثير من التفاصيل. فالصحوة قبل الفجر يبدؤها أولنا في الساعة الثالثة، ويتبعها إيقاد النار وإعداد القهوة وقرص الإفطار، ويصحبها تعالي الأصوات حول النار لتوقظ من لم يكن مع الأولين، فإذا بهذا بين الرغبة بمشاركة أنس الرفاق والقرب من النار، والحسرة على ترك دفء الفراش حتى يعلو صوت المؤذن بالفجر ليحسم أمره(٤١). وإذا ما حل وقت الرحيل ذهب بعضنا لإحضار الركائب المنتشرة للرعي؛ بينما تولى الآخرون جمع العدة وترتيبها. فما إن يؤتى بالركائب حتى يشتغل الجميع بتجهيزها للتهيؤ للرحيل، ثم بجمع كل مخلفات المنزل وحرقها قبل أن نغادره. فإذا ما انطلقنا كنا فرقة واحدة، ثم ما لبثنا أن انفصلنا إلى مجموعتين أو ثلاث بسبب الاختلاف في سرعة مشي المطايا أو بسبب تفضيل بعضها للعدو على المشي. ومع هذا فإننا نكون - في الأغلب - على مرأى من بعضنا بعضًا، بل على مسمع أيضا من أصوات «الهجيني» التي كان يتبادلها بعضنا في أثناء المسير(٤٢). وعندما نقف للغداء فإن وقفتنا عادة تُراوح بين ساعة وساعتين نعد فيها القهوة ونأكل ما تيسر، ونصلي صلاة الجمع، ونتيح لركائبنا ولبعضنا فسحة للراحة، وللبعض الآخر فرصة للمشي ومثله من أنواع الرياضة.

والعمل في هذا الوقت محدود فنحن لا نحتاج إلا إلى قليل من الحطب للقهوة، كما أننا لا (نجدع)(٤٣) - أي نخلع الخرج والقربة إن وجدت - عن ركائبنا(٤٤). أما في منزل المساء فإن شغلنا فيه أكثر. فنحن ما إن ننزل، ونخلع عن الركائب حتى يباشر أكثرنا جمع الحطب وبناء العُنَّة(٤٥) - أي حظيرة المجلس - تحت إحدى أشجار الغضا أو الأرطا، بينما يشتغل أحدنا بإشعال النار وتجهيز القهوة والآخر بإعداد

بوابات التاريخ القديم ٢/٤

العشاء. فما إن يحل آذان المغرب حتى نكون قد أكملنا كل أعمالنا واختار كل منا مكان منامه وبسط فراشه في ذرا غضاة أو أرطاة أو عدة مطيته، ثم نجلس حول النار نستعرض أحداث اليوم ومشاهداته؛ فإذا باليوم ينتهي كما بدأ على وقدة النار وأصوات الربع وأنسهم وجلبتهم وحس المطية على مقربة من فراش صاحبها(٤٦). ولن أنسى دفء تلك الجلسة التي كانت تتكرر في مساء كل ليلة وسط العنة التي كنا نبنيها تحت شجرة الغضا أو الأرطا التي نختارها كل يوم. فنحن في تلك الحظيرة وفي ضوء نارها ودفئها، وفي خضم سلوتها يغيب عن أذهاننا أننا في عمق الصحراء وفي قلب الثاني من (الكانونين) حين تنخفض درجة الحرارة إلى أقل من التجمد، ولا نتنبه إلى هذا كله إلا إذا خرجنا من عالمنا الخاص فأحسسنا فجأة بصقيع البرد الشديد حولنا، واصطدمنا برؤية هذا العالم وقد تضاءلت أهميته وسط ظلمة الليل الشاسعة.

لقد كنا نقطع في كل يوم من أيام رحلتنا هذه ما بين ثلاثين وأربعين كيلاً هوائيًا تقريبًا. وفي تقديرنا فإن الثلاثين كيلاً هوائيًا تعادل ما بين أربعين وخمسين كيلاً أرضيًا أو نحوها.

والسبب في ذلك هو أن ركائبنا في النفود لا تسير بخط مستقيم؛ وإنما بخط متعرج يتبع العراقيب وما هان من الأرض. ويقول بعض رفاق دربنا الذين عرفوا ركوب الهجن قبل ركوب السيارات إن الهجن تستطيع أن تقطع ما بين مئة إلى مئة وخمسين كيلاً يوميًا في الأرض السهلة المنبسطة وبخاصة عندما يخف حملها.

فلم أر كالأيام للمرء واعظًا!

في اليوم الأول دخلنا النفود وباشرنا



خل العمور وهو الطريق الذي رسمه الأقدمون، وما يزال يستخدمه المسافرون بالسيارات بين سكاكا وجبة(٤٧). وقد يسأل المرء: كيف يمكن أن يكون طريق في وسط هذه النفود الكبيرة برياحها الدؤوب ورمالها المتحركة؟!

ولكن هذا الطريق أو الخل موجود وهو واضح المعالم للمسافر الآن. في الماضي كان المعلم هو دمن ركائب القوافل التي كانت تسلك هذا الطريق باستمرار، أما اليوم فإن معلمه هو أثر السيارات التي تطرقه كل يوم. ولاشك أن أحد أهم الأسباب التي حددت مسار الخل في الماضي هي سهولة مسلكه للركائب. كما لا شك أن هذا هو السبب الأول الذي جعل هذا الدرب هو المسار المفضل لأكثر المسافرين بالسيارات اليوم.

وأبرز ما شاهدناه في هذا اليوم هو سيارات الحَطَّابَة؛ أي المشتغلين بقطع حطب الأرطا والغضا ونقله للأسواق للبيع. وقد شد اهتمامنا كثرة هذه السيارات إضافة إلى أن بعض أصحابها يمتهنون العمال المستقدمين من الخارج لتقطيع الأشجار وجمع الحطب. وأبرز ما لم نشاهده في هذا اليوم، بل في كل أيام سفرنا، هو الصيد؛ أي الغزلان والأرانب والحباري وغيرها من الحيوانات والطيور التي كانت تكثر في النفود. فعدا عن أثر لحباري شاهدناه وثعلب وقعنا عليه فإننا لم نر أي حيوان بري يذكر. والمشهور بين الناس أن القنص ـ ولاسيما بعد أن ظهرت السيارات وبنادق الصيد الحديثة ـ هو المسؤول الأول عن نقص حيوانات الصيد؛ بله انقراضها من كثير من المناطق. ويبدو لي أنه، بالإضافة إلى القنص المفرط، فإن التزايد الكبير في أعداد المواشي، وبخاصة الأغنام منها، وما أدى إليه من رعي جائر، وتقطيع الأشجار للحطب بشكل واسع وما سبَّبه من تعرية للأرض في كثير من المناطق، خصوصًا خارج النفود، هما أيضا من أسباب هذه الظاهرة البيئية الملموسة.

وللخير قومٌ يُعرفون بهديهم

بعد أن تجاوزنا محاقين التي مررنا بها قبل العصر أتينا على أرض بدت فيها خضرة العشب من أثر مطر الوسم(٤٨) فرغبنا أن تكون مكان إقامتنا في ذلك المساء. وكانت السماء في تلك الليلة مكسوة بالغيوم، وقرب الفجر صحونا على مطر دِيَم(٤٩) استمر بالنزول تارة على هيئة رذاذ، وتارة أخرى أكثر من ذلك حتى وقت الظهر. ولم يعقنا مطر الدِّيَم عن الرحيل أو يقصر من مدة مسيرنا في ذلك اليوم، على الرغم من أن بعض ركائبنا كانت كلما مرت بغضاة كبيرة تبطئ المشي وتحاول جر راكبها للغضاة رغبة في الاستذراء بها عن المطر والبرد الذي صاحبه. في ضوء هذه الحال، ونظرا لتعود ركائبنا أكل الشعير وفقدانها له ليومين متتاليين؛ فقد قررنا أن نتجه إلى أول بيت شعر نراه لتعليف الركائب وسقياها(٥٠). ولم يمض وقت طويل حتى وجدنا ما كنا نبحث عنه، فنزلنا عند صاحب البيت الذي خرج لاستقبالنا، ولما أخبرناه بحاجتنا بادر إلى تقديم ما طلبنا منه لركائبنا(٥١). ثم ذهبنا إلى بيته ذي الواجهة الجنوبية المرفوعة المحتضنة لضوء الشمس(٥٢) - في غير هذا اليوم الغائم ـ والظهر المروق، ودخلنا مجلسه فاستقبلتنا رائحة وقدة الغضا وحميس البن فيه، وعانقنا دفء هوائه فجلسنا حول النار وشربنا القهوة وأكلنا من المعروض الجزل، وأبى مضيفنا أن يسمح لنا بالمسير مُلِحًا علينا بالإقامة حتى الصباح.

يقري الضيوف طلاقة وسماحة

ولا غلو في القول إن الاهتمام بحسن استقبال الضيف وإكرامه وإجابة طلباته هو أمر ليس بجديد ولا مستغرب في هذه البلاد عامة أو في هذه المنطقة بالذات. إلا أن أشياء رأيتها في هؤلاء المضاييف لا أود أن أتركها تمر دون ذكر وتوضيح. فمضيفنا هذا، ومثله آخرون، لم ينتظر مجيئنا إليه أو وقوفنا عند بيته قبل أن يشرع باستقبالنا؛ بل

الهوامش:

٣٧ـ انطلقنا من نقطة موقعها على الخريطة شمالا ٤١.٧٩٢ ٢٩ وشرقا ٠٧.٨٧١ ٤٠، وسرنا ١٢.٤ كيلاً هوائيًا قبل أن ننزل لمقام المساء بالقرب من أبي راسين في موقع مكانه على الخريطة شمالا ٣٥.٢٤٩ ٢٩ وشرقا ٠٩.٤٣٠ ٤٠. وفي يوم الاثنين سرنا ١٠.٨ كيلات هوائية ثم نزلنا في موقع مكانه على الخريطة شمالا ٢٩.٦٦٩ ٢٩ وشرقا ٠٧.٤٠٨ ٤٠، وبقينا في هذا المنزل حتى ضحى اليوم التالي. وفي يوم الثلاثاء سرنا ٢٦.٥ كيلا هوائيا ثم وقفنا للغداء في مكان موقعه شمالا ١٥.٨٤٧ ٢٩ وشرقا ١١.٨٤٧ ٤٠، ثم سرنا ١١.٤ كيلا هوائيا قبل أن ننزل لمقام المساء بعد أن تجاوزنا محاقين في مكان موقعه شمالا ١٠.٤١٩ ٢٩ وشرقا ١٥.١٩٧ ٤٠. وفي يوم الأربعاء سرنا ١٧.٦ كيلا هوائيًا ووقفنا للغداء في مكان موقعه شمالاً ٠١.٨٥٣ ٢٩ وشرقًا ١٩.٩٠١ ٤٠، ثم سرنا ١٤.٩ كيلا هوائيا ونزلنا لإقامة المساء بعد أن تجاوزنا الطنابية وعلى مرأى من العليم في مكان موقعه شمالا ٥٤.٥٧١ ٢٨ وشرقا ٢٣.٨٢٣ ٤٠. وفي يوم الخميس مررنا بالعليم الذي يقع شمالا ٤٥.٨١٨ ٢٨ وشرقا ٢٦.٤٢٥ ٤٠ وسرنا ١٧.١ كيلا هوائيا ووقفنا للغداء في مكان موقعه شمالا ٤٥.٧٦١ ٢٨ وشرقا ٢٧.٠٢٣ ٤٠، ثم سرنا ٢٣ كيلاً هوائيًا ونزلنا لإقامة المساء عند الوقادية وعلى مقربة من الأثالي في مكان موقعه شمالاً ٣٧.٠٦٥ ٢٨ وشرقا ٣٧.٠٩٠ ٤٠. وفي يوم الجمعة سرنا ١٩.٦ كيلاً هوائيا ووقفنا للغداء في مكان موقعه شمالاً ٢٩.٦٢٠ ٢٨ وشرقا ٤٥.٦٣٣ ٤٠، ثم سرنا ١٣ كيلاً هوائيا ونزلنا لإقامة المساء على مقربة من الغضاة في مكان موقعه شمالا ٢٣.٦٢٨ ٢٨ وشرقا ٤٩.٦٤ ٤٠. وفي يوم السبت سرنا ١٨.٤ كيلاً هوائيا ووقفنا للغداء في مكان موقعه شمالا ١٤.٧٣١ ٢٨ وشرقا ٥٤.٧٥٨ ٤٠، ثم سرنا ٢٤.٥ كيلا هوائيا قبل أن نصل إلى جبة.

٣٨ـ عندما أقمنا في مساء هذه الليلة الأولى تبين لنا أن قِرَب الماء الجلدية الجديدة التي حملناها مازالت تحمل طعم الدباغ في مائها. لذا فقد استبدلنا بالقرب ثماني صفائح تسع كل واحدة منها ٢٠ لترا من الماء، ووضعناها في حقائب فُصِّلت لها على جانبي أربع من الركائب.

٣٩ـ الشقيق: مورد قديم من موارد البادية به عدد من الآبار يقع إلى الجنوب من

خرج إلينا ما إن رأى قافلتنا داعيًا إيَّانا إلى قبول ضيافته. وقد تكرر مثل هذا الموقف مرارًا وكان مصدر حرج كبير لنا، بين رغبة في إجابة الدعوة، وشعور بضيق الوقت وطول المسافة أمامنا. وهكذا كلما مرت بنا سيارة توقف صاحبها ليعلمنا بمكان منزله ويطلب منا أن نعرج عليه، وما نمر ببيت إلا ويخرج أهله لدعوتنا لدخول بيتهم مصرين ملحين بدعوتهم. وحسبي أنهم كلهم شعروا أننا بوسيلة سفرنا البطيئة واستعداداتنا البسيطة بحاجة أكبر إلى رعايتهم ومساعدتهم. كما أنني لا أشك في أن مظهر ركائبنا المحبب لهم ومنطق رحلتنا المثير لاهتمامهم وحب استطلاعهم كان عاملاً مضافا وراء تفاعلهم الكبير.

هينون لينون أيسارٌ ذوو كرم

الجانب الآخر الذي شدني في هؤلاء الرجال هو بيوتهم التي يجعلونها في أعالي الأرض لكي تكون على مرأى من المسافر الذي قد يحتاج إلى ضيافتهم في هذا القفر المتباعد الأطراف.

ثم إنك عندما تدخل البيت تجد مجلسه مهيأ وكأن أصحاب البيت كانوا بانتظارك. فوجه بيت الشعر مرفوع، والبساط ممدود، والفراش مهيَّأ، والمتكأ موضوع بشكل منتظم ومريح، والأرض الرملية نظيفة، والوجار(٥٣) جذاب المظهر و(الدلال)(٥٤) مصفوفة بعناية، وأواني التمر والسمن موضوعة في متناولك. وما إن تجلس حتى تأتيك القهوة جاهزة كأنها كانت بانتظارك.

وفوق هذا وقبله وبعده فأنت دائما تحت فيض متواصل من الترحيب والخطاب الجميل وأمام وجوه باسمة متفائلة مريحة. فكل شيء في هؤلاء المضاييف وحولهم يقول لك إنك محل اهتمامهم وتقديرهم، وإنهم يجدون سرورًا كبيرًا في رعايتك وإكرامك وكأنك أنت صاحب الفضل عليهم.

عشقَ المكارم فهو مشتغلٌ بها

هذه الصورة التي رأيتها عدة مرات في هذه الرحلة، وفي مناسبات أخرى قبلها وبعدها في عدد من الأماكن تقول لي: إن الكرم الذي اشتهر به العرب ومازال يسري بدم هؤلاء هو شيء مختلف جدا عن البذخ والإسراف الذي أصبحنا، وقد اتسعت أرزاقنا، نعتقد أنه عنوان الضيافة والمروءة. كما تقول لي إن صفة الكرم هذه هي مؤسسة اجتماعية لم تأت من فراغ. فهؤلاء البدو أصحاب الإمكانات المحدودة والوسائل البسيطة عندما يرفعون بيوتهم لتكون على مرأى من الضيف القادم ويهيئونها لاستقباله في كل وقت، لا يفعلون هذا إلا عن إدراك متوارث بأن بيئتهم ونظام حياتهم يفرض هذا عليهم ويلزمهم به. فمن غير هذه المؤسسة الاجتماعية التي نسميها الكرم أو حسن الضيافة ربما ما كان للحياة في هذه البقاع أن تكون بشكلها الذي صارت إليه. ففي هذه الصحراء المقفرة حيث لا سيارات ولا طرق ولا مياه ولا طعام ولا فنادق ما كان للمسافر على قدمه أو على ظهر مطيته في الماضي أن يروح بعيدًا في أغلب الأحيان إلا في ظل هذا النظام الواعي الذي يوفر له الرعاية اللازمة حتى من ألد خصومه. إنما جميل أن يضع أسلافنا نظامًا لحياتهم يقوم على أسس من النبل والمروءة والأريحية بعيدًا من المضامين المادية البحت التي تغلب على كثير من الآخرين.

سكاكا وعلى بعد ٩٥ كيلاً منها. والشقيق مكون من ثلاث آبار هي: الزهيريات وأويسطات والرغيفيات. وتتباعد هذه الآبار بعضها من بعض مسافة تُراوح بين ٢-٥ كيلو مترات.

٤٠- في لسان العرب، مادة: ضحا: «الضحية: الشاه التي تذبح ضحوة.. وضَحَا الرجل ضَحْوًا وضُحُوًا وضُحِيًا: برز للشمس.. وضَحَا الرجل وضَحِي يضحَى ضُحُوًا وضُحِيًا: أصابته الشمس. وفي التهذيب: ضَحِيَ يضحَى ضحًا: إذا أصابه حر الشمس.

٤١- كان فطورنا يبدأ بالقهوة والقدوع أي التمر (ورد في لسان العرب، مادة: قدع: اقدَعْ من هذا الشراب أي اقطَعْ منه أي اشربْه قطعًا قطعًا. وقد يكون هذا هو مصدر كلمة قَدوع المستعملة الآن بمعنى التمر) ثم بقرص الجمري - وهو رغيف من الخبز يُدفن في رماد النار ويغطى بالجمر لينضج - والعسل.

٤٢- الهجيني: هو غناء البادية على ظهور الهجن وله ألحان وأسماء تختلف باختلاف مناطق المملكة.

٤٣- في لسان العرب، مادة: جدع: «الجدع: القطع.. وجدع الرجل عياله إذا حبس عنهم الخير».

٤٤- غداؤنا يكون عادة من بقايا جمرية الصباح والعسل.

٤٥- العُنَّة: حظيرة تُبنى على شكل دائري وتكون جدرانها من أكوام الحطب يقيمها النازل في البر للاحتماء بها من الرياح الباردة ولإمداد وقدته بالحطب. وفي لسان العرب، مادة: عنن: ورد أن العُنَّة هي «الحظيرة من الخشب أو الشجر تُجعل للإبل... وإن الغنم تحبس فيها. والعُنَّة: ما تنصَب عليه القدْر.

٤٦- كانت ركائبنا عندما تعود في المساء من المرعى تذهب إلى موضع خرج راكبها وأغراضه حيث تبرك - تربض - حتى الصباح.

٤٧- في النفود طريقان: الأول: خل العمور ويسير من جبة باتجاه سكاكا، والآخر: خل الجوف ويسير من جبة باتجاه دومة الجندل. وفي لسان العرب، مادة: خلل: «الخل هو الطريق في الرمل».

٤٨- الوسم أو الوسمي: هو المطر الذي يأتي في أول الموسم في المدة ما بين ١٦ تشرين الأول/ أكتوبر حتى ٦ كانون الأول/ ديسمبر. وفي لسان العرب، مادة: وسم: «الوسمي مطر الربيع الأول، لأنه يسم الأرض بالنبات».

٤٩- مطر الديم: يأتي عادة في وسط الشتاء دون رياح ورعد وبرق ويمتد هطله مدة قد تطول لساعات أو لأيام. ومطر السحاب: يأتي في أول الوسم وفي الربيع والصيف ويكون عادة مصحوبا بهواء شديد ورعد وبرق.

٥٠- بناء على ما جربناه فإننا في المستقبل، إن أتيح لنا تكرار مثل هذه الرحلة، سنغير في علف ركائبنا فنستبدل بالحبوب، أي الشعير، الدريس أو ما شابهه من الأعلاف اليابسة حتى لا تفتقد ركائبنا علفها أو نضطر إلى تعليفها في أثناء السفر فنكتفي بما تجده من مرعى أخضر أو يابس في الطريق.

٥١- مضيفنا هذا هو شلاش بن جلغيف الرمالي.

٥٢- بيوت شمر كما ذكر تكون واجهتها مقابلة للجنوب. أما بيوت قبيلة الرولة فإن واجهتها تكون قبالة الغرب أو الشرق. وقد يكون السبب في هذا الاختلاف هو أن الرولة، التي كانت تنتشر في السهول حيث لا شجر ولا ذراء كما في النفود، تبني بيوتها في مقابلة الغرب أو الشرق لتقي إبلها من الرياح الغربية أو الشرقية الباردة التي تغلب على مناخ الشتاء في شمال المملكة العربية السعودية.

٥٣- الوجار: الاسم الذي يُطلق على مكان مشب النار وإعداد القهوة في مجلس البيوت السعودية التقليدية وفي بيوت الشعر. وفي لسان العرب، مادة: وجر: «الوِجَار هو سَرَب الضبع، والوَجْر مثل الكهف يكون في الجبل».

٥٤- الدلال: أباريق القهوة. وأظن أن مصدر هذا الاسم هو كلمة الدَّلال بمعنى الترف. فالقهوة في السابق ما كانت توجد إلا عند القلة.

المدارس الإسلامية العربية في غرب إفريقية

مشكلات وحلول

هارون المهدي ميغا

الحديث عن التعليم والثقافة الإسلامية في غرب إفريقية، مما يتشعب فيه الكلام لأسباب كثيرة، منها:

إن هذا التعليم متجذر في هذه المنطقة منذ أن انتشر الإسلام في إفريقية الغربية، مع أواخر القرن الهجري الأوّل، كما يقول ابن خلدون، إذ أرسل موسى بن نصير طارق بن زياد، والي طنجة في جماعة من جيشه إلى بلاد السودان والبربر والملثمين؛ ليعلموهم القرآن والفقه(١).

ثم قامت مراكز ثقافية كبيرة في هذه المنطقة، قادت عمليّة التعليم الإسلامي العربيّ، كان من أبرزها مدن تمبكتو، وغاو، وجنّي، التي شهدت قيام معاهد وجامعات علميّة راقية، لا تقلّ عن مثيلاتها في ذلك الوقت، في أجزاء العالم الإسلامي الأخرى كالقاهرة والمغرب(٢). بالإضافة إلى كونها مراكز تجارية.

واستمر كثير منها في القيام بهذا الدور إلى مجيء الاستعمارين الفرنسي والإنجليزي بدرجات متفاوتة، وفق التأثر بسقوط الممالك الإسلامية التي عرفتها المنطقة.

ومن أسباب تشعب الحديث عن الثقافة الإسلامية ومراكزها في المنطقة: أن غرب إفريقية يعدّ موطن القبائل الإفريقية الكبرى، التي أدّت أكبر دور في نشر الثقافة الإسلامية وحضارتها، واللغة العربية، في هذا الجزء من العالم منذ وصل الإسلام من الشمال الإفريقي عن طريق التجار العرب وبعض الطوارق.

ومن أهم تلك القبائل: سُنغاي، وسوننكي، والماندغ - البمبارة، والفلاتة والهوسا وغيرها. فلكي يكون أي حديث عن الإسلام في المنطقة موضوعيًا ودقيقًا، لا بدّ أن يتناول القبائل، والمراكز، وأبرز الشخصيات، التي أدت دورًا في المنطقة، وذلك ما لا يمكن توفيته حقه في هذه العجالة.

لهذه الأسباب وغيرها، سنقصر الحديث هنا على المدارس الإسلامية العربية التي قامت بُعيد الاستعمار، وعاصرته، ولا تزال تؤدّي رسالتها، يساندها فيه المدارس التي انضمت إلى الركب بعدئذ، حيث شهدت المنطقة إنشاء مدارس كثيرة بعد الاستقلال، حتى قلّ أن تجد في بعض دول المنطقة قرى ليس فيها مدرسة أو حلقة دراسيّة في أحد المساجد، يتم ذلك على الرغم من الهجمات المنظمة على الإسلام في المنطقة، وبالأخص في الدول التي للإسلام فيها جذور تاريخية، كمالي، والسّنغال، وشمال نيجيريا، وغينيا وغيرها.

وبمرور الزمن شهدت أجزاء هذه المنطقة قيام مدارس إسلامية نظامية، بدرجات متفاوتة، ترجع في الأساس إلى تفاوت مناطقها في الاتصال بالثقافة الإسلامية والعربية، وإلى قدم عهدها بالإسلام أو حداثته، وإلى كثرة المسلمين فيها أو قلتهم، وإلى مدى الإقبال على التعليم الإسلامي العربي، ثم إلى مدى إتاحة الفرصة للتثقيف الشامل، وبرامج محو الأمية في كل دولة من دول المنطقة، سواء كان هذا التثقيف في دول ذات أغلبية مسلمة أم ذات أقلية.

أما المؤسسون لهذه المدارس فهم من الجيل الأول، الذي تخرّج في المعاهد الإسلامية، بالحرمين الشريفين مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وفي مصر، وبعض الدول العربية الأخرى. وكان أهم أهدافهم إيجاد مدارس إسلامية التوجّه والتعليم، عربية اللغة، تملأ الفراغ الذي تركه توجيه الاستعمار لأبناء المنطقة إلى تعلم لغاته، وثقافته، وتقاليده، بالترغيب تارة، وبالقهر أخرى.

هكذا إذن ظهرت على الساحة مدارس إسلامية أهليّة، تسعى إلى الحفاظ على التقاليد والعادات الإسلامية، وإلى نشر تعاليم الإسلام وثقافته، وإحياء حضارته، عن طريق تخريج أجيال تنهل من العلوم الإسلامية والعربية.

وكان من الطبيعي ألاّ يكون لهذه المدارس، في هذه البداية الارتجاليّة، خططٌ، ومناهج، وميزانية مدروسة، لاسيما مع عِظَم الأثر الذي تركه انحسار دور المراكز الإسلامية، بسقوط إمبراطورية سُنغي، آخر الإمبراطوريات الإسلامية في المنطقة؛ حتى عَدّ بعض المؤرخين المسلمين سقوطها تمهيدًا للاستعمار، وللمسيحية في المنطقة، وذلك على الرغم من عظمة الممالك التي قامت بعدها في شمال نيجيريا. وما ذلك إلا بسبب الآثار السيئة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والدينية، التي تركها سقوطها على أيدي المغاربة(٣).

لكن الشيء غير المرضي، أن يظل كثير جدًا من تلك المدارس النظامية والتي أنشئت بُعيد الاستعمار تراوح مكانها، على الرغم من قدم عهد بعضها في الساحة التعليمية، والذي يقارب نصف القرن، وعلى الرغم أيضًا من كثرة المثقفين، وحملة الشهادات العلمية العالية، في الشريعة والدراسات الإسلامية، واللغة العربية، والتاريخ والحضارة، من أبناء هذه المدارس، الذين تخرجوا في المعاهد والجامعات الإسلامية

والعربية، والذين عاد عدد منهم للتدريس فيها، وتولّي شؤون تسييرها.

إذ كان من المفترض والحالة هذه، أن تكون هذه المدارس قد وصلت إلى مستوى المنافسة الفعّالة، في تخريج قيادات علميّة، ودينية، واجتماعية، يكون لها دور أساسي في مجتمعاتها، أكثر من العدد المشاهد في الساحة، وأكبر من الدور المؤدّى إلى الآن، وبالأخص فيما يتعلق بتطوير هذه المدارس، وتذليل العقبات التي تواجهها.

فهناك داء كان على المعنيين بالإسلام وبمدارسه في المنطقة أن يبحثوا عنه ويشخّصوه؛ ليقدموا العلاج الناجع. وبصدد هذا، ومن خلال هذه العجالة، نحاول الوقوف على بعض الأمراض، مع محاولة تقديم ما نراه من علاج.

فبالاستقراء والمعايشة تكاد تنحصر مشكلات تلك المدارس في ثلاثة أمور:

- المشكلات التمويلية - المشكلات الإدارية
- المشكلات المنهجية

وسنسير في تشخيص الداء، وتقديم العلاج، مع عدم التصريح باسم المريض؛ لأن الداء منتشر، ولا يكاد يسلم منه إلا القليل جداً من تلك المدارس، فالإشارة تكفي اللبيب، ولأن الهدف من هذه العجالة ليس التشهير، ولكن التوجيه والإرشاد والنصيحة، رغبة في الارتقاء إلى ما هو أفضل. ثم لأن التصريح قد يكون من باب قول الشاعر:

أعلمه الرماية كل يوم
فلما اشتد ساعده رماني
وكم علّمته نظم القوافي
فلما قال قافية هجاني

وكل ذلك ما يربأ بنفسه عنه كل عاقل، من أبناء هذه المدارس، بسبب ما أدّته من دور لا ينكر في الحفاظ على التعليم الإسلامي في المنطقة، وفي تخريج متعلمين مزوّدين بعلومه، يبصّرون المسلمين بأمور دينهم ودنياهم.

أهم المشكلات:

المشكلات التمويلية

قامت المدارس الإسلامية في غرب إفريقية، بجهود فرديّة، تتمثل في جهد العالم، يعاونه بعض التجار من جماعته أو من غيرهم من المسلمين، في محيط مكان المدرسة. ولا يخفى أن مثل هذا الجهد المشكور لا يرقى إلى إدارة مدرسة، بخاصة عندما يزداد الإقبال عليها، وتتضاعف الأعباء الماليّة والإدارية.

وكانت العادة أن تبدأ هذه المدارس بعدد قليل جداً من التلاميذ، قد لا يتجاوز في بعض الأحيان عدد أصابع اليد الواحدة، ثم لا يلبث أن يزداد العدد، نتيجة رغبة الآباء في أن يتعلم أبناؤهم العلوم الإسلامية والعربية، حتى إن أحدهم يكون على استعداد لدفع أي مبلغ، ضريبةً لإعفاء ابنه من الالتحاق بالمدارس الفرنسيّة أو الإنجليزية، لكي يتمكن من إلحاقه بالمدرسة الإسلامية، حيث يتوقع أن ينهل من تعاليم الإسلام وقيمه وعاداته.

ومع ازدياد الإقبال والضغوطات المالية، تتجه المدرسة إلى فرض رسوم معيّنة، تستطيع بها أن تموّل ما يأتي:

- الرزق اليومي لمدير المدرسة وعائلته، وهو في الغالب مؤسس المدرسة، أو أحد أبنائه وأقاربه، والهدف منه أن يتفرغ للمدرسة وشؤونها.
- دفع أجور رمزية للذين يقومون بالتدريس، وبخاصة إذا لم يكونوا من أولاد المدير أو من يعوله.
- شراء الاحتياجات المدرسيّة، من سبّورات وطباشير، وغيرها.
- دفع ثمن الكهرباء والماء ونحوهما.
- إضافة فصول جديدة، أو أعضاء جدد لهيئة التدريس.

وهنا ينبغي أن يلحظ القارئ أن كل واحد من هذه الأمور يتفاقم يومًا بعد يوم، فبعض الآباء قد لا يتمكنون من دفع الرسوم الدراسية لأولادهم، كثر عددهم أو قلّ، لاسيما وأنّ أغلبهم من الفقراء، فلاحين وغيرهم، ويَعُولون أحيانًا عوائل كبيرة.

وقد يجد مدير المدرسة صعوبة في طرد أحد الأولاد لأنه لم يدفع الرسوم، وبخاصة المدارس القديمة.

وكذلك احتياجات المدرسة والمدير، والمدرسين الذين يغلب عليهم في المدة الأخيرة - منذ عشرين سنة تقريبًا - أنهم من حملة الشهادات العالية، الذين تخرّجوا في المعاهد والجامعات الإسلامية والعربية.

وهكذا ازدادت الأعباء المالية على المدارس الإسلامية في كل دول غرب إفريقية، وهي التي لا تملك مصادر تمويل.

وللتغلب على هذه المشكلات توجهت المدارس إلى طلب التبرعات والعون من المؤسسات الإسلامية ومن المحسنين في الداخل والخارج، وعلى وجه الخصوص من السعودية والكويت وليبيا ومصر.

فهذه المؤسسات أدّت - وتؤدي - جهداً ماديًا ومعنويًا مشكورًا، للتغلب على بعض هذه المشكلات المالية، سواء ما كان منها ماديًا، أو بشريًا بتزويد هذه المدارس بدعاة ومدرسين. لكن من المسلم به أن هذه التبرعات يغلب عليها أن تعالج مشكلات قائمة، وأن هؤلاء المدرسين مقيدون بمدد زمنية محددة، لاسيما إذا لم يكن المدرس من المنطقة أو البلد الذي توجد فيه المدرسة، كما أن الازدياد المطرد في أعداد هذه المدارس لايزال قائمًا على قدم وساق.

فلما كانت المشكلات متعددة ومتزايدة، ولمّا ذاقت هذه المدارس حلوها ومرّها، وجب العمل بجدّ لإيجاد مصدر تمويليّ مستمر غير الرسومات ونحوها، أو على الأقل زيادة مصادر التمويل، لتشمل - إضافة إلى ما سبق - مصادر ثابتة ومستمرة، تساعد في وضع ميزانية سنوية، تغطّي احتياجات المدرسة، بناء على خطط مدروسة، حتى تتمكن هذه المدارس من تحقيق أهدافها الدينية والاجتماعية، على خير وجه.

وإدراكًا لبعض المؤسسات المموّلة - كرابطة العالم الإسلامي ولجنة مسلمي إفريقية، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، والمنتدى الإسلامي، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية وغيرها - إدراكًا منها لدور هذا المشكل في إعاقة قيام المدارس بواجبها، اتجهت بعضها إلى إنشاء مدارس خاصّة بها، تشرف على تمويلها وإدارتها(٤)، لكن المشكل لم يبرح مكانه بالنسبة إلى المدارس التي لا تتبع هذه الجمعيات، ولها حضور كبير على الساحة الإسلامية والمحلية.

ومن ثم كان لا بد من إيجاد حلّ يتمثل - كما يبدو لي - في الآتي:

- إقامة المشاريع التمويليّة الثابتة، باسم مدرسة أو عدد من المدارس، كالاستثمار في بعض البنوك الإسلامية، أو شراء عقارات ومستودعات، ومزارع ودكاكين، ونحوها، يتمّ إيجارها، ثم ينفق من ريعها على هذه المدارس.
- الإشراف الجماعي على هذا الريع، وسبل إنفاقه، بمجلس يتكون من عدة أشخاص، ثلاثة فأكثر، ضمانًا لحسن استمراره، وتجنبًا لسوء استغلاله، مع المراجعة الدورية لتقويم أداء هذه المشاريع.

الإشراف المباشر - بالتعاون مع مدير المدرسة والمحاسب الماليّ فيها - على صرف الميزانية في بنودها المحددة، وبقوائم دفع صحيحة، مع الاقتصار في الميزانية على الاحتياجات الكبيرة، كدفع أجور الكهرباء والماء ورواتب المدرسين، وتكاليف توفير المراجع والمصادر العلمية، وتحديث بعض الأمور التطويرية، وما عداها - كتوفير بعض الكراسي والطاولات والسبورات وغيرها - فينفق عليها من الرسوم الدراسية - إن وجدت.

من نتائج مثل هذه المشاريع ونحوها من مصادر التمويل الثابتة:

أ- أن تقلل من المشكلات المادية لتلك المدارس من ناحية، وأن توفر عليها مبلغًا إضافيًا من ناحية أخرى، وهو ما قد يأتي من تبرعات محليّة وخارجيّة، إذ يمكن إنفاقه في الأمور التي لا يتناولها ريع تلك المشاريع، بالإضافة إلى الطوارئ التي تتطلب سرعة التصرف والإنجاز.

ب ـ أن يؤدّي إلى الاستقرار العلمي والعمليّ، نتيجة تفرغ أعضاء هيئة المدرسة لعملهم، وإعدادهم الجيّد وحسن متابعتهم لشؤونه.

ج ـ أن يتيح الفرصة لأكبر عدد من أبناء المسلمين للالتحاق بهذه المدارس، سواء ألغيت الرسومات أم خفّضت إلى مستوى يمكّن الفقراء من إلحاق أبنائهم بها.

د ـ أن يقلل من عدم إقبال بعض الخريجين من حملة الشهادة العالية على هذه المدارس، لاسيما أن الظاهرة أخذت في التزايد، بسبب ما قد تتيحه بعض الحكومات من فرص عمل لخريجي المعاهد والجامعات الإسلامية والعربية، نتيجة الاحتياج إلى من يتقنون اللغة العربية في بعض الوظائف والدوائر الحكومية.

عسى أن يكون هذا ضمانًا لاستمرار الأداء الجيّد لهذه المدارس، في سعيها إلى تحقيق أهدافها الدينية والاجتماعية... إلخ، وضمانًا لإقبال أصحاب الكفاءات العلمية عليها.

ولما كانت بعض الدول تقدّم مساعدات مالية للمدارس الأهلية فيها، فإنه ينبغي تكوين اتحاد للمدارس الإسلامية العربية، تسانده الجمعية الإسلامية في كل بلد، بهدف مواصلة السعي لدى حكومات البلدان التي بها هذه المدارس، لكي تعطيها أيضًا مساعدات ماليّة، وفق القوانين المنصوص عليها في كل بلد، فالأمر يحتاج إلى تكاتف، إذ لا يضيع حق وراءه طالب.

ويلحظ هنا أن دساتير كثير من هذه الدول تنصّ على تقديم مساعدات ماليّة سنوية للمدارس الأهلية، لكن المشرفين على التنفيذ يستثنون المدارس الإسلامية العربية من تلك المساعدات، في كثير من دول غرب إفريقية، لشيء في نفس يعقوب.

المشكلات الإدارية

تعدّ هذه المشكلات من أهم المشكلات التي تواجه المدارس الإسلامية العربية في غرب إفريقية، وتؤثر في مسيرتها التعليمية، وفي القيام بالواجب المنوط بها على خير وجه. فكم من مدارس في هذه كادت تُمحى من الوجود بسبب هذه المشكلات والتي أساسها:

ـ عدم وجود تنظيم إداريّ، ولا لوائح أساسيّة تسير عليها المدرسة.

ـ نتيجة لذلك يوجد تباين شديد بين مدير المدرسة أو مؤسسها، وبقية الأعضاء فيها، يبدأ الأمر عندما يحتكر المدير كل شؤون المدرسة الإدارية والتعليمية، والتوظيفية وغيرها، بحيث يصبح هو وحده الآمر والناهي، وقد لا يستشير غيره من الأعضاء الآخرين، سواء أكانوا ممن شاركوه في إنشاء المدرسة، أو في تطويرها، أم ممن يقومون بالتدريس فيها فقط.

ويتفاقم الأمر عندما يقع هذا المدير في سوء إدارة، أو يشيع عنه سوء تصرّف في أموال المدرسة، مما يرد إليها من تبرعات، أو عندما يكون من بين المنتقدين له أناس سيئو النوايا هدفهم الأساسي الوصول إلى الإدارة، والتفريق لا الاجتماع.

ـ يظهر عدم المبالاة من الأعضاء الآخرين، أو من بعضهم الذين قد يكون منهم مَنْ لا يرى في المدرسة إلا إلقاء محاضراتهم واستلام رواتبهم، هذا إذا لم ينفصلوا عن المدرسة، ويؤسسوا مدارس أخرى، تنطوي على أشدّ العداوة ـ لا التنافس الشريف ـ للمدرسة الأخرى ولمن فيها!! ولولا أني وعدت بعدم التصريح بالاسم لذكرت العشرات من المدارس التي عانت هذا في كثير من بلدان المنطقة.

ـ تشتيت الجهود الإسلامية، إذ تكثر المدارس على الساحة، وكل واحدة منها تفتقر أشد الافتقار إلى تخطيط ومنهج، وتمويل مادي، ومدرسين أكفاء، وما أشحّ الساحة بهم.!!

ـ يظهر عندئذ الاتجار بالمدارس، حيث يكون همّ بعض المؤسسين الكسب المادي، ليس غير.

ـ التأثير السلبي في تحصيل التلاميذ، نتيجة أن بعض المدرسين يصبح هو «الكل في الكل». ويدرس من المواد كل ما هبّ ودبّ، من المسلّم به ألاّ يكون ذا باع طويل في بعضها. فمن باب أولى ألاّ يكون كذلك فيها جميعها.

ولتفادي هذه المشكلات ينبغي مراعاة ما يأتي:

ـ أن تكون للمدرسة لوائح داخلية، ونظام أساس، شامل للشؤون الإدارية، والمالية، والتعليمية، والاجتماعية، يتولّى وضعها عدد من أعضاء هيئة المدرسة ومؤسسها، وبعض أهل الخبرة والدين، أو بعض الهيئات الإسلامية التي لها باع في مجال التربية والتعليم. والظروف الحالية والمستقبلية تستوجب مثل هذا النظام؛ لأن وجود هذا المشكل سابقًا مقبول نوعًا مّا، إذا أخذنا بعين الاعتبار ظروف النشأة الأولى لهذه المدارس، لكنه من غير المعقول أن يبقى وقد قاربت بعض تلك المدارس نصف القرن من تأسيسها، ويشتدّ الرفض في المدارس الحديثة العهد.

وأكاد أجزم أنه من القليل المعدود على أصابع اليد الواحدة، المدارس التي لها شيء من ذلك التنظيم الإداري، فمنها على سبيل التقريب:

مدرسة دار الحديث بيؤاكي، مدرسة الحاج عمر في أكرا، والمعهد العربي في إبادان، والمعهد الإسلامي العربي في لومي، وبعض المدارس في السنغال، ومالي، ونيجيريا، وغيرها، لكنها من القلة والندرة بحيث لا تكاد تذكر، أما المدارس التي تديرها جمعيات وهيئات خارجية فهي أوفق في هذا، لكنّها قليلة، ولا يمكن أن تستوعب العدد الكبير من أبناء المنطقة.

ومن المدارس القريبة العهد التي سعت إلى إيجاد مثل هذا التنظيم الإداري، مركز الملك أسكيا محمد الإسلامي بمدينة غاو، إذ عكف مخلصون من أبناء المنطقة على وضع نظام أساسي ولوائح داخلية له، وهم ممن يعملون في المؤسسات والجامعات، منهم الأستاذ عبداللّه إدريس، ويوسف حسن، وجبريل المهدي، تفاديًا لما وقع فيه غيرها من مشكلات إدارية، ومنهجية، ونحوها.

ـ مما يساعد أيضًا على تفادي المشكلات الإدارية السابقة:

أن يكون لكل مدرسة مجلس، وحبّذا لو ضمّ بعض كبار الشخصيات الإسلامية، والعلميّة، والاجتماعية، من خارج المدرسة، وينبغي أن يكون وجودهم فيه وجودًا فعّالاً، لا مجرد تشريف.

ـ أن يصبح مؤسس المدرسة ـ وهو المدير العام ـ هو الصوت المرجّح في قرارات المجلس التي يشتد الخلاف فيها، من غير حل، إذ الغالب عليه أن يكون أستاذًا لأغلب أعضاء هيئة التدريس في المدرسة، إن لم يكن قريبًا لبعضهم، وهذا فيما يتعلق بالأمور العامة.

ـ أن يتناوب على إدارة المدرسة نائب للمدير العام، يختاره المجلس المذكور، لمدة معينة كخمس سنوات ـ مثلاً ـ قابلة للتجديد، أو غير قابلة لها، ويكون مسؤولاً عن إدارة المدرسة وفق اللوائح السابقة.

ـ أن توزع المهام الإدارية على بقية الأعضاء بالتناوب، على النحو التالي، أو قريب منه:

أ ـ نائب للمدير العام، هو المسؤول أو المدير التنفيذي للمدرسة، ويسهر على تنفيذ القرارات، مع ما يكون له من بعض الصلاحيات، التي تحددها المصلحة العامة، وضمن حسن تصريف شؤون المدرسة، كتعيين مدرسين ونحوهم، أو العلاقات بين المدرسة وغيرها من الإدارات المحلية والخارجية، وغيرها.

ب ـ مدير ماليّ وإداريّ، يتولّى الإشراف على شؤون المدرسة المالية الداخلية، وعلى مصادر تمويلها الداخلية، وإعداد ميزانيتها، ويكون المسؤول عن تحصيل

عندما زاد الإقبال على المدارس الإسلامية العربية زادت الرسوم الدراسية التي يعجز عن دفعها معظم الآباء لفقرهم.

مشكلات وحلول

الرسوم الدراسية، ورواتب الموظفين من مدرسين وغيرهم.

لكن لا يمكنه التصرف فيها إلا بقرار من مجلس الإدارة، وبمشاركة مباشرة لمن يعيّنه المجلس لهذا الغرض من أعضائها. كما يكون على معرفة بواردات المدرسة المالية مع المدير العام أو نائبه.

ج ـ مدير للتعليم الابتدائي، والإعدادي، والثانوي، يسهر كل منهم على تنفيذ المناهج في مرحلته، وعلى أداء المدرسين لواجبهم، بالإضافة إلى العمل الجاد لتطوير المناهج الدراسية، بإضافة أو نقصان.

د ـ سكرتير المدرسة، يكون من واجبه تسجيل الطلاب المستجدين والطباعة وغيرها.

هـ ـ قسم خاص بالامتحانات والشهادات، يديره من يوثق به دينًا وأمانة، ويساعده ثلاثة إلى أربعة أشخاص، ممن يعيّنهم مجلس المدرسة، وتكون النتائج مصدَّقة من المجلس.

أما الشهادات فيوقعها مدير التعليم في كل مرحلة، والمدير التنفيذي للمدرسة أو المدير العام ضمانًا لعدم التلاعب بالشهادات، على الرغم من أن أنظمة بعض الدول شاملة وقوية، لا تتهاون في الضرب بقوّة على من يثبت تزويره لشهادة أيًا كانت لغتها.

و ـ ينبغي ألاّ يكون تولّي شيء من الأمور السابقة حائلاً دون القيام بالتدريس، ليكون في الاحتكاك المباشر تبصير بالمشكلات ، ووقوف على أهم عمل في المدرسة وهو التعليم.

ـ مما يساعد في التغلب على المشكلات الإدارية: إقامة دورات تدريبية في الإدارة العامة وفي إدارة المدارس خاصة، لمديري المدارس الإسلامية العربية ومنسوبيها، ليكتمل عقد الدورات التدريبية التعليمية، والتثقيفية، والدعوية، التي تنظمها مؤسسات وجمعيات إسلامية في هذه المنطقة، خلال الإجازات الصيفية، كجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، والمنتدى الإسلامي، والاتحاد الدولي للمدارس الإسلامية والعربية، وغيرها من المنظمات والمؤسسات والجامعات الإسلامية والعربية.

وتبرز أهمية مثل هذه الدورات الإدارية في أنّ أغلب مديريها يفتقرون إلى بعض المبادئ الأساسية في الإدارة والعلاقات العامة، وفنّ التعامل، وذلك مما يستوجب الوقوف على بعض المعلومات المعينة على حسن تسيير المدرسة.

وقبل ختم الحديث عن المشكلات الإدارية وحلولها، نعرض لشبهة، وهي أن قائلاً قد يقول: إن هذه المشكلات التي ذكرتها يمكن التغلب عليها بغير ما ذكرت من حلول واقتراحات، وذلك بأن يتولى الإشراف على هذه المدارس جمعيّة أو هيئة إسلامية محلية؛ لأنه يندر ألاّ تجد نظامًا أساسًا للمدارس التي تشرف عليها مثل هذه الجمعيات والهيئات الإسلامية المحلية.

والجواب عنها أن هذا قد يكون صحيحًا، لكن ما ثبت بالتجربة، ويشهد له الواقع هو أن «في الزوايا خفايا». ذلك أن إشراف كثير من تلك الجمعيات والهيئات المحلية إشراف صوريّ، مبناه علاقة مؤسس المدرسة أو مديرها بالمشرف على تلك الهيئة أو الجمعية.

أما ما يتعلق باتخاذ القرارات، وبتسيير شؤون المدرسة المالية أو الإدارية أو المنهجية، أو غيرها، فذلك ما ليس له فيها ناقة ولا جمل. بالإضافة إلى افتقاد هذا النظام الأساسي واللوائح في المدارس المزعومة. كما لا يخفى ما يسود بعض تلك الجمعيات المحلية من اختلافات ونزاعات ـ شخصية في بعض الأحيان ـ يكون أثرها سلبيًا في المدارس وحسن تسييرها؛ ثم إن الهدف الأول من تنظيم أساسي وداخلي هو ألاّ يتقيد بالرجال، وإنما بحسن سير المدرسة نحو تحقيق أهدافها، وذلك يستلزم أن يتقيد الرجال به، لا هو بهم. ثم إنه من شأن وجود نظام أساسي ولوائح داخلية للمدرسة قريب مما سبق، من شأن هذا أنْ يحول دون اتخاذ قرارات فردية ومستعجلة، أو التصرف غير المسؤول، الذي قد يضرّ بسمعة المدرسة والمسلمين، وقد وقعت أحداث بصدد هذا ليس هنا مجال ذكرها.

ومن شأنه أيضًا القضاء على روح عدم المبالاة، وعلى الاستبداد في تسيير شؤون المدرسة، مما يفقد المدرسة أهم أهداف إنشائها، وهو التبصير بالإسلام وأحكامه، فإنما الدين المعاملة، وبها انتشر في المنطقة.

يؤدي كذلك إلى تبادل الثقة وحسن الظن لدى العاملين في المدرسة، وذلك مما يورثهم روح التضحية والجماعية في العمل، واستشعار المسؤولية المشتركة أمام الله أولاً، ثم أمام الناس عن حسن سير المدرسة، والارتقاء بها إلى مستوى أهدافها المرجوّة.

المشكلات المنهجية

هذه أيضًا من المشكلات التي تعاني منها المدارس الإسلامية العربية في غرب إفريقية، بل وفي كثير من أجزاء العالم الإسلامي، وتقف عقبة كأداء قد تعيق سير بعضها، إن لم توقفه نهائيًا.

وتبدو مشكلات المنهج مقبولة نوعًا مّا في بداية نشأة هذه المدارس، لاسيما القديمة منها، بسبب ظروف إنشائها التي لم تكن لتسمح بوجود مناهج مدروسة ومخطط لها. والتي منها: مواجهة المدارس الفرنسية والإنجليزية، التي أنشأها الاستعمار، ومنها: عدم الخبرة الكافية بالدراسة النظامية الحالية.

لكن الأوان قد آن أن تنطلق هذه المدارس من مناهج مدروسة وقد مضى على بعضها ما يقارب نصف القرن، كما أنه من العيب أن تقع المدارس الحديثة العهد في مشكلات منهجية، لما يُفترض في مؤسسيها من الاطلاع على الدراسة النظامية ومناهجها، ولأنهم من خريجي المعاهد أو الجامعات.

ويكمن الداء هنا في:

أ ـ تعدد المناهج تعددًا يؤدي حينًا إلى التناقض، بسبب تركيز مؤسس المدرسة أو مديرها على الالتزام الحرفي، بالمناهج الدراسية التي تعلّم عليها في المعاهد والجامعات الإسلامية والعربية، في مصر والسعودية وليبيا وغيرها.

فكل خرّيج يكون معجبًا بمنهج البلد الذي درس فيه أيما إعجاب، وفي كل المواد، وإلى حدّ وسْم غيره بالضعف، أو التخلف والدعوة إلى محاربته، بدل تصحيح ما فيه من ضعف أو أخطاء.

ومع التسليم بوجود بعض الفروق بين تلك المناهج، والتي مردّها الأهداف المرجوة من كل منهج في كل بلد، والتوجه الالتزامي، لكن الأمر مبالغ فيه، لدرجة أنّ بعض تلك المدارس ما كانت تحبّذ لأبنائها الالتحاق بجامعات ومعاهد معيّنة، بشيء لا يكون في الواقع ذا صلة بالمنهج في بلد ما، أو جامعة دون أخرى، وإنما هو التوجه الالتزامي للمشرفين على هذه المدارس. أضف إلى ذلك أنّ الجامعات في تلك الدول نفسها يعترف بعضها بشهادات بعض.

ولعلك تستغرب أنه إلى عهد قريب جدًا، كان خرّيجو المعاهد والجامعات في مصر والعراق والمغرب والسودان وغيرها، لا يقيمون أدنى اعتبار لخريجي المعاهد والجامعات في السعودية والخليج ـ مثلاً ـ كالجامعة الإسلامية بالمدينة، وجامعة أم القرى، وجامعة الإمام محمد بن سعود، وأقسام الدراسات الإسلامية في غيرها، والجامعة الإسلامية بالنيجر. والمهم أن «جهيزة قطعت قول كل خطيب» بالاحتكاك في المجال التعليمي والعملي، وبالالتقاء في المنتديات الثقافية، والدورات العلمية.

لكن المشكل ما يزال قائمًا في الساحة، وله عواقب سيئة عليها، منها ـ على الأقلّ ـ التعادي بين المدارس، والذي قد يتسرب إلى الأسر الإسلامية، وذلك ما يستوجب تدارك المرض وتقديم العلاج الناجع.

ب ـ ومن المشكلات التي تتعلق بالمناهج أن أغلبها لم يخطط لها بحيث تؤهل التلميذ بعد الثانوية أو قبلها، للالتحاق بالمعاهد أو الكليات الحكومية، فكانت

النتيجة كثرة خريجي هذه المدارس الذين لا يتمكن منهم إلا العدد القليل جداً من الالتحاق بالمعاهد العليا، والكليات في الدول العربية والإسلامية.

وأضرب لك مثلاً بدولة مالي، ففي العاصمة بماكو وحدها يوجد عدد كبير من المعاهد حتى المرحلة الثانوية، منها: المعهد الإسلامي، ودار الحديث، ومدارس الهلال الإسلامية، ومعهد الملك خالد، ونهر جوليبه، فلو فرضنا أنها لا تخرّج في السنّة سوى ثلاثمئة من حملة الثانوية، ثم أدركنا أنه لا يتمكن من مواصلة دراسته الجامعية سوى ثلاثين - مثلاً -. فكم يكون العدد المتبقي؟ وكيف الأمر عندما ينضم إليه خرّيجو المدارس والثانويات الأخرى في غير العاصمة؟ وكيف تكون الحال والعدد يزداد كل سنة؟ وما سبق ليس إلاّ افتراضًا، إذ العدد الحقيقي أكبر من ذلك بكثير. ثم العمل الذي سيقوم به هؤلاء الذين لم يتمكنوا من مواصلة الدراسة؟ وقس على هذه الحالة، حال المدارس الإسلامية العربية في البلدان الأخرى، كساحل العاج ونيجيريا، وغانا، والسنغال، وغينيا، وغيرها، فالمشكل واحد وإن تعددت مواطنه، والطاقات المهدرة واحدة.

ولا يخفى أن ما حصّله طالب المرحلة الثانوية في هذه المدارس لا يؤهله كثيراً لتحقيق الأهداف التي ترجى من دراسته الدينية، لا يؤهله أيضًا للتأثير المطلوب في مجتمعه، وبخاصة في ضوء المشكلات التمويلية والإدارية السابقة. ومن ثم كان لا بدّ من إعادة النظر في هذه المناهج، وتقويمها، لتتمكن من انتشال أبناء المسلمين من براثن الجهل، وتمهد الطريق أمامهم لمواصلة دراساتهم الجامعية، وتؤهلهم للقيام بالدور الفعّال في مجتمعاتهم دينيًا واجتماعيًا...إلخ.

ج - بعض هذه المدارس تجعل منهجها بعيداً عن البيئة التي تعيش فيها، فيتخرّج التلميذ وهو يعرف عن بعض الدول ما لا يعرف ثلثه عن دولته، وبيئته ومجتمعه وعن حضارة الإسلام فيها، بسبب النقل الحرفي لمناهج المعاهد والجامعات الإسلامية الأخرى. وأهم أساسيّات أيّ منهج، التركيزُ على البيئة التي يريد خدمتها دينياً أو اجتماعياً أو غير ذلك.

د - الافتقار إلى الكتب المدرسية، وبخاصة الطبعات الأخيرة منها، إذ تجد بعض ما يدرّس من الطبعات القديمة جداً، ربما لم يَعُدْ منهجها يدرّس في بلده الأصلي.

هـ - تركيز بعضها على الكمّ لا الكيف، سواء ما تعلق منه بالمنهج أو بعدد المواد والساعات.

و - عدم الاهتمام بالمنهج خارج الصفوف (اللاصفي)، لاسيّما النشاطات الثقافية والاجتماعية إلا نادراً، وفي عدد قليل جداً من تلك المدارس.

لا خلاف في أن أهم هدف لهذه المدارس كلها هو إيجاد طالب ذي مستوى يؤهله لوعي أمور دينه ودنياه، ولخدمة بيئته وواقعه الاجتماعي. وتحقيقًا لهذا الهدف النبيل أرى أن حلّ المشكلات المنهجية السابقة يتمثل في النقاط الآتية:

١- التوحيد بين المناهج في هذه المدارس في المواد الإسلامية واللغوية والاجتماعية. ومع اعترافي بصعوبة تطبيق هذا، لأسباب ليس هنا موضع ذكرها، إلا أنّ من شأن التقارب بين هذه المدارس، ومن شأن العزيمة أن تقلل الفجوة، لاسيما مع وجود اتحادات لهذه المدارس في بعض الدول، أضف إلى ذلك وجود نقاط اتفاق كثيرة جداً.

٢- إضافة المواد العلميّة إلى المواد الدينيّة والعربية.

٣- الاهتمام بالبيئة التي تعيش فيها، بدراسة تاريخها القديم والمعاصر، لمعرفة دور الحضارة الإسلامية في هذا الجزء من العالم، منذ دخله الإسلام، حتى عهد الاستعمار الإنجليزي والفرنسي، ليكون في ربط الماضي بالحاضر استشراف إلى مستقبل إسلامي مجيد.

فمن مدّة غير بعيدة كنت تجد من خرّيجي هذه المدارس مَنْ لا يكاد يعرف شيئًا عن الحضارة الإسلامية في المنطقة، ولا عن الدور الذي قامت به الممالك الإسلامية فيها، كمملكة غانا، ومالي، وسنغاي، وكانم برنو، وغيرها، ولا عن مراكز الإشعاع الثقافي والعلمي في المنطقة، كغاو وتمبكتو وجنّي وكانو وغيرها.

ومَنْ عرف شيئًا عنها لا تجده يتجاوز حدود ما يتردد في المناسبات من حديث عن أبطال المنطقة، وكم منهم سيذهل لو قلت له إن العصر الذهبي لهذه الدول وشعوبها في الماضي كان زمن العصور الوسطى في أوربا، ثقافيًا وحضاريًا وسياسيًا، واجتماعيًا واقتصاديًا.

ومن جوانب الاهتمام ببيئتها:

- الاهتمام بالتاريخ الإسلامي فيها، وربطه بالتاريخ الإسلامي في العالم الإسلامي.

- إضافة التدريس المهني إلى المواد الدراسيّة، كالطباعة والكهرباء وغيرها، ومن الجهود المشكورة في هذا المجال ما قام به المعهد الإسلامي في بماكو، إذ يقيم دورات دراسية في هذه المهن، وقد تمكن مؤخراً من الإعداد لدورات دراسيّة في الحاسوب، «كمبيوتر»، وتبقى المشكلة المالية حائلة دون تمكن كثير من الالتحاق بها.

- إلحاق مشاريع الخدمات الاجتماعية بهذه المدارس، كالمستوصفات.

- تطبيق المنهج الحكومي في مادة اللغة الفرنسية أو الإنجليزية، وزيادة ساعاتهما، إذ هما اللغتان الرسميتان في دول المنطقة، وتطبيق منهج الحكومة أيضًا في مواد الرياضيات والحساب والجغرافيا، إذ من شأن ذلك أن يؤهل خرّيجي المدارس الإسلامية للالتحاق بالمعاهد والكليات في جامعات بلدانها، لمن لم يتمكن من مواصلة دراسته الجامعية في البلاد العربية والإسلامية.

أما مناهج المواد الإسلامية والعربية فيتم تدريسها باللغة العربية، ويكون لها أكبر عدد من الساعات، بحيث لا تقل عن ثلثي الساعات الأسبوعية.

من التجارب الناجحة في تطبيق هذا المنهج:

تجربة معاهد رابطة العالم الإسلامي في النيجر، وبوركينا فاسو، وغيرهما، والمعهد الإسلامي الليبيّ في نيامي، والمدرسة الفرنسية العربية في بوبو جيلاسو، ومدرسة الحاج عمر في أكرا، والمركز الثقافي الإسلامي في بماكو، قبل تحويله إلى ثانوية حكومية. وكثير من معاهد نيجيريا، كالمدارس الإسلامية الخاصة في كانو التي تشرف عليها وزارة التربية والتعليم بواسطة مركز الدراسات الإسلامية، المعنية برعاية المؤسسات الإسلامية التقليدية والارتقاء بمستواها في كانو(٥). ومعاهد السنغال، وبخاصة التي أُنشئت في العقد الأخير. فمن طلاب هذا المنهج من التحق بالجامعات الوطنية في المنطقة التي تتم الدراسة فيها بالفرنسية أو الإنجليزية، ومنهم من التحق بالجامعات الإسلامية في الدول العربية وغيرها، كالجامعة الإسلامية بالنيجر، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وبعض الكليات الإسلامية في تونس وليبيا والمغرب وغيرها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن حكومة غانا قد نجحت إلى حد كبير في تطوير المدارس الإسلامية والعربية بوضع منهج موحد لها، بالإنجليزية، في الرياضيات والعلوم والجغرافيا، بالإضافة إلى اللغة الإنجليزية.

ومنهج آخر يمكّن هذه المدارس من تدريس مناهجها الإسلامية والعربية، باللغة العربية يشمل كل موادّها الدينيّة والعربيّة.

كما قامت بتحمّل رواتب منهجها، ورواتب عدد من مدرسي المنهج الإسلامي العربي، في كثير من المدارس الإسلامية التي وافقت على الأخذ بهذا المنهج،

للمشكلات الإدارية وجوه كثيرة، منها عدم وجود تنظيم إداري، وديكتاتورية مديري المدارس، وطمع أصحابها، واتجاههم إلى الكسب المادي.

وأولئك المدرسون من خريجي المعاهد والجامعات الإسلامية في الدول العربية. وتتجه المدارس التي فتحتها بعض الجمعيات والهيئات الإسلامية ـ أو تشرف عليها ـ إلى مثل هذا المنهج المزدوج.

ويلحظ من سلبيات هذا المنهج أنه منهج لغة الشارع والدواوين في الدولة، ومن ثمّ فقد يغلب المنهج الآخر، لكنّ هذا مما يمكن تفاديه بالإعداد الجيد للمنهج العربي والإسلامي وللمدرسين الذين سيتولون تطبيقه، لاسيما أن مواده وساعاته تزيد على ضعفي ساعات المنهج المذكور.

وقامت حكومة مالي بإعداد منهج موحّد لهذه المدارس في المرحلة المتوسطة والثانوية، لكنه رُفض من قبل كثير من المدارس الإسلامية، لقلة عدد الساعات الممنوحة للموادّ الدينية التي تُعَدّ أهم هدف لهذه المدارس، لكن المنهج أخذ يطبق بوسائل عديدة، أهمها قصر المنح الرسمية للدراسة في الدول العربية على خريجي المدارس التي طبقته من حملة الشهادة المتوسطة والثانوية.

ويبدو لي أن تجربة غانا أفضل من المناهج السائدة في المدارس الإسلامية التي لا تُعنى باللغة الرسمية والمواد العلميّة، وأفضل بكثير من المنهج السائد في الثانويات الحكومية في المنطقة، التي تدرس العربية فيها على أنها مادة اختيارية، يخصص لها ساعتان في الأسبوع.

وهذا المنهج الأخير المطبق في المدارس الحكوميّة هو الذي يسعى قلة من المدارس الإسلامية إلى تطبيقه، وآثاره السلبية في المواد الدينية والعربية أظهر من الحديث عنها، أقلها أن التلميذ قد ينجح في المواد الفرنسية والإنجليزية، ولو لم يأت من العربية والتربية الإسلامية إلا بدرجة ضعيفة جدًا، وباختصار إن في هذا المنهج تمويهًا، وذرًا للرماد في العيون.

ولعل افتتاح أقسام عربية في عدد من الجامعات الوطنية في المنطقة(٦) يفرض على هذه المدارس الحكومية، والسائرة في ركبها إعادة تقويم مناهجها، بإضافة بعض المواد الدينية والعربية أو بزيادة ساعاتها، أو بالأخذ بالمنهج المزدوج السابق. وإلاّ فإنّ الاتجاه السائد في بعض الأقسام لا يخدم الأهداف التي تسعى إليها المدارس الإسلامية، لكن حسن استغلال بعض المواد الدينية والثقافية فيها، مما يساعد على تحقيق بعض تلك الأهداف، لاسيما إذا أسهمت المؤسسات أو الجامعات الإسلامية في تمويل هذه الأقسام، أو الإشراف عليها، أو تزويدها بالأساتذة، أو سعت إلى تطبيق المنهج المزدوج السابق. وهو توجه لا ينبغي إهماله من قبل تلك المؤسسات والجامعات، لأن أقسام اللغات الأخرى كالألمانية والروسيّة والأسبانية وغيرها، إنما تموّل في أغلب جامعات المنطقة من قبل دول تلك اللغات، وبإشراف مباشر على مناهجها، وتزويدها بمدرسين وكتب ووسائل تعليميّة. وينبغي ألاّ يكون الارتباط الديني لدى المسلمين باللغة العربية دون اللغات الأخرى، سببًا للتساهل في الإشراف على الأقسام العربية المذكورة أو تمويلها، أو تزويدها بمدرسين ومراجع.

وهنا أضرب لك موقفين مختلفين، الأول وقع قبل ثلاث سنوات، ويتمثل في أن إحدى الجمعيات الإسلامية العالمية؛ والعاملة في ساحة الدعوة بجمهورية مالي، سعت في افتتاح معهد جامعي لإعداد الأئمة والدعاة في العاصمة بماكو، فلما اتصل مندوبها بوزير التعليم العالي الأسبق، ـ وهو من أكبر المتحمسين لتطوير المدارس الإسلامية العربية ـ اقترح عليه تمويل قسم اللغة العربية المقترح افتتاحه في العام نفسه، بكلية المعلمين العليا «كلية الآداب أو التربية» والإشراف عليه، لكن مندوب هذه الجمعية رفض الاقتراح وطار، بحجة أنه يريد قسمًا للدراسات الشرعية وإعداد الدعاة، وفوّت فرصة كان ينبغي استغلالها. فكان أن افتتح القسم بصورة هشّة، وتحت رئاسة القسم الفرنسي بالكلية المذكورة، بحجة أنه لا يشرف على الأقسام إلا متخصص في اللغة من حملة دكتوراه، لكن تلك الصورة الهشّة أدّت إلى إغلاق القسم مدة سنتين، حيث أعيد افتتاحه في هذا العام الجامعي ١٩٩٦م، بإشراف وزارة التعليم العالي، ولست أجدني بحاجة إلى المقارنة بين الإشرافين لو كان الأول قد تمّ. بالإضافة إلى أن الذين تولّوا تدريس الثقافة الإسلامية في المنهج، من خيرة خرّيجي مالي علمًا ودينًا ـ لا أزكي على الله أحدًا ـ ويحملون الدكتوراه من كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ولا شك أن من شأن التدريج وتطويرات المنهج أن يساعد على إضافة مواد دينية وزيادة ساعاتها.

أما الموقف الآخر فقد وقع للقسم العربيّ في جامعة ليغوب بأكرا، غانا، قبل ثلاث سنوات، حيث تقرر إغلاق القسم بسبب ظروف التمويل، فكان أن قامت إيران باقتراح تحويله إلى قسم للغة الفارسيّة، على أن تتحمّل كل ما يتعلق بتمويله، لكن الله هيّأ لهذا القسم أحد الغيورين من المسلمين العرب، الذي تدارك الأمر وقام بتدبير تمويله، فعاد قسمًا عربيًا، كما كان.

وإذا كان من المسلّم به أن يسعى المسلمون في دول المنطقة لدى حكوماتها لتوفّر لهم مثل هذه الأقسام العربية والدينية، فإن ذلك لا ينبغي أن يحول دون تقديم العون لهم، لأن نظام أقسام اللغات غير الرسميّة في جامعات المنطقة هو ما سبق ذكره، وتغييره يحتاج إلى إنماء الوعي لدى مسلمي المنطقة، وإلى أن يتحقق ذلك يجب تدارك هذه الأقسام، ليتمكن أبناء المسلمين من مواصلة دراستهم الجامعية، وليكون منهجها في صالحهم.

وعسى أن يكون حلّ هذه المشكلات التمويليّة والإدارية والمنهجيّة التي تقف في سبيل المدارس الإسلامية العربية بداية موفّقة للتمكين من مواصلة الدراسة، في الجامعات الوطنية بأقسامها المختلفة، أو في الجامعات الإسلامية بالدول العربية، لمن وجد إليها سبيلاً، وخطوة موفّقة لخدمة دينهم ومنطقتهم، على بصيرة.

هذا ما تيسّر لي تتبعه من مشكلات تواجه المدارس الإسلامية العربية في غرب إفريقية، ولا أحسبها إلا أمّات المشكلات، وأصولها، إذ لا يكاد ماعداها يخرج عن واحدة منها، وأرجو في الختام أن أكون قد بيّنت بهذه الإضاءة أهم المشكلات، وأن أكون قد قدّمت لها بعض الحلول، وأن تفتح الطريق لمناقشة المشكلات الأخرى، وتقديم أفضل الحلول لها. فلا شك أن التغلب عليها يساعد على استعادة الإسلام لحضارته في هذه المنطقة، ويساعد على ميلاد نهضة علميّة، وثقافية، وتطويرية، لمدارسها، حيث لا تزال مراكزها تتوق إليها، عسى أن تستعيد بعض دورها الثقافي والعلميّ والتاريخي، والاجتماعي، والديني. وكل ذلك ما لا يمكن تحقيقه إلا بالتعليم القائم على منهج سديد، وخطط مدروسة وبمشاركة أقلام كثيرة، قد تكون أدرى بالداء وبالدواء.

أما هذه الإضاءة فليست إلا تذكيرًا لأولي النهى، كي تعقد العزم، وتتكاتف من أجل محو الأمية عن أبناء هذه المنطقة، بتبضيرهم أمور دينهم ودنياهم، في حاضرهم وفي مستقبلهم، ولا أهمّ من وسيلة التعليم، لتحقيق ذلك أو شيء منه.

الهوامش:

١ـ انظر تاريخ الثقافة الإسلامية في السودان الغربي (إفريقية الغربية) من القرن الرابع الهجري حتى مطلع القرن الثالث عشر. مجلة الدارة، عدد٢، سنة١٩، ص٢١٦، بقلم أ. د. أبو بكر إسماعيل ميغا.

٢ـ انظر الدارة ـ مرجع سابق ـ ص٢٥٠.

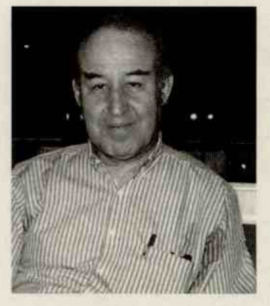
٣ـ انظر العلاقات السياسية بين المغرب الأقصى وإمبراطوريّة سنغي، بغربي إفريقية في القرن العاشر/السادس عشر الميلادي. د. محمد عبد الله النقيرة. ـ مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء (فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، عدد١، سنة١، عام ١٤٠١هـ ـ ١٤٠٢هـ، ص٦٤٠ـ٦٤١.

٤ـ بدأ الداء يتسلل إلى بعض مدارس هذه الجمعيات أيضًا كالرابطة.

٥ـ انظر المنهل، عدد ٤٧٤، سنة ٥٦، مجلد ٥١، صفر ١٤١٠هـ، سبتمبر ١٩٨٩م، ص٥١ «كانو»، بقلم بابكر حسن قدر ماري.

٦ـ هناك أقسام عربية في عدد من جامعات نيجيريا، وقسم الآداب العربية في جامعة داكار، وجامعة ليغون. كما افتتح قسم عربي في جامعة مالي، وغيرها.

الفرنكوفونيّة هل أصبحت خطرًا على أهلها؟!



أحمد عبدالسلام البقالي

بعد انهيار إمبراطورية الرئيس الزائيري موبوتو سيسي سيكو، بدأت معالم واقع جديد تبرز في منطقة البحيرات الكبرى بحزام إفريقية الاستوائي. هذا الواقع الجديد هو بداية نهاية الفرنكوفونية في إفريقية، واضمحلال الإمبراطورية الثقافية الفرنسية، ودخولها تحت هيمنة الإمبراطورية الأنجلوفونية الأمريكية الصاعدة.

فعلى الرغم من الانتقادات الناعمة التي يوجهها الإعلام والإدارة الأمريكيان إلى الزعيم المتمرد لوران ديزيريه كابيلا فأمريكا هي التي وقفت وراءه، ومدته بالدعم العسكري والمالي واللوجيستي حتى انتصر وأعلن نفسه رئيسًا لدولة الزائير، وغيّر اسمها دون الرجوع إلى رأي أهلها، وساعدها في ذلك تخاذل الجيش الزائيري الجائع العاري المنحط المعنويات، وإلا كيف حصل كابيلا على هذا الجيش الجرار المدرب والمسلح والمنضبط بشكل لم يسبقه مثيل في غير جنوب إفريقية. ثم من أين جاء باللغة الإنجليزية والزائير بلد فرانكوفوني!؟

إذا نجحت التجربة الأمريكية في مد النفوذ الأنجلوفوني في منطقة البحيرات الاستوائية الإفريقية فإن ذلك النفوذ لا بد أن ينتشر ليبتلع ما حولها من دول إفريقية الغربية.

محنة اللغة الفرنسية

وسيعرف القرن الداخل صراعات وانقلابات داخل الدول التي تدين بالولاء لفرنسا. بل إن الصراع دائر الآن داخل فرنسا نفسها بين الفرنسية والإنجليزية! وتوجد الأكاديمية الفرنسية في حالة استنفار، وينادي أعضاؤها بالويل والثبور لمن تلوث لغة راسين وفولتير برطانة شيكسبير ومارك توين! وإلى جانبها تقف الحكومة الفرنسية، تسُنُّ القوانين لتحريم استعمال الكلمات الإنجليزية حتى ولو لم يكن لها مقابل في الفرنسية، وتفرض الغرامات على من يرفع لافتات تجارية بالإنجليزية أو يبيع بضاعة مستوردة من بلد أنجلوفوني دون ترجمة البيانات المكتوبة عليها إلى الفرنسية!

ويبدو أن هذه الغضبة المضرية الفرنسية لم تؤثر إطلاقًا في الميدان العلمي. فالعلماء الفرنسيون لاهون عنها بكتابة مؤلفاتهم بالإنجليزية مباشرة، أو ترجمتها إليها. طمعًا في الانتشار العالمي والكسب المادي الذي تضمنه اللغة الإنجليزية ولا توفره الفرنسية.

ويبدو أن الفرنسية تسبح ضد التيار وتقاتل من أسفل منحدر! وذلك لعدة أسباب:

أولها: موقف الفرنسيين من تعليم لغتهم للأجانب. فإلى جانب أنها لغة صعبة النطق والكتابة، فإن الفرنسي لا يتسامح مع متعلميها الجدد والمؤلفة قلوبهم! فبينما ترى الأنجلوفوني ينصت بصبر وسعة صدر إلى الأجنبي الذي يتكلم الإنجليزية بصعوبة، ويشجعه ويساعده على التعبير عن نفسه، بل يعتذر له أحيانًا عن عدم معرفة لغته ليسهل عليه مهمة التخاطب، نرى الفرنسي يشمئز ويضيق ذرعًا بالأجنبي الذي يحاول التحدث بالفرنسية، ويحدجه عند أول غلطة بنظرة احتقار!

وثانيها: أن مدارس البعثة الفرنسية تعمل على إثقال تلاميذها من غير الفرنسيين بالمواد الدراسية والواجبات المنزلية حتى لا تترك لهم فراغًا أو مجالاً لتعلم لغتهم! وإذا فرضت عليها الدولة المضيفة إعطاء حصص في لغة البلد فإنها تختار معلمين ضعاف الشخصية، منفرين بمظهرهم وبطرق تعليمهم، فتضرب بذلك عصفورين بحجر؛ تنفر الطفل من لغته وثقافته، وتحبب إليه اللغة والثقافة الفرنسيتين. وهو عمل مبيت خبيث يصيب الشعوب العربية المفرنسة بالفصام الاجتماعي والثقافي حين يدركون، بعد فوات الأوان، أنهم وقعوا فرائس لغزو ثقافي منظم، غزو لا يكتفي بالسيطرة على البلد وإلحاقها به، بل يتعدى ذلك إلى السيطرة على العقل والقلب والروح!

معركة العروبة والفرنكوفونية

ويعزو بعض المحللين الجزائريين، وعلى رأسهم الصديق الدكتور محيي

الدين عميمور ما يحدث حاليًا في الجزائر العزيزة إلى صراع روح الجزائر العربية الأمازيغية المسلمة مع الفرنكوفونية المتغلغلة والمتمكنة من البلاد، بصرف النظر عن الحسابات السياسية الضيقة. فالشخصية المغاربية لا تنسى الغزو الفرنكوفوني لها في القرن الماضي وأوائل هذا القرن، وهي في إغمائها التخلفي، وغرس بذور الشقاق والفصام فيها على حين غفلة منها، بلا رحمة ومع الترصد وسبق الإصرار! فقد أسست فرنسا بمجرد احتلالها لبلاد المغرب معاهد في المناطق البربرية لتعليم الفرنسية والأعراف الجاهلية لأهلها، وإبعادهم عن الإسلام، بقصد فصلهم عن إخوانهم الناطقين بالعربية وإعطائهم هوية مستقلة غير إسلامية، حتى لا يستطيع العنصران المغربيان التفاهم بغير الفرنسية، وعندها يسهل فصلهما في دولتين متنافرتين متناحرتين، تقف فرنسا بينهما حكمًا! فكان في هذه المعاهد الجهنمية يعاقب كل تلميذ تكلم بالعربية، ويوصف بأنه عربي قذر!

انتصار الفرنكوفونية

ورغم انحسار المد الاستعماري الصليبي الفرنسي عن معاقله في العالم فإنه بقي متشبثًا بمستعمراته السابقة، محافظًا على بذور الفرنكوفونية التي غرسها وبقي يتعهدها حتى بعد خروجه.

وقد نجحت سياسة مسمار جحا التي اختطها دهاقنته فوق ما كانوا يتصورون! فقد نبت الغرس وترعرع واشتد وصار كغابة الأمازون، تنتشر أشجارها وتتشابك وتأكل حتى أسفلت الطرق التي تُشق فيها! فقد خلف من بعدهم خلف من أهلنا أشد تعصبًا للفرنكوفونية وأحرص على نشرها بين الأجيال الصاعدة بجميع الوسائل. حرصوا على إبقاء الإدارة مفرنسة، خصوصًا في الوزارات التقنية المهمة، مثل الداخلية والمالية والأشغال العمومية، وفي جميع المصالح التقنية في القطاع العام والخاص. كل ذلك بدعوى أن العربية لا ترقى إلى التعبير عن مبتكرات العصر التقنية (التكنولوجية)، واستولوا بذلك على مواقع القرار، فصاروا لا يعينون في تلك المصالح إلا الفرنكوفونيين. وعملوا على إحباط كل محاولة لتعريب أي مصلحة حتى جزئيًا، وفيما يتعلق بالجماهير التي لا تحسن الفرنسية!

وسرى الرعب بين المعربين على مستقبل أبنائهم خشية أن يصبحوا من المهمشين، فتنافسوا على إلحاق أطفالهم بمدارس البعثة الفرنسية!

إجهاض محاولة شجاعة

وهنا يحضرني مثلان على هذه المواقف.

أحدهما حكاه لي وزير مغاربي مزدوج الثقافة، نشأ في حضن الوطنية، وله غيرة على العربية، تخرج في مدرسة تقنية (تكنولوجية) عليا بباريس. قال لي إنه حين عين وزيرًا للأشغال العمومية دعا جميع أطر الوزارة لاجتماع وقال لهم إن عليهم أن يراسلوا المواطنين والوزارات الأخرى باللغة العربية بدلاً من الفرنسية. فضحك الموظفون وقهقهوا وقد ظنوا أنه يمازحهم! وضحك هو معهم، ثم عاد إلى جده، وقال: «أنا لا أمزح! سيكون هذا تحديًا لنا جميعًا. وأنا متأكد من أنكم قادرون على مواجهته. وسأضع تحت تصرفكم فلانًا. وهو كما تعرفون فقيه في اللغتين. فإذا صعب عليكم تعبير ما فاسألوه...»

وسرت روح التحدي في الوزارة، وأخذ كل موظف يعود إلى أيام الكتاب والمدرسة الابتدائية، ويجرب حظه مع هذه اللغة الدفينة في صدره والمبعدة عن استعماله اليومي. ولم تمض بضع أسابيع حتى كانت الوزارة التقنية كلها تتكاتب مع المواطنين بالعربية، ويحس موظفوها بسعادة عظيمة، وكأنهم صبيان أهديت إليهم لعب جديدة! ولم يعد هاتف الفقيه اللغوي يرن إلا نادرًا.

وأضاف الوزير بمرارة وخيبة أمل: «ولكن، مع الأسف، تغيرت الوزارة، وحل محلي وزير فرانكوفوني، فعاد بالوزارة إلى عهدها الأجنبي السابق، ووأد التجربة الشجاعة والجميلة في ميعة صباها...».

بطل زمانه

والمثل الثاني هو ما حكاه لي دكتور مغاربي كذلك. قال لي إنه فوجئ يومًا في اجتماع لنقابة الأطباء بحملة شديدة ضده لكتابته الإرشادات الطبية بالعربية للمواطنين الذين لا يحسنون الفرنسية، وبتهديدهم له باتخاذ إجراءات زجرية ضده!

فقال مدافعًا عن نفسه: «أنا في حي شعبي. وأغلب مرضاي لا يعرفون الفرنسية. وأخشى أن أكتب لهم التعليمات بالفرنسية فيسيئون فهمها، ويقع ما لا تحمد عقباه».

ولكنهم أصروا على توبيخه قائلين: «إنك تهين مهنة الطب!»

وغَلَى دمه، ووقف يلقنهم درسًا يجهلونه في أصول الطب العربية، وعدد الأطباء المسلمين الذين كتبوا أمات الكتب في الطب، وعلى رأسهم ابن سينا وابن النفيس الذي اكتشف الدورة الدموية قبل هارفي بمئات السنين وعدد أدوات الجراحة التي صممها أطباء عرب، وكيف أن أول كلية طب في فرنسا أسسها طبيب عربي أندلسي في بيرينيون، وكيف أن العمل لم يتوقف فيها بالكتب العربية إلا قبل مئتين وخمسين عامًا!

وتركهم مبهورين بهول جهلهم، وصفق الباب وخرج إلى غير رجعة!

وقد بلغت الوقاحة بالفرنسيين أن جامعة مغاربية ارتأت استقدام أساتذة إنجليز ليكون تعليم اللغة الإنجليزية بألسنة أهلها وبدون لكنة أجنبية. فما كان من السفارة الفرنسية إلا أن أرسلت وفدًا من موظفيها للاحتجاج لدى الوزير وتهديده ضمنيًا بقطع مساعداتها!

> **الحكومة الفرنسية تسن القوانين لتحريم استعمال الكلمات الإنجليزية، حتى ولو لم يكن لها مقابل بالفرنسية.**

ومن مظاهر نجاح الفرنكوفونية في الوقت الراهن أن الناس يتقاتلون لإلحاق أطفالهم بمدارس البعثة الفرنسية، ويوسطون الوزراء والكبراء. والدولة الفرنسية واثقة من انتصار طوابيرها المحلية، ومن أنها لم تعد في حاجة إلى بناء مدارس فرنسية، لأن أبناءها الروحيين من السمر والسود والصفر سيقومون عنها بذلك.

وقد عبّر أحد الشيوخ المغاربيين الذين كانوا يعتقدون أن البلاد ستعود بعد الاستقلال إلى أصولها العربية الإسلامية عن خيبة أمله بقوله: «قولوا للنصارى أن يذهبوا فإن نصارانا قد نضجوا!»

ولكن هذا الانتصار الذي حققته الفرنكوفونية لن يدوم. فهو كصعود

هل أصبحت خطرًا على أهلها!؟

الغلوكوز في دم المريض بالسكري، بعد وجبة غنية بالنشويات والسكريات، لا بد أن يتراجع. فالإعجاب بالفرنسية بلغ الآن أعلى مستوياته، ولم تعد الفرنسية لغة النخبة، بل أصبح يتشدق بها كل من هب ودب! والنخبة الآن بدأت ترطن فيما بينها بالإنجليزية. وبما أن اتجاه النخبة الراهن يكون دائمًا اتجاه الجماهير في المستقبل، فمستقبل الفرنسية لا يدعو إلى الارتياح! وأهل المغرب ولوعون بالجديد. والفرنسية فقدت بريقها!

تُهَمٌ جاهزة!

وللفرانكوفونيين تهم جاهزة يلقمون بها كل من فتح فمه دفاعًا عن العربية، وهي: «أن دعاة العربية يطالبون بإلغاء الفرنسية والاكتفاء بالعربية، وبالتالي إحراق الجسر الذي يربطنا بالحضارة الغربية الحديثة!»

وذلك كذب صراح وظلم صارخ للمدافعين عن حق العربية في الوجود والتطور! فلا أحد منهم يقول بهذه المقولة المتخلفة الرجعية، بل هم يرددون مع ملك المغرب قوله: «في عصرنا هذا يُعَرَّف الأمِّي بأنه الشخص الذي لا يعرف إلا لغة واحدة!»

والمعربون، وهم الغالبية العظمى من الشعب، لا تطالب إلا باستعمال لغتها في تعليم أبنائها وفي شؤون حياتها، كجميع شعوب الله! وهو حق من حقوق الإنسان. والتنكر له جريمة تعاقب عليها جميع القوانين.

وقد نصحت اليونسكو حكومات العالم الثالث بالتعلم بلغتها إذا أرادت التطور بسرعة، وبدون تضحيات مالية كبيرة في التعلم بلغة أجنبية.

النخبة في بلاد المغرب بدأت ترطن بالإنجليزية، وسيكون اتجاه الجماهير إلى هذه اللغة في المستقبل، فالفرنسية فقدت بريقها.

وقد قال لي الدكتور المهدي بن عبود أطال الله عمره، مرة: إن الملاحظ لنمور آسيا يجد أن الناجحين منهم هم الذين يستعملون لغاتهم، مثل اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان وماليزيا وسنغفورة. أما مستعملو اللغات الأجنبية مثل الهند وباكستان وبانجلادش وغيرها، فإنها تزحف كالسلاحف!

ومن التهم الجاهزة التي أخذها أذناب الاستعمار عن سادتهم أن العربية لا تستوعب التكنولوجيا. يرددون ذلك دون تمحيص. وقد اتفق يومًا أن كنت أشاهد برنامجًا على قناة عربية بمحضر أحد هؤلاء، فظهر إعلان عن آلة جديدة متعددة الوظائف. وكان المعلق يصف دقائق الآلة المعقدة ومنافعها بلغة عربية سليمة واضحة، لا توقف فيها ولا تعثر. ففتح الرجل فمه مندهشًا، وقال بصدق موجع: «والله ما كنت أعرف أن العربية قادرة على التعبير بكل هذه السهولة والسيولة عن آلة بمثل هذه الحداثة والتعقيد!»

ويشبِّه بعض المتتبعين لما يحدث في المغرب العربي من قتال بين العربية والفرنسية بالحرب الأهلية الصامتة! وبحرب أقلية «التوتسي» المتعلمة ضد أغلبية «الهوتو» المتخلفة في منطقة بحيرات وسط إفريقية.

ولا ينتظر أن تنتصر العربية على الفرنكوفونية في المستقبل القريب إلا بقرارات سياسية حازمة تكون عبارة عن ثورة ثقافية بيضاء أو بمعجزة إلهية! فبلاد المغرب العربي لها من مشاكل التسيير اليومي ما يشغلها عن التفكير في ثورة ثقافية في حجم التعريب الكامل الشامل.

حليف مشبوه

وقد يتحالف مع العربية في دحر الفرنكوفونية حليف لا يخطر على بال! وهو الأنجلوفونية! لكن ليس لسبب نفسه. فبعد أن قضت أمريكا وطرها من موبوتو سيسي سيكو رئيس الزائير المخلوع، وألقت به كورقة كلينيكس في مزبلة التاريخ، جاءت بالأنجلوفوني «لوران ديريريه كابيلا» لأنجلزة المنطقة والقضاء على النفوذ الفرنكوفوني بها. وقد لا يأتي دور الدول الفقيرة والمحاذية للزائير مباشرة، مثل مالي والنيجر والتشاد وموريتانيا وغيرها، ولكن دور الدول الفرنكفونية الغنية آت لا ريب فيه! وإذا لم تبادر تلك البلاد إلى التخلص من نفوذ الفرنكوفونية والتمرس وراء لغاتها، مع تبني الإنجليزية كلغة دولية، فإنها ستسقط الواحدة تلو الأخرى بحكم حتمية التطور السريع والسباق نحو كسب التقنية (التكنولوجيا) والمنافسة في الأسواق العالمية!

وقبل انفجار الثقافة الأنجلو أمريكية في العالم، بعد الحرب العالمية الثانية، كان الفرنسيون يفتخرون بلغتهم ويصفونها بلغة الدبلوماسية، وذلك لحذلقتها وتعدد الاحتمالات التي توحي بها بعض عباراتها، وتساهم في غموضها! وحتى تلك المكانة الوهمية أخذتها منها الإنجليزية ببساطتها ووضوحها الملائم لعصر السرعة والرافض للغموض والحذلقة وضياع الوقت! وأصبح الدبلوماسي الفرنسي الذي لا يحسن الإنجليزية يتيمًا في المحافل الدولية!

هذا أو الطلاق الدموي!

ودخول الفرنسية إلى إفريقية لم يكن باختيار أهلها، بل إنه فرض عليهم بالحديد والنار. وهو فرض أريد به محو هوية تلك الشعوب وإلحاقها بالإمبراطورية الفرنسية واستخدامها في بسط نفوذها على غيرها من الشعوب وامتصاص ثرواتها الطبيعية. وقد وضع الخطة الاستعمارية علماء أذكياء، تغلغلوا في هذه البلاد كرهبان، وعرفوا مواطن ضعفها.

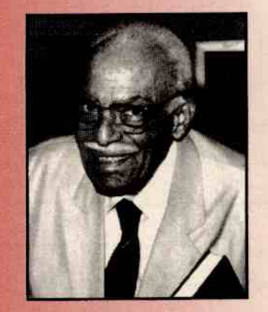
ولم تنتبه هذه الشعوب، وحتى العربية منها في المغرب العربي، إلى أن ما تعانيه من انشطار في الشخصية وضبابية في الرؤية المستقبلية ما هو إلا نتيجة لذلك الكيد المبيَّت! ولن تستيقظ من هذا الإغماء حتى تقطع حبل الولادة الذي ما زال يربطها مع الأم الحنون فرنسا وتلك الخيوط الخفية التي تُرسِّخ عقدة الانبهار والاعتماد والتبعية!

وإذا لم يحدث انفصال عقلاني سلمي، يتعاون فيه الطرفان على أساس الند للند وليس السيد والمسود، فسيحدث طلاق دموي لتأكيد الهوية القومية. وسيساعد القادة الفرنسيون الحاليون خصوصًا، العنصريون المتطرفون، على ذلك الانفصال بقصر نظرهم وشيخوختهم الفكرية وفتور طموحهم الإمبراطوري القديم المستحيل!

وستختفي ظاهرة الانبهار بعظمة المحتل، ويختفي معها التقليد الأعمى. ذلك لأن أبلغ تعبير عن الإعجاب هو التقليد!

إسرائيل ركيزة الاستعمار والعدوان ٣

سوابق اليهود مع الطغيان والاستعمار عبر التاريخ



د. حسن ظاظا

يطول بنا القول إذا حاولنا أن نتتبّع كل سوابق اليهود مع الطُغيان والاستعمار عبر التاريخ، كما أنّ ذلك يخرج بنا عن حدود الموضوع الذي التزمنا بحثه، وهو ارتكاز الاستعمار في بلاد المسلمين على اليهود. لكن لكي نتصور النفسية اليهودية في معايشتها للناس لا بدّ أن نذكر أنّ ما تعرض له اليهود من نقْمة الله، ونقمة أنبيائهم عليهم، وما تبع ذلك من تعرضهم للمذلة والتشريد، قد بلْور في قلوبهم عُقدة الوضاعة، حيث تحولوا إلى أقليّة مظلومة من ناحية، وحاقدة من ناحية أخرى، يزيد حقدها، فيزيد عليها الظلم، فتزيد انكماشاً وحَقداً، وتعيش في داخل هذه الحلقة المُفرغة قرونًا وقرونًا من السنين.

وقد أوحى لها هذا الحقد بالإسراع إلى معاونة الطغاة، والتصرف بأمرهم فيمَنْ يريدون إيذاءه من الأمم. تعاونوا مع قمبيز في غزوه لمصر في القرن الخامس قبل الميلاد، وأصبحوا ضمن كلاب الحراسة الفارسية في وادي النيل. وسمح لهم الإمبراطور الفارسي بمصاحبة حامياته العسكرية وتموينها والتعامل معها، ووصلوا في توغلهم في الأرض المصرية إلى أقصى الجنوب في أسوان، حيث تدل وثائقهم المكتشفة هناك، والمكتوبة بلغة آرامية تقترب من لغة التلمود، على معيشتهم مجاورين لجيش الاحتلال الإيراني، يقومون بتموينه، والعمل فيه صنّاعًا وعمالاً، والتعامل معه بتجارة الخمور وتوريد النساء والولدان. وتعاونوا بعد ذلك مع الإسكندر الأكبر، والبطالسة والسلوقيين والرومان، كل ذلك مقابل منافع معينة يظفرون بها على حساب الأمم المحكومة. ولكن تعارضت المصالح إبَّان ظهور السيد المسيح (عليه السلام)، وعلى أثر الدعوات الإصلاحية المتكررة التي قامت بين اليهود، فتمَّ تشتيتهم في الأرض سنة ٧٠ ميلادية، ثم جاء الإمبراطور هدريان سنة ١٣٥م فأكمل استئصالهم، وقضى على أحلامهم في البقاء في فلسطين.

واضطهدتهم أوربا المسيحية في العصور الوسطى أشد الاضطهاد، بينما أحسن الإسلام إليهم وجعلهم في أهل ذمته، ودخلوا بنص القرآن الكريم بين أهل الكتاب.

الازدهار والرخاء الذي عاشوه في المجتمع الإسلامي

كانوا يعيشون في ظل العرب والمسلمين في إيران والعراق والشام ومصر وشمال إفريقية والأندلس في رخاء وازدهار لم يعرفوه قَطْعًا منذ أيام نبيهم وملكهم سليمان ابن داود، فظهر منهم علماء كبار، وازدهرت جامعاتهم ومراكزهم العلمية في أصفهان، والموصل، وبغداد، ودمشق، وطبرية، والقدس، والقاهرة، والفيوم، والإسكندرية، والقيروان، وفارس، وقرطبة، وأشبيلية، وسَرَقُسطة، وعرفت اللغة العبرية نفسها في ذلك الوقت عصرًا ذهبيًا لم تعرفه من قبل.

فقد تعلّم علماء اليهود من أئمة العرب مناهج البحث في اللغة والأدب والشريعة والعقيدة، وطبَّقوا ذلك كله على تراثهم، فظهرت فيهم المعاجم، وكتب النحو والفقه والتوحيد، والرحلات الجغرافية، والتفاسير المطوَّلة للتوراة والتلمود، كما انتشرت دواوين شعرائهم بغزارة ينظمونها على موازين الشعر العربي التي استنبطها الخليل بن أحمد الأزدي البصري الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ)، واشتغلوا في الدول العربية والإسلامية بأرفع الأعمال، فكان منهم القادة والمحتسبون وجباة الضرائب والمهندسون والأطباء والفلكيون وكبار الكتاب والمستشارون والوزراء. ومع ذلك فإن آفة الحقد القديم كانت تنتابهم كرَّة بعد أُخرى فلا يتورّع سفهاؤهم عن الكيد للإسلام، وإدخال الكثير من الخرافات فيه تحت اسم: الإسرائيليات، مما أصبح يشكل داءً دفينًا في ثقافتنا العربية الإسلامية، كثرت شكوى علمائنا منه قديمًا وحديثًا.

الفتن الدينية والدسائس السياسية التي أثاروها في بلاد المسلمين

ولم يقف الأمر بهم عند هذا الحد، بل ظهرت بينهم، في ظلِّ الإسلام، حركات كثيرة مريبة، لعلَّ أشهرها ما قام به الداعية اليهودي أبو عيسى الأصفهاني، واسمه عوباديا إسحق بن يعقوب، الذي عاش في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان،

وأراد أن يُكتّل أبناء طائفته حول دعوة جديدة تسعى إلى الحصول على كيان قومي لهم، فادَّعى أنه المسيح المنتظر، وبعد موته حمل دعوته تلميذه يودجان الذي سماه أتباعه الراعي، وهو لقب وصل محرَّفًا إلى علماء المسلمين، فسماه الشهرستاني «الداعي»، وإليه تنسب طائفة من اليهود اسمهم اليودجانية.

وكذلك في أيام الخليفة الأموي العادل عمر بن عبدالعزيز ظهر في سورية يهودي اسمه سيرينوس ادَّعى أيضًا أنه هو المسيح.

وكان الخليفة قد لاحظ إساءة اليهود استعمال الحرية التي منحها لهم الإسلام، فبدأ يشدِّد الرقابة عليهم ويعاقبهم بحزم إذا هم انحرفوا، فقام هذا اليهودي يدعو إلى مجتمع فوضوي يقول بالحرية المطلقة، وإلغاء السلطة الحاكمة، وتعطيل شرائع التلمود وإبطال الصلاة، وإباحة النساء من دون زواج، ورفع الحظر عن المحرمات في الطعام والشراب.. إلخ، واستمرت دعوته إلى عهد الخليفة التالي يزيد بن عبدالملك بن مروان الذي ألقى القبض عليه، فادّعى أنه لم يكن جادًا، وأنه كان يريد الضحك فقط، وظهر من أمثاله آخرون في قرطبة سنة ١١١٧م، وفاس سنة ١١٢٧م.

وفي سنة ١١٣٥م، ومع اشتداد وطأة الحروب الصليبية على المسلمين، قام في كردستان يهودي خطير هو داود الرائي المولود في مدينة آمد بإقليم كردستان، وقد بدا له حوالي سنة ١١٦٣م - وكان قد أتقن العلوم اليهودية ومعها علوم السحر والتنجيم - أن يدَّعي أنه المسيح المنتظر، وقام بحركة صهيونية مبكرة، هدفها الاستيلاء على فلسطين، وطرد العرب منها، وإعلان دولة إسرائيلية فيها.

وكان له مخطط جهنمي يعتمد على تشجيع عوامل الضعف في العالم الإسلامي بالجاسوسية والحرب، ونشر الإشاعات والخرافات، وتشجيع الإلحاد والزندقة والانحلال الخُلُقي، وإثارة الأقليات الدينية والعنصرية ضد وحدة العالم العربي والإسلامي. وقد طالت مبادئه الهدامة بلاد فارس، والعراق، ومصر، وسورية، متعاونًا في ذلك مع المستعمرين الصليبيين، حتى إنه نجح في إثارة القلاقل في الدولة السلجوقية وفي الخلافة العباسية، ثم إنه انتقل من هذه المرحلة إلى مرحلة الهجوم العسكري، فجنَّد جيشًا من المتطوعين اليهود في إقليم أذربيجان، واستمر صراعه العسكري حتى قضت عليه الجيوش الإسلامية في شمال العراق.

ومن هؤلاء الفوضويين المسيح الكذاب داود الرأوبيني المولود حوالي سنة ١٤٩٠م في خيبر بالقرب من المدينة المنورة. وقد بدأ دعوته بأنه المطالب الشرعي بعرش اليهود في خيبر التي احتلها الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت أول فكرة انبثقت في رأسه هي أن يتعاون مع المستعمرين الأوربيين، ومن يتوسم فيهم أنهم أعداءٌ للعرب والمسلمين، فأرسل إلى البابا في روما وإلى ملوك أوربا يطلب منهم أن يمدوه بالأموال والأسلحة كي يحارب العرب، وعلا شأنه جدًا فاستقبله البابا (كليمنت السابع) في الفاتيكان سنة ١٥٢٤م باحتفال ضخم، وفي السنة التالية استُقبل استقبالاً رسميًا في قصر ملك البرتغال. ولكن كان بعض اليهود الذين دخلوا في المسيحية في إسبانيا والبرتغال قد بدؤوا من فرط تحمسهم لهذا المسيح الكذاب يعودون إلى اليهودية، وحَدَث أن عاد إليها أحد وجهاء اليهود المتنصرين واسمه دييجو بيريز وسمَّى نفسه سالمون مولخو، فكره المسيحيون هذا الداعية اليهودي، وقرروا إحراق مولخو عَلَنًا بتهمة الكفر، والقبض على داود الرأوبيني الذي سقط في أيديهم في إسبانيا وسُجن وقُتل مسمومًا في السجن. كل هذه صُور من الأحقاد اليهودية التي كانت تظهر كلما سنحت الفرصة في داخل المجتمع الإسلامي الكريم المتسامح، الذي وهب لليهود الأمن والعلم والحرية.

استخدامهم المال والتسلل به إلى قصور الحكام وولاة الأمور

وإذا كانت الفتن الدينية والدسائس السياسية من الأساليب التي اتبعها اليهود أفرادًا وجماعات في سبيل إضعاف العالم الإسلامي والنيل منه بالطرق كافة، بهدف الاستيلاء على فلسطين، وجَعْلها مُنْطلقًا لحركة استعمارية واسعة النطاق، ميدانها الشرق العربي والإسلامي كلِّه، فقد كانت وسيلة المال والتسلل به إلى القصور، وإلى الحكام وولاة الأمر، هو وما يصاحبه من مباذل وموبقات، من أنجح الوسائل التي حاول بها القوم ضعْضَعة الكيان العربي والإسلامي، ومن أهم الحركات التي اصطنعت هذا الأسلوب حركة اليهودي يوسف النسيء، في قلب الخلافة العثمانية في القرن السادس عشر الميلادي. كانت أسرة هذا الرجل من الأسر اليهودية الثرية في الأندلس أيام العرب في العصور الوسطى، وبعد زوال الإسلام من إسبانيا، بدأت محاكم التفتيش المسيحية الكاثوليكية تشدِّد النكير على من بقي من العرب، ومن يواليهم من اليهود في هذه الأرض.

وتحت ضغط هذا الاضطهاد الذي كان

الفتن الدينية والدسائس السياسية من الأساليب التي اتبعها اليهود لإضعاف المسلمين، وتحقيق مآربهم في الاستيلاء على فلسطين

سوابق اليهود مع الطغيان والاستعمار عبر التاريخ

يَفرض على تلك الأقلية الباقية إما التنصُّر وإما القتل، لجأ كثير منم إلى الفرار، وراحت أسر يهودية كثيرة بأكملها تهرب إلى هامبورج، وأمستردام، وفرانكفورت، ولندن، وغيرها من بلاد غرب أوربا، حيث وضعت هناك نواة لطائفة من اليهود غريبة على تلك البلاد هم «السفَرديم» أو اليهود الإسبان المتأثرون بالفكر العربي والإسلامي، يزاحمون طائفة أخرى أكثر انتشارًا في هذه الأصقاع هم «الأشكنازيم» أو اليهود الألمان، أما أكثر أولئك السفَرديم فإنهم ذهبوا إلى إيطاليا وتركيا وشمال إفريقية وما وراءها من بلاد الإسلام في مصر وسورية والعراق وإيران.

وكان من أسلاف عائلة النسيء رجل واسع الثراء اسمه: فرانسيسكو مَنْديس يعيش في لشبونة بالبرتغال، وترك بعد وفاته أرملة اسمها «بياتريس دي لونا بنفيست»، أو جراسيا منديس، كما اشتهرت فيما بعد. وقد صفّت أعمال زوجها وهربت بكل ثروتها إلى البندقية آخذة معها ابن اختها يوسف النسيء.

كان هذ االفتى على صلة صداقة مع موشيه هامون طبيب السلطان العثماني بالقسطنطنية، الذي كان أبوه يوسف هامون قد هرب من محاكم التفتيش الإسبانية عام ١٤٩٢م، حيث قربه با يزيد الثاني وسليم الأول وجعلاه طبيبًا لقصر الخلافة التركية. ثم خلفه ابنه موشيه طبيبًا خاصا للسلطان سليمان الثاني «١٥٢٠ - ١٥٦٦م»، وكان له نفوذ واسع في الأوساط الرسمية في الدولة العثمانية.

انتقل يوسف النسيء وخالته جراسيا من لشبونة إلى البندقية كما قلنا، ثم منها إلى فراري، وأخيرًا استقرًا في القسطنطينية، وأصبحا أكبر وأغنى تجار الشرق الإسلامي، بل حوض البحر الأبيض المتوسط، وما يزال في إستانبول معبد يهودي كبير يحمل إلى يومنا هذا اسم جراسيا منديس. وقد تزوج يوسف بابنة خالته رينا، وبدأت الأسرة ترسم مخططًا صهيونيًا حول السلطان سليمان الثاني، وبمساعدة طبيبه الخاص اليهودي موشيه هامون، وذلك، قبل ظهور تيودور هرتزل بأكثر من ثلاثة قرون.

كانت هذه الأسرة الغنية تسارع إلى تدعيم مالية الباب العالي كلما أحست بأنه في أزمة، وكان السلطان يرسل يوسف النسيء سفيرًا من قبله إلى ملوك أوربا، بل إنه ألزم فرنسا بتعويض صاحبنا اليهودي هذا هو وأسرته عن الأضرار المالية التي لحقت بهم قبل التجائهم إلى تركيا.

وأصدر السلطان سليم الثاني بعد استيلائه على مصر قرارًا بمصادرة ثلث شحنة أية سفينة فرنسية تدخل الموانئ المصرية، وتسليم حصيلتها لليهودي يوسف النسيء.

واستغل النسيء هذا العطف السلطاني، فطلب إعطاءه كل إقليم طبرية بفلسطين، ليكون ملجأ قوميًا لليهود، واستجاب السلطان له، كما أعطاه مجموعة من جُزُر الأرخبيل اليوناني منها جزيرة نيكسوس، وأنعم عليه بلقب أمير نيكسوس. وكان صاحبنا يصدر المراسيم باسمه، ويبدؤها بهذه الصيغة: نحن يوسف النسيء دوق بحر إيجة، ومُتصرف أندروس، نأمر بما هو آت». وأغرب شيء أن هذا الرجل الخطير حصل على فرمان من الباب العالي يحرم على المسلمين الإقامة في الجزر التركية التي كان يحكمها. أغرب من ذلك أنه أحضر من إسبانيا مساعدًا له، وعيَّنه «قائمقام» في مملكته الصغيرة، وكان مسيحيا اسمه كورونيلو، ولكنَّ السرَّ الذي لم يكن يعرفه إلا النسيء هو أن كورونيلو من سلالة يهودي إسباني مشهور هو إبراهام سنيو.

وفي هذه الأثناء كان يوسف النسيء يقيم في قصر فاخر بضواحي إستانبول هو قصر البلفدير. وعبثًا حاول الوزير محمد باشا الصقلي أن يثني السلطان عن حبه ليوسف النسيء وتحمسه له.

بعد ذلك بقليل احتل الأتراك جزيرة قبرص: نيقوسيا أولاً، ثم فاماجوستا سنة ١٥٧١م، وكان السلطان في أثناء المعارك قد وعد النسيء بتعيينه حاكمًا عامًا لهذه الجزيرة بلقب باشا أو خديوي.

إزاء ذلك، لجأ محمد باشا الصقلي إلى الأساليب اليهودية نفسها ليحمي نفسه، ويحمي الدولة من ازدياد نفوذ النسيء، فاستعان بيهودي اسمه سالون إشكنازي، وكان قبل مجيئه إلى تركيا طبيبًا خاصًا لملك بولونيا سجسموند أوغسطس، ولكن اليهود كانوا أشدَّ خبثًا من أن تتم عليهم حيلة الوزير التركي، فاتفق يوسف النسيء وسالمون إشكنازي، وأصبح يهود الدولة العثمانية في عصر ذهبي قلمًّا جاد لهم الدهر بمثله، ينتشر نفوذهم على كل شيء في كل نواحي الخلافة الإسلامية التركية. ومما زاد الأمر خطورة وجود يهودية ثرية هي إستير كييرا في إستانبول، وتمتعها بثقة حريم القصر، حتى أصبحت وصيفة للسلطانة نفسها.

وفي طبرية أراد يوسف النسيء أن ينشئ وطنًا قوميًا يهوديًا، فأعاد بناء المدينة، وأكثر حولها من المشروعات العمرانية والزراعية، وغرس الآلاف المؤلفة من أشجار التوت، وشجع أعدادا ضخمة جدًا من يهود أوربا على الهجرة إلى فلسطين والاشتغال بإنتاج الحرير الطبيعي وتصنيعه. ولولا إرداة الله وحدها لتمَّ للنسيء ما أراد، فقد تفشَّت الأوبئة كالملاريا والطاعون بين هؤلاء اليهود، فقضت عليهم وعلى أول مشروع استعماري يهودي لفلسطين.

وقد اقترنت حركةُ النسيء بجهود ملحوظة في الدعاية، وإثارة النزعات القومية العنصرية بين يهود تركيا، ومن أقطاب هذه الحركة الطبيب صمويل شولام، والكاتب إسحق عكريش، وقد نشرا مؤلفات مهمة في تاريخ اليهود لمؤلفين من المتعصّبين من بني قومهم، كانوا لا يجرؤون على نشرها في أوربا.

حركة شبتاي بن صبي «الدجال اليهودي» وأثرها في دولة الخلافة العثمانية

ومع ذلك، فنحن مع يوسف النسيء نساير حركة خطيرة جدًا من دون شك، ولكنها تتسم بالجدية والتخطيط السياسي والاقتصادي المعقول، وقد أتحفنا المجتمع اليهودي المتآمر دائمًا وبلا جريرة على العرب

والمسلمين، بلونْ آخر من خُبثاء اليهود ممثل في «شبتاي صبي» وهو اللّون الهزلي الذي يتحدى العقل والمنطق والدين والقيم كلها.

وهو من مواليد أزمير، في صيف ١٦٢٦م، وأبوه مُردخاي من سلالة يهود إشكنازية (ألمانية) مهاجرة إلى أزمير، بعد فترة قضتها في شبه جزيرة المورة باليونان.

كان أبوه يتَّجر في البيض والطيور، ثم صار وكيلاً لشركة تجارية بريطانية أثرى من ورائها ثراءً ضخمًا. وكان ابنه شبتاي هذا يبدو موفور الذكاء، دخل في سنّ السادسة مدرسة يهودية لتعليم التوراة والتلمود، وما إن بلغ الخامسة عشرة حتى كان يتعاطى التدريس، واستهوته دراسة «القَبَالة» وهي علم التأويلات الباطنية عند اليهود، فأمعن في البحث فيها.

وفي سن الثامنة عشرة حصل على إجازة للتدريس وتخريج الطلاب، وكان حسن الهيئة طَليَّ الحديث، طَلْق اللسان، وقد اتسعت ثروة أبيه جدًا أثناء النزاع المسلح بين تركيا وإمارة البندقية حول السيطرة على جزيرة كريت. وخطب الأب لابنه بنتًا لأحد كبار اليهود الأغنياء، وكانت فيما يقال جميلة جدًا، ولكنه لم يقترن بها وتركها، وتزوج من فتاة أُخرى، ثم طلقها أيضا دون أن يدخل بها. وكان هذا الفتى يُحسُّ بأنه قدير على أن يعمل عملاً سياسيًا دينيًا ضخمًا جدًا لليهود، فراح يحسب الحسابات الفلكية حسب أسرار علم الباطن «القَبَالة»، ثم أعلن أنه هو المسيح المنتظر، وأن سنة الخلاص لليهود هي سنة ١٦٤٧م، وافتتن به تلاميذه فاتبعوه، ولكن رؤساء الدين اليهودي رفضوا دعوته وكفَّروه هو ومن آمن به. وأحس بأن مدينة أزمير بدأت تضيق في وجهه فهرب منها بحرًا إلى القسطنطينية. وكان السلطان وحكومته بعيدين منها في مدينة أدرنة. فانتهز شبتاي صبي الفرصة وراح يبشر اليهود بالخلاص، وانضم إليه يهودي آخر هو أبراهام باكيتي الذي بذل جهدًا كبيرًا في نشر دعوته.

والظاهر أن يهود أزمير كانوا قد كتبوا في أمره إلى القسطنطينية، فخاف وهرب منها هو وأتباعه متَّجهين إلى مدينة سالونيك التي كانت مقرًا للجالية يهودية كبيرة ومركزًا لدراسة «القَبَالة» أو علم الباطن. وطاب له ولأتباعه المقام لمدة ثماني سنين، وذات ليلة أعلن على الملأ أنه المسيح المنتظر، فثار عليه شيوخ اليهود واستصدروا من المحكمة الملِّيَّة قرارًا بكفره واستحقاقه للقتل، ففر سنة ١٦٥٨م، وبقي هائمًا على وجهه سنة كاملة، ذهب فيها إلى أثينا، ومنها هرب إلى أزمير، ثم عاد إلى القسطنطينية، وهو في أثناء ذلك يوهم الناس أنه يحسب النجوم والطوالع، ويرى أن وقت خلاص اليهود قد آن، وأن الدولة اليهودية ستقوم في فلسطين. ولكن المتعقّلين من اليهود كانوا يعارضونه بشدة، حتى هرب إلى بلدة أزمير، فأقام بها ثلاث سنين ملتزمًا الحيطة التامة والسرية في اتصالاته.

وكانت بدعته التي ابتدعها تشبه الوباء، فسرعان ما انتشرت أصداؤها لدى المسلمين والمسيحيين، فشاع بين المسلمين اقتراب ظهور المهدي المنتظر، كما قال المسيحيون بأن سنة ١٦٦٦م هي موعد عودة المسيح إلى الأرض، بل قال بعض المسيحيين بأنها سنة خلاص اليهود أيضًا. وجددت هذه الإشاعات نشاط شبتاي صبي فاتجه سنة ١٦٦٢م أو ١٦٦٣م من أزمير إلى القدس، وتركها إلى الإسكندرية ومنها إلى القاهرة حيث التقى بيهودي من وجهاء المجتمع هو رفائيل يوسف جلبي، مدير خزانة الدولة، ورئيس الطائفة اليهودية بمصر، فآمن به وأكرمه وأمدَّه بالمال الكثير. فقرر أن يقوم برحلة أخرى إلى القدس مارًا بغزة والخليل، وكانت أحوال اليهود في فلسطين قد ساءت جدًا، فانتهز صاحبنا الفرصة وسار فيهم بشيرًا، فكثر أتباعه وأظهر هو الزهد والعبادة، واهتم بتدريس علم الباطن، بل كان يأخذ بعض ضعاف العقول إلى المقابر في ظلام الليل، ويمارس عليهم تأثيرًا نفسانيًا بحيث يؤكدون أنهم سمعوا أصواتًا تهتف من القبور وتصيح «شبتاي صبي هو المسيح». وفي هذه الفترة اتخذ له بطانة من الأعوان كان أقربَها إليه يهوديٌّ أفّاق معروف بالإجرام اسمه صموئيل فريمو.

وحدث في ذلك الوقت أن القائمقام «والي فلسطين» فرض إتاوة باهظة علي اليهود، ففكر شبتاي صبي في أن يسوِّي لهم المشكلة بمعونة مالية من صديقه اليهودي المصري رفائيل يوسف جلبي، وفعلاً ترك القدس وعاد إلى القاهرة.

واتفق، في هذه الفترة نفسها، أن كانت في أوربا فتاة يهودية اسمها سارة، هربت من بولونيا إلى أمستردام، وفكرت في أن تتزعم حركة بين قومها، فراحت تبشِّر بقرب قيام المسيح اليهودي، الذي يعيد ملك بني إسرائيل في فلسطين. وكانت سارة على جانب كبير من الجمال فكثر أهل الريبة والفسوق بين المؤمنين بها، وأخذت تطوف أوربا حتى وصلت إلى مدينة ليفورنو الإيطالية. وما إن سمع بها شبتاي وهو في القاهرة حتى أرسل يخطبها(١).

المال، والتسلل به إلى القصور والحكام، وما يصحبه من موبقات، من أنجح الوسائل التي حاول بها اليهود ضعضعة الكيان العربي والإسلامي

سوابق اليهود مع الطغيان والاستعمار عبر التاريخ

أما رفائيل يوسف جلبي فإنه أعطى صاحبنا المال اللازم لمساعدة يهود القدس في دفع الإتاوة المفروضة عليهم. وفي الطريق مرّ بمدينة غزة، والتقي بيهودي آخر من أصل إشكنازي (ألماني)، اسمه ناتان بنيامين هاليفي يُعرف في تاريخ هذه الحركة باسم ناتان الغزاوي، فاتخذه شبتاي من صحابته المقربين، وأعلن أنه نبي في إسرائيل، واتفق معه على تزييف وثيقة تشهد بأن شبتاي صبي هو المسيح المنتظر، فأحضرا قطعة قديمة جدًا من رَقِّ الغزال، وأزالا الكتابة التي عليها، ثم كتبا معًا نصًا يثبت ما أراد، وأظهرا الصحيفة للناس، ثم دخل شبتاي القدس في حفل عظيم في أُخريات سنة ١٦٦٤م، فأعلن بنفسه أنه المسيح، وأنه المتصرِّف في العالم كله.

وثار رجال الدين اليهودي ضده، واجتمع الموجودون منهم في القدس وهاجموه هو وتابعه ناتان الغزاوي حتى طردوهما.

ولكن بمجرد وصول ناتان إلى غزة بعث بمنشور لكل شعبه يطلب منهم أن يبشروا في كل مكان بأن شبتاي صبي - وكان مختفيًا إذ ذاك -، سيظهر للناس. وكان أول ظهوره في أزمير، في عيد رأس السنة اليهودية الموافق ١٠ أيلول/ سبتمبر سنة ١٦٦٥م، فسارت المواكب من أتباعه تهلل وتنفخ في الأبواق، فاشتد غضب رؤساء اليهود، وأعلنوا فتوى شرعية بإهدار دمه، ولكن لم يجرؤ أحد على المساس به لكثرة أتباعه. وتشجع المسيح الكذاب فأعلن أن غضب الله على اليهود قد ارتفع ببعثته، وأن اسمه الأعظم الذي كان محرمًا عليهم النطق به بسبب تدنيسهم له منذ ما قبل السبي البابلي، قد أصبح مباحًا الآن، لأن المسيح الملك الذي سيجلس على عرش اليهود في فلسطين، ويخلِّصهم من غضب الله ومن التشرد في الأرض، قد جاء.

وفي يوم ١٧ كانون الأول/ديسمبر سنة ١٦٦٥م، وكان في أوج مجده، استُدْعي أمام قاضي المسلمين، فأشاع بين أتباعه أنه سيذهب ليقيم له الدليل على صحة دَعْواه بعمل بعض الخوارق والمعجزات، وانتشرت الشائعات بذلك، وتغنَّى الأطفال بكراماته الخيالية، واتسع نطاق هذه الفتنة التي يقال إن صاحبنا كان أثناءها يشتري سكوت السلطان بالرشوة.

ومع ذلك فقد وصلت أخبارها إلى الوزير التركي أحمد باشا كوبرلي في القسطنطينية، ولما أُرسل في طلبه على يد قاضي أزمير، قال له شبتاي: إنه سيقيم الدليل أمام الوزير على صحة نبوته. وغضب كوبرلي باشا، فأرسل إلى قائمقام أزمير أمرًا إداريًا بالقبض على هذا الدجال، وإرساله إلى العاصمة في الحديد، وتحت الحراسة.

وتمَّ ترحيله بالبحر من أزمير يوم ٣١ كانون الأول/ديسمبر سنة ١٦٦٥م، واستمرت الرحلة بسبب عواصف الشتاء إلى ٤ شباط/فبراير سنة ١٦٦٦م، ثم أصيبت السفينة بعطل قرب بوغاز الدردنيل، فأُنزل ركابها إلى البر، وأُقيمت حراسة مشددة على شبتاي صبي، الذي استمرت رحلته في عَرَبَة حتى وصل إلى قرية قريبة من القسطنطينية تدعى كوشك شكمجي. ووصل خبره إلى يهود العاصمة التركية فخرجوا لاستقباله، وعاوده الأمل في الاستمرار في ادِّعاء النبوة. ولكن أحد الضباط الأتراك الموكَّلين بحراسته ما كاد يسمع منه ذلك حتى صفعه على وجهه، فحاول أن يستمر في تدجيله وأدار خده الآخر ليصفعه. وعندما مثل أمام كوبرلي باشا أنكر، وزعم أنه مجرد رجل دين يهودي من القدس، يطوف بالبلاد ليجمع الصدقات، فلم يأخذ الوزير بأقواله ووضعه في السجن. ثم نقل من سجن إلى سجن خشية أن يحاول المؤمنون به إخراجه بالقوة أو بالحيلة، حتى انتهى ألى قلعة حصينة على الدردنيل اسمها «إقليد البحر» ويسميها أتباعه اليوم «إقليد العز» ويقدِّسونها.

وبعد اتصالات مختلفة أحضره حاكم «أَدْرَنَة» للمثول أمام السلطان محمد الرابع يوم ١٦ أيلول/ سبتمبر سنة ١٦٦٦م، فأعلن أنه يريد الدخول في الإسلام ووافق السلطان وحاشيته، وأعلن شبتاي صبي دخوله في دين محمد صلى الله عليه وسلم، وأصبح اسمه محمد أفندي ولقبه «قافوجي باشي إيطراق». ومعناها خادم الأعتاب. أما زوجته سارة التي كانت قد حضرت إليه من إيطاليا وهو بمصر وتزوجها في مظاهر هائلة من البذخ، فإنه أعلن أنها أسلمت أيضًا، وأصبح اسمها السيدة فاطمة أو بالتركية «فاطمة قادن».

وبالرغم من إسلامه وإتقانه للعربية والتركية ودراسته للقرآن وتفسيره على مفتي الأتراك، فإنه لم يقطع الأمل في قيادة حركة جديدة بين اليهود، وقد كتب لأتباعه بعد إسلامه بتسعة أيام فقط يقول: «لقد ألحقوني الآن بسلالة إسماعيل (يعني العرب والمسلمين)، ومع ذلك فأنا أخوكم محمد قافوجي باشي إيطراق». وكان كلما قابل بعض أتباعه القدماء أنكر الإسلام، وأفهمهم أنه مجرد ستار يحتمي به ويتخفى وراءه، فإذا التقى بالأتراك راح يتهم اليهود بالسخرية من الإسلام والدسِّ على المسلمين، محاولاً بذلك استمرار الفتنة في أَدْرَنَة والقسطنطينية.

وبعد سنوات أحسَّ الأتراك بخطورته فَنَفَوه إلى ألبانيا وحددوا إقامته في قرية «ألباسان» وهي موغلة في داخل البلاد، وجميع سكانها من الأرناؤوط، ويصعب على اليهود الاقتراب منها. وفيها عاش يتصل بأتباعه بالرسائل والمندوبين إلى أن مات بالكوليرا هناك في ٣٠ أيلول/سبتمبر ١٦٧٥م، ودفن في مقابر المسلمين الأتراك بهذه القرية.

وأتباع هذا المسيح الكذاب يُسمُّون «دونَمَة»، ويكتبها بعض المؤرخين «دومنه». ويظهر أن التسمية كانت في الأصل تعني الفرقة ذات الأصلين: اليهودي والمسلم، وأتباعها يُسَمُّون أنفسهم المؤمنين، وعددهم قليل لا يتجاوز بضعة آلاف، كلهم مُتَمَرْكزون في تركيا. ولهم جالية مهمة في سالونيك.



الكبد بين حقيقة الأطباء ومجاز الشعراء

د. محمود جبر الربداوي

قال ابن معصوم:

ولي كَبِدٌ مقروحةٌ، من يبيعني ... بها كبدًا ليست بذات قروح(١)؟
أباها جميعُ الناس لا يشترونها ... ومن يشتري ذاعلةٍ بصحيح؟!
أئنُّ من الشوق الذي في جوانحي ... أنينَ غصيصٍ(٢) بالشرابِ قريح»
وأبكي بعينٍ لا تجفّ غروبُها ... وأصبو بقلبٍ بالغرام جريح
وألتاع وجدًا كلما هبّت الصَّبا ... بنشر الخزامى أو بنفحةِ شيحِ(٤)
إلى الله قلبًا لا يزال معذبًا ... بتأنيب لاحٍ(٥) أو بهجر مليح
فيا عصرنا بالرقمتين الذي خلا ... لك الله جُدْ بالقرب بعد نزوحِ
أرِقتُ، وقد نام الخليُّ من الأسى ... بجفن على تلك السُفوح سَفوحِ
يُهيِّجُ أشجاني ترنُّمُ صادحٍ ... ويوقظ أحزاني تنسُّمُ ريحِ
فلله بالجرعاء حيٌّ عهدتهم ... يحلّون منها في معاهد فيحِ
ليالِيَ ليلي من بهيم نوائب ... وصُبحيَ من وجهِ أعزّ صبيح
همُ ليلُ آمالي ونجح مآربي ... وصحة أسقامي، وراحة روحي
لئن مر دهر بالتنائي فقد حلا ... غَبوقي بهم فيما مضى وصَبوحي(٦)

تعددت القلب، والكبد، والفؤاد والحشا، هي أكثر الكلمات من جسم الإنسان الداخلي دورانًا على ألسنة الشعراء، وتحديدًا على ألسنة شعراء الغزل، والذين يكتبون عن العشق والحب والهوى، وخاصة الكلمتان الأولى والثانية القلب والكبد، وبصورة أخص الكلمة الأولى، ويمكنني القول: إن لفظة القلب ما خلت منها قصيدة غزلية، وربما رثائية أيضًا، لأن الشعراء العرب يعتقدون اعتقادًا جازمًا أن الحب موطنه القلب، كما هو موطن الكثير من المشاعر كما وصفه البحتري. حيث قال مكنيًا عن القلب: «بحيث يكون اللب والرعب والحقد».

وأدار بعضهم حوارًا طريفًا ولطيفًا بينه وبين قلبه، وكأنه هو المسؤول عن ظاهرة الحب، انظر إليه كيف يقول:

أما واعدتني يا قلب أني
إذا ما تُبتُ عن ليلى تتوب؟
فها أنا تائب عن حب ليلى
فما لك كلما ذُكِرَتْ تذوب؟!

ولست أدري متى وكيف أسقط العربي على القلب ظاهرة الحب، ولماذا جعله موطن مشاعر العشق والهوى. وإذا كان لنا من تفسير لهذا، فإننا نميل إلى أن الربط بين القلب والحب كان ـ عند الشاعر الأول ـ من باب المجاز لا الحقيقة، فكأني به قد شعر بمشاعر داخلية لم يعرف موطنها، ولكنه تحسسها فوجدها في داخله. وعرف أن في داخله قلبًا، فهداه تفكيره البدائي إلى أن الحب موطنه القلب، وارتاح لهذه المعرفة المجازية، وراح ينسب إليها كل هذه المشاعر المبهمة الغامضة اللذيذة والمؤلمة وعلى رأسها الحب، وتوارث الشعراء هذه المقولة، وترسخت في أذهانهم وتكرست بحكم التكرار، وظل الشعراء يرددون هذه المقولة الخاطئة حتى جئنا نحن أدباء القرن العشرين، الذين نفلسف كل شيء، ونفسّر ما لم يفسره الأوائل، يسعفنا على التفسير ـ وإن كان متعسّفًا أحيانًا ـ معطيات العصر الذي نعيش فيه، ومخترعاته وتقنياته.

فقلنا - ونحن نتقمص شخصيات الأطباء - ليست للقلب وظيفة عاطفية وإنما وظيفته التي خلقه الله لها هي ضخ الدم وتوزيعه في شرايين الجسم وأوْرِدَته ما صغر منها وما كبر، فاعترض معترضون وقالوا: كيف تنكرون على القلب أن يكون موطن الحب؟ وما هذا الخفقان الذي يعتريه عند بارقة الحب وطارقة الهوى؟ فقلنا: عندنا الكثير من الأدلة التي جاء بها هذا العصر والتي تدحض تصوركم، فقد أخبرنا الموثوقون من الذين أجروا عمليات جراحية استبدلوا بها قلوبًا بقلوب، أخبرونا بأنهم على الرغم من تخليهم عن قلوبهم القديمة لم يتخلوا عن الحب القديم، وأن قلوبهم الجديدة لم تحمل لهم حبًا جديدًا، وظل الحب القديم - مع القلب الجديد - مستمرًا في غلوائه، فأين كان هذا الحب مختبئًا حتى توارى عن مبضع الجراح؟

واتركْ عنك القلب والتَفتْ إلى العضو الثاني الذي يُنسب إليه أيضًا أنه موطن الحب وهو الكبد، وينسب إليه الشعراء أنه يتفطر من شدة الحب ويتقرَّح بفعل الحرمان من الحبيب ومن جوره، ويتصدع إذا تذكر العاشق الذكريات المؤلمة كما قال الصمة القشيري:

وأذكر أيام الحمى، ثم أنثني
على كبدي من خشيةٍ أن تصدّعا

وتفسير هذا عندي أيضًا أنه من باب المجاز، واسأل مرضى الكبد الذين بدلوا بأكبادهم السقيمة أخرى سليمة، فإنهم سيقولون لك: لا علاقة بين الكبد والحب، وللكبد وظائف عضوية كثيرة لا يتعداها إلى الوظائف العاطفية، واحملْ ما ينسبه الشعراء للكبد على محمل المجاز، وفسِّرْه بتهويمات الشعراء الذين وصفهم الحق (جل جلاله) بأدق صفة عندما قال: ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون. الشعراء: ٢٢٥. فهذا من الأودية التي يهيمون فيها، وهو من المجاز الذي اصطنعته البلاغة، وجاء به المعجز من القول، وهو - لعمري - حلية بلاغية لطيفة، تمزج الحقيقة بالخيال، وتغتفر المبالغة في التصوير، فتخرج بالكلام من الصورة العادية إلى مرتبة البيان التي أثنى عليها الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال: «إنَّ من البيانِ لَسِحرا»، وهذا السحر هو الذي يجعلنا نقبلَ المبالغة المفرطة التي تصل أحيانًا إلى حد الكذب. ولكنْ أما قال لنا النقال: «أعذب الشعر أكذبه»؟ فلماذا إذًا نبحث عن حقيقة وظيفة القلب العضوية أو عن وظيفة الكبد الجسدية؟، ولماذا نستفتي الأطباء في هذه الوظائف، ونستفتي المرضى في مشاعرهم قبل تبديل قلوبهم وأكبادهم وبعد ذلك التبديل؟ ألسنا نذهب برواء الشعر وعذوبته إذا أدخلناه حمى العمليات الجراحية، وأجرينا عليه مبضع الجراح؟! ألست معي أن معاني الشعر لا تفسر بحقائق الطب، أو لست معي أن (القلب والكبد والفؤاد والحشا) إذا سلبنا منها المعاني المجازية التي أرادها لها الشعراء وفسرناها تفسيرًا تشريحيًا، (ولا أقصد بالتشريحية المصطلح النقدي الحداثي)، أقول إذا عريناها من المجاز، ألم نقتل المعنى الجمالي فيها؛ أو لم نسلب (السحر الكامن في بيانها)؟ واترك القلب الآن بمعناه المجازي، فلي معه وقفة طويلة في حلقة قادمة في المستقبل، وقف معي عند الكبد، موضوع حلقتنا اليوم، ألا تشاركني في الاستمتاع بكل ما قاله الشعراء، منذ أن صرخ الحسين بن مطير(٧) قائلاً:

ولي كبد مقروحة من يبيعني
بها كبدًا ليست بذات قروح
أباها عليَّ الناس لا يشترونها
ومَن يشتري ذاعلة بصحيح؟
أئِنُّ من الشوق الذي في جوانحي
أنين غصيصٍ بالشَّراب قريح

ثم جاء ابن الدمينة(٨) وقال قصيدة حائية في غاية الرقة يعرِّض فيها بابنة عم له اسمها أميمة قال في مطلعها:

ألا يا حمى وادي المياه قتلتني
أتاحك لي قبل الممات مُتيحُ
إذا ذُكرتْ عندي أئنُّ لذكرها
كما أنّ من وقع السلاح جريح

ولي كبد..إلخ الأبيات

ويقول ابن معصوم: «كان سلطان مكة المشرفة الشريف محمد بن الحسين بن الحسن الحسني يطرب لأبيات (ولي كبدٌ) كثيرًا، ويُعجب لها، فسأل ابن عمه أحمد بن مسعود بن الحسن(٩)، تذييلها فذيلها بقوله:

على سالف لو كان يُشرى زمانه
شريت ولكن لا يُباع بروحي

وذيلت أنا فقلت(١٠): ولي كبد.. واقتبس أبيات الحسن بن مطير الثلاثة، وأتبعها بعشرة أبيات مطلعها:

وأبكي بعينٍ لا تكف غروبها
وأصبو بقلب بالغرام جريحِ

ثم ذكر سائر الأبيات التي أثبتناها في مطلع هذه الحلقة.. فأنت تلاحظ أن الشعراء الذين تعاوروا أبيات (الكبد) كثيرون بدؤوا في آخر العصر الأموي في القرن الثاني، استمروا حتى القرن الحادي عشر، وإن تداخلت أبيات (الكبد) في عدة قصائد لعدة شعراء، فنسبت إلى الحسين بن مطير وإلى ابن الدمينة وإلى خالد الكاتب وإلى غيرهم، وهذا ما يسمى في المصطلح النقدي القديم باسم (التنازع الشعري)، والأبيات الجميلة كانت موضع تنازع الشعراء، ولذلك كثر مُدّعوها، كما قيل في المثل (والمورد العذب كثير الزحام). ولكنّ (الكبد) ووظائف الكبد في مفهوم الشعراء غير مفهوم الكبد في مفهوم الأطباء.

الهوامش

١- القروح: الجروح
٢- الغصيص: الغاص بالشراب
٣- الغرب: الدلو
٤- ألتاع: من اللوعة. والشيح: نبات طيب الرائحة
٥- اللاحي: اللائم
٦- الغبوق: الشرب في المساء، والصبوح: الشرب في الصباح
٧- الحسين بن مطير الأسدي: شاعر أدرك أواخر الدولة الأموية وأوائل العباسية
٨- عبدالله بن الدمينة شاعر غزل من متقدمي الأمويين، وقيل إنه توفي سنة ١٤٣، وشعره أكثره في الغزل حقق ديوانه الأستاذ أحمد راتب النفاخ يرحمه الله.
٩- الشريف أحمد بن مسعود من أشراف مكة، سيد جليل القدر، شاعر، توفي في الأستانة حوالي ١٠٤١هـ.
١٠- القائل هو ابن معصوم، صاحب كتاب «أنوار الربيع في أنواع البديع» مولود سنة ١٠٥٢هـ. عالم شاعر متعدد المواهب، له مؤلفات كثيرة وصلت إلى عشرين مؤلفًا، وهو صاحب القصيدة الحائية التي أثبتنا أبياتها في قصة قصيدتنا هذه.

رؤية نقدية

محمود محمد شاكر وتأسيس الوعي النقدي

عمر القيّام

حين علمتُ بوفاة العلامة محمود محمد شاكر بتاريخ ٤ ربيع الآخر ١٤١٨هـ/ ٧ آب/ أغسطس١٩٩٧م، كنتُ قد فرغتُ من تحقيق رسالة لطيفة للإمام الخطَّابي (٣٨٨هـ) هي رسالةُ «الغُنية عن الكلام وأهله». وبعد فروغي من كتابة المقدمة لم أجد أحداً أولى من هذا العَلَم الكبير بإهداء هذه الرسالة إليه، فكتبتُ: إلى «محمود محمد شاكر العَلَم الذي أفنى عمره في الدفاع عن منهج الإسلام في النظر والاستدلال»، فقد كانت الرسالة كلمةً دقيقةً في مفهوم المنهج، ودفاعًا بارعًا عن طريقة القرآن والسنة الصحيحة في تشكيل الوعي وبناء أُسس التفكير السليم، كتبها الإمام الخطّابي - تحت وطأة الإحساس بالمسؤولية الأخلاقية إزاء ثقافته - حين رأى هذا التوغل الكبير لطرائق المتكلمين، وهذه الهيمنة الطاغية لمناهجهم المتخالفة في النظر والاستدلال، وما نَجَم عن ذلك من صُدوع وتعرُّجات في بناء العقل الإسلامي، ونُشوءِ رغبة جامحةٍ في الصدُّوفِ عن منهج القرآن والسنة في تعقُّل العالم والأشياء والردِّ على المخالفين.

ولقد قُدّر لي أن أقرأ جميع ما وصَلَتْ إليه يدي من كتابات شاكر. وكان ثَمرةُ ذلك كتابا صدر عن مؤسسة الرسالة/ بيروت في صَدرِ هذا العام ١٩٩٧م، عنوانه: «محمود محمد شاكر: الرجل والمنهج». كشفتُ فيه عن دقة الإنجاز النقدي الذي أنجزه شاكر، وأنه كان «رجل المرحلة» الذي حمل أعباء الموقف الثقافي، والسابرَ الأعظم لأغوار الثقافة العربية في العصر الحديث، وذلك بما حفلت به كتاباته من وعيٍ متفرّدٍ بمفهوم المنهج، وبما امتاز به شاكر من إدراكٍ نقديٍّ أصيل جعل منه ناقداً متيقظًا لطبيعةِ المرحلة التاريخية التي تجتازها الثقافة العربية، وما تقتضيه هذه المرحلة من قيود ومحدّدات في تشكيل الخطاب، وصياغة العلاقة مع الآخر ضمن إحساسٍ ثريٍّ بالتاريخ والفروق الدقيقة بين الثقافات.

لقد عاصر شاكر (١٩٠٩ - ١٩٩٧م) الثقافة العربية في سَوْرَة اندفاعها نحو مرحلة مُربكة من التجريب والمغامرات المنهجية في دراسة الموروث والتعبير عن الذات ووعيها بالعالم، ورأى المساحة الواسعة التي احتلتها مناهجُ النظر والاستدلال وطرائقُ الإبداع المأخوذة من الثقافات الأخرى، ولا سيما الثقافة الأوروبية، في تشكيل الثقافة العربية المعاصرة. ولقد كنت أشرتُ في كلمة كتبتُها في المُلحق الثقافي الذي أفردته جريدةُ الرأي الأردنية بجهود الأستاذ الأديب إبراهيم العجلوني للأستاذ محمود شاكر - يرحمه الله - بتاريخ ٢٢ آب/أغسطس١٩٩٧م، إعظامًا لحقِّه، وتعبيرًا عن التقدير لهذا الرمز الثقافي الكبير، وأسهم فيه نفرٌ كريمٌ من المثقفين منهم الناقدان الكبيران: ناصر الدين الأسد، وإحسان عباس، أشرتُ إلى تتبُّع سيرورة الثقافة الأوروبية وصيرورتها يكشف عن دقة انبثاق الظواهر الفكرية والأدبية وإجراءاتها المنهجية ضمن شروط تاريخية خاصة بتلك الثقافة. وأشرتُ - بالإفادة من المفكر السوري هاشم صالح - إلى أنه حين طالب نيتشة (١٨٤٤ - ١٩٠٠م) بضرورة تشكيل وعي حديث، كان العلمُ الأوروبي قد انخرط منذ أكثر من قرنين في عملية استكشاف تاريخي استقصائي لتراثه لم يسبق لها مثيل. فكانت الحاجة ماسّة إلى هذه الإدانة الموجّهة إلى الهيمنة الطاغية التي كان يمارسها العلم التاريخي والفيللوجي على كل مظاهر الحياة في أوروبا(١).

أما الثقافةُ العربيةُ فقد سارعت إلى الانخراط في افتعال شروط تاريخية لإنجاز حداثة موهومة تعملُ على خلق توَتُّر روحي أمامَ نظريةِ المعرفة بما تطرحه من أسئلة تُخلخلِ ثوابتَ الوعي، وتطمحُ إلى بناء «الإنسان المتمرِّد». وقد عمدت هذه الثقافة خلال قرن واحد من الزمن إلى طرح الأسئلة المركزية الكبرى التي طرحتها الثقافة الأوروبية في سعيها الطويل نحو تشكيل العقل

الحديث خلال خمسة قرون. وتداخلت الأسئلة المطروحة في الثقافة العربية تداخلاً عجيبًا يجمع بين أسئلة مارتن لوثر (ت١٥٤٦م) وأسئلة نيتشة (ت١٩٠٠م)، ثم امتدّ ذلك إلى أسئلة متأخرة جدًا تبلورت في سياقات ثقافية هي في غاية التعقيد والخصوصية كما هي أسئلة هيدغر (ت١٩٧٦م) وسارتر (ت١٩٨٠م) وفوكو وديريدا وهابرماس. والطريفُ في الأمر أن الثقافة العربية في نهاية القرن العشرين لا تجد حَرَجًا في التعبير عن غبطتها باكتشافها أسئلة «اللاهوت والسياسة» لسبينوزا و«تربية الجنس البشري» للسنغ (ت١٧٨١م)، لأن هذه الثقافة اكتشفت مؤخرًا حاجتها الماسة إلى دراسة الكتب المقدسة (دراسة علمية)(٢).

إنّ الثقافة العربية لم تفكرّ في تأسيس وعي نقدي بالذات ينبثق من مدارسة حصيفة واستبصار ذكي لمناهج النظر وطرائق التذوق والنقد في الموروث الثقافي. على الرغم من أنّ الشيء الذي يُخيف الغرب هو «وجودُ بعض الميل لدى العالم الإسلامي للانكفاء على ذاته وعلى قيمه بصفتها أداةً فعالة ملائمة لمقاومة الغرب أثناء فترات الأزمة»(٣). وسارعت بدلاً من ذلك إلى التوسل بالمناهج الجاهزة المنتزعة من سياقات ثقافية مغايرة يرتبط تشكيلُ المنهج فيها بمحدّدات خاصة بتلك السياقات. وتمخّض ذلك عن حالة ثقافية مربكة أنشأتْ وعيًا غريبَ الأطوار بالآداب والفنون، واغترب بفعل ذلك من الحياة العربية النبيل والسامي والجميل(٤). وتخلّق تبعًا لذلك «مزاج حادّ جريح، قوامُه الإحساس العميق بالفجيعة والمرارة والحسرة» على حدّ تعبير الناقد الكبير شكري عيّاد(٥). وكتبت الثقافة العربية غير قليل من نصوصها بجسدها وشَهوتها إعجابًا بقول نيتشه «لقد كتبتُ مؤلفاتي بكُلّ جسدي وحياتي»(٦) وانحيازًا إلى الروح الديونيسيسي القائم على طقوس من عربدة وغيبوبة طرب، وأرهقت الثقافة العربية وهي تتابع التحولات الفكرية في العقل الأوروبي، وتبذل جهودًا شاقةً في تجريبها وتفعيلها في ثقافة لم يُقدّر لها حتى هذه اللحظة استيعابُ أسئلة التنوير كما ستأتي الإشارة إليه، والانخراطُ في إنجاز شروط تاريخية لدخول مختبر «فقه اللغة» كما بلوره إدوارد سعيد في «الاستشراق»(٧)، فضلاً عن تشكيل وَعيٍ نقدي قادر على صياغة ولاء نقدي لهذه الثقافة.

لقد تفتحت روحُ شاكر على هذا النمط المخيف من الوعي. وكان واحدًا من الضحايا التي تعذّبتْ بسبب هذا التصدُّع الروحي العنيف. وعانى - وهو العربي المسلم المؤمن - من هذا الواقع الذي عصف بكيان الثقافة العربية الإسلامية ووجد نفسه أمام تحديات ثقافية غير مألوفة، فأعلن تمردًا جريئًا على المؤسسة الأدبية: إنجازات وأعلامًا، وصمّم على الغوص في أعماق هذه اللحظة التاريخية، وأن يقول كلمته بعد تمحيصها واختبارها.

انخرط شاكر في عملية استيعاب شاملٍ للإرث الثقافي العربي الإسلامي، وتفرّد في صياغة طريقة لقراءة هذا الإرث تقوم على التذّوق النافذ للنصوص، وإرهاف الأدوات في التعامل مع جميع تجلّياته، وإعمال البصيرة في التخطيط لصياغة منهج نابع من صميم هذا الإرث. فانتهى إلى صياغة منظور ثقافي يقوم على البحث عن الفروق والخصائص لا على الأشباه والنظائر مُذكّرًا بصنيع شيخ الإسلام ابن تيمية في مواجهة الواقع(٨). وخلص شاكرٌ إلى أنّ لكلٍّ ثقافة أسلوبها في التفكير والنظر والاستدلال، «وأن الثقافات المتباينة تتحاور، ولكن لا تتداخل، ولا يأخذُ بعضها عن بعض شيئًا إلا بعد عَرضه على أسلوبها في التفكير والنظر والاستدلال، فإن استجاب للأسلوب أخذَته وعدّلته وخلّصته من الشوائب، وإن استعصى نَبَذتْه واطّرحته. وأما الثقافة نفسُها فلا بُدّ لها من أصل أخلاقي هو الدينُ أو ما كان في معنى الدين؛ فالقواعدُ العقليةُ المجردة لا تستطيع أن تُخلّصَ المنهج من آفة الهوى والانحياز، والعقائدُ وحدَها هي التي تَعصمُ المنهج من هذه الآفة»(٩).

فإذا تمّ التأصيل لهذه الضوابط الكبرى للوعي، فإن التجديد لا يكون مفهومًا ذا معنى، إلا إذا نشأ نشأة طبيعيةً داخل ثقافة متماسكة حيّة في نفوس أهلها. وعليه فلا بُدّ للمجدِّد من أنْ يكون متمكن النشأة في ثقافته، صَقيلَ الذائقة في تذوّق آدابها وفنونها وعلومها، قادرًا على إدارة حوار ذكي بين التفاصيل الكثيرة المعقدة المتشابكة التي تُشكل النسيج النهائي للثقافة.

لقد أدرك شاكر أن السياق التاريخي للثقافة العربية المعاصرة، وما فُدحَتْ به هذه الثقافة من خسائر منهجية ومعرفية يقتضي بذل جهود شاقة في سبيل إعادة الوعي بالذات، والتأسيس لوعي نقدي قادر على صياغة ولاء نقدي لهذه الثقافة. فكان أن حدّد بدقة بالغة موقعه من الموروث الثقافي كشرط أساسي من شروط الوعي النقدي، ولخّص بذكاء وحصافة طبيعة الإنجازات التي أبدعها الأسلاف، ووضع يده على« مكامن القوة والضعف في الثقافة العربية، كما تجده مبسوطًا في «نمط صعب ونمط مخيف»، ثم اندفع بطريقة مدهشة في إنجاز واحدة من أدقّ الاستبصارات النقدية التي حظيت بها الثقافة العربية وأكثرها ثراءً، وتفنن في إبداع طرائق في التعامل مع الموروث حازت إعجابَ العقول الكبيرة، فأوفى على الغاية في بَعْث عدد من النصوص العتيقة الكبرى مشفوعة بقراءة شارحة بارعة جعلت منه فقيهًا لغويًا لا يُشق له غبارٌ، ولعل القارئ على ذُكر من جهوده في نشر «تفسير الطبري» و«دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة» و«طبقات فحول الشعراء». وانتصب بقامته النقدية الفارعة لتقديم منهج في دراسة الشعر العربي القديم «أصبح علامةً فارقةً في تاريخ النقد الأدبي»(١٠)، وتأتي دراستاه: «المتنبي» و«نمط صعب ونمط مخيف» في مقدمة أعماله التي تكشف عن كفايته النقدية العالية في دراسة الشعر العربي القديم. وقدّم للشعر العربي الحديث طريقةً بديعةً في أصول التعامل مع الموروث حين كتب قصيدته الكبرى «القوس العذراء»، وصاغها

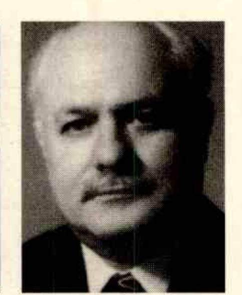
لم تفكر الثقافة العربية في تأسيس وعي نقدي بالذات ينبثق من مدارسة حصيفة واستبصار ذكي لمناهج النظر وطرائق التذوق والنقد.

نموذجًا فريدًا في الاستلهام الإبداعي للتراث، كشف عن طاقته الشعرية الفذَّة، وتذوقه المدهش لجوهر الفن(١١)، وانبرى مدافعًا عنيدًا عن ثقافته التي هيضَ جناحها بتفويق سهام الافتئات إليها، وتصدّى بعزمة باسلة لكلِّ المُخَطْرفين في دراسة التراث الأدبي، وصاغ تفريقًا حاسمًا صريحًا بين العوامل الكبرى المؤثرة في تشكيل الوعي كما بسطه في كتابه العظيم «أباطيل وأسمار»، وفتح بيته واسعًا أمام طائفة من المثقفين الذين حاولوا أن يُسهموا معه في إيقاظ الفكر وإنعاش الوعي، والدخول في قلب العصر بروح المجدِّد لا بروح المقلِّد، وشفع ذلك كلّه بصياغة نموذجٍ من الكبرياء الأدبية والاستعلاء الثقافي يصلُ إلى تُخوم البَأْوِ والعُنجهية.

إن في الثقافة العربية اليوم نُزوعًا أصيلاً مضادًا للنزوع الحداثي، يرنو ببصيرته نحو إجراء مراجعة نقدية دقيقة للراهن الثقافي، ويطمح إلى رصد المسافة بين إنجازات «الأصالة» وإنجازات «الحداثة»، وإعادة تفحُّص السياق الثقافي الذي تجتازه الثقافة العربية، مع تركيز الانتباه على طبيعة العلاقة مع الثقافات الأخرى. ولقد طرح شكري عيّاد قبل قريب من ثلاثين عامًا هذه الإشكالية وتساءل قائلاً: «ألا يمكن أن تُشترى هذه الحداثة بشيءٍ أقلَّ من التخلي عن طرق الحياة القديمة برُمَّتِها، مع كلِّ ما تمثله من عقائد فكرية ومزاج نفسي»(١٢).

ويبدو أن هذا الناقد الكبير قد اختار الانخراط في مشروعٍ عملي للإجابة عن سؤاله هذا، فأسهم باقتدار بالغ في صياغة مشروع نقدي يستند إلى وعيٍ مُتبصِّر بالخصوصية الثقافية، وإدراك دقيقٍ لإنجازات الأسلاف، وتفحُّص ذكي للمقولاتِ النقدية المعاصرة ولا سيما المقولات المتصلة بالثقافة الغربية؛ فتصدى لإنجاز علم أسلوب عربي يكون «القرآن الكريم» هو النص الأول في تشييد أركانه، ويستوعبُ إنجازات الأسلاف من لدن الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) إلى السعد التفتازاني، ويحاور التجليات المعاصرة للأسلوبية الحديثة كما تبلورت عند تشارلز بالي، وريفاتير وستيفن أولمان وغيرهم، ويقدم وعيًا نقديًا للذات والآخر يُسهم في إغناء وعينا النقدي المعاصر، بإرهاف أدواته، وتوسيع آفاقه، واستبصار السياق الذي تدور فيه إنجازاته(١٣).

د. إحسان عباس



د. شكري عياد



د. ناصر الدين الأسد



محمود محمد شاكر

ويبدو أن نَبرَة النقد الموجّه للحداثة تزداد حدّةً وعُمقًا، ويلحظ المتتبِّع لهذا النقد أنه صادرٌ عن شخصيات ثقافية مرموقة أخذت بحظ وافر من مقومات الثقافة المعاصرة، ولا سيّما الثقافةَ الغربية، وأُتيح لها أن تتفحص سياق الحداثة في كلا الثقافتين، وأن ترقُبَ الخَلَلَ في توظيف المناهج الحديثة في قراءة موروثنا الثقافي، فقد كتب محمد الناصر العجيمي على سبيل المثال دراسة بارعة(١٤) كشف فيها عن قصور المناهج الحديثة في دراسة التراث الأدبي، وتوقّف عند المنهج البنوي على وجه الخصوص، كما تجلّى في دراسات الناقد السوري الدكتور كمال أبو ديب صاحب «الرؤى المُقنَّعة» و«جدليات الخفاء والتجلي»، فكشف عن آفة التهويل بالأسماء والمرجعيات الأجنبية، والإفراط في التقليل من شأن الدراسات العربية السابقة، وإيهام القارئ بأنه بصدد الدخول في إنجاز مشروع يأكل «النيّئ والمطبوخ» في حقل الدراسة الأدبية في كلا الثقافتين: العربية والغربية، فالمشروع «يصدر عن مكونات منهجية ونظرية، ونقدية وفلسفية ولغوية لا تتشكّل في إطار المعطيات التقليدية التي طغت على كل الدراسات العربية وتناوُل الاستشراق الغربي للتراث العربي، بل في إطار منجزات الدراسات المعاصرة في مجالات معرفية متعددة، لعلّ أبرزها أن تكون علم الإنسان (الانثروبولوجيا)، واللسانيات، وعلم الدلالة (السيمائيات) والنقد الأدبي، ونظرية الأدب، وعلم اجتماع الأدب إلى آخر هذه الأنساق المعرفية(١٥)، ولقد كشف الناقد العُجيمي عن قصور الجهاز النظري والمستوى الإجرائي والمحاور الدلالية في هذه الدراسات، وقد كان صبري حافظ أكثر جدة وعمقًا حين وسم إنجازات أبي ديب «بالجَعْجَعة المنهجية»، وأنكر عليه مصادرته وإلغاءه للإنجازات النقدية السابقة وهو - كما يقول صبري حافظ -: «إلغاءٌ ينطوي على قدر كبير من الجهل بإنجازات الدراسات النقدية الحديثة. ولو قرأ الكاتب دراسة الأستاذ محمود شاكر المهمة «نمط صعب ونمط مخيف» لطامنَ من كبريائه قليلاً»(١٦).

وأما الوجه الآخر لهذا النزوع الأصيل نحو إعادة تقويم الراهن الثقافي، فقد تجلّى في هذا الاعتراف الوقور بقيمة الإنجازات التي أنجزها مثقفون لم يُنصفهم عصرهم، لعل محمود محمد شاكر هو أعظمهم أثرًا: فقد كتب الناقد الدكتور إحسان عباس كلمةً نبيلةً في حق شاكر في سيرته الذاتية قال فيها: «لقد تعلّمتُ من محمود وغرفتُ من علمه الغزير أضعاف ما قرأتُه وما سمعتُه قبل لقائه.. والميزةُ الكبرى فيه أنه ذو رأي عميق واطلاع واسع وليس هنالك من هو أقدرُ منه على فضح التفسيرات التي تزيِّفُ التاريخ والحقائق. إنه يستمدُّ رأيه الواضح ويبلوره من تأمله الذاتي وعودته إلى الأصول، دون النظر إلى رأي سائد يردده الآخرون. وكان محمود وما يزال يعتمدُ فَهم الأسباب ويحسن ربط النتائج بها على نحوٍ دقيق متفرد لم أجده عند غيره»(١٧). ولعلَّ في هذا إشارة إلى تغلغل الوعي النقدي في شخصية شاكر التي لم يُشتِّت انتباهها هذا التدفق الهائلُ للنظريات والمناهج الوافدة التي افتتن بها العقل

انتهى شاكر إلى صياغة منظور ثقافي يقوم على البحث عن الفروق والخصائص لا على الأشباه والنظائر.

العربي فتنةً أذهلته عن خصوصيته ومقومات شخصيته الأصيلة.

إن توقُّدَ الحسِّ التاريخي هو الذي حال بين شاكر وما وقع فيه غيره من عدم القدرة على تحديد الأعباء الثقافية في هذه اللحظة، وصياغة العلاقة مع الآخر. ولقد أشار الدكتور هاشم صالح في البحث المشار إليه سابقًا إلى المخاطر الناجمة عن إغفال هذا الأمر. وأدلى باعتراف ذي أهمية بالغة يكشفُ عن بصيرته النقدية، وموقفه الأخلاقي والمعرفي، وأنّ المثقفَ العربي إذا أُصيب بداء ضُمور الحسّ التاريخي كان أحدَ العوامل الفعّالة في خلق المحنة الثقافية. يقول هاشم صالح: «اعترفُ بأنني لزمني إمضاء أكثر من عشرة أعوامٍ في أوروبا (فرنسا تحديدًا) لكي أفهم أني أُضيع وقتي في الحديث عن ميشيل فوكو وجاك ديريدا وجيل ديلوز ومشكلات الحداثة وما بعد الحداثة.. أكثر من عشر سنوات كانت ضرورية لكي أفهم أنني معاصر لأناس القرن السابع عشر بدءًا من ديكارت وسبينوزا، وأناس عصر التنوير من أمثال روسو وديدْرو وفولتير أكثر مما أنا معاصر لمفكري فرنسا والغرب الحاليين. باختصار لزمني أن أعود أدراجي إلى الوراء، ولا أشعر بأيّ حرجٍ أو انزعاج إذ أُصرح بذلك. على العكس أشعرُ بسعادة غامرة بعدما اكتشفت موقعي، واستغربتُ كيف أمضيتُ كلّ تلك السنين في البحث عن مشكلات وهمية تخصّ المجتمع الفرنسي الحالي، ولا تخصُّ مجتمعاتنا العربية الإسلامية إلا من بعيد البعيد، والواقع أن لذلك أسبابًا أو سببًا أساسيًا واحدًا هو ضمورُ الحس التاريخي عندنا، وسيطرة البنية الأسطورية والمثالية على عقلنا وتفكيرنا» ثم يضيف قائلاً: «أليست مراهقةً فكريةً أن ندّعيَ التحرير والتنوير ونحن لا نفعل شيئًا سوى أن نزعجَ الناس في قناعاتهم الإيمانية التي يتمسكون بها ويستعصمون في وقت لم يَعُد فيه من مُسْتَعْصَم آخر يتمسكون به؟ أليسَ الإيمانُ هو الملجأ الوحيد الذي نلوذ به في أوقات الشدة والضيق؟ فلماذا إذن تشريح التراث بمثل هذه الطريقة العدوانية التي لن تؤدي في النهاية إلا إلى تفكيكه وتَركه حقلاً من الأنقاض»(١٨).

لقد عاشَ محمود محمد شاكر متسلحًا باليقظة النقدية، داعيًا إلى المحافظة على استمرار الإدراك الديني للحياة، مُثبتًا بإنجازاته أن هذا النمط من الوعي عميقُ التجذُّر في القلب الإنساني السليم(١٩)، وأن الرعونةَ الثقافية والغفلة عن الاستبصار النقدي العميق لا يؤديان إلا إلى مزيد من التشظّي والإرباك. وعلى مستوى التجربة النقدّية كان محمود محمد شاكر «رجل المنهج» الذي استنقذ الثقافة العربية وجدّد حياتها، وأثبت أنها قادرةٌ على الإبداع من غير استعانة بإنجازات الثقافات الأخرى. «ولقد حرص شاكرٌ على بلورة منهجٍ لا ينفصل عن العصر البتة، ولكنه لا يلهثُ وراء مقولاته لَهْثًا، ويُفيد من التراث النقدي العربي، من غير أن يكون تابعًا له أو امتدادًا، فكان منهجه توكيدًا لشخصية باحث مبدع، تتجلّى في كتاباته جدليةُ الاتصالِ والانفصال مع الموروث، على نحوٍ يؤكد تفوُّق الباحث وخصوصيته، وقدرته على الهضم والاستيعاب دون أن يقع تحت إرهاب أحدٍ، كائنًا مَن كان»(٢٠).

إن محمود محمد شاكر هو عليمُ هذه الثقافة وكليمُها كما خاطبه بذلك الشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل(١). وقف كالنسر فوق مَرقَبته يرقبُ بعينيه الحادثتين هذا الاستدراج الماكر للعقل العربي المسلم، وبذل جهودًا خارقةً في سبيل تصحيح المسار الثقافي، وتأريث نار الإبداع، وكتب نصوصه بروحه وعقله ودمه، وظَل شامخًا كالطود، مُترفعًا عن اللّغو والتعالم، موقنًا أنّ المجد الأدبي لا يُنال إلا بمقدار الإنجاز الذي يمكن إضافتُه إلى الثقافة الأصيلة، وأن زعامة التاريخ الأدبي لا تُنال بالتقليد وقراءة الثقافة بعقول الآخرين، وأن الوعي النقدي بالمرحلة التاريخية هو الأساس المتين الذي تنطلق منه الثقافة نحو الآفاق الثقافية الأخرى تلقيًا واستيعابًا وتجاوزًا.

وما أشبه اليوم بالبارحة! فحين مات الرافعي بكاه شاكر وقال: «رحم الله أبا السامي، فقد صار ميراثًا نتوارثه، وأدبًا نتدارسه، وحنانًا نأوي إليه»(٢٢). ورحم الله أبا فهر، فقد قضى نَحبه وهو قابضٌ على الجمر، وسَلامٌ عليه في الأولين والآخرين.

الهوامش

١- حول مفهوم الحس التاريخي، هاشم صالح، مجلة الوحدة، الرباط، ١٩٩١م، ص:٦.

٢- وهو المشروع الذي يقوم به د. حسن حنفي، ود. نصر أبو زيد، ويغامران من خلاله بطروحات مثيرة تلتقي مع مشروع الحداثة في نزع صفة المقدس عن كل الثوابت والمطلقات، وتعمد إلى خلخلة الوعي وإزاحة مفهوم الوحي كما يفعله د. محمد أركون في بحوثه. وانظر ما كتبه د. منذر عياشي تعليقًا على إنجازات أبي زيد في تعليقه على عمل جاك بيرك: القرآن وعلم القراءة، جاك بيرك، ترجمة منذر عياشي، دار التنوير، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص:١٢٠.

٣- الفكر الإسلامي، قراءة علمية، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م، ص:٥٤.

٤- شعرنا القديم والنقد الجديد، د. وهب رومية، عالم المعرفة، ١٩٩٦م، ص:١٣.

٥- المرجع السابق، ص:١٣.

٦- تاريخ الفكر الأوروبي الحديث (١٦٠١ - ١٩٧٧)، رونالد سترومبرج، ترجمة أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م، ص٤٩٤.

٧- الاستشراق، إدوارد سعيد، نقله إلى العربية كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، ص:١٤٦.

٨- انظر: «مفهوم الحوار عند الجارودي»، د. محمد عمارة، مجلة العربي، العدد (٤٦٢)، ١٩٩٧م، ص١٥٥.

٩- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص:٧٧، وانظر: «لا شرقية ولا غربية»، د. زيد بن عبدالمحسن الحسين، مجلة الفيصل، العدد (٢٠٩)، ١٩٩٤م، ص:٥.

١٠- أفق الخطاب النقدي، د. صبري حافظ، دار شرقيات، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م ص:١٥٩.

١١- وقد كشف إحسان عباس عن هذا الإنجازالعظيم في دراسته القيمة «القوس العذراء» التي كرم بها أستاذه شاكرًا بمناسبة بلوغه السبعين، انظر: «دراسات عربية وإسلامية، مهداة إلى محمود محمد شاكر، تحرير د. محمد رشاد سالم، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٣-١٥.

• يقال بأا فلان: فخر وتعاظم، والفعل ورد بالألف الممدودة والمقصورة، بأا بَأوا، وبأى بأيًا.

١٢- «أدبنا المعاصر بين التغير والاستمرار» د. شكري عياد، مجلة المجلة، العدد (١٤٥)، ١٩٦٩م، :٦.

١٣- وفي كلمة ألقاها د. عياد أمام الملتقى العلمي الذي أقامته مؤسسة الملك فيصل الخيرية في القاهرة عام ١٩٩٥م بعنوان (الإسلام والثقافة العربية في العالم الجديد) قال د. عياد: إننا في عالمنا العربي والإسلامي نوشك أن نتمزّق بين شعورنا بأن لنا إرثًا ثقافيًا عظيمًا، كان في يوم من الأيام منارة العالم وعَجزنا عن مجاراة عالم اليوم والصمود لتحدّياته، فضلاً عن مواجهته.. ولا سبل لنا إلا أن نعود إلى» جذور حضارتنا في الدين، وأن نعرف للفن مكانه الكريم إلى جوار الدين». انظر: مجلة الفيصل، العدد (٢٢١)، ١٩٩٥م، ص:٣٣.

١٤- المناهج المبتورة في قراءة التراث الشعري - البنيوية نموذجًا»، محمد الناصر العجيمي، مجلة فصول، المجلد التاسع العدد (٣ و ٤)، ١٩٩١م، ص:١٠٩.

١٥- الرؤى المقنّعة، نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، كمال أبو ديب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص:٥.

١٦- أفق الخطاب النقدي: ٢٣٧.

١٧- غربة الراعي - سيرة ذاتية، إحسان عباس، دار الشروق، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص:٢١١.

١٨- حول مفهوم الحسّ التاريخي، مرجع سابق، ص:١٦-١٧.

١٩- انظر: «عودة الوفاق بين العلم والدين» فردراجاف رمان، ترجمة د. محمود الذوادي، مجلة الثقافة العالمية، العدد (٨١)، ١٩٩٧م، ص:٣٠.

٢٠- «محمود محمد شاكر: رجل المنهج» د. خليل الشيخ، جريدة الرأي الأردنية، ملحق خاص بمحمود محمد شاكر، العدد (٨٢٤٦)، ١٩٩٧/٨/٢٢م، ص: ٢٦.

٢١- شاهدة ربع قرن، عايدة الشريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م، ص:٩٤.

٢٢- حياة الرافعي، محمد سعيد العريان، تقديم محمود شاكر، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٥٥م، ص:٩.



هذا الباب يتلقى تساؤلات القراء واستفساراتهم عن القضايا الثقافية الملحة ـ وبخاصة التي تتعدد حولها الآراء ووجهات النظر ـ ليتولى الإجابة عنها اختصاصيون، بهدف الوصول إلى رؤية واضحة حولها، وتحقيق تقارب ومفهوم مشترك عنها، بحوار رشيد وطرح موضوعي يعمق أسس الحوار، حيث يتحلى بالحكمة لندرك الصواب، ويتحلى بالعدل قوة تسوس غضب النفس، ويتحلى بالعلم لنلتقي على ثوابت راسخة، ويتحلى بالشجاعة نصرة للحق، وبالحلم قهرًا للغضب، وبالعفة نؤدب بها نشوة الشهرة بأدب الشرع وميزان العقل.

س س: يدور الحديث عن أزمة النشر، وقلة عدد الناشرين الذين يقبلون على نشر الكتب الجادة، وفي الوقت نفسه، تستقبل المكتبة العربية كثيرًا من الغثّ الخاوي من أي مضمون، أليس في هذا الأمر تناقض واضح ؟

جمال الدين السامرائي
كاليفورنيا ـ الولايات المتحدة الأمريكية

VIA AIR MAIL
PAR AVION

نعم هناك أزمة في عالم النشر في العالم العربي، بل أزمات. أو هناك مشكلات وسلبيات، أو هموم ومصاعب، تواجه عددًا غير قليل من الناشرين العرب، وتقف حَجَر عثرة أمام تقدُّم صنعة نشر الكتاب وازدهارها.

والحديث عن هذه الأزمات، أو المشكلات والسلبيات، حديث طويل، وله وجوهٌ متعددة، يمكن أن نستفيض في الحديث عنها استفاضة واسعة، لكن المقام لا يتسع، والمطلوب هو الإيجاز في الكلام.

والحق أن السؤال الذي يقدمه القارئ السامرائي يلفت نظرنا إلى أحد وجوه أزمة النشر في العالم العربي، هذا الوجه أورده في صيغة السؤال؛

لماذا هذا الإحجام عن نشر الكتب المهمة، والذخائر الرائعة، والتراث المجيد، والجديد المفيد؟ ولماذا هذا الإقبال على نشر الكتب السطحية. ذات المعلومات الخفيفة، والأفكار المعادة المكرورة؟

سؤال الأخ السائل يشير إلى هذا الوجه من أزمات الناشر العربي، وليس هو في الحقيقة سؤالاً يتناول معضلة فكرية يطلب حلاً لها، وليس سؤالاً يبتغي حلّ إشكال صارخ وتناقض واضح في عالم النشر.

وما دام السؤال يتناول أحد وجوه أزمة النشر في العالم العربي، فَلْيكن حديثنا في الإشارة الموجزة إلى عدد من وجوه هذه الأزمة، ولتكن الأسطر التالية نفثات من هموم ناشر مضى عليه ثلاثة عقود وهو يعيش في معترك هذا العالم الرائع الممتع، والشاقّ المتعب، عالم النشر وصنعة الكتاب واختياره وإخراجه، وتقديمه لهواة القراءة.

وقبل الحديث عن أزمة النشرفي العالم العربي في بعض وجوهها لابد من هاتين الكلمتين الموجزتين:

إننا ونحن نأسى على التراجع في نشر الكتب الجادة المفيدة، لابدَّ من الإشارة إلى ذلك الكم الرائع من الكتب النفيسة الذي أخرجته المطابع في العالم العربي في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، ،ولا أريد أن أسمي دور نشر محددة، ولا أن أذكر أسماء كتب محددة في هذا المجال، حتى لا أتهم بأنني أقوم بالدعاية لها ولناشريها، ولكنني أؤكد أن المطابع أخرجت للقراء في عالمنا العربي تراثًا رائعًا من نفائس الكتب، اقتبس منها وأفاد منها أجيال كثيرة من العلماء والمفكرين والكتاب وأساتذة الجامعات. غير أن هذا التراث المهم قد قلّ عدده، وساء إخراجه بأخرةٍ من زمان النشر ـ أعني زماننا ـ لا سيما حين آلت هذه المهنة إلى عدد من الجهلة من الناشرين الذين لا يعبؤون بالعلم النافع الجيد، والذين عاثوا فساداً فيما أخرجوا من كتب التراث!!

والكلمة التالية عن هذه المهنة أو الصنعة «صنعة النشر»: إنها مهنةرفيعة الشأن، سامية المقام، تتعامل مع الكلمة والعلماء والمفكرين والقرّاء، وهم من هم!! إنها مهنة تقدِّم العلوم والمعارف الإنسانية التي لا يتوقف عطاؤها ليل نهار، لأنها معارف ثرّة، مدرارة دائمة العطاء والسيلان.

ولكل هذا فهي مهنة شاقة، صعبة دقيقة، يجب أن يتزود لها من يتعاطاها بزاد جيد من الثقافة الواسعة، والعلم الوافر، والأخلاق الرفيعة، والصبر الحميد، والقدرة على المتابعة والمثابرة، ويجب أن يتخذ منها صاحبُها رسالةً نافعة يسمو بها هو ومجتمعه إلى أفق عال وأن يتكئ في مسيرته على التجارة لضمان استمرار عمله، لا أن تكون التجارة وجمع المال غايته ومبتغاه، ونعود الآن إلى المقصود الأول من هذه الأسطر، نعود إلى بعض وجوه أزمة النشر في عالمنا العربي نعرضها بكلام وجيز:

أزمة القراءة: وهي أبرز الأزمات وأهمها، فهذه الأمة أصبحت لا تقرأ، أو قُل إن القرّاء فيها قليل. وإنك لتعجب من أمة كانت كلمة (اقرأ) أول كلمة في الوحي المنزل عليها من الله، أنها غدت لا تقرأ، حتى لقد خشي العقلاء الغيورون على هذه الأمة، أن تعود أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، كما كانت في الجاهلية الأولى. إنني أتمنى على وزارات المعارف والتربية في العالم العربي أن تضيف إلى مواد الدراسة مادة اسمها «القراءة»، وأن تساهم هذه المادة في خلق وعي جيد في أبناء هذه الأمة بقيمة القراءة. كما إن قلة القراءة تشكِّل أزمة بالغة أمام الناشر العربي، فالناشر يتعامل مع القُرّاء، فإن فقد هؤلاء فمع من يتعامل؟!

أزمة انخفاض مستوى الدخل في عالمنا العربي، فالملايين في عالمنا لا يجدون ما يكفيهم من ضرورات الحياة، فأنّى لهم بعد ذلك أن ينفقوا المال ثمنًا للكتاب؟!

أزمة انتقال الكتاب وتداوله في شتى أنحاء العالم العربي وجميع دوله: وهذه أزمة حادة وقاسية تعيق انتشار الكتاب، حيث لا توجد هناك شركات توزيع على مستوى العالم العربي، تخدم الكتاب والناشر، وتعين في توصيل الكتاب إلى القارئ، وتساعد الناشر في استرداد ماله الذي أنفقه في طباعة الكتاب ليتابع مسيرته، ومما يعيق تداول الكتاب كثرة الرقابة الإعلامية في العالم العربي، ولكل رقابة منطلقاتها في السماح والحظر، وكل ذلك يعيق سير الكتاب وانتشاره.

وهناك أزمة من فعل الناشرين أنفسهم، فهناك عدد من هؤلاء ممن لا خَلاَق لهم، يعتدون على جهود غيرهم، ويقتنصون أعمالاً علمية قدّمها غيرهم، ويطبعون كتبًا نشرها غيرهم، من غير أن يقدموا شيئًا للناشر الأول وللمؤلف. إنه التزوير، إنه الفيروس القذر في عالم النشر!! وهذا الأمر لعمر الله عدوان صارخ، وسلوك شائن، وعمل غير كريم، لا يليق أن يلطّخ وجه هذه المهنة الكريمة، والصنعة الشريفة.

والأزمة السابقة لها وجه آخر من العدوان على التراث وعلى القارئ وعلى الكتاب، إنها أزمة بعض الناشرين الذين لا يقدّرون للعلم قَدْره، ولا يفهمون قيمته، ولا يهمهم سوى جمع المال، ورحم الله زمانًا كانت هذه المهنة فيه، وَقْفًا على العلماء وطلاب العلم. فهؤلاء الناشرون الجهلة يقدّمون بعض كتب التراث، ويزعمون أنها محققة تحقيقًا علميًا، والحق أنه لم يقدم لها أي جهد من التحقيق المفيد، بل بقي فيها التصحيف والتحريف، وكثر فيها السقط، وخرجت على أسوأ صورة.

إن هؤلاء الناشرين من هذا النوع يعتدون على تراثنا، ويمسخون كتبنا، ويزوّرون علينا!!

وصناعة الكتاب بوجه عام تعاني من أزمة (اليُتْم)!! نعم إنها يتيمة غالبًا، لا يرعاها وصيٌّ قوي، أو حان شفيق، يصون عرضها، ويساعدها في شؤونها، وينفي عنها أمراضها، ويضرب على يد العابثين بها، والظالمين من المزورين والجاهلين.

إن هذه المهنة تحتاج إلى لفتة حانية من وزراء المعارف والتربية والإعلام والثقافة ومديري الجامعات.. إنها تحتاج إليهم حاجة ماسة، فهل يعطونها بعض ما تستحق من رعايتهم وأبوتهم؟

وهناك أزمات عديدة أخرى لا يتسع المقام لذكرها، لكني لابدّ أن أشير إلى واحدة منها غدت تؤدي دورًا كبيرًا في تدني مستوى النشر في عالمنا العربي. وهذه الأزمة تبدو في وجود عدد وافر من الكتّاب والمحققين التجار، الذين هم على استعداد للكتابة في أي موضوع، وللتأليف في أي مجال، ولو قلت لأحد منهم: ضَعْ لي تفسيرًا جديدًا للقرآن الكريم، لقال لك نعم، كم تدفع؟

لقد كثر هؤلاء المؤلفون التجار حتى لقد امتلأت أرفف المكاتب بتواليفهم، وكلها معاد مكرر، وسمج ممجوج، ومنهم من يقدِّم الكتاب الواحد تحت عدد من العناوين، ولقد راجت بضاعتهم عند عدد من الناشرين، لأنهم يشترون منهم هذا الكلام بمبالغ زهيدة، ثم يتخذون منها سلعًا رائجة في عالم البيع.

وأنه لأشد نكرًا من صنيع هؤلاء المؤلفين، صنيع أولئك الذين يُسمُّون أنفسهم محققين، فكم اعتدى هؤلاء على كتب تراثنا، وكم شانوها وأعابوها، وأخرجوها عليلة سقيمة!!

لقد التقى المؤلف التاجر بالناشر التاجر، فكان هذا الزور والفجور!!

هل يكفي ما ذكرت من بعض وجوه أزمة النشر في عالمنا العربي؟ نعم يكفي، ولا أريد أن أزعج القارئ بأكثر مما ذكرت.. لكني أتمنى أن تتعافى هذه المهنة من أمراضها وأزماتها، وأن تقوم من كبوْتها، وأن تسير صُعُدًا نحو أداء رسالتها القيِّمة الرفيعة.

محمد علي دولة

ناشر

إنني جد في هذا السؤال نوعًا من ممارسة نقد الذات وموازنة حال أمتنا بأمم أوروبا، والغرب المتقدم في شتى ميادين الإنجازات ومظاهر الحضارة، وهو دليل وعينا بحالنا. إلا أننا لا ننسى العوامل والأسباب والمسببات التي جعلتنا نحتل مكانًا دونيًا في مجالات عديدة من بينها صناعة النشر، وتظل الإنجازات دومًا دون الطموحات، وأقل من توقعات الفرد أو الأمة. والنفس اللوامة نفس واعية بواقع حالها وتقصير أدائها، وهي بذلك مؤهلة لبلوغ ما تصبو إليه من سمو في المآل. إلا أن موازنة النفس بالآخرين سلاح ذو حدين، فإما أصيبت بالإحباط واليأس الذي يصل بك إلى حالة ازدراء الذات واحتقارها، وإما يكون لك وازعًا ودافعًا لبلوغ العلا، والدنيا تؤخذ غلابًا.

إن صناعة النشر ـ في رأيي ـ مثلث قاعدته القارئ وضلعاه الكاتب والناشر. وكأي صناعة أخرى، فهي تهدف إلى الربح وتحكمها قاعدة العرض والطلب.. والطلب يحدده القارئ؛ والقراء مستويات مختلفة الأذواق والاهتمامات، وقديمًا قالوا «لولا اختلاف الأذواق لبارت السلع».

فمما يلفت النظر إلى دور بيع الكتب تلك الشعبية وذلك الإقبال على كتب الطبخ وطرق صناعة الحلويات!! فذاك دليل على أن أهل الشرق مهتمون بتغذية الجسد قبل العقل. فماذا يفعل الناشر؟! ليس هذا دفاعًا عن الناشرين ولكن ذلك هو واقع الحال!!

إن القارئ العربي لم يُستقطب للقراءات الجادة بعد؛ هذا الاستقطاب يبدأ منذ طفولتنا مرورًا بمراحل التعليم العام والمنخفض، وهو مشوار طويل متواصل من المهد إلى اللحد، تؤدي التربية وسياسة التعليم الدور الأساسي في تحقيقه.

فعلى الرغم من الأعداد الكبيرة للخريجين الجامعيين والمتعلمين العرب، إلا أن القليل منهم يهتم بالقراءة الجادة والمتواصلة، وقد يكون ذلك سببه نوعية التعليم.. أو المشكلات اليومية للإنسان العربي مما يتعذر معها توافر الوقت.. أو لأسباب مادية.. أو .. ويبقى جزء يسير منهم يهتم بالمعرفة؛ وحتى هؤلاء أو جزء كبير منهم تستهويهم وتستقطبهم الثقافة الغربية، مما لا يشجع الناشر العربي على الاستثمار في مجال الكتابات الجادة، تلبية لرغبة هذا النزر اليسير من القراء.

أما الضلع الثالث لمثلث هذه الصناعة، فهو الكاتب العربي، الذي تعيقه حرية التعبير التي تتفاوت في نسبتها من بلد عربي إلى آخر، كما تعيقه صعوبة الوصول لمصادر المعلومات والوثائق المدونة للوقائع على مر الأحقاب الزمنية للأمة، بل انعدامها في بعض الأحيان.

والكتّاب العرب ينقسمون إلى كتّاب متخصصين مثل أساتذة الجامعات الذين يكتبون كتبًا مقررة لسد حاجة الطلاب في مجال تخصصهم وهم يشكرون على ذلك، لا يكادون يجدون وقتًا للكتابة في الثقافة العامة إلا ما ندر.

والذين يكتبون في المجالات الجادة الأخرى ـ لا شك ـ يصطدمون بنوعية القارئ العربي النافرة، فينزوي هذا النوع من الكُتاب من أول تجربة له أو ثانيها، ولا يعني ذلك أن مكتباتنا العربية تزخر فقط بالغث الخاوي من أي موضوع.

والحقيقة تقول: إن الإنسان العربي ـ قارئًا كان أو كاتبًا ـ يكتفي باجترار ما خلفه السلف من تراث، ويندر الكتّاب الذين يرتكزون على تراث الأمة ويتخذونه نقطة انطلاق لكتابات جادة ومتميزة، فنحن ـ مثلاً ـ لا نهتم بأدب الطفل، ونكتفي بما كتبه السلف، فلا نمحص، ولا نطور فيه، وقليلون أولئك الذين يكتبون للطفل العربي. ويندرج ذلك على أدب الكبار.

لقد غابت عنا الرؤية لهدف الكتابة فانعدمت الجدية والموضوعية.

والسؤال الذي يجب أن نجيب عنه هو: كيف يرى ذلك الإنتاج الغث الخاوي من الموضوعية النور؟

إنه يرى النور لأسباب عديدة، فهو لا يخضع للتحكيم؛ ولا يخاف الخسارة المالية بمعنى أنه مدعوم من شخص المؤلف نفسه أو من قبل جهات رسمية، وهو لا يعدم من يقرؤه أو يشتريه؛ وهو لا يخاف على اسم مؤلفه، فكل همه أن يوضع في العرض حاملاً اسم ذلك المؤلف.

خلاصة القول أن عددية القارئ ونوعيته هما العاملان الرئيسان المحددان لنوعية الإنتاج الثقافي؛ ولأننا نعيش في حالة مخاض في كثير من المجالات، ومن بينها مجال النشر، فإننا موعودون عن قريب بمولود معافى.

د. معتصم إبراهيم خليل

أستاذ جامعي



بين ابن رشد والبرت الكبير



الشيخ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري

القيمة بين الدين وفلسفة أرسطو أزمة من تشبعوا بهذه الفلسفة من مليين (مسلمين، ونصارى، ويهود).. وأول من أفرد كتاباً خاصاً من علماء المسلمين في التوفيق بينهما ابن رشد الحفيد، وقد عقدت الدكتورة زينب الخضيري موازنة بينهما، وانتهت في موازنتها إلى أن ألبرت الكبير يفصل بين مجالي الدين والفلسفة.. قالت: «يقول ألبرت في الميتافيزيقا: إن النظريات اللاهوتية لا تشترك مع النظريات الفلسفية في أي مبدأ من المبادئ، فاللاهوت قائم بالفعل على الوحي، وعلى الإلهام لا على العقل.. لا يمكننا إذن في الفلسفة أن نناقش المسائل اللاهوتية.. وبالتالي لا يمكننا على العكس استخدام الاستدلالات الفلسفية في اللاهوت، فالعقل الإنساني المعتمد على قدراته الخاصة لا يستطيع مثلاً التوصل إلى معرفة الثالث أو فهمه.. كما أن العقل الإنساني لا يستطيع - كما يقول في كتابه «في قدم العالم» - إثبات ما تؤكده العقيدة من أن للعالم بداية.

ونتيجة لهذا الفصل بين الفلسفة واللاهوت: كان من الطبيعي أن نجد عنده من آن إلى آخر تناقضاً بين ما يقوله في كتبه اللاهوتية ملتزماً العقيدة، وبين ما يذكره في شروحه الأرسطية معتمداً على العقل فقط.. وكان ألبرت يتخلص ببساطة وببراعة من هذا المأزق قائلاً: إنه في شروحه إنما يعرض فلسفة المشائين لا فلسفته»(١).

قال أبو عبدالرحمن: المراد بالثالث مسألة الأقانيم الثلاثة: الأب، والابن، إلها واحداً.. وهي أمانة يحرم تفسيرها بالعقل، ونصها: «أؤمن بإله واحد أب ضابط الكل، خالق السماوات والأرض، كل ما يرى وما لا يرى.. وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر الذي به كان كل شيء، الذي - من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا - نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس وصلب وتألم وقبر، وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب المقدسة، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الأب.. وأيضاً سيأتي بمجده ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه، وبروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب الذي هو مع الأب والابن المسجود له، وممجد ناطق في الأنبياء.. كنيسة واحدة جامعة رسولية، وأعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وابن جاء لقيامة الموتى، وحياة الدهر العتيد، كونه أمين»(٢).

قال أبو عبدالرحمن: وها هنا وقفات مهمة قبل المضي في الموازنة:

الوقفة الأولى: أن الفصل بين الدين والفلسفة يعني التخلي عن التوفيق بينهما، ويلزم من هذا التخلي: الإيمان بأنهما غير متعارضين، أو أنهما متعارضان حقيقة، ولابد أن أحدهما حق والآخر باطل.

وسياق ألبرت عن قدم العالم في الفلسفة، وبدايته في العقيدة: يعني أنهما متعارضان عنده، وإنما ترك التوفيق بينهما؛ لأن الجمع بينهما غير ممكن.. فيبقى بعد ذلك تحرير مذهب ألبرت في تعيين مذهبه: هل الحق عنده الدين، أو الفلسفة؟.

الوقفة الثانية: غير مُسَلَّم لألبرت أن الدين السماوي المعصوم غير قائم على البرهان العقلي.. بل الإيمان بوجود الرب وكماله بإجمال، وضرورة الشرع وصدقه: يقوم على براهين العقل بمعارفه الفطرية والحسية، ثم بعد ذلك تُعرف جزئيات الدين تفصيلاً من التلقي من الوحي.. ويظل العقل مرجعاً في الفهم والتمييز والترجيح. ويظل العقل شاهداً لحقائق الشرع بما لديه من شهادات على تحقق المقتضيات وتخلف الموانع.

الوقفة الثالثة: كون العقل عاجزاً عن التوصل لمعرفة الثالوث وفهمه قضية صحيحة ليس سببها غياب العلم الموصل، بل سببها العلم المحصل في فطرة العقل غير المنخرمة في شواهد التجربة البشرية بأن هذا تناقض محال، ودعوى هوية غير متصورة في العقل، وغير محصلة في تجربة البشرية بأي مثال واحد وجد فيه اجتماع نقيضين. وإذن فدعوى الثالوث ليست من دين الله بالبرهان العقلي المحصَّل.. أي إن نفي التناقض عقلاً علم بالعدم، وليس عدم علم.

الوقفة الرابعة: ليس مسلماً أن العقل غير قادر على إثبات ما تؤكده العقيدة من بداية العالم لسببين:

أولهما: أن إيمان بعض الفلسفات بأولية العالم ليست نتيجة برهان عقلي، بل البرهان العقلي لم يتصور أولية العالم.

وثانيهما: أن كلمة «القدم» مضللة؛ لأن القدم لا يعني الأولية، ومحل النزاع إنما هو حول الأولية.. والعقل نظر فوجد أن وجود العالم لا يخرج عن أحد ثلاثة احتمالات بقسمة حاصرة:

فإما أن يكون العالم أوَّلَ لا شيء قبله.. وهذا أمر يحيله العقل؛ لأنه

رأى العالم أجزاء كونية غير قائمة بنفسها، بل تسيِّرها قدرة واحدة قاهرة، وإرادة واحدة.. وكان ما فيه من عظمة ونظام وحكمة.. إلخ: دليل على أنه في كنف مدبر أعظم وأحكم.. وما دام العالم غير مستقل بنفسه في مسار وجوده: فكيف يكون مستقلاً بنفسه بأولية لم يسبقها قدرة وعظمة وحكمة من لا يقوم بغيره الآن.

وإما أن يكون وجد بذاته ابتداء من غير موجد. والعقل يحيل ذلك؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه؛ ولأنه مسيَّر بعظمة واحدة، وقدرة واحدة، وإرادة واحدة؛ فكيف يكون مستقلاً في ابتدائه غير مستقل في استمراره.

وإما أن يكون مبتدئًا بخالق واحد، قادر واحد، عظيم واحد.. إلخ.. خَلق ولم يُخلق، وكل عظيم فالخالق أعظم منه، وكل قادر فمبتدئه الخالق أقدر منه.. إلخ.. وهذا ما لا يتصور العقل غيره.. ولو تصور خالقًا مخلوقًا لاستمر يسأل عن خالق خلقه وهو أعظم منه.. وهكذا يستمر إلحاحه فلا يستقر إلا بخالق غير مخلوق لا شيء قبله ولا معه.. ولو كان معه أو قبله من يساويه أو يفوقه في القدرة والعظمة والعلم لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض.. وكل شواهد الحس والعقل تدل على الوحدانية.

ويبقى علم العقل بعد ذلك قاصرًا عن وجود معبوده الخالق سبحانه بمقولة: متى، وكيف؟!.. وقصور العلم غير إحالته.

إذن ليس تصور العالم غير المستقل بنفسه أول لا شيء قبله بأسهل على العقل من إيمانه بخالق أول مستقل بنفسه، قائم بذاته، قائم به غيره.. وإنما رجّح الإيمان بأولية الخالق شهادة العقل بمعارفه الفطرية والاكتسابية أن العالم غير مستقل بنفسه، وأن مظاهر عظمته وحكمته شاهدة بخالق أعظم وأحكم، وأن أدلة الوحدانية شاهدة بأن انتظام الكون لا يحصل بإرادات متضاربة، وأن البديل من الإيمان بخالق واحد إليه المنتهى لابد أن يكون محالاً؛ ولهذا قيل: في الإيمان محارات عقول؛ لقصور علم المخلوق بخالقه.. وفي الكفر محالات عقول؛ لأن تساؤل العقل لا ينقطع بغير الإيمان بأولية الخالق ووحدانيته وغناه عما سواه.

والدكتورة زينب مسلمة باتفاق ابن رشد وألبرت الكبير في الفصل بين الدين والفلسفة؛ ولهذا اكتفت بالبحث عن أسباب الخلاف بينهما.. قالت: «الخلاف بين الفيلسوف المسلم والفيلسوف المسيحي قائم على أن ابن رشد كان يقول بالتأويل.. بمعنى أنه كان يؤمن بأن أي حقيقة فلسفية موجودة(٣) في النصوص الدينية.. وحتى(٤) لو بدا هناك تعارض بين الحقيقة الفلسفية وما جاء في نص ديني فهو بالقطع تعارض ظاهري والتأويل كفيل بالقضاء عليه.. أي إن ابن رشد كان يؤكد دائمًا إيمانه بما جاء في شروحه الأرسطية، ومسؤوليته عن كل ما كتبه فيها؛ فهي تعبر عن فكره، وهذا لا يتعارض مع إيمانه كمسلم(٥).. أما ألبرت الكبير فكانت تنقصه هذه الجرأة في رأينا؛ لأنه على ما يبدو كان مقتنعًا بفكر أرسطو الفلسفي؛ ولكنه كان يعلن دائمًا أن ما جاء في كتبه الفلسفية لا يعبر في كل الأحيان عن آرائه الشخصية.. إنما هو يعبر عن آراء الفلاسفة، بل كان يذهب أحيانًا إلى حد إنكار ما جاء في شروحه الأرسطية، وكان موقف ألبرت الحذر هذا سببًا في التناقض الملحوظ بين مؤلفاته اللاهوتية المعبرة عن آرائه كما يقول، وشروحه الأرسطية.. ولم يكن ألبرت يستطيع استخدام التأويل المجازي، فهو مما لا تسمح به العقيدة المسيحية التي تكتفي بالتفسير اللفظي؛ ولذا لم يحظ بتلك الحرية الفكرية الرائعة التي حظي بها ابن رشد، والتي يسمح بها الدين الإسلامي»(٦).

قال أبو عبدالرحمن: إنما أثبتت الدكتورة أوجه الاختلاف بين ابن رشد وألبرت، ولم تذكر وجه اللقاء إلا ما روته كثيرًا في عدة مواضع من كتابها من أن ابن رشد فصل بين الدين والفلسفة.. ومادام ألبرت فصل بينهما فهو مثل ابن رشد في ذلك!!

وهذا غير صحيح؛ لأن كتب ابن رشد في مسألة التوفيق تأصيلاً وتطبيقًا تنطق بالاتفاق والاتصال.. تفصل بينهما في بعض الوقائع، وتجمع بينهما في الحكم.

وكون ابن رشد ذكر نصوصًا لا تقبل التأويل: لا يعني أنها منفصلة عن البرهان العقلي، وأن مصدرها الوحي والإلهام، ولا مدخل للعقل في تصديقها أو تكذيبها.. وإنما معنى الانفصال عنده أنها في سياق غير موافق للفلسفة ولا مخالف؛ لأنه ليس في البراهين الفلسفية ما ينفيها، وليس فيها ما يوصل إليها استقلالاً.. والشرع والبرهان الفلسفي عنده مُطاعان؛ لأن كل واحد منهما حق، فالحق في الشرع ها هنا - أي من دلالة تلك النصوص غير القابلة للتأويل - لا ينافي حقائق الفلسفة؛ فالجمع بين الإيمان بالفلسفة والدين في هذه المواضع ممكن؛ لأنهما حقان غير متعارضين.

إن الانفصال ها هنا ليس انفصال حكمين سببه تناقض يقتضي الإيمان بأحدهما بإسقاط الإيمان بالآخر، وإنما هو انفصال واقعين عن التناقض يقتضي حكمًا واحدًا هو الإيمان بهما معًا، والجمع بينهما في هذا الحكم.

أما تحقيق مذهب ألبرت: هل كان يقدم الدين، أو يقدم العقل، أو يجمع بين النقيضين؟: فقد ساقت الدكتورة زينب الخلاف في ذلك، فقالت: «كان ألبرت الكبير يلتزم بالصمت إذا ما طرح عليه تلاميذه في كلية اللاهوت هذا السؤال الذي يلخص كل الأسئلة التي طرحناها، ونعني به: حقيقة واحدة أم حقيقتان؟.. ولكن المرجح لدى الباحثين (المتمسكين بشجاعة بالموضوعية العلمية) أن ألبرت كان يظن في حقيقة الأمر أنه كلما تعارضت الحقيقة الفلسفية مع اللاهوت (الطبيعي بالطبع؛ فاللاهوت المقدس لا يمس)(٧): فلابد أن اللاهوت هو الذي ضل الطريق، وبالتالي فهو الذي عليه طواعية أن يتراجع، وأن يبحث عن طريق جديد يؤدي به إلى الاتفاق مع الفلسفة الأرسطية.

وهذه الإجابة جريئة للغاية.. ولو كان ألبرت نفسه رغم مكانته العظيمة قد نطق بها لسحقه علماء اللاهوت سحقًا»(٨)

وقالت: «انقسم المؤرخون بالنسبة إلى موقف ألبرت من علاقة الفلسفة بالدين إلى قسمين:

أما القسم الأول فيكاد لا يضم إلا مؤرخ الفلسفة الإيطالي الشهير ناردي، ويعتقد هذا المؤرخ أن ألبرت كان في شروحه الأرسطية مجرد

لا تشابه بين ابن رشد وألبرت، فابن رشد لم يفصل بين الدين والفلسفة لفحص أمور تفوض إلى الدين ولا يعرفها العقل، بل معرفة العقل معرفة تصديق للشرع في الأمور الغيبية

شارح أمين لا يعلن أبدًا عن آرائه الخاصة التي يدخرها لأعماله اللاهوتية.. وبناء على هذه الفكرة ذهب ناردي إلى أن ألبرت لم يحاول التوفيق بين الأرسطية والعقيدة المسيحية..

والدليل على ذلك أنه كان يكشف التناقضات الواضحة بين المذهبين.. ولقد سبق لنا أن بينا أنه على الرغم من إعلان ألبرت دائمًا أنه لا يعرض إلا فلسفة المشائين في شروحه، وأن فلسفته هو موجودة في كتبه اللاهوتية: إلا أنه في الحقيقة كان يتخذ مواقف فلسفية مما يشرح.. أي إن شروحه يمكن أن تعد ضمن فلسفته الخاصة.

أما الفريق المعارض فهو يضم كبار مؤرخي فلسفة العصور الوسطى مثل ماندونيه، وجيير (وهو رئيس اللجنة المكلفة بإصدار طبعة محققة لكل أعمال ألبرت)، وفان ستينبرجن.. ويذهب هذا الفريق إلى أن ألبرت كان يقدم في شروحه ما يؤمن به إلى جانب تقديمه لنص أرسطو مفسرًا، ففي التحليلات الثانية مثلاً يقول: إنه يريد تقديم ـ إلى جانب نص أرسطو نفسه ـ العلم السليم.. وفي «الكون» يقول: إنه سيضيف إلى نص أرسطو ما استطاع التوصل إليه من آراء الفلاسفة الآخرين، كما سيضيف إليه ثمرة تأملاته الشخصية.. وعلاوة على ذلك فإن نمط الشرح الذي اختاره ـ وهو الشرح المتوسط ـ قد منحه حرية أكبر من تلك التي يمنحها نمط الشرح أو التفسير الكبير.. ويؤيد هذا الرأي معاصرو ألبرت أنفسهم.. وعلى رأسهم خصمه اللدود روجر بيكون الذي يعترف بأن معظم الناس يرون فيه منشئ الفلسفة في العالم اللاتيني، وهو يذكره كمؤلف.. أي كمفكر مستقل يعبر عن آرائه الخاصة.. أما أذكى ما يؤيد به فان ستينبرجن رأيه فهو في حالة إنكار ألبرت لقيمة الفلسفة الوثنية وفائدتها للمفكرين المسيحيين: فإن كل شروحه الأرسطية تبدو عبثًا لا معنى له، بل تبدو لغزًا.

ولنا أن نسأل حينئذ: لماذا أمضى إذن عالمُ لاهوت له مكانة القديس ألبرت جزءًا كبيرًا من حياته في تأليف هذه الموسوعة الضخمة(إذا كان لا يعتقد أن ما قدمه الفلاسفة اليونان والعرب يمثل رصيدًا ثمينًا من الحقائق.. حتى بالنسبة إلى علماء اللاهوت)؟.. وتقدير ألبرت لأرسطو واضح في كل أعماله، فهو يذكره مئات المرات منذ أن بدأ في التأليف.. أي منذ أن بدأ في وضع كتبه اللاهوتية الأولى، بل إنه قد تمثل الكثير من نظريات الفيلسوف في بنائه اللاهوتي.

ومما لاشك فيه لكلا الموقفين من هذه القضية التي نحن بصددها بعض الحق (وإن كانت لكليهما آراء تبدو لنا غير منطقية)؟.. ونعتقد أن ما يفصل بالرأي في هذا الموضوع هو قول ألبرت بالفصل بين الفلسفة واللاهوت، وهو في هذا يشبه ابن رشد.. ومعنى هذا أنه كان يعتقد أن الحق هو ما يجيء في اللاهوت وأن للفلسفة مجالها الخاص.. وإن كان لعالم اللاهوت أن يستعين بمناهجها وبحقائقها الجزئية في البرهنة العقلية على الحقائق اللاهوتية: فالحقيقة واحدة، وهي حقيقة اللاهوت، فإن اتفقت معها حقيقة الفلسفة فهذا خير.. أما إذا اختلف معها فعذرها أن وسائلها إنسانية محدودة بينما مصدر الحق في اللاهوت هو الوحي الذي لا يناقش»(٩).

وقالت: «وفي استطاعتنا القول بعد هذا العرض: أن ألبرت بفصله بين اللاهوت والفلسفة سار على نهج ابن رشد نفسه؛ ولذا قدم مثله الموسوعة الأرسطية من دون تأويل.. وإن تميز من فيلسوفنا العربي الإسلامي باحتفاظه بحرية نقد أرسطو»(١٠)

قال أبو عبدالرحمن: في دين ألبرت شيء اسمه الأمانة لا يحث كما مر بيانه؛ لأنه حق لا يعرف وجهه إلا الله، فهم يفوضون إلى الله.. فإذا تناولوا في أمورهم الدنيوية، ومباحثهم الفكرية مسألة التناقض: رفضوا الإيمان بالمتناقضات.. ومعنى ذلك أن مذهبهم مذاهب العقلاء حتى تأتيهم مسألة الأقانيم فيفوضونها إلى الله بأصل الأمانة، ويعلمون أنها حق لم يعلموا له وجهًا.. وهذا الأليق بمذهب ألبرت، فيكون من أهل الحقيقتين المزدوجتين.. حقيقة مشتركة بين البشر، وحقيقة لا يعلم وجهها إلا الله.

ولا تشابه بين ابن رشد وألبرت ألبتة، وقد أسلفت أن ابن رشد لم يفصل بين الدين والفلسفة بفحص أمور تفوض إلى الدين ولا يعرفها العقل.. بل معرفة العقل معرفة تصديق للشرع في الأمور الغيبية.. والأمور الغيبية التي لا يُعرف وصفها إلا من الشرع، ولا يَعرف كيفيتها وكميتها إلا الله: لم تنفصل بالبرهان الفلسفي؛ لكونه يعارضها، بل انفصلت واقعا بكون معرفة العقل تصديقية، وكون معرفة الشرع وصفية.. واتصلت حكمًا بكون العقل لا يعارضها، بل يصدقها بلازم معرفة العقل بصدق الإيمان بالشرع وصحته.

وفصل ألبرت بين الفلسفة والشرع مما لم يتلق فيه ألبرت حرفًا واحدًا من ابن رشد، ولم يشاركه فيه منهجًا.. أما المنهج فألبرت لم يُجر بين الشرع والفلسفة توفيقًا كما فعل ابن رشد، ولم يجر بينهما تعارضًا يجعله يأخذ بأحدهما، بل المعارض الشرعي مفوض.. وذلك خلاف ابن رشد الذي أزال التعارض بالتأويل، وبنى على مسلمة أن ما لا يقبل التأويل لا ترد فيه المعارضة.

وأما عدم الأخذ؛ فلأن الدكتورة زينب لم تذكر حرفًا واحدًا من ابن رشد أفاد ألبرت في فصله بين الدين والفلسفة.. بل طبيعة دين ألبرت، وأصول اجتهاده واجتهاد علمائه: تقتضي الفصل والتفويض، إلا ما كان من اجتهاد العلماء فهو محل البحث.

الهوامش

١ـ أثر ابن رشد ص١٤٣ ـ ١٤٤.

٢ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢٢٨/٣.. وقال محققاه ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩: «هذا النص موجود في رواية الأرثوذكس بما نصه: نؤمن بإله واحد الأب ضابط الكل.. انظر النص بطوله في خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص٩٩ـ ١٠١.. وفي مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ زيد على النص عند الكاثوليك: وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب الذي هو مع الأب والابن مسجود له.

= وأمانص الأرثوذكس فقالوا: ونؤمن بالروح القدس المحيي المنبثق من الأب المسجود له مع الأب والابن الناطق في الأنبياء، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، ونترجى قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي آمين.. انظر ص٦٦ إيماني، تأليف القس إلياس مقار، ط/دار الثقافة بالقاهرة.

وعلى ذلك نجد مجمع خليقدونية سنة ٤٥١م قرر فيه الكاثوليك أن: المسيح ذو طبيعتين ومشيئتين.. أما الأرثوذكس فقد رفضوا واعتبروا الله هو المسيح، والمسيح نفسه هو الله؛ فقالوا: إن المسيح له طبيعة واحدة ومشيئة واحدة.

٣ـ قال أبو عبدالرحمن: وليست وصفًا لفلسفية.

٤ـ الواو قبل «حتى» ها هنا لكتة.

٥ ـ كاف التشبيه قبل «مسلم» مخلة؛ لأن الغرض حقيقة الوصف لا مقاربته بالشبه.

٦ـ أثر ابن رشد ص ١٤٤ـ١٤٥.

٧ـ اللاهوت الطبيعي هو اجتهاد علماء اللاهوت في فهم النص وتفسيره، واللاهوت المقدس نص الكتاب السماوي.

٨ـ أثر ابن رشد ص١٤٥ ـ ١٤٦.

٩ـ أثر ابن رشد ص ١٤٧ـ ١٤٩.

١٠ـ أثر ابن رشد ص١٤٩.



د. جعفر شيخ إدريس

انهيار الحضارة الغربية ليس في صالح الإنسانية

أجراه من قسم التحرير: **حسين حسن حسين**

لم يعد في مستطاع الإنسان أن يعيش بمعزل عما يجري في هذا العالم، وأصبح حوار الحضارات مطلبًا ينادي به كثير من المفكرين، بينما يرى بعضهم أن الحضارات في اتجاه حتمي نحو التصادم.

وقد شغلت إشكالية العلاقة بين الإسلام والغرب المفكرين من المسلمين والغربيين، وأصبحت مجالاً خصبًا للدراسات المتعمقة والمقالات والتحليلات، في هذا الحوار يفصح د. جعفر شيخ إدريس عن بعض آرائه حول هذه الإشكالية من واقع انتمائه إلى العالم العربي الإسلامي، ومعرفته بمجتمع الغرب، وما يعج به من آراء وأفكار.

ـ من يقرأ بعض مقالاتك يظن أنكم تحمّلون الغرب تَبِعة سوء التفاهم مع الإسلام، إلى أي مدى يصدق هذا الظن؟

* أعتقد أن هذا استنتاج من المحاضرة التي ألقيتها في الجنادرية في العام ١٤١٦هـ، بعنوان «موقف الإسلام من الأديان والحضارات الأخرى»، وقد نشرتها بعض الصحف، وكان في ذهني وأنا أعد هذه المحاضرة الرد على مقالة كاتب أمريكي مشهور، هو صموئيل هنتيجتون، وعنوانها «صدام الحضارات»، وقد لاقت شهرة واسعة، وترجمت إلى كثير من اللغات، وهذه المقالة عندما قرأتها وتأملتها وجدت أن الأمثلة التي أتى بها الكاتب هي أمثلة لهجوم الغرب على الحضارات الأخرى، والصدام في ظني ـ كمثل صدام السيارات ـ، لا يعني أن يحدث بين سيارتين تسير كل واحدة منهما في الاتجاه المعاكس للأخرى، وإنما من الممكن أن تأتي سيارة مسرعة لتصدم أخرى واقفة، وهذا ما عناه الكاتب الأمريكي الذي كان صريحًا حين أوضح استغلال الغرب للمؤسسات العالمية لتحقيق مآربه، فهو يقول: «إن القرارات التي تتخذها الأمم المتحدة، ومجلس الأمن أو صندوق النقد الدولي والتي تعبر عن مصالح الغرب تبرز للعالم على أنها المعبرة عن مصالح المجتمع الدولي، بل إن عبارة «المجتمع الدولي» التي حلت محل عبارة العالم الحر، صارت هي نفسها الاسم الملطف الذي يمنح الشرعية لكل الأعمال المعبرة عن مصالح الولايات المتحدة الأمريكية وسائرالقوى الغربية».

فالغرب لا يخفى أنه مسيطر، وأنه يريد استمرار هذه السيطرة، وهو لا يريد للدول الأخرى أن تتقدم، لأنه يرى في تقدمها خطرًا عليه، وهذا ما يتضح في التعامل الحذر مع أي دولة إسلامية تسعى لامتلاك الأسلحة النووية، في حين أن دول الغرب، بالإضافة إلى إسرائيل، تمتلك ترسانة ضخمة من هذه الأسلحة، فالغرب لا يريد للدول الإسلامية أو غيرها من دول العالم كاليابان والصين وروسيا أن تتطور، وتكون في موقف يهدد مصالحه.

ـ ما رأيك فيمن يقول: إن تحكّم «نظرية المؤامرة» في تفكير المسلمين من أسباب نشوء سوء التفاهم؟

* هناك جماعة من المسلمين تقول بهذه النظرية. ولكن ليس في يد هؤلاء أي سلطة تتيح لهم الحركة في اتجاه مواجهة الغرب، أما الغرب فهو الذي له القدرة على تنفيذ مايراه من سياسات ومخططات، بما يمتلك من آليات التنفيذ. وهذا المفهوم، سبق لي أن كتبت عنه، وفيه كثير من الوهم، إذ لا يمكن أن تتخيل أن الغربيين يحركون الأشياء والأشخاص كقطع الشطرنج، وأنهم يعرفون كل كبيرة وصغيرة

في هذا العالم، وأن كل شيء يستطيعون تسييره بأمرهم، وأن تخطيطهم يتحقق وفق ما يريدون، فهذه أمور تدخل في علم الله، لأنه ليس لأي إنسان مهما كانت قدراته أن يكون له علم كاف ، يضمن له نجاح كل مخططاته وسياساته. فنحن نعيش في الغرب، ونعرف أنهم، كغيرهم من الناس في أي مكان من العالم، يختلفون وتتضارب آراؤهم، وتخيب توقعاتهم، وتتغير سياساتهم حسب تقديراتهم للمواقف المختلفة، وهي تقديرات قد تكون صائبة، ويمكن أن تكون خاطئة.


الزميل حسين حسن حسين يحاور د. جعفر شيخ إدريس

ـ من واقع استقرائك لمجريات الأحداث.. كيف ستكون طبيعة العلاقة المستقبلية بين الإسلام والغرب، هل هي علاقة صدام أم حوار؟

* شكل هذه العلاقة يحدده الناس، ونظرتهم إلى مصالحهم، والوسائل التي تتحقق بها هذه المصالح. فالكاتب الأمريكي هنتيجتون في تحليله ينطلق من كونه عالم اجتماع يرصد الواقع، ويفسره، فانتهى من تحليله إلى أن الصدام القادم سيكون بين الحضارة الغربية من جهة والحضارتين الإسلامية والكنفوشيوسية من جهة أخرى، ويعتمد في تحليله على أن الدول الإسلامية بدأت تتعاون مع الصين واليابان، وأنهما ستمدان هذه الدول بالأسلحة.

وإذا افترضنا صحة هذا التحليل، فإن السبب في ذلك يكون الغرب، لأنه لا يريد للدول الإسلامية أن تتطور أو أن تمتلك ما تدافع به عن نفسها.

وإذا كان هنتيجتون يرى الدين مكونًا من أهم مكونات الحضارة، فإن ذلك يعني أن المسافة أقرب بين الغرب والإسلام، من تلك المسافة التي بين الإسلام والكنفوشيوسية، لأن النصارى واليهود نسميهم نحن المسلمين: أهل الكتاب، ولهم منزلة خاصة في الدين الإسلامي.

وإذن، فإن السبب الحقيقي للتعاون القائم بين المسلمين وأصحاب الحضارة الكنفوشيوسية ليس نابعًا من طبيعة الحضارتين، بل من معاملة الحضارة الغربية لهما.

وأنا أستبعد الصدام، وبخاصة الصدام المسلح، لأن من المعروف أن الأسلحة التي تمتلكها الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، تكفي لتدمير العالم كله عدة مرات، فكيف إذا أضيف إليها ما لدى الدول الغربية الأخرى، والصين وروسيا، وغيرها، فليس هناك من أحد سيستفيد في حالة حدوث صدام شامل، وأعتقد أن الغربيين حريصون كغيرهم على الحياة، ولن يكون أي صدام في صالحهم، ولكن هذا لا ينفي أنه سيكون هناك صدامات وحروب محلية، كما هو الحال اليوم.

ـ ألا ترى أن اهتمامنا يتزايد بالغرب، في حين لا نهتم بأصحاب الحضارات الأخرى؟

* بل أرى أن الغرب مهتم بنا أكثر مما نحن مهتمون به. وهناك ظاهرة عجيبة في الغرب، فما إن تقرأ ما يكتبه مفكروه الكبار، إلا وتظن أن الغرب في خطر داهم وقريب، ولذلك فهم يتكلمون كثيرًا عن العالم الإسلامي، ويعرفونه معرفة جيدة أكثر من معرفتنا نحن بالغرب، بل أحسن مما يعرف كثير منا مجتمعنا. أما اهتمامنا بالغرب فأمر طبيعي، لأن حضارته هي المسيطرة عسكريًا وإعلاميًا وماديًا، ومصالح كل هذا العالم مرتبطة به، حتى أصحاب الحضارات الأخرى الذين نَعنيهم يهتمون بالغرب أكثر من اهتمامهم بنا.

ومع ذلك، فإن للعالم الإسلامي علاقات واسعة مع الصين واليابان والهند، ولا توجد مشكلة بيننا وبينهم، أما الغرب، فينبغي أن نتعرف حضارته، لأنها هي التي تسيطر على هذا العالم كله.

اضطراب منظومة القيم في العالم الإسلامي، ليس في حدة التدهور الأخلاقي في الغرب

ـ انهيار الحضارة الغربية محل مراهنة من بعض المسلمين، فمن المستفيد إذا حدث ذلك؟

* انهيار الحضارة الغربية إذا حدث سيكون بسبب الانحلال الأخلاقي؛ فانهيار الاتحاد السوفييتي السابق، ربما يقال إنه لعامل اقتصادي، أما انهيار الغرب ـ إذا حدث ـ فسيكون لأسباب خلقية. فأنا أرى أن قضية المخدرات من أخطر القضايا التي تهدد الغرب، وأذكر أن واحدًا ممن هداهم الله إلى الإسلام قال لي: إنه عندما تخرج قبل ثلاث سنوات أو أربع، كانت نسبة الذين يتعاطون المخدرات بصفة دائمة تصل إلى ٤٠٪ ، إضافة إلى أن جميع الطلاب يمكن أن يكونوا قد تعاطوها مرة واحدة على الأقل، أما الآن، فإن الذين لا يتعاطون المخدرات أصبحوا يمثلون الأقلية. وهناك مشكلةالتفكك الأسري أيضًا من مهددات الحضارة الغربية، فإذا فسد الفرد بالمخدرات وانحلت الأسرة، ماذا بقى من المجتمع؟

ولكن لماذا تقول انهيار: ولا تقول: إن الله يمكن أن يهديهم إن شاء الله إلى الإسلام، أو على الأقل أن يتأثروا بالقيم الإسلامية التي بدؤوا يعرفونها، وعلينا أن نرجو لهم الهداية، لأنهم إذا اهتدوا حافظوا على كل هذه الإنجازات المادية التي حققها الإنسان في هذا العصر.

ومن الخطأ الظن أن انهيار الحضارة الغربية يعني آليًا سيطرة المسلمين، لأن من الممكن أن تؤول السيطرة إلى حضارة أخرى مثل الحضارة اليابانية أو الصينية، وقد تكون الحضارة البديلة أسوأ من الحضارة الغربية، إذ ليس من الإنصاف أن ننكر أن هناك قيمًا إنسانية تلتزمها الحضارة الغربية على الرغم من كل علاتها، وسواء بقيت الحضارة الغربية أو انهارت، فإن مشكلاتنا ستظل قائمة، لأنها نابعة من داخلنا، وليس الغربيون هم الذين يمنعوننا من أن نجعل أمتنا أمة شامخة، فالمسلمون منقسمون بين من يريدون بناء الحياة على أساس الإسلام ومن يريدون تبني العلمانية الغربية، وأحمّل أصحاب الفكر العلماني مسؤولية ما نحن عليه من ضعف لما أحدثوه من انشقاق في داخل العالم الإسلامي.

ـ في مقابل تناولكم لبعض الأخلاقيات المهددة للحضارة الغربية، هناك من يرى أن العالم الإسلامي ليس بمنأى عن بعض الاضطراب في الجانب القيمي؟

* نعم يوجد اضطراب في منظومة القيم في العالم الإسلامي، ولكنه ليس في حدة التدهور الأخلاقي في الغرب. فهناك حوادث في الغرب

ليس في صالح الإنسانية انهيار الحضارة الغربية

الضيف في سطور:

- من مواليد بورتسودان، السودان ١٩٣١م.
- حاصل على الدكتوراه في فلسفة العلوم، جامعة لندن.
- عمل بالتدريس في جامعات الخرطوم، والملك سعود، والإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- شارك في عدد كبير من المؤتمرات العلمية، وله مجموعة من المؤلفات العلمية والفكرية، وعدد من المقالات منشورة في الصحافة المحلية والعربية.
- مستشار في مركز البحوث، معهد العلوم الإسلامية والعربية في واشنطن.

تقشعر لها الأبدان، كالاعتداءات الجنسية على المحارم والأطفال، وجرائم القتل التي أصبحت وجبة يومية، ولم يعد مستغرباً أن يُقتل الإنسان من غير جناية ارتكبها إلا أن هناك إنساناً مخدراً يحمل معه سلاحاً يريد استخدامه، أما في عالمنا الإسلامي فلا تزال الأسرة على تكاتفها وتماسكها، مهما بدا لنا أن الأمور ليست على ما يرام.

- يكثر تناول الجوانب السلبية في الحضارة الغربية، ماذا عن إيجابيات هذه الحضارة؟

* إن هذه الحضارة، كما سبق لي أن ذكرت، تنطوي على كثير من الإيجابيات. ولو أن بداية الحضارة الغربية كانت بالمخدرات والتفكك الأسري ما كانت لتتطور أبداً، فهذا التطور المادي يحتاج إلى شيء من الخلق. فلا ننكر ما للنظام الديمقراطي من مزايا، على الرغم مما فيه من عيوب بسبب ارتباطه بالعلمانية، ولكن أن يحتكم الناس إلى القانون من دون أي فوارق، فهذا يمثل جانباً إيجابياً مهماً، كما أن حرية التعبير ليست مسألة سياسية فحسب، وإنما لها اثارها التربوية، فالطفل في ظل الكبت ينشأ على الخوف، والخوف يدفعه إلى الكذب، ومحاولة تسويغ الأخطاء، وقد لاحظت أن الشباب الأمريكي الذي يهديه الله إلى الإسلام يبدو أكثر جرأة في التعبير عن آرائه، ولا يعتريه الخوف، مهما كان عدد الذين يتحدث إليهم، ولا يعرف أغلبهم الكذب، ومثل هذه الفضائل كانت موجودة في المجتمع العربي الجاهلي قبل الإسلام، وقد رسّخها الإسلام، ولذا لا يمكن أن ننزع عن الحضارة الغربية ما تتمتع به من قيم إيجابية كثرت أم قلت.

- ما دمنا قد عرجنا على التربية، ألا ترى أن المناهج التربوية لدينا ترسخ بعض القيم السلبية في شخصية الطفل المسلم؟

* أنا لست متخصصاً في التربية، وإن كنت قد درّست في الجامعة من قبل، ولكن أستطيع أن أقول: إن طريقتنا في التربية كثيراً ما تكون مبنية على أسس غير دينية، كما أنها لا تعتمد تجارب علمية. فمثلاً، القسوة الشديدة مع الطفل يولّد في نفسه الخوف وعدم القدرة على الاستيعاب. ويحضرني مثال حي، هو أن أحد الإخوان ذكر لي أنه كان يحفظ القرآن الكريم كاملاً قبل أن ينتهي من المرحلة الابتدائية، ولكن بمجرد أن أنهى دراسته نسى ما حفظه، لأن الحفظ ارتبط في ذهنه بالضرب والقسوة.

ولا أدري من أين أتينا بهذه الأساليب في التربية، فهي ليست من ديننا ولا من تاريخنا، فالنبي صلى الله عليه وسلم من أخلاقه أنه لم يضرب بيديه الكريمتين طفلاً ولا خادماً ولا امرأة، إلا أن يجاهد في سبيل الله تعالى، فيروى عن خادمه أنس أنه صلى الله عليه وسلم لم يسأله أبداً عن شيء فعله لماذا فعله، ولا عن شيء تركه لماذا تركه.

فالأطفال ينبغي أن نغرس في نفوسهم عدم الخوف، ولا ندفعهم بقهرنا لهم إلى الإصابة بما يعرف بالخجل المرضي، فالقسوة تولد التردد، وعدم الثقة بالنفس، وتدفع إلى الكذب.

- عودة إلى موضوع العلاقة بين الإسلام والغرب، ألا ترى أن افتقاد عالمنا الإسلامي إلى أدبيات الخلاف، لا تؤهله لإقامة حوار حضاري مع الآخرين؟.

* هذا صحيح، وقد عانيت شخصياً منه، فما إن تنتقد إنساناً، وتبدي له وجهة نظر مخالفة لما يراه، حتى يضعك في خانة الأعداء.

وقد تدربت في المدارس الثانوية وفي جامعة الخرطوم على أيدي أساتذة غربيين أن أقول الصدق. ولكن حين مارست هذا الصدق في بعض المواقف وجدت أن مردوده سلبي جداً! فقد كتبت مرة عن رجل أحبه كثيراً، هو الأستاذ سيد قطب الذي له فضل كبير عليّ، وانتقدت بعض آرائه وفق ما يقتضيه المقام من أدب واحترام، إلا أنني فوجئت بأن هناك من كتب عني، كما لو كنت مارقاً من الإسلام أو عدواً للأستاذ سيد قطب.

ولو أن الأطفال مارسوا النقد الموضوعي في المراحل الدراسية المختلفة، واعتادوا احترام الرأي الآخر، فإن هذا سيكون له أثر الإيجابي في تطور الفكر، لأنه لا تطور للفكر الإنساني من دون نقد بناء. إذ كيف يتاح للناس أن يكتشفوا الخطأ ويعرفوا الصواب، ما لم يعبروا عن آرائهم بكل صدق، فلولا اختلاف الآراء والحوار من أجل اكتشاف الأصلح منها، ما تقدم الاقتصاد أو السياسة، أو عرف الناس الصواب في أمور دينهم، أو تطورت العلوم الطبيعية. وهذه العلوم الطبيعية هل كان لها أن تتطور إذا اعتقد كل من جاء بنظرية من النظريات أنها صحيحة مئة في المئة، وأبى أي تعديل عليها، ظاناً أنه أتى بما لم يأت به الأوائل، ولكن ما جعل العلوم تتطور، هو وجود النقاش والجدل وتبادل الآراء، وتقبل العلماء لذلك كله بروح طيبة، وهذا ما ينبغي أن يكون في كل ناحية من نواحي الحياة.

- في زمن التطور الهائل لتقنيات الاتصال في العالم، وانتشار المحطات الفضائية، ألا ترون أن السبل قد أتيحت لإيجاد حوار داخلي بين المسلمين أنفسهم، ثم بين الإسلام والغرب؟

* الوسائل تعكس ما لدى مستخدميها من رسائل، فإذا لم تتغير أنماط التفكير، فإن مشكلة الانقسام في العالم الإسلامي ستظل قائمة، إذ إن بعض المسلمين - للأسف - ليسوا إلا ببغاوات للغرب، وهذا الغرب المشوه الذي يسكن مجتمعنا، لا يمكن أن نتفاهم معه، بينما يمكن أن نتفاهم مع الغرب الأصيل، وفي حالة استمرار حالة عدم التفاهم، فإن هذه الوسائل ستكون عاملاً مساعداً في تعميق المشكلة، بينما إذا حسنت النوايا فإنّ هذه الوسائل ستكون من العوامل المساعدة على التفاهم والحوار.

- ماذا عن دور المسلمين الذين يعيشون في بلاد الغرب؟

* هناك مهمتان رئيستان لهؤلاء المسلمين، وهم كثر، الأولى: أن يعطوا صورة حسنة عن الإسلام بسلوكهم وبأساليبهم الحضارية في الحوار مع الغربيين، والاتصال بهم من خلال الوسائل المختلفة، وإبراز القيم الإسلامية الأصيلة قولاً وفعلاً، والثانية: عليهم أن ينقلوا إلى مجتمعاتهم الإسلامية صورة حقيقية عن الغرب، حتى لا يتركوا الناس يعيشون في أوهام، كما لو كان هذا الغرب هو «الواق الواق».

الشِّعرُ العربيُّ قضاياهُ وهمومهُ المعاصرة ١

محمود حامد

مامن أمة عَبْرَ التاريخ قاسَمَها الشعرُ همومَها وقضاياها، وشاركها مصيرها، ولازمها حياتها بأشكالها كافة، وعايشها مناخات مابها، وماحولها، وواكب مسيرتها عبر الزمن، وكان ترجمان سيرتها، ونبض وجدانها، وحركة تاريخها بُعداً في الذاكرة، وعمقا في الدهر، وامتدادا في الزمان.. ابتداءً من شهقة أول جذع نخل انبجست من ضفة صحراء العرب لتكون القبس الوهاج على امتداد مساحة الكون الواسعة، وانتهاءً برفيف راية زرعها كف العلم المعاصر على جبهة نجم في أقاصي الغيب البعيدة، كما هو الحال الذي قام منذ فجر الدهر، وقائم إلى الأزل بين أمة عريقة هي أمة العرب، وشعر عظيم هو شعر هذه الأمة الأصيل.

إن تشابك جذور هذه الأمة بجذور القصيدة الشعرية منذ بداية التكوين الحضاري لها يوحي إلى دارسِ تاريخ الشعر العربي بأنه هو تاريخ أمة العرب، وراوي سيرتها عبرالعصور، ووجدانها الحي، ونبضها الدافق بالحرارة والحياة كما جاء في مقدمة هذا البحث. من خلال لغة اختصها الله عز وجل بها لتكون لغة العرب، ولغة الشعر، ولغة قريش، بل لتكون لغة القرآن الكريم الأزلية على لسان سيد هذه الأمة صلى الله عليه وسلم لغة البيان، والإعجاز الخالد.. تلك اللغة التي استنطقها الدهر فقالت جملتها الخالدة: «وإن من البيان لسحرا».

إذا كان لابد لنا، لكي نتعرف أصول حركة الشعر العربي وخصائصه ومدلولاته، من أن نتعرف قبل ذلك اللغة التي انبثق منها، وكانت له السند الوفي في بنيانه العظيم، وبقائه المستمر... اللغة بما حوته من خصائص ومقومات ومفردات ذات همس موسيقي عذب وموجع في آن واحد حتى الصميم وحتى غاية مايتمناه الفكر، وكأنها، أي اللغة، هي الجسر الذي يصل بين الحياة والفكر والكلمة رمز الخلق والإيجاد.(١) في تلك اللغة.

فهي تنفرد بذاتها من بين لغات الأرض جميعها لتعطي هذا المخزون التراثي الثقافي والإبداعي للأجيال المتعاقبة من خلال الشعر الذي يمثل: وثيقة تاريخية كبرى لعهد رائع من عهود التاريخ في جزيرة العرب وحولها،(٢) إذاً فهي تشكل التاريخ بكل مدلولاته ورموزه، وأحداثه وأبعاده. التاريخ الذي لجأت إليه أستنطق صامته، وأطرق بابه، فوجدت تجاوباً عجيباً بين الشعر والتاريخ، وأخذت تلوح في ضوء الدراسة التاريخية المفهومات الصادقة لذلك الشعر، وتتضح الخصائص الفنية القديمة له(٣). من خلال المقدمة أو المدخل التي تشكل أساس هذه الدراسة لشعرنا العربي بهمومه وقضاياه المعاصرة وتوزعها بين شقي تشكيله الكلي: الأصالة والحداثة فإننا نرى الآتي:

لما كان الشعر العربي يشكل «وثيقة تاريخية كبرى» في بنيان التاريخ الكلي والجزئي لأمتنا (التاريخ الكلي: بحلقاته المترابطة المتصلة بعضها ببعض عبر الحقب كلها، وصولا إلى الزمن الراهن والتاريخ الجزئي: حقبة إثر حقبة) فما من قوة تأتي لاحقا يمكن لها أن تلغي الشعر/ التاريخ بجزئياته، أو كلياته... إنما تأتي لتتمم وتكمل وتضيف إليه حلقة جديدة (برؤيتها وصيغتها الفكرية) من مجموعة حلقات متناسقة متصلة إلى مالانهاية، لتشارك في إعادة تشكيل التاريخ بمفهومه العام من خلال منظورها المعاصر من سياق القضايا والأحداث المنبثق عنها ذاك التاريخ، هذا من ناحية، ومن ناحية

أخرى ربط التاريخ بحركة الشعر المتطورة تدرجًا وفق سياقها الزمني، وحركة تصاعدها الفكري وفق مفهوم التطور والارتقاء مما يجعلنا نقول: إن الشعر العربي بكينونته الواحدة منذ البداية، وإلى وقتنا الراهن وحتى مجيء المستقبل سيظل يمثل بجذوره وأصوله التاريخ الحي الناطق لهذه الأمة ـ متفردًا فيما يشكله من علاقة بينه وبين التاريخ، وبينه وبين هذه الأمة، وبينه وبين حركة التطور المرافقة له والملاصقة له تمام الالتصاق والتمازج مما يحدونا أن نقول: إن هذه الخصوصية لاتنطبق إلا على شعرنا العربي ولن تتكرر كظاهرة في أمة أخرى وشعر آخر أبدًا.

ـ إن تعدد المذاهب الشعرية ـ ولم أُسمها المدارس الشعرية، لأن المدرسة تشكل مدلولا أكاديميا بمفهوم المعاصرة، بينما المذهب كلمة مُنبثقة من واقع راهن استحدثت في جملة مااستحدث من مترادفات وصيغ وفق ماحصل من تماس بين ثقافتنا والثقافة الغربية ـ أقول: إن تعدد المدارس الشعرية (المذاهب المعاصرة) في واقعنا الثقافي إنما يمثل كما ورد في سياق الكلام حلقة من حلقات التطور في تاريخ الشعر، هذا ينطبق على واقعنا نحن ولاينطبق على الواقع الثقافي الغربي، يمثل الحركة الشعرية بشكل عام في إطار تسلسلها حتى الوقت الراهن ـ الذي يمثل الحاضر بإشكالياته ومعتقداته، وتقنياته الحديثة، ورؤياه المتقدمة في التركيب الإنساني، والزماني والمكاني، فشعرنا المعاصر إذًا هو امتداد لحركة التطور القائمة في بنيان الأمة ككل: الثقافي، والاجتماعي، والسياسي، ولا يمثل انفصالا عن هذا البنيان، أو انسلاخا عن الجذور والأصول.

ـ إن انتماء الفكر العربي المعاصر لفكر الأمة الأصيل هو انتماء قدري وحتمي، وهذا لا يمنع على الإطلاق أن تقضي حركة الحياة الطبيعية أن يكون هناك اطلاع على أفكار الأمم الأخرى، وتبادل المعلومات الثقافية، وإقامة علاقة متوازنة بين ما تتطلبه الأصالة، وماتفرضه المعاصرة حيث يريد فكرنا العربي المعاصر، وخصوصا الشعر فيه: أن يُقيم بناءه على دعامتين: ثقافة عربية أصيلة تُبتعث، وثقافة غربية حديثة تُستعار بحيث يتلاقى العنصران في وحدة واحدة(٤).

ـ إذا كان الشعر العربي القديم يمثل الصورة الصادقة والحية لحركة الحياة العربية آنذاك، ويصورها أصدق تصوير، وينقلها إلى الآخرين بواقعية وصدق، وأمانة تاريخية حقة ففي المقابل: يثور الشعر الحديث على ظواهر النفاق ليعرض كل مافي عصره من تناقضات، فهو في غموضه البديل الأوحد للصمت أو للكذب(٥).

إن حركة الحياة المعاصرة قد ابتعدت كل البعد عن الأخلاقيات والمثل التي كانت تؤطر حركة الفكر الإنساني، والفكر العربي خصوصا، وانحرفت إلى اتجاه معاكس ومُضاد؛ لأن تلك الأخلاقيات والمُثل غدت تمثل لدى التيار العبثي والتشكيكي الحالي رؤية جامدة مختلف تمامًا، ومُجاف للحقيقة ولايمتّ إليها بأية صلة.

ـ من هنا نقول: بما أن الشعر يمثل خصوصية الفكر العربي، وذروته العليا في اصطياد رؤى المستقبل، ورسم معالم حاضر وضّاء، وماض عريق فسيظل هو التاريخ، وهو الأصل، وهو الأساس في بناء الحركة الفكرية العربية كلها، وعلى امتداد العصور. إلى جانب الخصوصية الأهم والأعمق في الفكر العربي ألا وهي خصوصية القرآن الكريم، وقيمه العليا في تاريخ الفكر الإنساني كله، وحقبه جميعها، مما حدا بغالبية شعرنا أن يستقي مفرداته وبلاغته من آيات جعلت للشعر مكانة لا يرقى إليها ولا يبلغها شعر آخر.

الشعر يمثل خصوصية الفكر العربي وذروته العليا في اصطياد المستقبل ورسم معالم حاضر وضاء وماض عريق

وثابتة غير متطورة، بينما يُمثل ذلك التيار في الحقيقة التيار الواعي والصادق لحركة الفكر في بداياتها الأولى، وحركة الشعر في تطورها وتقدمها على حركة الفكر عبر الأيام وانبثاقهما معًا وتلازمهما في حركة التاريخ.

وكما ذكرنا آنفًا، فما انطبق في منطوقه ومدلولاته على الفكر عمومًا انطبق بخصوصية حادة على الشعر؛ لأنه يمثل ـ فقه الفكر ـ في أعلى مستوياته ومناخاته ورؤيته العليا.

فإذا ماتناولوا بنيان الشعر، وتعرضوا لتركيبته الفنية، وأصول قواعده وتفعيلاته، وخصائصه، وغالوا في تصوير وهْم بُطء حركة نموه وتطوره قياسا على حركة الحياة المعاصرة اللاهثة، وسياق الأحداث المتلاحقة السريعة جدًا، فكأنما هم بذلك يكونون قد أتوا على عموم الحركة الفكرية. إن هذه النظرة قد تنطبق على إشكالات الفكر الغربي، ورموزها المتغيرة المتحولة على الدوام، ودلالاتها المقطوعة الأصول والجذور، وأمّا في واقع كواقعنا، وأمة كأمتنا، وفكر كفكرها الواعي الوهاج. فالأمر مختلف

ـ من هنا، وفي هذا المنطلق بالذات، ومن تلك الرؤية الشفافة، والرؤية الواعية نقف في خضم المواجهة الثقافية بين تياري الأصالة والمعاصرة نراقب من كثب تلك المعركة القائمة بين أنصار الحداثة والتجديد، وأنصار الأصيل المتطور وفق رؤاه ومعاييره، نقول: معركة تجاوزًا، فنحن لسنا في ساحة حرب يغيب فيها العقل، وتموت العواطف، ويتلاشى التفكير المنطق والأصول، بل نحن في ساحة الفكر والإبداع والعقل الواعي المستنير الذي سيتغلب في النهاية على منطق الفوضى الثقافية السائدة حاليا، وضيق أفق الرؤية بمدلولاتها الحسية والمعنوية، من خلال منظور أحادي يكون هو الحكم الفصل والمتحكم في علاقة فكرية قائمة بين تيارين إبداعيين من المفروض أن تكون حدود العلاقة بينهما متكاملة ومتناغمة ومتميزة، وكذلك فاعلة، وأن تكون حدود التماس بينهما إيجابية وخلاقة ومُبدعة ذات مردود رائع، نتاج حوار مثمر بناء، وخطوط التواصل والتلاقي واستكمال مسيرة الإبداع

الشعر العربي قضاياه وهمومه المعاصرة ١

التاريخية أقوى جدًا، وأرفع في سيماها من كل هوامش القطيعة والهوى.

ـ صحيح جدًا أننا نعيش الآن بتماس مباشر وحادٍّ جدًا مع الثقافة المادية العبثية الغربية بكل ظروفها وملابساتها، ومدلولاتها، وانحلالها من جذور ماضيها الواهية انحلالا كليًا وغامضًا، لكن هذا يجب ألا يؤثر فينا بأية حال من الأحوال؛ لأن هناك في المعيار الثقافي العربي خطًا رسمته الذاكرة التاريخية لهذه الأمة تعتبره هو الحد الفاصل بين مايجب أن يكون، وما يجب أن يفعل، وإلى أين يجب أن نتوجه في رؤانا وحركة إبداعنا، وكيف يجب علينا أن نفكر ونعمل بسرعة عندما نجد أن الأمر يتعلق بتراثنا الثقافي والفكري والشعري كله في ظل ظروف معاصرة وقاتمة، اختلطت فيها الأوراق، وتشابكت التصورات، وغابت القيم والمفهومات والمعايير بغياب الجذور والأصول في تيه اللامنطق واللامعقول، فنتج عن هذا كله وعلى وجه الخصوص في بنيان الشعر شرخٌ حادٌّ كان من نتائجه شعر عبثي حاد عن جادة صواب الشعر العربي كله فكان رفض الرفض... للقدم وأصالته، والجديد وحداثته فكان همًا قوميًا وفكريًا جديدًا يضاف لقائمة هموم الشعر العربي وقضاياه المعاصرة التي وقفت تسأل بحدة وجدية وحزن ماهذا؟ وأي رنين مبعثر يقود حركة الشعر العربي خارج حدود المنطق والجمال والأصول خارج حدود الوعي والقبول، بل خارج حدود الحياة ذاتها وخارج الخط الذي رسمته ذاكرة الوجدان العربي في حدود منظورها الثقافي ليكون ميزانا توزن به حقائق تقدم الفكر. والشعر وفق مقاييس هذه الأمة واعتباراتها كلما دعت الحاجة لذلك وكلما مضت حقبة وتلتها حقبة، إنما الذي حصل هو اندفاع في التيار العبثي طغى حتى كاد أن يطوي تحت جناحيه حركة الإبداع العربية بشكليها القديم والحديث، ورمزيها المتمثلين بالأصالة والمعاصرة.

وبعد، فالنماذج الشعرية التي بين أيدينا انتُقيت من المدارس والمذاهب الشعرية كلها في عمل مقارن لتلك المدارس والمذاهب، لنقف في هذه المرحلة من تاريخ أمتنا على حقيقة: أين يجب أن نكون؟ وماذا يجب أن نكتب؟ وكيف يمكن أن نعيد لبنيان الشعر بل لبنياننا الكلي مكانه وانتماءه وخصوصيته المتميزة. ينفرد الشعر العربي بخاصية جمالية لايُجاريه فيها شعر آخر من خلال أدوات التعبير التي يملكها والمفردة المتميزة في لغة متميزة، وموسيقى تنبثق كالسحر في همسها وإيقاعها وعبقها الشجي، ولا أنكر أن الشعر الحديث الذي تطور في معناه وبقي مُلازما للشعر الأصيل في مبناه يملك تلك الخاصية في حال اقترابه من الأصول، وجارى المعاصرة ضمن حدود الرؤية الفنية التي حددت في خارطة الشعر العربي، أين يقع البنيان الشعري؟ وأين يقع البنيان النثري؟ وكيف يفصل خط التماس بينهما!! فلهذا أصول ومعايير وملامح، ولذاك أصول ومعايير وملامح، ولهذا خصوصية، ولذاك خصوصية لكننا فرطنا في ذلك كله بتجاوزنا لخصوصية الشعر والنثر وانكسار خط التماس تحت وقع الفوضى الثقافية، والخلل الذي أصاب ساحة الشعر، وساحة النثر، ضمن الركام الهائل الذي يغشى تلك الساحة بما يغشاها. من هنا يطالب المثقف العربي الواعي بضبط الأمور وإعادة الموازنة بين مفهومي الشعر والنثر لتعود العافية لواقعنا الثقافي المضطرب، ويعود للذاكرة العربية حسن إصغائها لما تسمع فتميز أن هذا هو الشعر، وأن ذاك هو النثر، وتستظل الموازنة بينهما قائمة والمقارنة محسوسة من خلال تلك الأذن التي تستطيع بعمق إصغائها، وشفافية تذوقها، وانخراطها في حركة الأداء انخراطًا كليًا أن تشعرنا وتحسسنا ماذا تسمع، وما الذي يميل بها طربًا وما الذي يُثيرها!؟ تلك هي أذن المستمع العربي التي لا يمكن إلغاؤها مطلقا ولاتجاوزها عندما ينفرد الصوت لديها بالغناء، ويتبعه الصدى بالترداد، وفي كليهما طلاوة وعذوبة، ولكن الصوت هو الأقوى والومضة الشعرية هي التي تتجاوز الزمان والمكان معًا وتخترق الواقع إلى غيبها القصيّ:

هذي الرُبى كم ضاق فيَّ فضاؤها
مالي على جنباتها أتعثَّرُ!!
شبَّ الحصى فيها ودون زحامه
درب يغيب وآخر يتكسَّر
وملاعبي ومَجَرُّ أذيالي بها
بَعُدتْ، فما ترقى إليها الأنْسُرُ!(٦)

أي شعر هذا وأية موسيقى تصاحبه!؟

إنه الشعر الحقيقي والهمس الموجع والومضة الخاطفة التي تكتب في الوجدان أنها الباقيةَ، وأنها المؤثرة، وأنها الصوت الأعذب في السمع، والأبقى في الذاكرة والمرَدَّدُ على الشفاه:

عينان زرقاوان ينعس فيهما لون الغديرْ
أرنو فينساب الخيال وينصت القلب الكسير
وأغيب في نغم يذوب وفي غمائم من عبير
بيضاء مكسال التلوّي تستفيق على خرير
ناء يموت وقد تثاءب كوكب الليل الأخير
يمضي على مهلٍ، وأسمع همستين وأستدير
فأذوب في عينينِ ينعسُ فيهما لون الغدير(٧)

كان اختيار النصين السابقين لعمر أبي ريشة وبدر شاكر السياب مدخلاً مقصوداً للجزء الثاني من هذه الدراسة ونماذجها الشعرية المختارة لما يمثلانه من أصالة ومعاصرة في آن واحد ولما يحملان من مفردات شعرية ومدلولات عذبة، وموسيقى تمثل وجه الشعر الأجمل وعمقه الأعذب

فأي نص شعري يتم تجريده من موسيقاه من مبناه من معناه؟ ماذا يمكن أن يطلق عليه بعد ذلك!؟ وقد خلا من كل مضمون ونأى عنه شكل الشعر وطعمه ونكهته؟

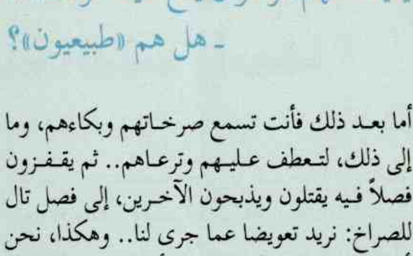
الهوامش

١ ـ كتاب فقه اللغة وخصائص العربية للأستاذ محمد المبارك، الصادر عن دار الفكر الحديث في بيروت، طبعة ثانية لعام ١٩٦٤م ص١٤.
٢ ـ تاريخ الشعر العربي لنجيب محمد البهيتي الصادر عن دار الكتاب العربي بيروت، طبعة ثالثة، لعام ١٩٦٧م، ص/هـ.
٣ ـ المصدر السابق ذاته، ص/هـ.
٤ ـ مجلة الفكر المعاصر المصرية، العدد ٢٦ لعام ١٩٦٧م، ص٩، من مقال للدكتور زكي نجيب محمود : نحن وقضايا الفكر في عصرنا.
٥ ـ المصدر السابق ذاته.
٦ ـ ديوان عمر أبوريشة، طبعة بيروت، دار العودة لعام ١٩٧١م. مقطع من قصيدة : عناد، ص١٨٤م.
٧ ـ ديوان بدر شاكر السياب، طبعة بيروت، دار العودة لعام ١٩٧١م. مقطع من قصيدة: عينان زرقاوان، ص٦٣.

قراءة في الفكر اليهودي

الفكاهة اليهودية

نموذج صارخ للقبح في أسوأ صوره



عبد التواب يوسف

تدفقت أنهر الصحف في العشرين عامًا الأخيرة (١٩٧٧ - ١٩٩٧م) حديثا عما يسمى «التطبيع».. وقد ترددت الكلمة في كامب ديفيد، وأوسلو وكوبنهاجن، وعواصم عالمية بل وعربية عديدة.. ورغبة مني في أن أكون «مطبعًا» و«مطيعًا»، مقتفيًا أثر الرواد في هذا المجال الحيوي، رأيت أن أحاول معرفة هؤلاء الذين يجب أن أكون «طبيعيًا» معهم، وسؤال يلح طيلة الوقت... - هل هم «طبيعيون»؟

أدهشني أن العالم كله يرى أنهم «شواذ» في كل شيء وفي كل مجال من مجالات الحياة، ولست أريد أن أعدّد مظاهر هذا الشذوذ، كل ما أسألك إياه أن تفكر في أيّ سلوك إنساني، وأن تبحث إذا ما كانوافيه أسوياء، وعلى شاكلة البشر، وسوف تكتشف استحالة ذلك.. هم بلا نظير في أي أمر من أمور الحياة، والأمثلة على ذلك كثيرة وعديدة.

الدنيا كلها تعرف البدايات، والرقم (١)، ولكنهم وباستمرار يقفزون فوق الأولويات، إلى نقطة على هواهم قد تكون الثانية أو الثالثة، أو هم يتحدثون عن ظلم الألمان لهم، ولكنهم لا يتكلمون عما فعلوه ليلقوا هذا الظلم الذي يتضاءل أمام أفعالهم!! ما كان ظلما بقدر ما كان عدلاً إزاء ما صنعوه.. وهذا هو ما يحدث معهم بالنسبة إلى الفلسطينيين: هم يدّعون أنهم إرهابيون.

والسؤال: من بدأ الإرهاب؟ هل ذهب إليهم العرب حيث يعيشون ليقتلعوهم من أرضهم؟! إنهم يطالبون العالم كله بأن يبدأ قراءة الكتاب من فصله الثاني، لأن الأول يكشف عن أكاذيبهم وهرائهم، أما بعد ذلك فأنت تسمع صرخاتهم وبكاءهم، وما إلى ذلك، لتعطف عليهم وترعاهم.. ثم يقفزون فصلاً فيه يقتلون ويذبحون الآخرين، إلى فصل تال للصراخ: نريد تعويضا عما جرى لنا.. وهكذا، نحن أمام شذوذ في التفكير وفي الرأي، وفي المنطق وفي ... وباختصارفي كل شيء.

هم يلطمون الخدود، ويذرفون الدموع كالتماسيح.

وسؤال: هل يضحكون كما تضحك شعوب الدنيا وأممها؟

الضحك سلوك إنساني حبيب، فهل لهم في هذا نصيب؟ لم يكن من الصعب علينا أن نعثر على شيء يتحدث في هذا الأمر، إذ كل شيء في الدنيا لابد من أن يكون هناك عنه كتاب.. تقرؤه، وقد تقبله وقد ترفضه.

اليهود يضحكون على الناس وعلى أنفسهم

ولم تكن مفاجأة لي أن أعثر على موسوعة «أنسكلوبيديا» عن الفكاهة اليهودية، كتبها واحد منهم، من أجل عدة أهداف.. الأول: أن يؤكد أنهم مثل البشر، من الممكن أن يضحكوا، وأن يكون من بينهم من يستطيع أن يقول «نكتة»، ومن يمكن له أن يقرأ «فكاهة»، ولو على نفسه، ويضحك من كل قلبه، وإن حاول أن يقتصد في الضحك.. ثم لا بأس من إثبات أنهم قادرون على أن يضحكوا من أنفسهم كما يضحك العالم كله من سلوكهم غير الإنساني، وفي ذلك تأكيد لسعة صدورهم، وعلى أنهم قد بلغوا جميعًا مرتبة الفلاسفة، وتجاوزوها، فما من شيء أبلغ ولا أروع من الضحك على النفس.. وهم دائمًا يضحكون من الآخرين، ويستغلونهم، ويستثمرونهم، ويبيعون فيهم ويشترون، وما يفعلونه عالميا في مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع يُظهر بوضوح كلَّ ما نشير إليه.. ومن الواضح أن «الانسكلوبيديا» هذه لابد أن تكون دعاية طيبة لهم، وهم يختارون لها ما لا يمسهم في الصميم، بل ويكتفون بالأمور الهامشية، وإن أفلتت نكتة من هنا وهناك تكشف عن طباعهم المتأصلة في أعماقهم..

هذه الموسوعة المثيرة تحمل عنوانها واسم مصنفها ENCYCLOPEDIA OF JEWISH HUMOR COMPILED AND EDITED BY HENRY SPALDING في مقدمة هذه «الموسوعة» يعترفون ويقولون بصراحة تامة: إن العالم كله لا يحبهم، ولا يرتاح إليهم، ولكن أكثر صراحة: هو لايطيقهم، بل يكرههم، وليس ذلك من فراغ، أو من دون سبب، فإن ما تسببوا فيه من كوارث إنسانية يصعب عدها وإحصاؤها إلى حد أن كثيرين يرون أنهم وراء مصائبهم كافة.. وما من أحد في الدنيا يقول بخفة ظلهم، أو أنهم يتصفون بالظرف، واللطف، بل العكس هو الصحيح، وحين يريدون أن يقولوا إن فلانًا «دمه ثقيل»، يعبرون عن ذلك بأنه أثقل ظلاً من مأمور ضرائب، أو ....! ومع ذلك ما كانت مفاجأة لنا أن نجد دائرة معارف عن الفكاهات اليهودية، وكالمعتاد لم يجد جامع هذه الفكاهات أمامه من سبيل لوضع هذه «الانسكلوبيديا» غير أن «يسرق» فكاهات من أنحاء

العالم كافة. بل قد أحصينا ما يزيد على خمسين فكاهة منقولة حرفيًا عن «جحا»، وقد أعيدت صياغتها لكي تتلاءم مع موضوع الكتاب.. وإن أطلّت من بين ثناياه مكان الفكاهات التي هي دليل قاطع على أن واضع الكتاب قاطع طريق وقرصان، وربما يقلب بعض الناس شفاههم قائلين: ما الجديد في هذا؟!.. هذا أسلوبهم في الحياة عبر تاريخهم كله، وليسّ سرقتهم لذهب المصريين قبل الخروج إلا دليلاً قاطعًا على أن اللصوصية تجري في عروقهم مجرى الدماء.. وهم في عصرنا - وربما في كل العصور - أثرى الأثرياء منهم بفضل ذلك، وهم يستخدمون المال في كل ما يريدون ولو بشكل فكاهي..

كان هناك قانون في سويسرا يحرم دفنهم في أرضها.. قد يرى بعض الناس ونحن منهم، أنه قانون جائر، وبالذات أمام حرمة الموت، غير أن آخرين يلتمسون لسويسرا العذر، ففي تقديرها أن ذلك يلوث تربتها، ولديها عرف وتقاليد صارمة في أمر المقابر، فنحن أمام بلد ضيق المساحة، ويود أن يستثمر كل سنتيمتر من ترابه، إلى حد أنه ملتزم ألا

لوصيته، وإن كان بعضهم يقول، إن قانون إزالة ما في المقابر قد طبق عليه!

نماذج مختارة من الفكاهة اليهودية

و«دائرة المعارف» هذه، لابد لنا من ترجمتها بالكامل.. على أن تحظى بالدراسة والتحليل، كاشفة عن ذلك «الوجه القبيح» الذي يتخفى خلف القناع الباسم الضاحك، والحق أنه ما من سبيل لمعرفتهم، وللمزيد من تعرّف حقيقتهم، من قراءة هذه الموسوعة، لا لنضحك معها، بل لندرك مدى ما يعتمل في نفوسهم، ولما يتصفون به، وذلك لأنهم حرّفوا كل شيء يتفق مع أهدافهم الخاصة، والتي تتلخص في السيطرة على العالم.. والمال سبيلهم، و«شيلوك» هو نبيهم الحقيقي، إذ نحن على قناعة كاملة بأن اليهودية دين نزل من السماء، مثل بقية الأديان السماوية، ولم ينزل على بني إسرائيل وحدهم، لكنهم استحوذوا عليه، وتاجروا فيه، مثل دأبهم في كل شيء، وحولوه إلى عقيدة عنصرية، تقسم فيها البشر إلى فئتين: صهيونية، وغير صهيونية.. والأولى في رأيهم هم شعب الله المختار،

الضحك سلوك إنساني محبب، فهل يضحك اليهود كما تضحك شعوب الدنيا وأممها؟

يزيد قط من مساحات المقابر الموجودة فيها، لذلك تزيل كل ما فيها كل خمس وعشرين سنة، لتفسح مكانًا للراحلين الجدد..

وقد ضاق أحد الأثرياء اليهود بهذا القانون، ورأى أن يتحايل عليه مستغلاً ما لديه من مال وثروة، فاشترى قطعة أرض تقع على شط بحيرة «ليمان» في وسط مدينة جنيف تمامًا، وأقام نصبًا تذكاريًا من الرخام والمرمر، هو في واقع الأمر قطعة فنية، يحلو لكل من يمر بها أن يتطلع إليها.. وسوف يسترعي اهتمامه برج يرتفع عن سطح الأرض نحو عشرين مترًا، في وسطه تقريبًا صندوق أشبه بالتابوت.. وقد أوصى ذلك الثري اليهودي في حياته بإهداء هذا النصب التذكاري إلى المدينة، ووضع لذلك شرطا واحدا، أن يدفن في ذلك التابوت الذي يرتفع عن الأرض عشرة أمتار، وهو بهذا لن يخرق القانون السويسري، لأنه لن يدفن في أرض سويسرا!

وهذه القصة ليست نكتة، بل هي حقيقة واقعة، والنصب قائم في مكانه، يراه أهل المدينة والزائرون، وجثمان الرجل - كما يقال - في التابوت تنفيذًا

والثانية ضد السامية، حتى لو كان هؤلاء من أبناء سام وأحفاده.. وقد رأينا أن نختار عشوائيًا بعض الفكاهات نترجمها بلا تغيير أو تحريف، لتكون نموذجًا حيا لحياتهم وأفكارهم ومعتقداتهم..

* عاد الطفل الصغير ذات يوم من مدرسته قبل الظهر..

انزعجت أمه وسألته..

- لماذا رجعت مبكرًا من المدرسة؟

- المعلم قال لي: إني يجب أن أستحم!

غضبت الأم بشدة، وأسرعت إلى المدرسة وقالت لمعلمه

- لم يقل أحد إن ابني وردة.. لقد بعثت به إليكم لتعلموه، لا لكي تشموه.

* التقى يهوديان، لم يتعارفا من قبل، ودار بينهما هذا الحديث..

- هل تعرف (فلانًا)؟

- طبعًا أعرفه.. إنه غشاش كذاب لص..

- كيف عرفت عنه كل هذا؟

- إنه صديقي العزيز!

* التقى يهوديان.. قال أحدهما

- السلام عليكم..

رد الثاني.. اذهب إلى الجحيم؟

- هل هكذا يكون رد التحية؟

- نعم، سأرد عليكم السلام.. ستسألني: إلى أين.. ونتشاجر كالعادة وفي النهاية تقول لي: السلام عليكم أقول لك: اذهب إلى الجحيم.. لقد اختصرت لك الأمور.

* قالت زوجة لبائع السمك

- أنت يا رجل غشاش.. أليست هذه الكمية قليلة بالنسبة إلى ما دفعته لك؟ ثم إن رائحة السمك عفنة ونتنة؟

قال: سيدتي.. لنفرض أني أعطيتك ضعف الكمية مقابل ما دفعت، ألن تتضاعف رائحة السمك العفنة والنتنة!

* سأل أحدهم: ما المسافة من روما إلى أثينا؟

- نفس المسافة من أثينا إلى روما..

- هذا غير صحيح.. المسافة بين يناير ومارس شهر.. وبين مارس ويناير ٩ شهور!

* اشترى مبصر وأعمى سلة تين واتفقا على أن يأكلاها معا، كل منهما يأكل تينه.. وفجأة ضرب الأعمى وجه المبصر بقبضته..

- لماذا تضربني؟

- لأنني أكلت تينتين في مرة واحدة ولم تقل شيئًا.. وذلك دليل على أنك تغش وتأكل في كل مرة ثلاث أو أربع تينات!

* قال الأب لولده: ماذا تدرس في كليتك؟

- نظرية داروين التي تقول إن الإنسان أصله قرد..

- إذا اقتنعت بها فإنه أصلك أنت، لا أنا!

* لم يجد اليهودي ما تعوده من بيض على مائدته، سأل زوجته عن السبب، فأجابت:

- إننا في نهاية الصيف، والدجاج يقل بيضه، فيرتفع ثمنه!

- إنه دجاج عبقري.. يعرف متى يزيد من سعر إنتاجه!

* أمسك رجل الدين برجل يطلب إحسانًا أمام المعبد اليهودي.. وقال له:

- لقد رأيتك أمس تطلب الصدقة أمام كنيسة.. أأنت يهودي أم مسيحي؟

- يا سيدي، أنا يهودي، ولكن من يستطيع في عصرنا هذا العيش من دين واحد؟

* اقترض يهودي من بنك مبلغًا لاستثماره، ولم ينجح، فاقترض مبلغًا أكبر من بنك ثان وسدد للأول، وتكرر ذلك مع بنك ثالث ورابع وخامس

وسادس.. وهكذا، ووصلت إليه رسالة شديدة اللهجة من البنك الأخير يطالبه بالتسديد، فعاد وكرر لعبة السلفة.. واستمر في لعبته إلى أن طولب بالسداد، فذهب إلى مدير البنك وقال له:

ـ أنا لا وقت عندي لكم، قوموا بالتسديد فيما بينكم دون الرجوع إليّ!

* في مطلع الربيع قابل أحدهم صديقا له، فأمسك به قائلاً

ـ إنني أبحث بجنون عمن يقرضني عشرين دولارًا!

رد الآخر: لقد أحسنت اختيار الجو الذي تبحث فيه.. وخلص نفسه منه!

* ذهب مريض إلى عيادة طبيب، يرفع لافتة: الزيارة الأولى ٢٠ جنيها، الزيارة الثانية ٥ جنيهات، فدفع خمسة جنيهات ودخل للطبيب الذي رآه لأول مرة، فابتسم وقال له:

ـ استمر على العلاج نفسه!

* تقدم شحاذ إلى ثري يطلب منه إحسانًا، فأعطاه وسأله:

ـ هل لديك أسرة؟

ـ طبعًا، وخمسة أبناء أثرياء

ـ لماذا لا ينفقون عليك؟

ـ كيف أسمح لهم بذلك؟ إنهم يُفقدونني اعتمادي على نفسي واستقلاليتي!

* دخل أحدهم إلى مدير البنك وقال له:

ـ إنني أموت جوعًا وزوجتي وأطفالي الخمسة. صاحب البيت سيطردنا. مرضنا وما من طبيب يقبل علاجنا. والعيد قادم وليس لدينا من أجله قطعة لحم أو رغيف خبز..

دق مدير البنك الجرس مستدعيًا إليه أحد معاونيه:

ـ هذا الرجل قطّع قلبي ومزّق فؤادي.. ألقِ به في الشارع!

* كان الثري متجهما عندما دخل مدير حساباته وسأله:

ـ ماذا هناك يا سيدي؟

ـ إنها زوجتي. طلبت أول أمس عشرة دولارات، وأمس طلبت خمسة واليوم طلبت ثلاثة.

ـ يا إلهي في أي شيء تنفق هذه الأموال الضخمة؟

ـ لست أدري.. أنا على كل حال لم أعطها شيئًا!

* سأل مدير الحسابات السيد الثري:

ـ ماذا فعلت مع مديننا (فلان)

ـ لقد جعلته يقف على قدميه ويسير.

ـ غريبة، كيف تساعده وهو لم يسدد ما عليه؟

ـ من قال إني ساعدته، لقد جعلته يبيع سيارته ويسير على قدميه.

* اصطحب الشاب خطيبته إلى المطعم وقال لها:

ـ سأشتري لك الشمس. القمر. النجوم..

والتفت إلى الجارسون وقال له:

ـ كل منا سيدفع ثمن عشائه! فاتورتان مستقلتان!

* ذهب يهودي لزيارة شقيقته العجوز المريضة بالبرد وحمل لها علبة حبوب لعلاج الزور فقالت له: أما كان أجدر بك أن تأتي ببعض الزهور؟

ـ عرفت أنك مصابة بالبرد، ولم تموتي بعد لآتي بالزهور!

* ذهب الزوج إلى رجل الدين قائلاً: إن زوجته وضعت طفلاً بعد ثلاثة شهور من الزواج

قال الرجل: لقد تزوجتما منذ ثلاثة شهور، وعشت معها ثلاثة شهور، وعاشت معك ثلاثة شهور، ما المجموع؟!.. قال تسعة.. قال.. وأين المشكلة؟!

* صرخ رجل على وشك الغرق، قال له أحد المارة:

ـ بدلاً من هذا الضجيج اخرج يا رجل من الماء وتعلم السباحة!

* كيف لم تتزوج وأنت شاب جميل ولطيف؟

ـ إنني أبحث عن فتاة تحسن الطهي كأمي، وفي كل مرة أجدها شبه أبي!

* عندنا عروسة لك مهرها عشرة دولارات

ـ أرحب بها، أريد صورتها.

ـ حين يكون المهر كذلك لا تستطيع أن ترى صورتها!

* لماذا لم تتزوجي وأنت جميلة؟

ـ عندي كلب ينبح طول الوقت، ومدفأة تعبق بالدخان، وببغاء يسب ويشتم، وقط يقضي ليله دائما خارج البيت، ما حاجتي للزواج؟

* قالت الزوجة لزوجها:

ـ يا رجل التفت إليّ قليلاً، أنت تدفن وجهك في الكتب ليل نهار، إلى حد أني أتمنى لو أنني كتاب لتنظر فيّ بعض الوقت.

ـ إنها فكرة، خاصة وأنني أبدل الكتب وأتخير ما هو أكثر إثارة!

* اصطحب الفتى فتاته إلى بيتها في تاكسي، وكانت جميلة، لكنه لم يرفع عينيه إليها طوال الطريق، فقد ركزهما على عداد السيارة!

نموذج صارخ للقبح في أسوأ صوره

* تزوج يهودي من مسيحية وأنجبا طفلاً، عاد من المدرسة يقول:

ـ حصلنا على يومين إجازة بمناسبة رأس السنة اليهودية

قال الأب: أنت نصف يهودي.. لا يحق لك غير يوم واحد!

* قالت لصديقتها: أنا أعرف أن زوجي يكذب عندما أتطلع إلى وجهه!

قالت الأخرى: وأنا أعرف ذلك كلما تطلعت لشفتيه وهما تتحركان!

* فقد أحدهم كيس نقوده. بحث عنه. وجده شقيقه هو الآن يبحث عن شقيقه.

* قدم شاب يريد أن يصبح رجل دين، وسأل عن المؤهلات لذلك..

قال له الرجل: أن تكون واسع الخيال، ، لتتصور أن هناك من يستمع إليك.

* قالت الزوجة لزوجها: إنني كلما غنيت تخرج للشرفة، وأنت بذلك تجرح إحساسي!

رد: ذلك أفضل من أن يظن الجيران أنني أضربك!!

* غيّر (جولد شميث) دينه، واكتفى بتغيير اسمه إلى (سميث)، محتفظًا بالذهب (جولد) في خزائنه.

* قالت الزوجة إلى زوجها:

ـ كنت قبل الزواج تأتي لي ببعض علب الحلوى.. لماذا لا تفعل ذلك الآن؟

ـ هل يعطي أحدهم طعمًا للسمكة بعد أن يحصل عليها؟!

* زوجتي طلّقتني، لأنها تعبد المال، وليس عندي منه شيء!

* هل أنت متزوج؟

ـ لا .. لكنني أبدو هكذا لأن سيارتي سرقت!

* ـ عندما بدأت زوجتي تتدرب على الطهي أدركنا روعة أكل المطاعم!

وبعد..

هذه الطائفة من الفكاهات التي نقلناها عشوائيًا، متحاشين ما هو «ناب» و«حوشي» لا تكفي قط، إذ إنه من الضروري أن نترجم «الموسوعة» كاملة، وكلمة كلمة، معقبين، دارسين، وسوف تكون بدون شك سلاحا يرتد إلى صدورهم ونفوسهم، ليخففوا من غلوائهم، وليدركوا أنهم وفكاهاتهم موضع سخرية العالم، الذي يعرفهم جيداً، ويعرف مصيرهم الحتمي.. مهما اقْتَنَوْا من قنابل ذرية.. ففكاهتهم أيضًا سوف تفتك بهم!

ملامح نشأة الأدب السعودي المعاصر




د. عبدالله أبو داهش

على الرغم مما قيل من آراء حول تحديد نشأة الأدب السعودي المعاصر، يظل القول بأن النهضة الأدبية الحقيقية في هذه البلاد إنما بدأت بسنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م تاريخ انضمام الحجاز إلى الدولة السعودية. وذلك لما صدر عن أدباء هذا العهد من تجديد في أدبهم، وثبات في مواقفهم، وحماسة في مضامين فكرهم، حيث دعوا لتحقيق منهج دينهم الإسلامي، وما ينطوي عليه من معاني السمو الفكري، وسلامة المعتقد.

لقد ودّعوا عهداً أدبيًا سابقًا، واستقبلوا عهداً أدبيًا مشرقًا جديداً تحقق في ظلاله العديد من الآمال الإسلامية، والفكرية، والأدبية، والاجتماعية، مثل: نصرة المسلمين المضطهدين في كثير من بلدان العالم، وتحقيق التضامن الإسلامي، والثبات في المواقف تجاه القضايا العربية، وما حلّ بالأمة من مكائد ومؤامرات، ناهيك عن تحقيق الحرية الثقافية المعتدلة، وسبل العيش الكريم، مما أهل هذا العهد للريادة، والتمكين، وبخاصة حينما أُفيد من هذه الحياة الأدبية الجديدة في توجيه المجتمع وإصلاحه، فلقد سُمِحَ للشعراء بالحديث في أدبهم عن آرائهم وأحاسيسهم، وتجاربهم، وما يتصل بأوطانهم وأمتهم، مما جعلهم يثقون بولاة أمورهم، ويوجِّهون أفكارهم نحو إفادة مجتمعهم، وخدمة أمتهم.

شيوخ المدرسة التقليدية وشباب مدرسة التجديد

يقول أحد الكتاب: «وهذا التقدم في الأدب مدين لابن سعود نفسه، ثم لأبنائه الكبار الذين أخذوا يشجعون أصحاب الأقلام تشجيعًا يمكنهم من مواصلة الدراسات والأعمال الأدبية، فمرد النهضة إلى ابن سعود نفسه لأنه هو الذي قام، وأعطى شباب هذه البلاد الفرصة على الإنتاج الأدبي وغيره»(١). ويقول آخر: «ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن الملك عبدالعزيز هو أول مَنْ مهّد لإرساء دعائم النهضة الأدبية والفكرية في بلادنا»(٢)، وإن بداية حكمه لهذه البلاد تعد بداية لهذه النهضة الأدبية، حيث «شجّع الصَّحافة، وشجع حرية القول، وأنشأ دور العلم، وبعث البعوث إلى خارج البلاد، وقام بالكثير من أوجه الإصلاح: الديني، والاجتماعي، والاقتصادي»(٣).

وفي الحقيقة أن هذه المرحلة قد: «شهدت شيوخ المدرسة التقليدية، وشباب مدرسة التجديد»(٤)، من أمثال: أحمد بن إبراهيم الغزاوي، ومحمد بن عبدالله بن بليهد، وعلي بن محمد السنوسي، ومحمد سرور الصبان، ومحمد حسن العواد، وحمزة شحاته، وعبدالوهاب آشي، وأحمد قنديل، ومحمد حسن فقي، ومحمود عارف، وعبدالسلام هاشم حافظ، وحسين سرحان، وحسن القرشي وغيرهم، ويمثل حماسة الشباب يومئذ قول محمد حسن العواد، وقد استشرف هذا العهد السعودي:

يا بريدَ الحجاز إن قلوبًا
ظامئات ترى الجمود حراما
يا بريدَ الحجاز أفواهُ قوم
مُلجَمَاتٌ فحُلَّ عنها اللجاما
قد حُرِمنا حرية الفعل عصراً
وحُرِمنا حتى حُرِمْنا الكلاما
طال عهدُ السكوت حتى مللنا
وأردنا أن نكسر الأقلاما
فَلْتَقَرِّي شبيبةَ العصر عينًا
ولْتَعُدِّي السكوت خطبا جساما(٦)

بدايات نهضة الأدب السعودي

ويؤكد حقيقة نهضة الأدب السعودي ويقظته عبر مسيرته أنه لم: «يأت عام ١٩٢٥م/ ١٣٤٤هـ إلاّ وقد صار الأدباء الناشئون في البلاد السعودية ينتجون أدبًا يتخذ قوالب الأدب الحديث، ويجرب أشكاله الجديدة»(٧)، «فلم يمض الربع الأول من القرن العشرين، إلا وقد بدت دعوة التجديد في الشعر السعودي قوية واضحة»(٨)، مما يحقق الشعور بالتجديد، ويدل على التطور الأدبي الملموس، وهذا ما يعكس قول أحد الكتاب في ١٠ذي الحجة ١٣٧٠ هـ حين قال: «ونعتقد أن الأدب في هذه البلاد قد تقدّم في خلال العشرين سنة الأخيرة تقدمًا مشهوداً نرى

آثاره في المؤلفات التي حررت، والدواوين الشعرية»(٩)، ولقد اتسعت دواعي هذه النهضة الأدبية من بعد هذا التاريخ، حين أخذ الأدباء يسهمون بأدبهم في التعبير عن مشاعرهم تجاه دينهم وأمتهم وقضاياهم، بل ويصفون مشاعرهم وتجاربهم، وما يتصل بمجتمعهم بشيء من الثقة والوضوح.

وحينما نأخذ بأسباب هذه النهضة الأدبية والداعي لها، نقول بأن هنالك أسبابًا ساعدت على إذكاء جذوة هذه الحياة الأدبية، منها إحياء الثقة النفسية في قلوب الأدباء، وتحقيق طموحهم، وما نجم من وعي أدبي لديهم نتيجة احتكاكهم الأدبي بالثقافة العربية في مصر، والشام، والمهاجر، وشيوع الدوريات العربية، والكتب المطبوعة، يقول أحد رواد هذه الحياة الأدبية الجديدة: «وقد يكون من صميم الصواب أن نتخذ من مجلتين عربيتين، هما: الهلال، والمقتطف مثالاً ناطقًا لكلا الأدبين: التصويري، والعلمي»(١٠)، فقد دلّ هذا التطور الأدبي على أنّ: «هناك صلات أخرى ربما كانت أشد وأسرع تأثيرًا من هذه الصلات السياسية والاقتصادية، وهي الصلة العقلية التي تحدثها الصحف والمجلات، والكتب تطبع الآن بكثرة في مصر، وفلسطين، والشام.. وكلها أو كثير منها يصل إلى كثيرين من أهل الجزيرة العربية، وهم يقرؤون فيفهمون أحيانًا، ويعجزهم الفهم أحيانًا أخرى، ولكنهم يعجبون على كل حال، والإعجاب أول التقليد، والتقليد أول الإنتاج الفني»(١١)، فلقد: «تسرّبت من القاهرة ومن دمشق ومن المهجر كتب وصحف أدبية جديدة تلقفتها أيدي النشء»(١٢)، مما أثر في عقول النشء، وجعلهم يقبلون هذا التأثير.

يقول أحد معاصري هذه المسيرة الأدبية في البلاد السعودية سنة ١٣٧٩هـ: «وأعتقد، كما جرّبت بنفسي، أنهم رأوا فيها شيئًا جديدًا من ألوان الأدب. وهذا الشيء الجديد فيه روعة ككل جديد، وفيه طرافة، وفيه غموض بالنسبة لما اعتادوا من أساليب الإنشاء المسجوعة والمنمقة الألفاظ، والخاوية الأهداف»(١٣)، ويضاف إلى تلك الأسباب المؤثرة في نهضة هذا الأدب الرحلات العلمية الأدبية التي قام بها بعض المصريين والشاميين وغيرهم فضلاً عن أثر الحج، وما ظهر في ميدانه من أسباب التأثير، والاتصال الفكري.

الصحافة وأثرها في نهضة الأدب

ولا يمكن في هذه الحال إهمال الصحافة المحلية ودورها الإيجابي في نهضة هذا الأدب، ونموه ويقظته، فعندما: «أصبح الحجاز جزءًا من المملكة العربية السعودية في عام ١٣٤٣هـ-١٩٢٤م. ظهرت بمكة والمدينة صحف ومجلات أخرى كانت أرحب مجالاً، وأكثر شمولاً من سابقتها، إذ كانت هذه الصحف والمجلات تمثل المملكة كلها، إذ يشارك في الكتابة فيها كتّاب وأدباء من جميع بلدان المملكة ومناطقها»(١٤)، فعلى سبيل المثال: «كانت جريدة صوت الحجاز أول جريدة وطنية في المملكة بعد جريدة أم القرى الرسمية. وكانت في حينها حدثًا عظيمًا؛ لأنها كانت مجالاً لآراء الكتاب والمفكرين من الرعيل الأول»(١٥)، وقد اتصل هذا الأثر في هذا العهد السعودي الزاهر من بعد بما يعكس وفرة عدد الصحف والمجلات القائمة اليوم، حيث أصبحت وعاءً لنتاج هؤلاء الأدباء، بما يكشف عن مسيرة هذا الأدب عبر النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري حتى الآن. هذا بالإضافة إلى أثر المؤلفات الأولية في الأدب السعودي، وما تلاها من نتاج فكري متصل، فمن تلك المؤلفات الأولية السابقة «أدب الحجاز»، و«المعرض» لمحمد سرور الصبان، و«خواطر مصرحة» لمحمد حسن العواد، و«وحي الصحراء» لعبدالمقصود، وبلخير، ونحو ذلك من الدواوين الشعرية، مثل: «الهوى والشباب» للعطار، و«البسمات الملونة» للقرشي، و«الطلائع» لأحمد جمال(١٦) وغيرها، يقول أحد الكتاب: «وللشيخ محمد سرور مأثرة أدبية كبرى ينفرد بها حين يكتب التاريخ الأدبي للحجاز، فقد كان أول من أصدر: كتاب «أدب الحجاز»، وكتاب «المعرض». وكتاب «خواطر مصرحة» للأستاذ محمد حسن عواد. وكتاب «أدب الحجاز» بالذات كان أول مؤلف يضم شعر أدباء الحجاز في الأربعينيات من هذا القرن الهجري، كما كان أول صوت يسمع في داخل المملكة وخارجها عن الأدب والأدباء. وقد جاء هذا الكتاب بعد فترة من الركود والخمول منذ أواخر العهد التركي، وخلال العهد الهاشمي، فكان ظهور أدب الحجاز بشيرًا بفجر النهضة الأدبية في الحجاز، وهو على صغر حجمه لم يكن إلا تعبيرًا شديد الاختصار عن ولادة الأدب الحديث في هذه البلاد.. وكتاب «أدب الحجاز» هو كتاب شعري، بينما كتاب المعرض هو كتاب نثري»(١٧)، ويضاف إلى تلك الأسباب الداعية إلى تلك النهضة الأدبية في هذه البلاد السعودية نشوء عدد من الجمعيات، والمنتديات الأدبية، مثل: جمعية الأدب الحديثة بمكة المكرمة، وأعضاء نادي الحفل والمحاضرات بالمدينة المنورة(١٨)، أو جمعية الإسعاف الخيري بمكة، ونادي الشباب العربي السعودي المتعلم بالمدينة(١٩). إلى جانب النادي الأدبي الأولي الذي أسسه عبدالقادر علاقي في جازان(٢٠)، بتهامة مما دعا إلى استيعاب حركة التأليف والدوريات، وما ظهر في ميدانها من ألوان أدبية جديدة، فقد بدأ بالفعل - كما قيل من قبل - عهد محاولة تأليف الكتب وكتابة القصص والمقالات، و«أخذت الصحف تظهر تباعًا: الإصلاح.. المنهل، المدينة المنورة، النداء الإسلامي، الغرفة»(٢١)، و«تشعبت بعد ذلك الاتجاهات والمدارس على أثر الانفتاح على أدب: الدول العربية، والمهجر، والغرب بعد توحيد المملكة، وشمولية التعليم، وإنشاء الإذاعة، وتطور الصحافة ووسائل الإعلام»(٢٢).

لم يمض الربع الأول من هذا القرن، إلا وقد بدأت دعوة التجديد في الشعر السعودي قوية واضحة

بداية المسيرة الأدبية في نجد

وإذا كان ما سبق ذكره قد تحقق في أدب الحجاز وغشي من بعده بلدان هذه المملكة العربية السعودية الواسعة الأخرى فإن التأريخ لهذه المسيرة الأدبية الحديثة في نجد مثلاً يبدأ منذ: «قيام جلالة المغفور له الملك

عبدالعزيز باستعادة مدينة الرياض.. عام ١٣١٩هـ/١٩٠٢م، فتأتي مرحلة من الكفاح يثيرها عبدالعزيز بحملاته المختلفة على القبائل التي لم تعلن ولاءها له، ويصاحب مرحلة الكفاح هذه كثير من الشعر الشعبي المعبر عن أماني الحكم الجديد وطموحاته، يسمعه عبدالعزيز فيطرب له، ويسمعه الناس فيحفظونه ويتناقلونه، ويصاحب هذا الكثير قليلٌ من الشعر العربي الفصيح»(٢٣)، فليس شعر محمد بن عبدالله بن عثيمين ببعيد من حقيقة هذ االقول، حين: «حمل رايه البعث الشعري متجاوزاً عصور الانحطاط إلى عصور الازدهار»(٢٤).

وتزداد حركة الأدب في نجد حينما أخذ أدباؤه يألفون السفر، ويقرؤون الكتب، ويهاجرون في سبيل العلم، يقول أحد الباحثين: «وقد بدأ عبدالعزيز بإنشاء المعهد السعودي عام ١٣٤٦هـ، وابتعث مجموعة من الطلاب إلى مصر عام ١٣٤٧هـ، وخلال هذه الأثناء بدأ قليل من الانفتاح للنجديين فسافر بعضهم، وقرؤوا لكُتاب لم يكن لهم بهم سابق عهد، وقدم إلى نجد علماء ومدرسون فيهم: [العالم]، وفيهم الأديب فانطلقت البدايات الأولى لأدباء الشباب النجديين في صحف الحجاز، يكنّون حيناً رامزين لأنفسهم: بابن عنيزة، وابن الجنوب أو بدوي نجد في: مجلة المنهل، وصوت الحجاز، وأم القرى، وحيناً مصرحين في غير ما خوف حينما لمسوا في أنفسهم قوة أو بعض قوة فأعلنوا للناس أدبهم، ونشر الجاسر عام ١٣٥٢هـ شيئاً من أدبه وبحوثه، وانطلق ابن خميس ينشر شعره المقلد، ويأتي المبتعثون من مصر فيساهمون في الحياة الأدبية، وتنشأ مجلة اليمامة عام ١٣٧٢هـ فتكون مباءة للأدب، وملتقى الشعراء وميدان التجارب، وتنمو مرحلة جديدة في مرحلة الاستقلال والبحث عن كيان خاص للأدب النجدي مثلتها إصدارات الشعراء كـ: «وحي الحرمان» لعبدالله الفيصل عام ١٣٧٣هـ، ومساهمات شباب النهضة الأدبية لمشاركاتهم الاجتماعية، وتحسسهم آلام الإنسان العربي وطموحاته، فأنشدوا كثيراً من شعرهم في ثورة: الجزائر، وفي فلسطين، وبور سعيد، وحيوا معاهد العلم، ورحبوا بضيوف البلاد، وعبروا عن شوق إنسان الجزيرة إلى ميدان أرحب ومنافسة حضارية أوسع»(٢٥)، فعرف الناس عدداً من أدباء هذا الجزء المهم في المملكة العربية السعودية، أمثال: عثمان بن سيار، وحمد الحجي، وعبدالله القرعاوي، ومحمد المسيطير، وإبراهيم العواجي، وسعد البواردي(٢٦).

الأدب في المنطقتين الجنوبية والشرقية

ولم تكن تهامة وعسير ببعيدة من التأثير الأدبي الظاهر في بلدان: الحجاز، ونجد، وإنما بدأ أدباؤها يأخذون بشيء من أسباب التطور، والتجديد، فلقد وعى شعراؤها الرواد، أمثال: علي بن محمد السنوسي، ومحمد علي السنوسي، ومحمد بن أحمد العقيلي، وعبدالله بن علي الحميد وغيرهم آثار تلك النهضة حينما كانت أسباب تلك الثقافة من دوريات، ومؤلفات تصلهم في بلدانهم منذ سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م(٢٧)، يقول أحد الباحثين: «ونستثني من هذا النفس الاجتماعي شعر الجنوب الذي يعتبر امتداداً لمدرسة الحجاز»(٢٨)، مما حقق أسباب النمو الفكري والنهضة الأدبية الحقيقية عبر النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري. أما النهضة الأدبية المعاصرة في أدب المنطقة الشرقية لهذه البلاد السعودية فيمكن أن تقرن بدايتها باكتشاف آبار البترول.. سنة [١٩٣٨م/١٣٥٨هـ]، فهذا الكشف جلب إلى المنطقة أنظار الشركات والعمّال وطلاب المصالح، وهؤلاء جميعهم يحملون مؤثرات تتفاوت في قدرها وقوتها من حيث الثقافة والانتماء الإقليمي.

والشركة العربية الأمريكية دفعت إلى المنطقة بكثير من الخبرات العلمية والثقافية وأنشأت مدارس ومراكز للتثقيف ومجلة شهرية ونشرات.. وجل هذه أمور ليس لأهل المنطقة قديمُ عهد بها، فاسترعت أنظار الشباب ولفتتهم إلى أن الأدبَ لابد أن يساير هذا التغيير الكبير، ويحمل عطاءاته المختلفة على التبلور في هذا الاتجاه الجديد»(٢٩)، وكان من أبرز شعراء هذه المرحلة المهمة في هذا الإقليم: غازي القصيبي وعبدالله الحبشي، وناصر بو حيمد، ومحمد الخنيزي، وعبدالرسول الحبشي، وعبدالله الشيخ على الخنيزي، وخالد الفرج، وعبدالحميد الخطي(٣٠)، وعبدالرحمن العبيد وغيرهم، ولم تكن دواعي هذه النهضة الأدبية وأسبابها تقتصر على ما تقدم ذكره وحسب، وإنما كان للتعليم والطباعة والترجمة أثر ملموس في هذه اليقظة، بالإضافة إلى أثر تأسيس الجامعات، والمعاهد، والنوادي الأدبية في تنمية هذه المسيرة المباركة وترشيدها، فلقد كان لهذه العوامل الأثر الفعال في نهضة هذا الأدب وتطوره.

لا يمكن إغفال دور الصحافة المحلية وأثرها الإيجابي في نهضة الأدب السعودي ونموه ويقظته

أقول: إنه مذ تمّ توحّد هذه البلاد على يد مؤسسها الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، ومنذ أصبح اسمها سنة ١٣٥١هـ/١٩٣١م: المملكة العربية السعودية، ومنذ وجد أدباؤها التقدير، والرعاية، والعطف، والتوجيه من لدن ولاة أمورهم، أخذت هذه البلاد بالفعل في استيعاب هذه النهضة الأدبية وتطويرها، محققة بتلك اليقظة: التآلف، والإخاء بين مواطنيها، ومعلنة بهذا الواقع انقضاء عهد الفرقة، والانقسام، ومستقبلة عهد الوحدة، والوئام. به وُحدت البلاد تحت راية سياسية واحدة، ومذهب ديني موحد، وأُمنت في ظلاله السبل، واطمأن الناس، حيث انتشر التعليم، وانتصب القضاء، وارتفع شعار الحسبة، فلا مظلمة ولا ظلم، بل حياة مطمئنة آمنة، انصرف الناس في رحابها نحو بناء حياتهم الاجتماعية، والفكرية، والأدبية في نهج من الإخاء، والتوادّ، وأخذوا في توجيه فكرهم وأدبهم على وجه الخصوص نحو خدمة أمتهم ووطنهم، والحديث عن قضايا مجتمعهم، وتجاربهم الخاصة، في جو من الحرية الفكرية والاعتدال المعنوي، مما وصف مضمونات أدبهم بالشمول والتجديد.

ولم يكن عهد هؤلاء الأدباء السعوديين في عصرهم الحديث بمماثل لعهود وطنهم السابقة القريبة، بل كان: أظهر، وأقوى، وأوسع رحابًا، حيث وحّدت بلادهم، وصفت عقيدتهم، وأصبحت: الإمارات، والدويلات، والمشيخات التي كانت تعرفها بلادهم قبيل توحدها: دولة واحدة ذات مكانة، وأهمية، مما جعل هذه المعاني جميعها ميدانًا رحبًا لحديث الأدباء، ومضموناتهم المتميزة المفيدة يقول أحدهم: (١٣١٥-١٣٦٣هـ).

فالدار عامرة والسحب ماطرة
والأرض زاهرة والدين منتشر
والناس في ظل أمن أصبحت معه
هذي الحصون كلا شيء ولا القصر
يأوي الغريب إذا ما الليل أدركه
في مهمه ما به نبت ولا شجر
كأنما القفر دار والخلا وطن
لابن السبيل، ومَنْ قد ضمه السفر
وحوله سيف عدل لا يفارقه
يدور حيث تحل البدو والحضر(٣١)

لقد كان لتجربة هذه المملكة العربية السعودية على يد مؤسسها وأيدي أبنائه من بعده أثر غير خاف على الباحثين، فقد نمت هذه الدولة نموًا مطردًا ملموسًا في شتى مناحي الحياة: الفكرية، والأدبية، والاقتصادية، والاجتماعية، بما عكس نمو الأدب وتطوره، وجعله شاهدًا على هذه الحياة، حيث صوّر هذه المسيرة واستوعبها بما حواه من المضمونات الأدبية المختلفة، فلقد دعت هذه الدولة إلى تحقيق: مطالب التنمية المحلية، واهتمت بالإنسان فيسرت له سبل العيش الكريم، وسخرت له معطيات هذه الحضارة المعاصرة، وسمحت لفكره بالعطاء والتعبير، فهو يسهم بفكره وأدبه بما يراه مناسبًا لخدمة دينه ووطنه، بل حققت دواعي التقدم والازدهار لهذا الوطن وساكنيه، حينما أفاضت عليهم مما أفاء الله عليها به من الخير العميم والنعيم المستديم، فنهضت بالمشروعات، وفتحت الطرق وعبدتها، بما حقق النقلة ويسرها، وأسست: الجامعات، والمعاهد، ومراكز البحوث، والنوادي الأدبية والفكرية، ورعت مصالح الناس، وأمنت سبلهم وأوطانهم، بل رعت مرضاهم وعجزتهم، فهذه المستشفيات، والدور الاجتماعية تنتشر في ربوع الوطن، وهذا كله يعد ميدانًا رحبًا للحديث عن معطيات هذه الدولة، وهو ما نهض به الأدب مذ عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمه الله إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبدالعزيز وفقه الله، حيث أخذ الأدباء بأسباب هذه الحياة الكريمة حين انصرفوا في مضموناتهم الوافرة يتحدثون معبرين عن هذا الواقع السعيد، بما عدّ بالفعل صورة حقيقية للحياة الدينية، والسياسية، والفكرية، والأدبية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية.

وإذا كان هذا هو حال هذه البلاد السعودية في أوطانها وداخل ولايتها ومجتمعها، فإن منزلتها عبر تاريخها السياسي قد ازدادت وضوحًا خارج حدودها وتجاه جيرانها، ومحيطها العالمي، وما يتصل بها من علاقة دولية، فلقد زكا واقعها، وصفت سمعتها بما أهّلها لاحترام الآخرين، فشأنها عدم التدخل في شؤون الآخرين، بل ترى أن تحسسّ أحوالهم، ورعاية مصالحهم حين تقوم بذلك من واجبها، فلقد حافظت على عهد الجوار، وصانت معانيه، واحترمت مشاعر الحجيج حين نهضت باحترام الحرمين الشريفين، وقامت بعمارتهما، وأمنت سبل الوافدين إليهما، فلا أدواء، ولا سرقة، ولا فسوق، ولا جدال في الحج.

وسهّل للحجاج كل مصاعب
تشق عليهم رحمة وتفقدا
وأمّنهم خوف الطريق فأقبلوا
إلى الحج أفواجًا ومشى وموحدا
ومن قبله ما تستطيع قوافل
سلوكًا به إلا وقد ذهبت سدى
وشد عرى التوحيد في جمع كلمة
وأصلح ما كان التعصب أفسدا(٣٢)

أقول لقد كان لذلك التهيؤ الفكري، والتقدم الأدبي أثر في نهضة الأدب السعودي وتقدمه، بل وشيوعه، ومشاركاته مما أهّله لمنزلة مقبولة معتدلة، جعلت منه أدبًا متميزًا ذا رسالة، وأهمية، حيث عادلت هذه المنزلة مكانة هذه البلاد وريادتها في المواطن السياسية، والدولية، والمحلية.

الهوامش والتعليقات

١- مجهول. «الحركة الأدبية في هذه البلاد»، البلاد السعودية، ع١٠٧٥ ، س ١٥ (الأربعاء ١٠من ذي الحجة ١٣٧٠هـ) ص ٥.
٢ - منصور إبراهيم الحازمي، «معالم التجديد في الأدب السعودي بين الحربين العالميتين»، الدارة ع ٢، س١ (جمادي الثانية ١٣٩٥هـ) ص١١.
٣ - المصدر نفسه ص١٠، ١١
٤ - إبراهيم الفوزان، «الأدب الحديث في الحجاز» ١٢٩/١.
٥ - المصدر نفسه ١٣٠/١.
٦ - المصدر نفسه ١٣٠/١، ١٣١.
٧ - محمد بن عبدالرحمن الشامخ، «ملامح التجديد في الأدب السعودي»، (ربيع الثاني ١٣٩٩هـ) ص١٥٤ .
٨ - المصدر نفسه ص١٥٨.
٩ - مجهول، «الحركة الأدبية في هذه البلاد» البلاد السعودي، ع ١٠٧٥، س١٥(الأربعاء١٠ من ذي الحجة ١٣٧٠هـ) ص ٥.
١٠- عبدالقدوس الأنصاري، «الأدب الحجازي بين الأدب التصويري والأدب العلمي»، المنهل ع١، س ١ (صفر ١٣٥٦هـ) ص ٣.
١١- طه حسين، «ألوان» ص٤٧.
١٢- عبدالقدوس الأنصاري، «روادنا الأول يكتبون عن النهضة الأدبية»، مجلة قريش، ع٣، (الإثنين ١٥جمادى الأولى ١٣٧٩هـ) ص٤.
١٣- المصدر نفسه ص٤.
١٤- مقالة السابق.
١٥- محمد علي مغربي، «أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة» ص ٢٢٦.
١٦- م.ع، «إضاءة حول أدب الحجاز ونجد»، المسائية السبت (٢٠ المحرم ١٤٠٣هـ) ص٥.
١٧- محمد علي مغربي «كتابه السابق» ص٢٥.
١٨- إبراهيم الفوزان، كتابه السابق ٢٩٨/١
١٩- منصور إبراهيم الحازمي، مقاله السابق ص١٥.
٢٠- روى ذلك مواطنه محمد زارع عقيل في أكثر من موضع من آثاره، فلقد ذكر في إحدى قصصه أنه كان عضواً في هذا النادي الذي أسسه علاقي في جازان.
٢١- عبدالقدوس الأنصاري، «روادنا الأول يكتبون عن النهضة الأدبية»، قريش، ع٣، (الإثنين١٥ جمادى الأولى ١٣٧٩هـ) ص٤ .
٢٢ - م.ع، «إضاءة حول أدب الحجاز ونجد»، المسائية، السبت (٢٠ المحرم ١٤٠٣هـ) ص٥.
٢٣- المصدر نفسه ص٥.
٢٤- المصدر نفسه ص٥.
٢٥- المصدر نفسه ص٥.
٢٦- المصدر نفسه ص٥.
٢٧- انظر كتاب: «نشأة الأدب السعودي المعاصر في جنوبي المملكة العربية السعودية» للمؤلف.
٢٨- عبدالله الحامد، «فصول حول الأدب في المملكة العربية السعودية» ص١٥، وانظر: «نشأة الأدب السعودي المعاصر» للباحث.
٢٩- م.ع، «إضاءة حول أدب الحجاز ونجد»، المسائية، السبت (٢٠ المحرم ١٤٠٣هـ) ص٥. ولقد كانت سنة ١٩٣٨م سنة اكتشاف البترول بكميات تجارية (بئر الدمام رقم٧).
٣٠- المصدر نفسه ص٥.
٣١ - انظر مجموع «شعراء الجنوب».
٣٢ - المصدر نفسه.



داود كاون:

علاقته بالإسلام بدأت بعشق لغة القرآن

كانت أوروبا حين ولد داود كاون لأسرة اسكتلندية نصرانية خارجة لتوها من الحرب العالمية الأولى التي أكلت الأخضر واليابس، وأفرزت جيلاً قلقًا، مُشوَّهًا نفسيًا، يميل إلى العداء لكونه فتح عينيه على صور الدمار وإرث الحرب الدامي.

في ظل هذه الأجواء الكئيبة أطل داود كاون على الحياة، ليحيا سنوات عمره الأولى محاولات إزالة آثار تلك الحرب المدمرة، وبحكم كونه ابنًا لأسرة نصرانية كانت معلوماته عن الإسلام فقيرة، أو على الأصح مشوهة.

البداية: تعلم اللغات

كان عشق كاون لتعلم اللغات سبيله إلى هداية روحه، إذ طالما هفا إلى تعلم لغات جديدة تثري معارفه، وتوطد علاقته بإخوته في البشرية الذين لا يتحدثون لغته الإنجليزية، لهذا كان واحداً من المترددين الدائبين على مكتبة مدينته الاسكتلندية «راندي». واتّفق في إحدى زياراته للمكتبة عام ١٩٣٢م أن شاهد إعلانًا عن دورة دراسية في باريس لتعليم اللغة العربية، وحفزه على الالتحاق بالدورة اطّلاعه على مجلة تهتم بالعالم الإسلامي، فأثارت موضوعاتها لديه رغبة في تعرف أبناء هذا العالم المجهول بالنسبة إليه، والمرتبط في عقله بقصص ألف ليلة وليلة، وغيرها من الحكايا التي يكتفي الغربيون - عادة - بمعرفتها عن الشرق دون أن يخوضوا بحر المعرفة الحقيقي.

رحلة باريس.. نقطة تحول

شكلت رحلة باريس والتحاق داود كاون بدورة تعليم اللغة العربية نقطة تحول في حياته، إذ كانت بداية تعرفه اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، كتاب المسلمين المقدس، وعلى الرغم من اكتشافه بعد عام من التحاقه بتلك الدورة أن ما يدرسه ليس اللغة العربية، وإنما اللهجة العامية الجزائرية، إلا أن هذا الاكتشاف لم يثبط عزيمته عن تعلم اللغة العربية، فما لبث بعد عودته إلى بلاده أن التحق بمعهد الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن، ومكث عامًا يدرس اللغة العربية في المعهد، شعر بعده بأهمية أن يدرسها في أحد مواطنها، وهداه تفكيره إلى مخاطبة شيخ الجامع الأزهر، لأن الأزهر أحد القلاع المنافحة عن الإسلام واللغة العربية، فكتب إلى الشيخ الواحلي - يرحمه الله - إمام الأزهر وقتها معربًا عن رغبته في دراسة اللغة العربية، فجاءه رد الشيخ مرحبًا، ومعه نسخة هدية من كتاب تفسير القرآن الكريم للبيضاوي.

إسلامه

كانت دراسة داود كاون للغة العربية قد أتاحت له أن يطلع على الكثير من المبادئ النبيلة للشريعة الإسلامية، فوجد روحه متعطشة لهذا الدين العالمي الذي يوافق الفطرة الصحيحة، لهذا كان قد أسلم بالفعل قبل وصوله إلى القاهرة فدخل مصر مسلمًا، مقتنعًا بالإسلام دينًا وبمحمد عليه السلام رسولاً، فشعر بعد ما بدأ الدراسة بالأزهر بالراحة التامة لقرار اعتناق الإسلام، حيث أتاحت له تلك الدراسة تعرف عالم إسلامي متنوع، إذ وجد في أروقة الأزهر طلابًا من بلاد وأجناس وألوان شتى، فمنهم الأوروبي والأمريكي والصيني والهندي والإفريقي، وجميعهم التقوا على حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم والرغبة الصادقة في المزيد من العلم، فكان لقاؤه بهؤلاء شعرًا له بعالمية الإسلام وبالطابع الإنساني للثقافة الإسلامية.

كان مكوث داود كاون في مصر قرابة عام ونصف العام، أقام خلاله في حي الحلمية الجديدة مع مجموعة من الطلاب الصينيين المسلمين، الذين جاؤوا إلى قاهرة المعز لينهلوا من المعارف الشرعية والدينية الإسلامية، ليعودوا إلى بلادهم دعاة إلى الله وإلى دينه.

مع قمم العلم والفكر

وتعرف، وهو في القاهرة، قممًا دينية وفكرية شامخة منهم الشيخ الزفزافي وعملاق الأدب العربي عباس محمود العقاد، وصاحب «الرسالة» الأديب أحمد حسن الزيات وغيرهم من الرموز التي تألقت كواكبها في سماء الفكر العربي والإسلامي وقتئذ. وشعر داود كاون بالفارق الكبير بين البلدان الإسلامية وأوربا، ففي بلاده قد يحس الإنسان بالاغتراب وهو وسط أهله نتيجة لأسلوب الحياة والتفكير المادي، على العكس من بلاد الإسلام التي تجعل المغترب، بما تملك من قيم وأخلاق، لا يحس اغترابًا أو وحدة، بل تمنحه البلسم الشافي من أمراض حضارة الغرب بالعاطفة الجياشة والطاقة الروحية التي لا تتوافر لدين آخر غير الإسلام.

بعد عام ونصف العام من الدراسة في الأزهر، عاد داود كاون إلى بلاده ليكمل دراساته في جامعة لندن، عاد هذه المرة وقد اكتمل إيمانه وتنورت بصيرته، وتزود عقله بالثقافة الإسلامية الأصيلة، وما لبث أن تخرج في جامعة لندن، وعُين عقب الحرب العالمية

الثانية مسؤولاً عن الملحقية الثقافية البريطانية في سفارة بلاده في القاهرة، وكأنما أرادت عناية الله أن تتوطد علاقته أكثر بإخوته في الإسلام، وأن تنهل روحه العطشى من المعارف الإسلامية.

في معهد الدراسات الشرقية

حين انتهت مدة عمل داود كاون في القاهرة، عاد إلى بريطانيا ليعمل في التدريس في معهد الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن، ذلك المعهد الذي شهد بداية عشقه للإسلام، وإيمانه به، وخلال عمله في المعهد مدرسًا وأستاذًا للغة العربية والأدب العربي أغنى مكتبة الدراسات العربية والإسلامية بمجموعة نادرة من المؤلفات تتصدى للاستشراق السلبي المملوء بروح التحامل والعداء الصليبي، والمنهج غير العلمي لقراءة الإسلام، وإعادة تصوير مفهوماته وفقًا لقواعد يحكمها العداء والرغبة في ترسيخ رؤية سلبية في أذهان العامة عن الإسلام عقيدة وأمة.

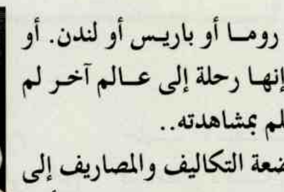
لقد أقام داود كاون في مؤلفاته ومحاضراته ومقالاته على امتدادنصف قرن من العطاء الصادق المخلص صورة حقيقية للإسلام وأهله، تكشف أمام قارئها كيف يسعى المغرضون من المستشرقين إلى خلط الأدب الإسلامي بأمور وتخيلات لا علاقة لها بالإسلام من قريب أو بعيد.

وقد مَنَّ الله على دادو كاون بزيارة بيته الحرام أكثر من مرة، منها مرتان حج فيهما، وثلاث مرات أدى خلالها العمرة، وأكسبته تلك الزيارات لأرض الإسلام خشوعًا واطمئنانًا، ومزيدًا من التمسك بدين الله..

على الرغم من اعتزال داود كاون التدريس لكبر سنه (تجاوز الثمانين عامًا) إلا أنه مايزال يواصل قراءاته الإسلامية والعربية، ويتأبط دائمًا كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، ويطالع بين فترة وأخرى كتب سيبويه، وابن جنّي، وملاحم امرئ القيس وطرفة وعنترة.. مؤكدًا لكل من يقابله أن اللغة العربية بحر زاخر وأن الغربيين عاجزون عن فهمها، وعن استيعاب أسرار إعجاز القرآن الكريم.

احجز تذكرتك من الآن

سعد البواردي



الرحلة القادمة لن تكون إلى روما أو باريس أو لندن. أو طوكيو أو نيويورك.. إنها رحلة إلى عالم آخر لم تشاهده ولم تكن إلى وقت قريب تحلم بمشاهدته..

إنها رحلة سياحية بعيدة جديدة متواضعة التكاليف والمصاريف إلى حد كبير.!!! تنتظر من يكتب لهم طول العمر حتى الربع الأول من القرن الواحد والعشرين.. وبالدقة في بداية منتصفه.

إلى القطب المتجمد. لا.. إلى مرتفعات داذرنج أوقمة إفرست أبدًا.. إنها أبعد شموخًا وأطول قامة، إلى أين تكون الرحلة السياحية إذًا؟!

إلى أعماق المحيطات حيث المخلوقات العديدة البعيدة والشعاب التي نجهل عنها الكثير؟! إنها أيضًا غير ذلك.. وقبل أن تعرف مسار الرحلة فإن عليك أن تعرف الثمن وأن تحصي نقودك قبل أن تفوتك مركبتها المعدّة للانطلاق.. وإلا خسرت فرصة العمر..

خمسة ملايين دولار أمريكي فقط قيمة التذكرة الواحدة للرحلة الواحدة كي تقضي نزهة فضائية غريبة بعيدة عن كوكبك الأرضي يحتضنك خلالها فندق فضائي عائم يتسع لمئة نزيل فقط.

هذا ما تعاقدت عليه وكالة ناسا الأمريكية مع شركة معمارية متخصصة لبنائه على إحدى المدارات القريبة من الأرض.. المدة المحددة لإنجاز هذا المشروع السياحي عام ٢٠١٢ ميلادي.

ماذا عن النزلاء.. كيف يصلون إليه وكيف ينفصلون عنه؟!

ينقلون إليه ومنه بواسطة الجيل الجديد من المكوكات الفضائية التي يتم تصميمها لهذا الغرض.. ليست وكالة «ناسا الأمريكية وحدها التي سوف تنفرد بهذا السبق.. بل إن شركة «أشامزيو» اليابانية تمول مشروع فندق مماثل ينتهي العمل منه عام ٢٠٢٠م» بقيمة التذكرة نفسها البالغة خمسة ملايين.. السعر يشمل الإقامة لمدة ثلاثة أيام يتناول فيها السائح ثلاث وجبات (فول بورد) يجري إعدادها داخل السفينة العائمة حول الأرض تحت إضاءة خاصة..

ماذا عن المشاهدات الحية التي تستحق دفع كل هذا الثمن؟!

يمكن للنزيل مشاهدة كوكب الأرض من خلال لوحة تستعرض سطح الأرض.. إلى جانب مرشد يدل زبائنه على المواقع الأرضية التي يرغبون مشاهدتها.. بلدانهم. مدنهم. شققهم.. بل وربما أيضًا متابعة خط سير زوجاتهم أثناء غيابهم.

وحين يجهدهم التعب ويتوقون إلى الراحة ويطيب لهم النعاس فإن أمامهم الخيار في أن يناموا على أرض غرف الفندق.. أو على سقفه معلقين كالخفافيش إلا أنهم لا يسقطون فهم في حالة انعدام وزن. ما رأيك في هذه الرحلة؟!



فضيلة الشيخ
د. صالح اللحيدان

لبس الثوب في الحج

من لبس ثوبًا ناسيًا في الحج فهل يبطل حجه؟

سعد بن علي . أجـ..
البكيرية ـ القصيم

سؤالك هذا عام، لكن قولك في الحج فإن حرف (في) ظرفية، أي بعد أن دخلت في نية النسك الذي عينته من: تَمتُّع أو قِران أو إفراد، إذا كان كذلك فلا شيء عليك لأنك في حال نسيان قال تعالى: ربَّنا لا تؤاخذْنَا إنْ نسينا أو أخطأنا. وجاء في/مسلم: ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا. قال: قد فعلت.

ومن لبس ثوبًا، ولو عامدًا، فلا يبطل حجه، لكن عليه دم إذا كان قبل التحلل الأول، وعلى مثل هذا السائل أن يأخذ لدينه فيسأل قبل انتهاء: الحج.

حليب طبيعي مثلج

ما حكم وضع الحليب الذي يؤخذ من النساء في الدول الفقيرة إذا مات أطفالهن فيوضع في ثلاجات ثم يعطى لأطفال آخرين؟

سيدي كمارا جابا إبراهم ـ
ساحل العاج

هذا العمل إذا صح، وأن حليب الأمهات يؤخذ منهن فيعطى لأطفال آخرين ينشر الحرمة بين الأطفال ذكورًا وإناثًا فلا يجوز هذا العمل، والبديل موجود بحمد الله تعالى فتنبهوا لهذا. وكونوا منه على بينة.

تمام الدعاء والأجر

هل يجوز وضع (ص) أو (صلعم). بدل: صلى الله عليه وسلم؟

سلم بن بكر ودان
اليمن ـ مأرب

مثل هذا يفعله اليهود والنصارى مع الرهبان وكبارهم، فلا يجوز للمسلم إلا أن يتمم الدعاء غير منقوص ليحصل له تمام الأجر.

حديث لم يصح

ما صحة حديث: ذهب الظمأ وابتلت العروق؟

الرياض

هذا جزء من حديث يقوله الصائم عند الإفطار، ولم يصح حسب علمي.

أخطاء في كتاب في منزل الوحي

«في منزل الوحي» كتاب متداول ما رأيكم فيه؟

س.م.ط.. جامعة أم القرى/ مكة

كتاب (في منزل الوحي) لمحمد بن حسين هيكل يقع في مجلد واحد، وهو كتاب يتحدث عن السيرة النبوية باختصار لكن بأسلوب جيد مترابط، والكتاب وقع في أخطاء كثيرة جدًا منها:

١ـ وجود أحاديث ضعيفة.

٢ـ شرح زل شارحه، لأن مبناه كان على خطأ بسبب آثار ضعيفة وموضوعه كحديث «حادثة الغرانيق» ويغني عنه «السيرة لابن هشام» مع شرح السهيلي.

سؤال عن حديث

ما صحة حديث «خذوا شطر دينكم عن هذه الحُمَيْراء»

سالم ب م ـ ينبع النخل

لم يصح وقد بينته فيما سبق من هذه الفتاوى في عدد فات.

كتاب كله صحيح

هل كل ما ورد في كتاب ابن خزيمة صحيح؟

عدنان أبكر.. اليمن..
صنعاء

الإمام ابن خزيمة وكتابه «الصحيح» بلغا الأوج من الذيوع والشهرة، وقد سلك هذا الإمام طريقة الشيخين قبله البخاري ومسلم من حيث التثبت ودقة التحري، فكل ما ورد في كتابه: صحيح في الجملة لكن لابد من نظر: الصحيحين بجانبه.

المظلوم هل يطلب عفوه؟

سلمان. ف.س.ن

كلا إذا كان قد تم ظلمه بهضم حقه المعنوي أو الحسي لأنه لابد هنا من رد حقه عليه كاملاً مع القدرة، أو البديل المساوي، ثم طلب العفو بعد ذلك، وتنبَّهْ لحيل النفس فهي كثيرة، واصدُقْ. ولا تأخذ إلا ببرهان بيِّن فالظلم ظلمات، ومن هنا فلابد من وضوح حال المَظْلَمة، ورد الحق خشية دعاء المظلوم، لأنه قد يجامل خوفًا أو شيمة لكنه من جانب آخر يدعو عليك فتنبه لهذه الحال.

أحاديث ضعيفة وموضوعة

ما صحة هذه الأحاديث

بلال بن حاج حسين برادة..
البحرين

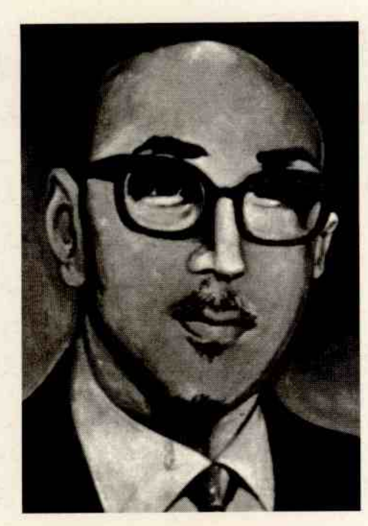
«اتقوا فراسة المؤمن».
«أبغض الحلال إلى اللّه الطلاق»
«من حج فلم يزرني فقد جفاني»
«حب الوطن من الإيمان».

بعض هذه الأحاديث ذكرناها من قبل، لكن لا بأس من إيراد الحكم عليها حسب علمي وفهمي:

الأول: ضعيف جدًا وأصله «اتّقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»، والثاني: ضعيف جدًا، وصححه آخرون، والثالث: موضوع، ولعل واضعه قبوري جاهل، والرابع: لم يصح بهذا اللفظ.

رواد الأدب في بلادنا كـثـر. ولست بمدَّعٍ أنني عرفتهم جميعاً. ولكن الأقطاب منهم كـان لي مع بعضهم لقاء، كما أتاح لي عملي في الصحافة الاقتراب كثيراً من آخرين منهم. وعن هؤلاء وأولئك يسعدني أن أكتب لـ «مجلة الفيصل» بعض ما عرفته عنهم أو تعلمته منهم.

٥



حمزة شحاتة

عبقريّ زمانه!



عبدالله عمر خياط

يجمع المؤرخون على أنه ما من عربي أصيل إلا وقد قال من الشعر بيتًا أو بيتين أو ما هو أكثر. وعندما نسترجع سيرة من حفظ التاريخ عطاءهم الفكري، لابد أن نجد لهم في الشعر نصيبًا. ولا غرو في ذلك، فأمتنا العربية أمة شاعرة. وللشعر مكانته السامية بين الأمم يحفظ لها مجدها، ويعلي كلمتها. ولا أدل على ذلك مما روي عن الشاعر الإنجليزي الشهير (كيبلنغ) في قوله: «لو خيرت انجلترا بين أن تتنازل عن الهند أو شكسبير لما ترددت لحظة في التنازل عن الهند». لأن الهند لم تبق لإنجلترا. وبقي لها شكسبير في عظمته وخلوده، فهو شاعر. وهو كنز من الحب. ونبع من الخير يفيض بمنح كبيرة من السعادة والجمال

واليوم ونحن نقدم للشاعر العربي السعودي الراحل - حمزة شحاتة - هذه المجموعة من أدبه الخالد، وشعره الحي النابض، لابد من الإشارة إلى ما كان يتمتع به من شاعرية فذة، وفكر وقاد، ونبوغ مبكّر؛ فهو إنسان ذو روح نقية كأشعة الشمس، وقلب متقد كالنار وفكرة صافية كبحيرة بين الجبال.

قد تجمع إلى جانب أحلام الشعراء وميول العشاق، فلسفة وجدانية تنزع إلى صوفية سامية، ومنطلق حر؛ فقد آمن بالإنسان وعاش للحياة، يعطيها ولا يأخذ منها، فقد أحسّ أنه أكبر من عطائها، وأن عطاءها لا يدوم. وقد ألمَّ بظواهرها وخفاياها وعرف منها كل شيء. ومازال يطل على ما حوله من معالم تحتضنها مسارح مختلفة، فيقدمها لنا بمعاناة أشبه ما تكون بالرمضاء تحرق وجدانه وهو يرى ما يرى، ولكنه لا يلبث أن يرتد ببصره إلى نفسه فلا يرحمها، بل يغمس في مداد قلبه قلمه، ويكتب من حين إلى حين باللهب المضطرم والدمع المنهمر شعرًا متميزًا بفلسفة وفكر خاصَّين به، فمن قصيدته (حيرة) نقتطف بعض معاناته وتأملاته.

علامَ بكى الباكون إني هالك
وكل وجودٍ شعلةٌ سوف تُطفأ
وهل يعقل المفجوعُ في غمرةِ الأسى
مقالَكَ إن الصبر للحزن أردأ
ألا رُبَّ شاكٍ من مساءةِ يومه
تطامن لليوم الذي هو أسوأ
تنبّأتُ بالأحداث قبل وقوعها
فما حاطَني مما حذرتُ التَّنبُّؤ
أرى أبدًا كاللُّج أعمارُنا به
فقاقيعُ ماءٍ تنتهي حيث تبدأ

ومن رأيه هذا نستطيع أن نرصد طريق رحلته في حياته العابرة، فقد كانت كما وصف الحياة هو بنفسه: «قطار مزدحم بما ومن تعرف وتجهل من الحوادث والحركات، والناس، يسرع تارة حين يكون الإبطاء ضروريًا، ويبطئ عندما ينبغي له ولك أن يُسرع، ويتوجه لا كما توجِّهه أنت، وإنما حيث توجِّهه التحويلات، وهو مختلف تمامًا عن نظام القطارات بأنه يمشي إلى الوراء أحيانًا.. كما أنك لا تملك النزول منه عندما تشاء وإذا بدأت الرحلة فلا بد أن تتمّها» ولذلك كان لابد لنا أن نتابع الشاعر في قطاره هذا، و نسبر أغوار طريقه، فهل شقه

جاءت أغلب قصائده الفلسفية مشرقة البيان، رائعة التعبير، متميزة بمواءمة الفكر للفكرة، كما أن نظمه على منهج الشعر الحديث لا إسفاف فيه ولا ضبابية ولا خوار

عبر الصخور والرمال..؟ وجاز به مفاوز وأطلالاً، أم طوى به مروجًا وأدغالاً وحدائق غُلبًا..؟ وهل كانت لياليه داجية تزمجر فيها رياح معولة، أم توالت عليه النسائم رخيَّةً مع كل صبح وضيء؟ وعلى كلا الحالين فشاعرنا - حمزة - هو الشاعر الأديب، النافذ البصيرة والبصر.. يحمل قلبه بين يديه مستلهمًا عقله وفكره فيغني بذلك رحلته، وتكتنز بما يرى أيامه، ويتفاعل مع معطياتها فكان التأمل في حقائق هذه الحياة، يخرجه من إنسان مجرد إلى إنسان مفكر ذي زهادة ووجدان منظَّمين.

يقول في قصيدته من أعماق الحياة:

الفكر ينجزها واليأس يلويها
حتى يبيت على الوعثاء ساريها
عشنا وعاشت على صحراء مجدبة
من الحقائق تطوينا ونطويها

وكأني بقطاره هذا معرض عن زروع وحقول، وموغل في قفار وفياف، وربما يتحول إلى سفين يمخر في عباب متلاطم، فيحفزه إلى أن يغوص إلى أعماق نفسه المتململة، فيصوغ من شظايا صبرها فلسفة سائغة فيقول:

ما رأيتُ الحياة إلا عُبَابا
نحن فيه على السلامة غرقى
ربَّ ماضٍ لغاية لو تقرَّى
ما يليها رأى التخلُّفَ أبْقَى

ثم يقول منها:

هل ترانا إلا فقاقيع ماء
نشرتها الرياح غربًا وشرقًا
فوق أثباج غَيْلَم صاخب الموْ
ج رهيب الوجهين سطحًا وعمقًا
تتلاقى فيه الأعاصير والظلْ
مة شَقَّتْ عصا الأمانيِّ شقّا
قل لمن يتّقي المذلة بالصب
ـر عليها، قد ارتضيت الأشقّا

نزعة فلسفية راقية

وهذا القطار ماض، وهو لايزال يهدر في مفاوز وحزون، وإذا انطلق شاعرنا وأليفه معه كطائرين، لم يلقيا إلا فضاء مظلما، فيحاولان أن يحلِّقا فيه، ولكن من أين لهما والأجنحة مهيضة مقصوصة، فيقول من قصيدة (فلسفة حائر):

يا لنا طائرَينِ رِيعا عن الوكْـ
ـرِ فهاما والليل داجٍ عويصُ
فهما في الظلام راعٍ مَهِيـ
ـضٌ لسليم جناحُهُ مقصوصُ
ما أرى في البقاء إلا علالا
ت خيالٍ مآلُها التَّنغيصُ
والردى صائد النفوس فما فـَ
ـرَّ كناسٌ منه ولم ينج عيص
فعلامَ العناء يضني المجدَّ يـ
ـن ويصلاه طاعمٌ وخميص

وحسبي بالشاعر هذه النزعة الفلسفية الراقية.. ولكني أربأ به من تأملاته التشاؤمية، فقد جاءت أغلب قصائده الفلسفية مشرقة البيان، رائعة التعبير، متميزة بمواءمة الفكر للفكرة، ولكنه لا يلبث أن يعكر صفوها بتقريب غدها الفاني لحاضرها الحيّ فيكون كمن يعكرون المياه بأقدامهم، فهو بعد أن يدعو لاغتنام مباهج الشباب سرعان ما يربط هذا التوهج بالتلاشي والانطفاء حتى غدت هذه الثنائية المتناقضة من سمات فكره الفلسفي البارزة.

يقول من قصيدته (اغنم شبابك):

أرسلْ لفارهة الشباب لجامها
فغدًا سيعقلها المشيب قيودا
دعها تَرِدْ عذب الموارد قبل أن
تبغي الورودَ فلا تطيقُ ورودا
اليومَ تمنحك الحسانُ خدودَها
وغَدًا ستُصليك الحسانُ صدودا
اليومَ زَينُ الصَّحْب أنت وشُغلهم
وغدًا تدبُّ على عصاك وحيدا
فاليوم تعطيك الحياة وقودها
وغدًا ستصنعك الحياة وقودًا

ونعود إلى قطاره المكدود، ولا إخالني إلا مبالغًا في إبراز ما يرود من مجاهل وهي على جدبها خصبة - فكرًا وعاطفة وتنويع عطاء - وقد آن لنا آن نمرّ مع قطار رحلته الحياتي على الحقول البهيجة ومواطن السحر، والحسن والرواء، فنتقصى بذلك تلك المجالي التي تنبض بالحب، وترفل بالجمال، وتزدهي بمفاتن أخاذة.

فالحب عند شاعرنا صوت الحياة المتدفق في حناياه يوصله إلى مسمع الحياة عندنا، فلا نشعر بوحشة وانفراد بيننا وبينه، فهو إن تحدث عن الحقيقة بينه وبين محبوبه وأثر ما نفث من سحره في دمه، كان لابد أن ينقل لنا - وهو الشاعر - بعضًا من هذا الأثر إلى دمنا ومشاعرنا.

يقول من قصيدة (وداع):

حبيبي ألا عادت بك الصبوة التي
تخاولني عنها الكلام المنمَّقا
تقولُ - ولا أنسيت - أهواك شاعرًا
إذا قال بزّ القائلين وحلَّقا
وأهواك نفَّاثًا لسحرك في دمي
وفكري وأهواكَ الكذوب المصدَّقا
تشاكل رأيانا كلانا لنفسه
هوًى، ولكلٍّ في الهوى ما تذوقا

ومن قصيدة (نهاية) نواكب الشاعر في سؤاله إلى حبيبه.. أيسكت أم يشكو؟ ويغضب أم يعتب؟ ويكتم أم يفضي؟ يصوغ

ذلك في قالب شعري فخم، وكأني به يطرق على جدران التاريخ فيطلع علينا على طريقة الشاعر أبي فراس الحمداني بجزالة ألفاظه وصدق عاطفته:

حبيبي تلافَ اليومَ ما يُرتَجى غدًا
لُبقيا وفاءِ ترتجيك، وتصحبُ
أأسكت أم أشكو لعلك سامع
وأغضب أم أغضي لعلك مُعتبُ
وأكتم أم أُفضِي بذات سريرتي
وأهتك سترَ الكِبْرِ أم أتهيَّبُ
وأجمد أم أبكي فقد ضِقتُ بالضَّنى
وبرَّح بي فيك الرَّجاءُ المخيِّبُ
وما اعتدتُ أن أرجو، ولكن مودَّة
تراجِعني فكري العصيَّ وتجذبُ
صبرتُ لها في ظلمة الشك والرجا
وإن رجائي فيك كالشكِّ مرعِبُ

الرومانسية الحالمة

كما يعبر عن حبه برومانسية عفوية يضفي فيها على عناصر الطبيعة فيضًا من إحساسه فتشاركه خفقة القلب واللوعة في الهوى..

يقول من قصيدة (جارة النهر):

يا أنتِ يا نبعَ أحلامي وملهمتي
سرُّ الجَمَال تجلَّى في مزاياكِ
يا هاتفًا من ضمير الغيب أشرق في
قلبي بدعوته شمسًا.. فلبَّاكِ
ما النهرُ! ما غِيدُهُ ما الشطُّ مزدحمًا
بهنّ إلا إطارٌ حولَ مغناك
لو يسأل الدهرُ عن فتانة بلغت
حَدَّ الكمَال لما استثنَى وسمَّاكِ
يا شمسَ دنيايَ ما أضناك مُطفئةً
غليلَ عاطفتيَ الحرَّى، وأنداكِ
أنرتِ ليلَ حياتي واطَّلعتِ على
قلب تفجر نورا مذ تلقَّاكِ

وفيها مما يؤكد نظرية التلاحم التي يؤمن بها شاعرنا حيث يقول:

بيني وبينك عهدٌ ما حفلتُ به
من يائسِ الحَب أشجاني وأشجاكِ
وقد يؤلفُ بين اثنين حزنُهُما
وربَّما باح محزونٌ فواساكِ

ومن رومانسيته أيضًا قوله:

يا بقايا الشعاع من ألَقَ الشمـ
ـس تُحيِّي البطاحَ عند الغروبِ
أنت إيماءة المحب بشكوا
هُ تجلَّت عن بثِّهِ لحبيبِ
لغةَ الصمتِ هل يُدانيك في الإعـ
ـجاز قولٌ من مُفْصحٍ وهَيُوبِ
ما غناء الكلام ما لهفة الأنـ
ـفس في موقف الوادع الرهيبِ

وعاطفة الحب عنده ملتهبة متواثبة:

الهوى يا حبيبتي قد بَلَونا
ه فراحت غاياتنا فيه صرعى
هو نارٌ وقودها قدرةُ الحيّ
على أن يظل للنَّارِ مرعى

وهو إن عبر عن خلجات حبه بعاطفة مشبوبة وحرقة متَّقدة فقد كان يحرص على أن يوردها بأنغام رشيقة وجرس متناسق لتكتمل عنده أسباب التأثير المبدع، يقول من قصيدة (توبة):

حبيبتي قلنا وأكْثَرْنَا
وكم صفونا وتكدَّرنا
وكم تلاقينا على غاية
من الرى ثم تغيرَّنا
وقلت ضقنا بقيود الهوى
ذَرعًا فها نحن تحرَّرنا
فأبحرَ البُعد بنا والأسى
في رحلةِ الصمتِ وأبحرنا
تُبنا وتُبنا وارعوينا إلى
صفوٍ وبالدمع تَطَهَّرنا

الدقة في تصوير المعاني الداخلية

كذلك يمضي في التعبير عن حبه فلا يقتصر على إظهار ما تجيش به نفسه من عاطفة بتعبير يناسبها، بل يعتمد في إبرازها على تصوير دقيق كما جاء في وصف الحبيبة القلقة.. فهو يؤطِّرُ هذه العاطفة بما أوتي من قدرة على التصوير فيخرجها لوحة فنية حالمة.

يقول في قصيدة (أصداف):

يا أنتِ لا يحزُنْكِ أنك زورق
لَم يلقَ في عرض المحيط مطافا
ملاّحهُ أشقى لدفته هَوَتْ
فطوى الشِّراعَ وأسلم المجدافا
هي تلك أسباب الهوى وشباكه
شعرٌ أطاف بقائليه فطافا
يا أنتِ ما كل الغيوم تحمَّلتُ
مطرًا فَشيمي العارض الوكَّافا

ويتابع تصوير دخائله النفيسة عن معاناته الداخلية. فيقول من قصيدة (موقف وداع):

هدر اليمُّ يا حبيبة أمسى
فدعيني أدفَعْ عليه شراعي
ضاع عمري على المنى بين ماضٍ
مستطارٍ، وحاضرٍ متداعِ
سوف أمضي لغايتي مُثْخَنَ الصَّدْ
رِ وأطوي قلبي على أوجاعي
غايةٌ دونها الونى ولغوب النّـ
ـفس والوعر واحتضار المساعي
غاية اليائس الذي كره العيـ
ـش، وأسبابه بدنيا الخداع

وما يزال قطار رحلته يخبُّ سريعًا، ومازال شاعرنا ـ رحمه الله ـ يطل من نوافذه على مناطق مختلفة، والجميل كما يقال ينظر بعين الجمال إلى كل ما يراه فيبرزه جميلاً، وكذلك كان يعبر عن صور صحاريه القاحلة بفكر عميق وفلسفة تشاؤمية كما أسلفنا القول.. ولكنه مع ذلك كان الجمال يكمن نابضًا في

يعبر الشاعر عن حبه برومانسية عفوية يفيض فيها على عناصر الطبيعة فيضًا من إحساس، فتشاركه خفقة القلب ولوعة الهوى.

ذلك التعبير، ويقدمه لنا عذبًا مستساغًا، فكيف وعينه الآن تقع على مواطن جميلة ومعالم فاتنة رافلة بأسباب السحر، مجنحة بأطياف الخيال.. أو ليس جديرًا بها وهو فارس الكلمة المجنحة والحرف الهامس..؟

بلى..! وجدّة عروس البحر، وهو ابنها، وعشاقها كثيرون، وهي متحف شاعري، كانت وماتزال، رياض العيون ومرتع القلوب، وآفاق السارحين الحالمين بمعاني الطبيعة والجمال:

النُّهى بين شاطئيك غريق
والهوى فيك حالمٌ ما يفيقُ
ورُؤَى الحب في رحابك شتَّى
يستفزُّ الأسير منها الطليقُ
ومغانيك في النفوس الصَّديًا
ت إلى ريها المنيع رحيقُ
إيه يا فتنةَ الحياة لصَبٍّ
عهده في هواك عهدٌ وثيقُ
سحرته مَشَابهٌ منك للخُلْـ
ـد ومعنىً من حسِّه مسروق
كم يكرُّ الزمان متئدَ الخَطْـ
ـو وغصنُ الصبا عليك وريقُ
ويذوب الجمالُ في لَهَب الحبِّ
إذا آبَ وَهْوَ فيك غريقُ

والرؤية عند شاعرنا واضحة وهي من سمات تعبيره الرائق يوائم بين لفظ فصيح بليغ، وحس وجداني كريم، ليقدم لنا معنى أنيقًا محلقًا.. فيقول من قصيدة (المغنى والجمال):

لست مغنايَ لا .. فقد كان مغنا
يَ خصيبًا وليس مثلك قاحلْ
ضاحكًا كالربيع مستكمل الفتـ
ـنة كالخلد طائرًا كالفضائل
ثابت العهد والأمانة والحسـ
ـنِ وفيًا والأوفياء قلائلْ
أينَ مَغناي أُفْقُهُ ومَدَاهُ
وتسابيحُ أيكِهِ والبلابلْ
أنت مغنايَ..؟ لا فقد كان مغنا
يَ رحيمًا وليس مثلك قاتلْ


وليام شكسبير

إيليا أبو ماضي

وكما طرح الشعراء المعاصرون فكرهم في قصائد تأملية، مثلما فعل شاعر المهجر إيليا أبو ماضي في «طلاسم» وشفيق معلوف في «سنابل راعوث» وغيرهما.. نرى شاعرنا ـ حمزة شحاتة ـ يطلع علينا أيضًا بملحمة رائعة يرمز فيها من خلال صراع عناصر الكون المادية من تراب وهواء وماء ونار إلى الصراع القائم بين أسباب الحياة وأقانيمها من صحة ومرض وشباب وهرم وموت.. لتكون قصيدته بحق ملحمة الحياة الكبرى، وهو مبدع في جميع أبياتها بإبراز فكره بتعبير رائع عن الطبيعة والجمال، فلنستمع إليه يقول فيها:

وغَفَا الكونُ بعد مَلحَمَة اليو
م وكانَت على الطبيعة شرا
وأفاق الصباحُ من حلمه البا
سِم يندَى هوىً ويرفضُ سحرا
وتمشَّتْ أنفاسه في حواشي الْـ
ـكون فاستيقظت روابيه سكرى
حدَّث الليل قال، وانطلق الضو
ءُ منيرًا دنياه سهلاً ووعرًا

المعاني الدينية من أسمى المكنونات

ولنعد الآن إلى قطار الشاعر يطوي به أيام رحلته الحياتية، وهو كما عبر عنه أيضًا: «الراكب فيه على المجاز، مركوب على الحقيقة، أو الراكب فيه مركوب عليه في ذات الوقت» ولذلك ـ وهو الشاعر المتأمل ـ كان يقطع فيه بُعدين متلازمين: بُعْدَ المسافات الظاهرة يحرك مناظرها ومعالمها بعصاه السحرية فيقدمها لنا صورًا منوَّعة، وبُعْدًا نفسيًا يغوص في أعماقه، ويخرج أصدافه، فيعرض مكنوناتها بفكر واعٍ وذهن وقّاد، وفلسفة منظمة، وقد كانت المعاني الدينية ـ وهو الإنسان المسلم المؤمن ـ من أسمى هذه المكنونات وأعظمها شأنًا، وقد يوردها خلال قصائده لاصقة بمعاني الحياة، وواقفة إلى جوارها جنبًا إلى جنب، وهي إما أن تكون مصرَّحًا بها وواضحة من غير رمز ولا تورية، أو مُلَمَّحًا إليها تنشر عبيرها بإيحاءات كريمة خلال أفكاره الغزيرة.. فمن المصرَّح بها ما يقول ـ بفوقيّة الدين ـ في قصيدته (الليل والشاعر):

يا ليلُ.. لا فالدِّين فوق الحجَا
فَلْيَعْلنِ الثائرُ إذ عانَهُ
بصيرةُ الدين وهل غيرُها
ردٌّ على الحائر إيقانَهُ
تقودنا للخير في حكمة
تروي لهيف القلب حرَّانَهُ

ومن الملمَّح بها ما جاء قوله في معنى قول الحق تبارك وتعالى: *أتأمُرُونَ الناسَ بالبِرِّ وتَنسَونَ أنفُسكُم*. **البقرة**:٤٤. وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمنُ أحدُكُم حتى يحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه».

عَجِبتُ لقومٍ صَحَّ في العَدل رأيُهُمْ
فلما اقتضاه المستضامُ به ضَنُّوا

ويكمل بناء معناه بشيء من الفطنة الدينية، وقد لاح لعينيه قول الله في كتابه الكريم: *وَأنْ ليس للإنسان إلا مَا سَعَى*. **النجم**:٣٩.

ومن شَهَوات الحيِّ نبعُ شعوره
وإن مساعينا بأسبابنا رَهْنُ

وهو يدعو إلى أن يأخذ الإنسان نفسه بشدة نحو الإصلاح، فالنفس أمارة بالسوء، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: (القابضُ على دينه كالقابض على الجمر) والشاعر مدفوع بهذا المنهج فيقول:

والنفسُ للشَّهَوات أطـ
ـوَعُ.. والتُّقى جهد ثقيلُ
والرأي في الإصلاح صعـ
ـبٌ.. والفساد هو الذُّهولُ

عبقري زمانه! ٥

كما يدعو إلى التخلص من أدران عبادة الشهوات:

أرانا عبدنا المالَ والجاهَ واللّهى

فماتت دواعي الكِبرُ فينا فما نحن؟

وقوله تعالى: وعَسَى *أن تكرهوا شيئًا* وهو خيرٌ لكم، وعَسَى *أن تُحبُّوا شيئًا* وهو شَرٌّ لكم. **البقرة**:٢١٦. يورده الشاعر في قصيدته (فلسفة الصبر):

ربَّ ماضٍ لغايةٍ لو تَقَرَّى

ما يَليها رأى التخلُّفَ أبْقى

كم نجا من كريهةٍ مستميتٌ

وأصابَتْ سِهامُهَا من تَوَقَّى

ولقد يعجل السليمُ فَيَقْضِي

ولقد ينهض المريضُ فيبقَى

كما يعرض قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا ينظرُ إلى صُـوَرِكم ولكنْ ينظر إلى قلوبكم) بقوله من قصيدة (رجع الصدى):

لله كم تُخْفِي الملابسْ

ما في الضمائر من خسائس

الحيُّ صائد خلسةٍ

سيَّانِ مفترٌّ وعابِس

حداثة لا ضبابية فيها

وبما أن شاعرنا قمة من قمم الأدب في بلادنا كان عليه أن يعيش عصره بكل معطياته، وقد رأى (شعر الحداثة) يمتد على نطاق واسع في رحاب الأدب العربي الحديث، فأدلى برأيه فيه، كما نظم على منهجه أيضًا، فكان نظمه لا إسفاف فيه، ولا ضبابية ولا خوار، بل تلت فيه موسيقية معلنة، ومعان مشرقة واضحة يقول:«إن الشعر بقوالبه وأساليبه، وجملة أشكاله التقليدية، كان يشكل ضغطًا شديدًا على أعصاب محاوليه الذين بلغوا درجة عالية من القدرة والتخصص.. كانت هناك القافية والوزن، ومستويات المبنى والمعنى والعمق، ووثاقة التركيب، وسعة البصر بقوانين الكلمة وأحكامها.. وأطلَّت ثقافات الحضارة وتبدلت المقاييس وتغيرت قيم التعبير، لقد تغير كل شيء في حياتنا.. حتى أحكام العقل، واتسع صدر الحياة لهذا التعبير، فلماذا يقف الشعر بقوالبه الجامدة، وحدوده المتصلبة، لا يتغير مع طاقات الجيل الجديد ومع مقاصده وأغراضه؟ لقد بدأت التجربة بين زحف ونهوض، وتحليق وإسفاف، واحتفظت التجربة بالوزن على مستوى التفعيلة المتحررة من حصر التحديد، وبالقافية ترنيما داخليا كالسجع غير الملتزم.. وأشهد أنها انطلاقة إن دامت لها قوة الدفع.. خرجت بالشعر العربي إلى أوسع آفاقه وأجزلها عطاءً». وفيما قرأنا لشاعرنا الأستاذ حمزة شحاتة من هذا اللون قوله:

أما أنا فقد انتهيت

وشربت من حلو الكؤوس

ومرّها حتى ارتويت

وبلغت من غايات حبك

ما كرهت بما اشتهيت

وأفقت من حلمي الجميل

على الحقيقة

وتسللت من خاطري

أوهام ماضيك الحفيل

وفرغت من رعب الخيال

فلا اشتياق ولا غليل

وختام الحديث أن شاعرنا توافرت لديه كل معطيات الشعر، فجاءت روضة حافلة زاخرة بمختلف الأطايب والألوان والجمال.. من كلمة حيَّة تنمُّ عن فكر وخيال رائعين وتنتظم في تعبير سمح مشرق، كما تناغمت وتساوقَت جمله وتراكيبه في انسياب عذب وموسيقى صادحة، وكذلك رفلت معانيه بغلائل براقة وصور مجنحة، وبإحساس ورعشات تهتز لها النفوس تأثرًا وتجاوبًا لتنتظم جميع هذه الخطوط والألوان والظلال في لوحة فنية متكاملة.

وهو إلى جانب عطائه بما هو أليق بالعصر الذي يحياه، وأمَسُّ بأهله، نجده امتدادًا للنَفَس الشعري الذي يذكِّرُنا بفحول شعراء العرب في العصر العباسي أمثال مهيار الديلمي والشريف الرضي وأبي فراس الحمداني وأبي العلاء المعري وأضرابهم من كبار الشعراء.. إنه يتميز بديباجة مشرقة وكلمات ناصعة تسبك في عاطفة شعرية حارة نحس في جوهرها بوهج الإبداع والعبقرية.. وكان ـ رحمه الله ـ عف الضمير، صافي الوجدان، يؤثر ـ في أواخر حياته ـ العزلة والانطواء على الشهرة والأضواء.. فجاء شعره مترجمًا خلجاته وأحاسيسه.. فمن قصيدة (الليل والشاعر) يقول:

يا شاعرَ الكون وفنانَهُ

وعبقريًا صاغَ ألحانَهُ

وعاشقًا أوطأه قلبُه

مخاطرَ الحبّ ونيرانَهُ

جافي الهوى لا خائبًا عنده

وإنما أنكر ميزانَهُ

لم يسأمِ الحُسْنَ ولا وَحْيَه

ولا احتَوَى الحبُّ وأشجانَهُ

لكنه ـ والطُّهْرُ مأمُوله ـ

عافَ دَنَاياهُ وأدْرانَهُ

وإذا ما عدنا إلى قطار الأستاذ الكبير والشاعر العملاق حمزة شحاتة ـ رحمه الله ـ في رحلته ترانا نردد معه ما قال عن القطار ومسيرته (وتمام الرحلة ما يراه هو، لا ما يراه راكبه..) فهل تمت الرحلة..؟ وهل توقف القطار كما يرى هو..؟ نعم! وبعد رحلة حفلت بعطاء ثرّ ثمين هو مدعاة للفخر والاعتزاز والإكبار.

عطاء من استحق أن يكون بجدارة عبقريّ زمانه.

وضوح الرؤية من سمات تعبيره الرائق الذي يوائم بين لفظ فصيح بليغ، وحس وجداني كريم، لتقديم معنى أنيق محلّق

مشكلة «الفراغ» لدى الشباب

الدلالات والملامح.. ودور أجهزة الإعلام ومؤسسات التربية

د. عثمان سيد أحمد خليل

من أخطر إفرازات حضارة المادة والصناعة والتقانة (التكنولوجيا)، وسيادة مفهومات الإشباع المظهري «الخارجي» للمتطلبات الغريزية المادية، ذلك (الأخدود) الخطير الذي يقصم الممارسة الحياتية للأفراد والجماعات، والمتمثل فيما يطلق عليه «الفراغ» عند البشر كافة: الكبار والصغار، النساء والرجال، الأغنياء المتقدمين، والفقراء المتخلفين ـ حسب تقسيمات الحضارة المادية السائدة ومفهوماتها.

منبع المشكلة

إن «الفراغ» إفراز لصيق تمامًا بأسس الفكر الفلسفي الوضعي المادي الذي عمل على تجريد هذا المخلوق السامي «الإنسان» تجريدًا أحاله جسدًا وهيكلاً، كل وظيفته في الحياة الدنيا أن يحقق الإشباع والرفاهية، أما الجانب الروحي القيمي المعنوي، وأما حكمة الوجود في هذه الحياة الدنيا ـ دار العبور للحياة الباقية الخالدة ـ هذه الحكمة وكل ما تقوم عليه من أصول عقدية إيمانية، فهي هنا نُفيت تمامًا ضمن نفي العلمانية الوضعية الأوروبية منذ عصر النهضة، للدين وللروح وللغيب وللحياة الأخرى الأبقى لهذا الإنسان.

إن العمر الإنساني أقصر كثيرًا من أن يمكن الإنسان من أداء رسالته الكبرى دينًا ودنيا، وهذا ما يتجه إليه الفكر الإصلاحي الآن في أوروبا ذاتها، خاصة والعالم يمر الآن بعصر تتهاوى فيه المقولات القديمة عن العطالة و«الفراغ» بمنظورها الوضعي.

أمام هذه الحقائق يتبادر سؤالان مهمان: هل تعاني مجتمعاتنا العربية والإسلامية من كيفية ملء أوقات الفراغ؟ وهل يوجد فراغ في حياة المسلم الذي جعلت شرعة الله تعالى يومه وليلته كتابًا موقوتًا من العبادات يوفيها حقها ثم ينتشر في الأرض سعيًا وراء رزقه؟

لا ينكر باحث أو متقص وجود أوقات فراغ عريضة في المجتمعات العربية والإسلامية في العصر الراهن بما نعايشه معايشة حية، وبما تصدت له بالدراسة والإنذار والتنبيه كثير من المؤلفات والندوات والمحاورات، وكلها تصور حجم هذه القضية «المشكلة» وهول الدمار الذي تحدثه بين شباب الأمة.

فبصدد هذا يرى «شرف الدين الملك» أن: ـ «فراغ الشباب ـ في كل زمان ومكان ـ إفراز (تكنولوجي) لابد من معالجته لا بالحد من سرعة النمو ولكن بسد الثغرات ونقاط الضعف في الأنظمة والمؤسسات الاجتماعية(١) المعنية برعاية الشاب وإرشاده وتوجيهه.

وبما أن «الكاتب» يفضل استخدام جملة «إفراز البيئة المحيطة» بدلاً من «إفراز تكنولوجي»، إلا أنه يتفق مع الرأي السابق في أهمية سد الثغرات في الأنظمة والجهات ذات الصلة بشؤون الشباب، وصولاً إلى تنسيق تكاملي منظم يملأ أوقات فراغهم بالنشاطات والبرامج البناءة.

ويذكر عبدالمجيد سيد أحمد منصور مخالفته لوجهة النظر القائلة بأن «وقت الفراغ هو ذلك الوقت الذي يفعل فيه الفرد ما يشاء». ويتفق معه «الكاتب» في ذلك لأن الأساليب التي يقضي بها الأفراد والجماعات أوقات فراغهم تعدّ وجهًا من أوجه الحياة العامة للأمة، ولأن الخلود إلى الحياة الراكدة، والانغماس في النشاطات الفاسدة في أوقات الفراغ، يؤديان أيضًا إلى انحطاط قوى الفرد، واضطراب الحياة الاجتماعية وفسادها، وما يتبع ذلك من مقاومة السلطات للانحرافات والاضطرابات السلوكية(٢).

دلالات مشكلة «الفراغ» وملامحها

يكفي هنا أن نشير إلى أبرز مظاهر مشكلة «الفراغ» في المجتمعات العربية والإسلامية في العصر الراهن ودلالاتها.. فنذكر التالي:

أولاً: ـ الدلالة الخطيرة للظاهرة ذاتها «الفراغ» بين الشباب:

ـ وجود أوقات فراغ في الأساس بين الشباب.



الإعلام بجميع فنونه مطالب بتحقيق أهداف التربية المعاصرة

- تحول أوقات الفراغ إلى مشكلة تتناولها أجهزة الإعلام والتربية.
- بروز الحاجة إلى وضع أسس للرعاية والتوجيه في كيفية قضاء أوقات الفراغ إيجابياً.
- بروز الحاجة إلى معالجة أسباب التخلف الدراسي والبطالة وتفكك الأسر والهروب من المسؤولية كجوانب داعمة لظاهرة الفراغ.
- تزايد الاتجاه الرامي إلى الاهتمام بالقيم الدينية والروحية والأخلاقية كأسس متينة في عملية البناء العقدي والثقافي والفكري والترويحي للشباب.

ثانياً: دلالات التواكل والتعطل والتسيب العام وسط الشباب:

- مأكل الشباب مما لا يزرعون، وملبسهم مما لا ينسجون، ومركبهم مما لا يصنعون، ودفاع أمتهم عن نفسها بسلاح لا تنتجه ولا تطوره ولا تتحكم بالتالي في توافره بالكم والنوع، وفي الوقت المناسب الذي تحدده.
- الانفلات السلوكي، والاهتمام بالمظهر أكثر من الجوهر.
- الركون إلى الدعة والخمول والكسل، وإضاعة الوقت دون عائد.
- عدم الحماسة إلى الإنتاج والإبداع والتميز الأدائي.
- انعدام الشعور بالحرج في العيش عالة على عائل واحد في الأسرة.
- ضياع الهدف من الحياة، وغموض الرؤية المستقبلية.

إن ذلك كله إنما هو بعض النتاج المر للمرحلة التي تجتازها مجتمعاتنا العربية والإسلامية منذ بداية الغزو الأجنبي العادي، بل لنقل: منذ أن نَسينا الله فأنسانا أنفسنا: «نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُم أَنْفُسَهُم». الحشر:١٩. إذ نجح الغزو الفكري والعقدي بأهدافه وأساليبه وخططه الماكرة أن يدخل أمتنا الدائرة الخبيثة، دائرة الاستسلام لـ «الوثن الجديد» بادعاء مواكبة العصر والأخذ بالتطور والتمدن القائمين على الرؤى والنمط الأوروبي الوضعي العلماني، فاستسلمنا وأصبحنا من التابعين - مجرد - حلفاء أو أصدقاء أو مواقع نفوذ ضمن أقاليم ما وراء البحار لهذه القوى أو تلك من قوى حضارة الآلة و(التكنولوجيا) الممسكة بزمام الأمور في عصرنا هذا: أقطار أوروبا وقواها وامتداداتها الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية وغيرها. وهكذا أصابت أمتنا في شتى أقطارها عوارض الوهن والاستسلام، بما نركز عليه في مجال بحثنا هذا من المظاهر الكئيبة التالية:

تنامي مظاهر التشبع بالنمط الأوروبي في الممارسات الحياتية اليومية التي لا تتفق في معظمها مع البيئة والمناخ، كما تتناقض في جوهرها مع العقيدة والنمط الحضاري بخصائصه وأطره وضوابطه القيمية وسموه الروحي: المحرك الدافع والحاكم للمسعى كله في هذه الحياة الدنيا. وهكذا نتج الاهتزاز وأنواع الشذوذ، فلم نتحول إلى مجتمعات «إفرنجية»، كما لم نستطع أن نعيش ذواتنا!!

بروز ظاهرة الحيرة في كيفية ملء أوقات الفراغ - خاصة لدى الشباب - رغم المساحات الشاسعة من الأعمال المعمرة للأرض والتي من المفترض أن تزدحم بها أوقات الإنتاج.

- فقدان مشاركة المفكرين والمنظِّرين والكتَّاب والمتحدثين في رفع إحساس الأمة بأوقاتها وأعمارها، ووضعها وجهاً لوجه أمام أزماتها الحاضرة والمنتظرة، ومن ثم حشد تلك الأحاسيس وتحويلها إلى برامج تربوية مثمرة، حتى تغدو الواجبات أكثر من الأوقات.

إن العالم العربي والإسلامي - وهو يمر بمرحلة تحول حضاري قيمي على

أصعدة التنمية البشرية قبل المادية، وإعداد الأيدي العاملة المؤهلة، والكفاءات المدربة التي تتحمل مسؤوليات البناء والتعمير، وتذود عن الدين والوطن من كيد المتربصين، ودسائس المستعمرين، ومخططات المنصرين - لهو أحوج ما يكون للإفادة من وجود تكامل إعلامي تربوي ينسق البرامج والخطط في مراحل التنظير والإعداد والتنفيذ لملء أوقات الفراغ لدى الشباب، ذلك الفراغ الذي تبدو ملامحه جليَّة في:

- وقوف الشباب بلا طائل على مفترقات الطرق وتحت ظلال الأشجار، وتسكعهم بلا هدف في الأسواق، وارتيادهم الحفلات والسهرات القريبة منها والبعيدة.
- الدخول في المعتركات الكلامية - بل واليدوية أحيانًا - حول قضايا هامشية في الرياضة والسياسة والدين والمجتمع، تستنزف الوقت والجهد.
- الامتناع عن الأعمال اليدوية والمهن الحرفية وتفضيل البطالة عليهما.
- الاتكال على عائل واحد في الأسرة دون المشاركة في تحمل المسؤوليات.
- الركون إلى المظاهر البراقة من ملبس وتجميل للهيئة وإهمال للجوهر.
- التغاضي عن النهل من علوم الدين والثقافات والمعارف المهمة.

أصبح من الضروري تسخير القنوات الإعلامية لتحقيق أهداف التربية المعاصرة ومنها تقديم الحلول لكيفية استغلال أوقات الفراغ

إن الأمة العربية والإسلامية في أمس الحاجة إلى بث روح جديدة في صدور أبنائها لتسخير طاقات الأوقات الفارغة المبددة لتدبير متطلبات كثيرة على رأسها بند الغذاء. فالعجز الغذائي على المستوى العربي - وحده - يرتفع من عشرة ملايين طن من القمح عام ١٩٧٥م إلى ٣٠ مليون طن في عام ٢٠٠٠م!!(٣).

الحاجة إلى تربية عميقة الجذور

إن مليارات ساعات الفراغ تضيع من أوقات الجميع - خاصة الشباب - في العالم العربي والإسلامي، وإلا لما بلغت حالة شعوبه هذه المستويات المتدنية من الإنتاجية في المجالات كافة، وهذه النسب الكبيرة من إهدار الأوقات، وبذلك فقد غدت متطلعة إلى تربية عميقة الجذور تنبهها إلى جدوى الأوقات في بناء المجتمعات، ورفع معدلات الأداء والإنجاز.

واللافت حقًا أن الدين الإسلامي العظيم تحتشد فيه المنبهات الزمنية. قال تعالى: «والعصر* إنَّ الإنسانَ لفي خُسْر* إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتَوَاصَوا بالحقِّ وتَوَاصَوْا بالصبر». سورة العصر.

بل إن العبادات نفسها تدور كل يوم مع حركة الشمس، وهي أكبرساعة زمنية ملتهبة ثبتها الله تعالى فوق رؤوس خلقه في السماء الدنيا. فبعد صلاة الفجر تدعو أشعة الشمس للبقظة والعمل. والصيام يأتي كلما استدار عام من حركة الساعة الشمسية الهائلة. والزكاة كلما مر عام على مال الله الذي آتاه لعباده. والحج كله مواقيت ونفرات جماعية عاجلة الحركة. والطواف المنظم الخاشع لا يُخدش بالجدل أو الفسوق. وعلى الجميع - كي يفهم ذلك - تأمل معنى ما ورد في الأثر من قول حكيم: « ما من يوم ينشق فجره إلا نادى مناد" يا ابنَ آدم: أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتَزَوَّدْ مني بعمل صالح فإنيّ لا أعود إلى يوم القيامة(٤).

الشباب في مواقع البناء

قال تعالى: «أَفَحَسِبْتُم أنما خلقناكم عَبَثًا وأنكم إلينا لا تُرْجَعُون» المؤمنون:١١٥. وقال عز منَ قائل: «والعصر* إنَّ الإنسانَ لفي خُسْر* إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتَوَاصَوا بالحقِّ وتَوَاصَوْا بالصبر». سورة العصر. وقال سبحانه وتعالى: « ولا تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرى» الأنعام:٦، وقال عز وجل: «إنْ هُمْ إلا كالأنعام بل هُمْ أَضَلُّ سَبيلا». الفرقان:٤٤.

وقال حكيم: «من أمضى يومًا من عمره في غير حق قضاه، أو فرض أدَّاه، أو مجد أثَّله - أي ورَّثه - أو حمد حصَّله، أو خير أسَّسه، أو علم اقتبسه، فقد عقَّ يَوْمَهُ، وظلم نفسه(٥).

الشباب في الأمم هم الحاضر والمستقبل معًا، أساس كل جد مسؤول. وقد علَّمنا رسولنا الكريم أنه بالشباب نُصر الدين وعلت كلمة الله في العالمين.

ويشكل الشباب في العالم العربي والإسلامي أكثر من ثُلثي مجمل السكان - حسب تقديرات إحصائية غير رسمية - حيث يُعتمد عليهم في مواقع التنمية والبناء، والزراعة والصناعة وشق الطرق وإصحاح البيئة، وفي التأهل العلمي والصقل الفني والمهني، وفي الجامعات والمعاهد والمدارس والمراكز، كل ذلك على أساسٍ من جدٍّ ملتزم بهدى الله رب العالمين، الشامل الكامل الذي لا يأتيه الباطل أبدًا، مرتقيًا بالسعي كله لله رب العالمين، تطهرًا وتزودًا بخير زاد للباقية الخالدة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأداءً لمهمات حكمة الوجود الكبرى التي شاءت مشيئة الخالق المبدع أن يوجد لها هذا المخلوق الذي رُكِّب في أقوم صورة، وأحسن هيئة، ثم كُرِّم تكريمًا، وفُضِّل تفضيلاً على سائر ما في هذه الحياة الدنيا من أنواع الحيوان والموارد والجماد، ثم أُنيطت به المهمة الربانية الكبرى، مهمة الاستخلاف بالضبط والرشد عن تقى وخشية وبصيرة، لكل هذه الكواكب وما عليها، حتى يكون الأمر كله لله وحده.

الصحوة تبدأ بتربية الشباب

إن صحوة المسلمين ونشدانهم التنمية الشاملة في كل شؤونهم تبدأ بالتربية على أسس المنهج القرآني، مع الإفادة من أساليب الآخرين فيما لا يناقض قيم الإسلام. و«الاهتمام بالتربية والتعليم وفق خطة إسلامية ومنهج إسلامي، هو الإسهام الحقيقي في نهضة الأمة الإسلامية، بل هو الوسيلة الجيدة التي توصل إلى أعلى مستوى ممكن من الحضارة والمدنية. فما قامت الحضارة العربية والإسلامية في الماضي إلا على أساس اهتمام شديد بالتربية وأسسها، أهدافها ووسائلها ومناهجها، لأن إحكام سياسة التربية والتعليم هو الأسلوب الأمثل في تغيير الواقع السيِّئ الذي تعيشه الأمة الإسلامية اليوم، إلى الواقع المنشود، تغييرًا هادئًا عميقًا لا يحتاج إلى ضجيج ولا توتر ولا صراع دموي مما ألف الراغبون في التغيير أن يمارسوه»(٦).

وتستلزم التربية الإسلامية المنشودة للشباب جهدًا كبيرًا من المجتمع كله، ذلك لأن: «التربية ليست سهلة، إنها معاناة وجهد يقوم بهما المربي والمربَّى معًا». وتشترك في تحقيق النتيجة المرجوة عناصر أخرى في مقدمتها الرعاية البيتية، والرعاية البيئية، ورعاية السلطة الحاكمة، و(وسائل الإعلام)، والمدرسة، مثلما

مشكلة «الفراغ» لدى الشباب

الدلالات والملامح..

ودور أجهزة الإعلام ومؤسسات التربية

يشترك الماء والرعاية والشعاع والحر والبرد في إنضاج الثمار. كما أن العناصر المؤثرة في التربية لابد من تجانسها وتناسقها، أي لابد أن ينظمها ولاء واحد، وأن تتدافع إلى هدف واحد. فإذا كان البيت مسلمًا ملتزمًا تعاليمَ الدين فإن عمله سيبطل أو يضعف إذا كانت الحكومة علمانية والمدرسة مدنية. والخلل الذي نلاحظه على المسلمين المعاصرين يعود كفلٌ ضخم منه إلى هذا التقطع وهذا التضاد في وسائل التوجيه [كمحصلة من الآثار السيئة التي خلفها الاستعمار في بلادنا]. فالاستعمار استمات في إقامة أجهزة اجتماعية واقتصادية وسياسية تضرب التربية الإسلامية بخبث وقساوة فما ينجو إلا من عصم الله تعالى»(٧).

مسوّغات تزايد الاهتمام بالشباب

إن تزايد الاهتمام بكيفية شغل أوقات الفراغ لدى الشباب إيجابيًا، ينبع من أهمية قطاع الشباب في المجتمع بوصفه قوة بناء إيجابية إذا ما أُحسن توجيهه وإعداده، ومن خطورة هذا القطاع وتحوّله معولَ هدم وتدمير إذا فقد الرعاية وأُهمل شأنه وضل السبيل.

ولهذه الأهمية وجهتان: نظرية، وعلمية، وتتبلور الوجهة النظرية في الحاجة الماسة لمزيد من الأبحاث الميدانية لتقويم الدور التكاملي بين أجهزة الإعلام والمؤسسات التربوية في ملء أوقات الفراغ لدى الشباب، والتواصل لصياغات نظرية تعتمد على التقويم الميداني بعيدًا عن التحليلات النظرية غير المرتبطة بالواقع.

فعلى مستوى معظم المجتمعات العربية والإسلامية، ظلت غالبية الأبحاث الميدانية ـ على قلتها ـ والتي سعت لتعرُّف دور أجهزة الإعلام في المجتمع، تركز اهتمامها على بحث دور الإعلام في نشر المعرفة بمختلف الموضوعات، أو تَعَرُّض الجمهور لبرامج معينة، فبقيت الحاجة ماسة بالتالي إلى تتبع آثار عمليات هذه الوسائل، وتحديد دورها في التأثير في تصورات الأفراد وسلوكهم في مجرى الحياة اليومية.

أما الوجهة العملية فتُظهر الأهمية الاجتماعية لهذا الموضوع بعد تزايد اقتناع المعنيين بالأمر وأصحاب الرأي بصعوبة المضي قدمًا في برامج التنمية ودفع عجلات الإنتاج من دون مشاركة فاعلة من الشباب، ومن دون غرس روح الإحساس الجماعية، والعطاء والبذل والإخلاص في استغلال أوقات فراغه بما يضمن سلامة المواطن والوطن، ويساعد على تقدمه ونمائه. علمًا بأن هذه الجوانب يصعب فرضها بقرارات إدارية لالتزامها فيما يحقق ترسيخها في الأعماق وبلوغ النتائج المرجوة من خلال وسائل الإعلام والتربية، وخاصة أن الأنظار تتجه إلى الدور الذي بإمكان أجهزة الإعلام والتربية تأديته لملء أوقات الفراغ لدى الشباب.

فلماذا الإعلام؟ ولماذا التربية... إذن؟

تكمن أهمية الموضوع أيضًا في وضع نقاط يقوم الباحثون المتخصصون في مجالي التربية والإعلام بإخضاعها للدراسة والتقصي نظريًا وميدانيًا، واقتراح أساليب الحلول والمعالجة المرتكزة على المنهج العلمي، وذلك بتحديد دور التكامل الإعلامي التربوي في ملء أوقات الفراغ لدى الشباب عبر برامج ونشاطات مؤسسات تربوية شبابية مهمة، من بينها الأندية الرياضية والاجتماعية والثقافية، ومراكز الشباب والساحات والميادين الرياضية وغيرها، تأكيدًا لحقيقة أن تربية الجيل المعاصر وبناء شخصيته، هما أخطر القضايا التي تواجه الأمة العربية والإسلامية في تاريخها الحديث، وهي تبني مجتمعاتها على ركائز الأخلاق والعلم. وتأكيدًا لكون الإعلام محور هذا الدور، والذراع الأقوى لمهمات التربية الدافعة به إلى الأمام.

كما تتضح أهمية هذا الموضوع في استجلاء الظروف التي تساعد أو تعوق استثمار الطاقات الشبابية بما يعود عليها وعلى مجتمعها بالفائدة.

ويؤكد الكاتب أن دور التكامل الإعلامي التربوي في ملء أوقات الفراغ لدى الشباب، موجود في الدول العربية والإسلامية كافة في الوقت الراهن، لكنه متناثر في الصحف والمجلات ووسائل الإعلام الأخرى. وهنا يأتي دور الباحثين في جمعه وتوضيح أبعاده، واستقصاء آثاره بين الشباب.

إن تسخير القنوات الإعلامية لتحقيق أهداف التربية المعاصرة، وعلى رأسها تقديم الحلول لكيفية استغلال أوقات الفراغ لدى الشباب، أصبح لزامًا على المجتمعات من وجهة نظر الباحث، مع أهمية ربط برامج مراكز الشباب بأهداف الأمة وواقعها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. وبإمكان الباحثين التوصل إلى تصور لدور تكاملي إعلامي تربوي فاعل لملء أوقات الفراغ لدى الشباب، بتخطيط نشاطات شغل أوقات الفراغ وتنظيمها، وبإدراك أن الشباب يواجه الكثير من التحديات، وقد لا يستطيع التوفيق بين تنظيم أوقات الدراسة أو العمل، وما يقابلها من أوقات الفراغ والترويح، مما يتطلب جهودًا مكثفة من المسؤولين في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات التربوية المتمثلة في الأسرة، ومرافق التعليم، ودور العبادة، ومراكز الشباب، لحفز الشباب على الجدية وتحمل المسؤولية والاستغلال الأمثل لأوقات الفراغ.

ويُجمل «الكاتب» الأهداف التي بإمكان الباحثين وضعها أمامهم في تناول مشكلة «أوقات الفراغ لدى الشباب» في الآتي:

١ ـ تعرُّف أوقات الفراغ لدى الشباب، ونوعية النشاطات التي يمارسونها خلالها.

٢ ـ تحديد المشكلات التي تعوق الشباب في استثمار أوقات الفراغ استثمارًا إيجابيًا يساعد على بناء شخصيته وتكاملها.

٣ ـ اقتراح الحلول لمشكلات الشباب في كيفية التَّزجية الإيجابية لأوقات فراغه، وتعرّف الظروف التي تساعده على ذلك.

٤ ـ تحديد دور أجهزة الإعلام والتربية في ملء أوقات الفراغ لدى الشباب.

٥ ـ تحديد نتائج هذه الدراسة بصورة واضحة تضيف لأجهزة الإعلام والمؤسسات التربوية إضافات مهمة تعينها في رسم خطة أو خطط تحقق التكامل المنشود بينها لملء أوقات الفراغ لدى الشباب.

الهوامش:

١ ـ شرف الدين الملك، الجنوح والترويح في الأوقات الحرة لدى الشباب في المملكة العربية السعودية، (الرياض: مركز أبحاث مكافحة الجريمة بوزارة الداخلية السعودية، ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥م)، ص٤٩.

٢ ـ عبدالمجيد سيد أحمد منصور، توجيه وإرشاد الشباب المسلم، سلسلة دعوة الحق، السنة العاشرة، العدد ١٠٧، (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م)، ص١٦٣.

٣ ـ محمد الأحمد الرشيد، رؤيا عصرية مخيفة عن الوقت مقارنة بحلم السنين العجاف، مجلة رسالة الخليج العربي، الرياض، السنة السابعة، العدد ٢١، (١٤٠٧ ـ ١٩٨٧م)، ص ص ٩ ـ ١٦.

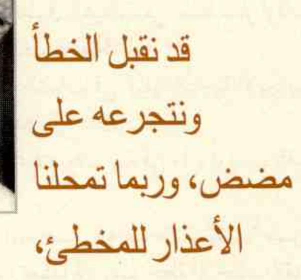
٤ ـ الغزالي، خُلُق المسلم (٢٧٩). انظر: جاسم بن محمد بن بدر المطوع، الوقت عمار أو دمار، ط٤، (الكويت: دار الدعوة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م)، ص ٩٢.

٥ ـ يوسف القرضاوي، الوقت في حياة المسلم، ط٣، (القاهرة: دار الصحوة للنشر، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م)، ص١٦.

٦ ـ علي عبدالحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله (٥٦٢/٢)، (المنصورة: دار الوفاء ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م). نقلاً من: السيد أحمد فرج، مشكلات في طريق التربية الإسلامية، ط١، (المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م)، ص ٨٩.

٧ ـ محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص٥٢. نقلاً من: السيد أحمد فرج، مشكلات في طريق التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٧٨.

الأخطاء في كتابة الأعلام



عبدالله بن سليم الرشيد

قد نقبل الخطأ ونتجرعه على مضض، وربما تمحلنا الأعذار للمخطئ، وفزعنا إلى المعجمات والمجامع، لتسعفنا بتصويب، يُقبَل حينا، ويُرفَض أحيانا وإن لم يقبله الذوق، ولحديث الأخطاء الشائعة نَفَس طويل، ومجاذبات ومطارحات، تُمدّها قرائح تنهل من معين هذه اللغة، وليس هذا مقام الاسترسال في بسطها.

غير أن الخطأ في كتابة الأعلام مما لا تقبله اللغة، وإنها لأخطاء متكررة، وهي غصة في الحلق، وقذى في العين، ومن العجب أن يرتضيها علماء وأدباء، فيكتبون أسماءهم ملحونة منحرفة، وقد لا يخطئ كثير منهم، ولكنهم سلبيون، لا يسعون إلى إثارة تلك الأخطاء وتصحيحها.

وبسبب اهتماماتي اللغوية، التي أُقرُّ بأنها ما تزال تحبو، وينقصها العمق والشمول، جمعتُ عددا مما أراه خطأ في كتابة الأعلام، أعرضها ولا أفرضها، وأتطلع إلى من يُخلي ذهنه برهة، ليفكر معي، ويتصدق عليّ بإعادتي للصواب إن كنت قد جنحت عنه.

وأول تلك الأخطاء وأكثرها ظهورًا، حذف كلمة (ابن) بين اسم الرجل واسم أبيه، وهو تقليد غير عربي، أظن بدايته مرتبطة بسياسة التتريك التي نهجتها الدولة العثمانية، ثم بالاستعمار الأجنبي، الذي وجد في النفوس المنهزمة مرتعًا خصبًا لنشر بذور التشكيك والهدم والإفساد في كل منحى.

وحذف كلمة «ابن» أو «بنت» يوقع المتكلم في الاضطراب، فلا يعلم الحركة المناسبة للأعلام المتوالية، فيفزع إلى التسكين، ولذلك نسمعهم يقولون مثلاً «جاء خالدْ محمدْ حسنْ»، مُلْغين الإعراب الذي يميز العربية من غيرها.

وأعجب العجب أن يبني مجمع اللغة العربية على هذا الانحراف حكما، يهدم به أصلا من أصول اللغة، فقد وافق أعضاؤه في الدورة الرابعة والأربعين عام ١٣٩٨هـ على قرار لجنة الأصول التي «ترى إجازة ما يجري على الألسنة من حذف ابن في الأعلام المتتابعة، في مثل: سافر محمد علي حسن، وتضبط هذه الأعلام على أحد الوجهين التاليين:

أ- يعرب العلم الأول بحسب موقعه، ويُجرّ ما يليه بالإضافة.

ب - تُسكّن الأعلام كلها إجراء للوصل مجرى الوقف».

(انظر: العيد الذهبي لمجمع اللغة العربية، بقلم عدنان الخطيب/ص١٩٩) إني أرى هذا مزلقا خطيرا وقع فيه مجمع اللغة، إذْ أجاز لحنا لا مرية فيه، ثم بحث له عن مسوّغ.

ومع أنه قصر قراره على الأعلام المتوالية التي شاع تسكينها؛ بسبب حذف ما لا يُحذف، وهو الوصف بابن أو بنت، مع أن ذلك كذلك، فسوف يأتي من يطالب بإجراء الوصل مجرى الوقف في الكلام جملةً، ويدعو إلى التسكين المطلق وإلغاء حركات الإعراب، فلا رفع ولا نصب ولا جر، بل سكون دائم، وما أُتِيَ العربُ في هذا الزمان إلا من سكونهم ونسيانهم الحركة.

وإذا جاز للمتكلم حذف (ابن) بناء على قرار المجمع، فهل يُقبل منه أن يحذفها من أسماء الأولين، فيقول مثلا (عنترة شداد) أو (بشار بُرد) أو (الخليل أحمد)؟!

لقد كان الأولى بمجمع اللغة أن يدعو إلى إثبات (ابن) عند كتابة الأعلام، لا أن يسوّغ اللحن الناشئ عن اطّراحها، وكان المؤمل أن يدعو إلى الاعتزاز بها بوصفها تميزا للعرب، لا يشاركهم فيه إلا أمم قليلة.

لقد كان المستشرق الألماني «فلهلم آلفرت» أكثر اعتزازًا بها وحبًّا لها، فأثبتها في اسمه العربي (وليم بن الورد البروسي) فليتهم نهجوا نهجه، وسلكوا سبيله.

وإن مما يُحمد لبعض الجامعات السعودية، حرصَها على إثبات «ابن» و «بنت» في أسماء طلابها وطالباتها، وهو موقف مشرِّف، ومبادرة مشكورة، آمل أن أراها شائعة في كل المؤسسات والدوائر الحكومية وغيرها.

ومن الأخطاء في كتابة الأعلام:

وصل كلمة (ابن) بما بعدها في الكتابة، وهي ظاهرة تشيع عند المغاربة، فتجدهم يكتبون «محمد بنعيسى» و «بنيونس» وهكذا، وهو خطأ لا ريب.

وصارت مجلاتنا الثقافية تكتب هذه الأعلام كما يكتبها إخواننا المغاربة، بخطئها الأصلع، وأقرب أنموذج لذلك ما جاء في مجلة الفيصل (العدد ٢٣٠ شعبان ١٤١٦هـ ص ٢٨) حيث كتب اسم الكاتب: (عبدالمجيد بنمسعود)! وأشد من هذا ما وجدته في اسم رجل خليجي، حيث جاء مكتوبًا هكذا (... البنْعلي) وأصله (آل ابن علي) فانظر كيف يصنع التساهل وعدم المبالاة، وأنفت أن أقول الجهل.

ومن الأخطاء حذف ألف (ابن) في غير مواضع حذفها، كقولهم مثلاً (الشيخ بن عثيمين يلقي محاضرة...) أو (بن خميس يقول كذا...) ولاداعي لحذفها؛ إذ لم يسبقها علم يُوصف بها، وليست في موضع من مواضع الحذف الأخرى.

ومن الأخطاء قولهم: صفية بن زقر، وليلى بن جابر، وهلم جرا، فيجعلون كلمة (ابن) الخاصة بالمذكر وصفًا للمؤنث، وأكثر ما يشيع هذا الخطأ في بلاد المغرب.

وحيث لاب الحديث حول التذكير والتأنيث، فإن من الخطأ، ما نقرؤه في كتابة أعلام النساء، مثل (سُكينة الشهابي) و(فاطمة العتيبي) وما أشبه ذلك مما في آخره نَسَبٌ.

وحيث إن كلمة (الشهابي) و(العتيبي) يعربان وصفًا والوصف يتبع موصوفه، كان لزامًا أن يكون هذا الوصف مؤنثًا، فيكون هذا: (سكينة الشهابية) و(فاطمة العتيبية)، وهذا هو عين الفصاحة، ولم يؤثر عن العرب غيره، مثل (رفيدة الأسلمية).

وإلى وقت قريب لم يكن العرب يألفون هذا اللحن الفاحش، ففي جزيرة العرب اشتهرت شاعرة تدعى (موضي البَرَازيّة) وفي مصر (عائشة التيمورية)، غير أن انتكاس الأحوال وضعف الملكات، وفساد الأذواق جعلت كثيرين منا يألفون الخطأ، بل يدافعون عنه.

ومن الأخطاء الشائعة في المغرب أيضا، إثبات همزة الوصل التي يأتي بها العامة للبدء بالساكن، فهم يكتبون مثلاً (اِخْليفة) و(اِعْويمر).

إن الخاء والعين في هذين المثالين، ليستا ساكنتين، ولكن العامة تسكنهما، ثم تضطر للإتيان بالهمزة لنطق الساكن، هذا عند العامة، فكيف رضي المثقفون والقائمون على الصحف والمجلات أن يكتبوها كما تنطق؟! بل كيف خفي على بعض مجلاتنا الثقافية ذلك اللحن، فنقلته إلينا كما هو؟!

ومن الأخطاء ما يشيع في بلاد الشام وجنوب المملكة العربية السعودية، إذ يقولون: سامي طرابلسي، ومحمد حكمي، وعلي عسيري، وهلم جرا.

ووجه الخطأ أن كلا من (سامي ومحمد وعلي) معارف، وما بعدها صفات، والصفة تتبع الموصوف، فلا يصح البتةَ أن تُنكر وموصوفها معرفة، فالصواب أن تكتب هذه الأعلام هكذا: سامي الطرابلسيّ، ومحمد الحكميّ، وعلي العسيريّ.

ومما يشيع من الأخطاء في أسماء النساء: قلب التاء المربوطة ألفا، فريمة تصبح (ريما)، و نادية، تكتب (ناديا)، ولينة تصير (لينا)، واطرُدْ هذا اللحن في كل اسم مختوم بالتاء المربوطة.

ويغلب على ظني أن منشأ هذا الانحراف، التأثر باللغة الإنجليزية، فأهلها يسمون بناتهم سارا، وديانا مثلاً، وحين يكتب العرب أسماءهم بالأحرف اللاتينية يكتفون بحرف (A) عن الهاء، فـ (نادية) تكتب NADIA قياسًا على أسماء الإنجليز مثل (SARA)، ثم ينقلون هذا الاختزال المجحف إلى الكتابة العربية.

والصواب أن يكتب الاسم كما ينطق، ففي العربية يجب أن يكون بالتاء: (نادية)، وباللاتينية - عند الحاجة - يجب أن يكون (NADIAH)، وهكذا.

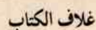
وكاد هذا الخطأ يلزم (مكة) و(المدينة)، إذ كتبا في الخرائط الجغرافية وفي بعض الكتب الأجنبية هكذا: (MECCA) , (MADINA)، ثم نُقل بخطئه إلى لافتات الطرق، وإلى الكتب المدرسية، وغَبَر دهر على هذا التحريف حتى تنبّه أولو الأمر، فعُدلت الكتابة إلى وضعها الصحيح، وهو: (MACCAH) , (ALMADINAH).

ومما أظنه خطأ ما وجدته في إحدى مجلاتنا، إذ كُتب اسم الشاعر هكذا (سيدي ولد لَمْجاد)، وهو شاعر موريتاني، وأظن الصواب أن يكتب هكذا (ولد الأمجاد)، إلا إنْ كان اسمه - بدءًا - : «لَمْجاد» فتكون اللام هي فاء الكلمة، وهو ظن بعيد.

هذا ما بدا لي تقييده من أخطاء - وفيها مضْطَرَب واسع للأخذ والرد -، وقد يقول قائل: إن في اسمك خطأ، إذ دَخَلَتْ «ال» التعريفية على العَلَم: (الرشيد)، وذلك لحن.

وجوابا عن ذلك أقول: إن «ال» التي تشيع في أسماء أهل نجد بخاصة، مثل: (الجاسر) و(العبد الكريم) و(الناصر)، ليست «ال» التعريفية، ولكنها اختصار لـ (آل) التي ماتزال تلحق أسماء بعض الأسر، مثل الأسرة المالكة (آل سعود)، وأسر أخرى كثيرة.

غير أنَّ أخشى ما أخشاه - وقد ألحفْتُ في النعي على من يُسقط «ابن» من اسمه - أن ينشر اسمي مع هذه المقالة من غير «ابن»، كما وقع حين نُشرت قصيدة لي قبل أشهر في هذه المجلة الكريمة، فأصير كالواعظ العُريان، أو مثل الطبيب العليل، غير أنَّ ثقتي بحرص المجلة على رضا كتَّابها، تجعل رُوعي يُفرِح، وتنشر برْد الراحة - بين جوانحي، والله المستعان على كل حال.



غلاف الكتاب

الكتاب: جدّة خلال الفترة ١٢٨٦ ـ ١٣٤٦هـ/ ١٨٦٩ ـ ١٩٠٨م دراسة تاريخية حضارية في المصادر المعاصرة.
المؤلفة: صابرة مؤمن إسماعيل
الناشر: إصدارات دارة الملك عبدالعزيز ـ ١٤١٨هـ. ٢٢٥ص.

الكتاب الذي بين أيدينا دراسة جامعية أعدتها صاحبتها لإبراز دور جدة الحضاري سواء في الميدان التجاري أم السياسي. وقسمت الرسالة إلى خمسة فصول:

الفصل الأول: تناولت فيه كيفية دخول الحجاز تحت التبعية العثمانية، والإدارة العثمانية في الحجاز ونوعها، فقد كان هناك أمير لمكة من الأشراف ووالٍ عثماني تعينه إسطنبول، وعلاقة الوالي مع الشريف، وصلاحيتهما الإدارية والمالية والعسكرية. وتحدثت عن القوات العسكرية الموجودة في الحجاز وجدة والوضع الأمني فيهما، ومهمتهما في الحفاظ على الأمن وحماية الحجيج والسكان والأبواب ومراقبة السواحل والشواطئ، والتهريب وتجارة الرق، ومراقبة الأجانب.

أما الفصل الثاني فقد تحدثت فيه عن مدينة جدة ومعالمها العمرانية، متناولة أولاً سكان جدة والحجازوعددهم، ومعالم جدة وموقعها وأسوارها وتحصيناتها وأبوابها وأبراجها، وما تؤديه من خدمات في الدفاع عن مدينة جدة، ومساجدها التي حاولت تحديد مواقعها وأسمائها. ثم تحدثت عن حياتها وحاراتها الضيقة وأسواقها وخاناتها ونزلها ومقاهيها ومتنزهاتها، وقد ذكرت مواقع كل ذلك ووصفتها وصفًا دقيقًا.

وفي الفصل الثالث تكلمت على الأحوال الاقتصادية في جدة، مشيرة فيها إلى أهمية ميناء جدة الذي يعدّ أهم موانئ البحر الأحمر، لأنه المعبر الحيوي للسفن بين الهند وفارس ومصر والشام والجزيرة العربية. وأشارت إلى الصناعات والحرف في مدينة جدة كصيد الاسماك ونقل الحجاج وصناعة اليسر والحلي وما شابه ذلك.

أما الفصل الرابع فهو عن الموارد والنفقات في مدينة جدة، فقد تناولت الرسوم والضرائب على البضائع والسلع، والنفقات الحكومية المختلفة، وذكرت رواتب الموظفين المدنيين والعسكريين والنفقات المختلفة.

وناقشت في الفصل الخامس الأحوال الاجتماعية والصحية والتعليمية، وتحدثت عن الأعياد والاحتفالات والمناسبات والعادات واللباس والطعام.

وناقشت الأحوال الصحية، والمشكلات التي كانت جدة تعاني منها، ومستوى النظافة فيها، ومشكلات المياه، والمستشفيات وقلة عددها وعدد الأطباء فيها.

وذكرت الأحوال التعليمية وعدد المدارس الابتدائية والكتاتيب، ونوع المناهج الدراسية والعلماء وحلقات التدريس والمطابع والصحف.

وذيلت الكتاب ببعض الملاحق المشتملة على الحديث عن السلك الدبلوماسي في جدة وبعثاته.

وختمت الكتاب ببعض الصور المنتقاه لبعض معالم جدة، وصنعت أخيرًا فهرسًا للمصادر والمراجع، وفهرسًا للموضوعات.

ديوان شعر بعنوان: عيناك يتجلى فيها الوطن
للشاعر أحمد صالح الصالح (مسافر)
الناشر: دار العلوم للطباعة والنشر ـ ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ـ ط١ ـ ٩٦ص

غلاف الكتاب

يضم الديوان بين دفتيه ٢٢ قصيدة معظمها نظم على بحور الشعر العربية الأصيلة، والباقي جاء على الشعر الحر أو ما يسمى بشعر التفعيلة.

وقد قدم الشاعر لديوانه بمقدمة عن الشعر ضمنها رأيه في الشعر، ومعظم شعره جاء مزيجًا بين حبه لوطنه وحبه لحبيبته.

«فالوطن هو القصيدة التي لا تشيخ، ولا تبليها الألسن، ولا تملّها الأسماع، وهو الحنين الذي لا يخبو والحب الذي لا ينضب، والصورة الزاهية المرسومة في الوجدان. وإن هوى الحبيبة، بعض هوى الوطن ـ إنهما في الشعر لغة واحدة، وفي العاطفة والشعور وحب الحياة حبيبان لا يفترقان، مسكنهما قلب الشاعر، يخفقان مع نبضاته، ويستكنان في دمه وعقله.

وكلما اهتز القلب بنسيم الصبا وشدة الشوق للوطن اهتز للمسة الحنان في الحبيبة، وعندها يهطل الشعر معانقًا الأرض والبشر». هكذا قال الشاعر في مقدمة ديوانه. وختم هذه المقدمة بقوله: «في هذا الديوان روح الشاعر ودمه وأنفاسه ولونه وصوته وغضبه ورضاه. إنه الشاعر بكل ما في البشر. وحسبي هذا أن يكون كل ما فيه هو هذه المشاعر والأحاسيس والألم والعشق الذي يختزنه القلب والجوارح وتفضحه قصائد الديوان».

وحقًا قال الشاعر فهذا الديوان هو نبضات قلب الشاعر ـ وذوب روحه وعصارة فؤاده.

فنلمح فيه حبًا جارفًا لوطنه ممزوجًا بحبه لمحبوبته.

فنراه يذكر وطنه بشكل عام ويعرج على بلده عنيزة، ومدينته الجميلة، فيتحدث عنها حديث عاشق لها، وهي عروس الأرض في عينيه.

ويصف حدائقها ونخلها وأرضها. إنها جنة الدنيا. ويتحدث كذلك عن أبها ويصف جمالها وسحرها الفتان، وأما حديثه عن محبوبته وغزله بها وعشقه لها فإنه استغرق أكثر قصائد الديوان. فنراه يتحدث عن أحلامه وأيامه الخالية، وما تركته من جراح في قلبه، ويذكر كثيرًا في قصائده رموش العيون والأهداب وسحر العيون ونصاعة الجبين وسواد الشعر، ويتحدث عن دلالها، وأنها أميرة في الفؤاد. وربما خرج عن حديث القلب وكلام العيون إلى الغزل الصريح، فنراه يصف الشفاه، ويتحدث عن اللمس، وغير ذلك. وإلى جانب حبه لوطنه وعشقه لمحبوبته نراه يتحدث في قصيدة أخرى عن رفيقة العمر، وعن والدته وأولاده يذكرهم جميعًا دائمًا وكأنهم ثمرة ذلك الحب.

وفي الديوان قصيدتان تصف بعض الأحداث التي هزت مشاعره بعنف: الأولى حديث عن البوسنة والهرسك، وما لاقاه شعبها المسكين من ويلات متمثلة بصورة شيخ بوسنوي عجوز. والثانية حديث عن شعب فلسطين وما يعانونه من ظلم واضطهاد من قبل الغطرسة الصهيونية، وانطلاق أطفال الحجارة يحملون بريق الأمل لشعبهم ووطنهم في الخلاص والتحرير.

الكتاب: وجهات نظر في الاقتصاد والسياسة
المؤلف: د. إبراهيم عبدالله المطرف
الناشر: نادي المنطقة الشرقية الأدبي - ط أولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م - ٢٣٥ ص.



غلاف الكتاب

الكتاب في أصله مقالات كتبها المؤلف ونشرها في مجلات وصحف محلية وأجنبية، ولا سيما صحيفة الاقتصادية، ومجلة الشرق، وصحيفة اليوم، وأخبار الجامعة خلال الفترة الواقعة بين ١٩٩٥ - ١٩٩٦م، وقد رأى المؤلف أن يجمع هذه المقالات في كتاب رغبة في حفظها وتعميم فائدتها.

والكتاب يمكن تقسيمه أو توزيعه إلى أربعة محاور أو أقسام:

الأول: ما يتعلق بالاقتصاد في المملكة العربية السعودية، وقد ضم هذا القسم خمس عشرة مقالة تناولت موضوعات اقتصادية تتعلق بقوة الاقتصاد السعودي ودور القطاع الخاص فيه، ومشاركته في التنمية العالمية وغير ذلك.

ونورد هنا عناوين هذه المقالات التي تفصح بوضوح عن مضموناتها.

فالمقالة الأولى بعنوان: التعاون السعودي الألماني، والثانية: الغرف التجارية والصناعية السعودية بين الواقع والمأمول، والثالثة: قدرة الاقتصاد السعودي على التكيف، والرابعة المشاركة السعودية في التنمية الدولية، والخامسة: المناخ العام لعمل القطاع الخاص السعودي، والسادسة: البحث العلمي والمشاركة في صنع القرار، والسابعة: الرياض الحضن الدافئ، والثامنة: التنمية الصناعية والنفطية السعودية، والتاسعة: وعي المواطن والمسؤول، والعاشرة: الدور المنتظر للقطاعين الخاص والمصرفي في الاقتصاد السعودي، والحادية عشرة: خصوصية العلاقة بالجمهوريات الإسلامية، والثانية عشرة: غرفة جدّة والقفزة الحضارية، والثالثة عشرة: أرامكو السعودية بين التوسع محليًا والانطلاق عالميًا، والرابعة عشرة: السعودية وفرنسا: المشاريع والاستثمار والمصالح المشتركة، والخامسة عشرة: شاهد لنا أو علينا.

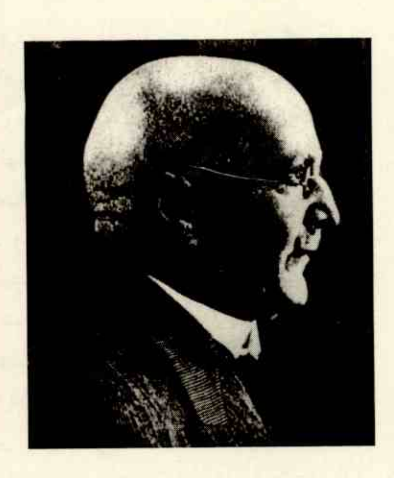
وأما المحور الثاني أو القسم الثاني فمقالاته تحدثت عن قضايا تتعلق بمجلس التعاون الخليجي، وإليكم عناوين هذه المقالات المعبرة عن مضموناتها وهي اثنتا عشرة مقالة، فالمقالة الأولى عنوانها: دول مجلس التعاون واقتصاديات التسعينيات، والثانية البتروكيماويات الخليجية والسوق الأوربية، والثالثة: الملتقى التجاري الخليجي الأمريكي الأول، والرابعة: العلاقات الاقتصادية الخليجية الأمريكية، والخامسة: دور مجلس التعاون في التنمية الاقتصادية العربية، والسادسة: مجلس التعاون والتعامل مع المتغيرات الدولية، والسابعة: التزاوج بين البحث العلمي والتنمية الصناعية، والثامنة: المجموعة الأوربية وضريبة الكربون التميزية، والتاسعة: مجلس التعاون والتكتلات الاقتصادية، والعاشرة: التعاون الخليجي وبوابة التعاون الاقتصادي الدولي، والحادية عشرة: مجلس التعاون والتعاون الأمني، والثانية عشرة: الأمين العام الجديد لمجلس التعاون.

ويتكلم القسم الثالث على قضايا مهمة لها مساس شديد بالعالم العربي والإسلامي ويضم هذا القسم مقالتين: الأولى: دور البنك الإسلامي للتنمية في اقتصاديات الدول الإسلامية، والثانية: المهاجرون العرب في أوربا: العودة أم الاندماج؟

وعرض في القسم الرابع لموضوعات الاقتصاد والسياسة الدولية. وكتب فيها خمس مقالات: الأولى يتحدث فيها عن الفجوة الكبيرة بين جنوب الكرة الأرضية الفقير وشمالها الغني. والثانية: تناول فيها مؤسسات التمويل الدولية والمسارات الاقتصادية في الدول النامية. والثالثة: تكلم فيها على الإيجابيات الاقتصادية والسياسية للمتغيرات الدولية. والرابع: ناقش فيها الفجوة التنموية بين الشمال والجنوب. وأما الخامسة فخصصها للحديث عن دور المساعدات في التنمية الاقتصادية الدولية.

وذيّل الكتاب بفهرس للمراجع التي بلغ عددها ٥٠ مرجعًا، وختم الكتاب بفهرس للموضوعات.

محمد كرد علي: نظرات في حياته وأعماله



عرض تجربته: **عبدالغني العطري**

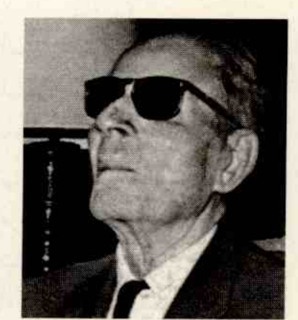
قبل خمسة وأربعين عاماً، وبالتحديد يوم الخميس الثاني من نيسان/أبريل ١٩٥٢م، فقدت دمشق علاّمتها الكبير محمد كرد علي، مؤسس المجمع العلمي العربي، وأول رئيس له، وهو الذي أصبح اسمه فيما بعد «مجمع اللغة العربية»(١). في ذلك اليوم الكئيب، شيّعت دمشق، بعلمائها ورجال الفكر والأدب فيها، هذا الرجل العملاق، الذي وصفناه ذات يوم، بأنه سبق عصره. وقد دفن إلى جانب قبر معاوية بن أبي سفيان، مؤسس الدولة الأموية، الذي أحب دمشق إلى درجة العشق والهيام.

الجيل العربي الصاعد، لا يعرف، مع بالغ الأسف والأسى، إلا النزر اليسير عن محمد كرد علي... وكثيرون جداً لا يعرفون شيئًا عنه البتة! فمن هو هذا الرجل، العملاق، الكبير، الخالد؟

أبصر علاّمتنا النور في دمشق، في العام ١٨٨٦م، عندما كانت سورية غارقة في بحر من الظلم والجهل والظلام. كان مَنْ يُتقن القراءة والكتابة، يشبه عالم الذرة في عصرنا هذا... كان الجهل شائعًا، والأمية منتشرة، فلا مدارس بالمعنى الصحيح، وبالطبع لا كليات ولا جامعات، بل كتاتيب صغيرة، تُدرّس فيها بعض آيات القرآن الكريم، وفرائض الصلاة والصوم والعبادات. في هذا الجو من الجهل والأمية ولد محمد كرد علي.. ولكنه رغم هذا تعلق بالكتابة والصحافة، وأولع بالمطالعة وجمع الكتب. كان يقرأ وهو في الثالثة عشرة من العمر. كان يسهر إلى مابعد منتصف الليل وهو يقرأ على مصباح الزيت، إلى أن ضعف بصره، وساءت صحته. ونصح له من حوله من الأهل بالاعتدال، ولكنه رفض هذا النصح، لأنه لا ينسجم مع هوايته، التي أحبها حتى العشق والهيام. كان منظر الكتب يفتنه ويغريه. ورؤية الصحف تسرّه وتسحره.

الكتاب ثروته

وشجعه أبوه على اقتناء الكتب وجمعها، وقدّم له المساعدة للفوز بها على أُمّيته. كان الكتاب ثروته الأغلى، وكنزه الذي لا يعدله كنز ولا مال. وحين اشتد ساعده بالعلم والمعرفة. أخذ يقرأ باللغتين الفرنسية والتركية إضافة إلى العربية، فزادته المطالعة تعلقًا بالعلم، وعشقًا للصحافة. وحين بلغ السادسة عشرة، كان يكتب المقالات والأخبار، ويبعث بها إلى الصحف. وتعلق محمد كرد علي بالشعر والنثر، والسجع الأنيق المنمّق، وأخذ يدرس الأدب على أيدي شيوخه ومدرسيه، وفي طليعتهم العلامة الشيخ طاهر الجزائري (ت:١٣٣٨هـ - ١٩٢٠م).



طه حسين



د. محمد حسين هيكل

عباس محمود العقاد

ورحل محمد كرد علي إلى مصر، ومكث في القاهرة عشرة شهور، تعرف خلالها إلى علماء مصر وأدبائها، وعمل في صحافتها، فاتسع أفقه، وذاع صيته، وباتت شهرته في مصر، لا تقل عن شهرة أدباء تلك المرحلة.

وعاد ثانية إلى مصر، وعمل في تحرير بعض الصحف. ثم أصدر مجلة «المقتبس» الشهرية، ونشر فيها الدراسات الأدبية، والبحوث العلمية والتاريخية. وأخذ يترجم عن المجلات الأجنبية أحدث أنباء العلم والحضارة والاختراع. كذلك ترجم عددًا من الكتب المخطوطة النادرة.

التفكير بتأسيس المجمع

ولَجّ به الشوق والحنين ثانية إلى دمشق، مسقط رأسه ومرتع صباه. فعاد ثانية، وأصدر «المقتبس» جريدة يومية، بالاشتراك مع أخيه أحمد، بعد أن أسس لها مطبعة خاصة. ولكن الحكم العثماني الجائر، كان له بالمرصاد، فضايقه ولاحقه، وأغلق جريدته وأرغمه على الفرار إلى فرنسا. وفي باريس زار «الأكاديمية الفرنسية»، وهي المجمع العلمي الفرنسي. ووقف في بهوه الرحب وأخذ يناجي نفسه قائلاً: هل يقدّر لنا في المستقبل، أن ننشىء في بلادنا مثل هذا المجمع؟ وكان هذا بدء تفكيره بإنشاء المجمع العلمي العربي بدمشق. وحين سقطت دمشق في أيدي الحلفاء، عقب الحرب العالمية الأولى، وزال الحكم العثماني وبدأ العهد الفيصلي الهاشمي، وجد العلاّمة كرد علي الفرصة سانحة لتحقيق حلمه، ألا وهو إنشاء مجمع علمي، على غرار ماتفعله الأمم المتحضرة، لحفظ تراثها ولغتها. عرض الفكرة على الحاكم العسكري علي رضا باشا الركابي (ت:١٣٦١هـ-١٩٤٢م)، فوافق على قلب ديوان المعارف، برئيسه وأعضائه، وجعله مجمعًا علميًا عربيًا. وكان الأستاذ كرد رئيسًا لهذا الديوان. وقد تحقق ذلك في اليوم الثامن من حزيران/يوليو عام ١٩١٩م. وظل الأستاذ كرد علي رئيسًا للمجمع إلى أن لقي ربّه.

مكانته الأدبية

يقف محمد كرد علي إلى جانب أنداده الأعلام الكبار، أمثال الدكتور طه حسين، وعباس محمود العقاد، ود. محمد حسين هيكل، والإمام محمد عبده. وبلغت مؤلفاته التي تركها اثنين وعشرين كتابًا، جاوزت صفحاتها عشرة آلاف صفحة، عدا صفحات مجلته العلمية «المقتبس» التي جاوزت صفحاتها ستة آلاف صفحة. كان محمد كرد علي حركة لا تهدأ في الكتابة والتأليف. وظل حتى سنوات عمره الأخيرة يتمتع بنشاط أبناء العشرين وحيويتهم وذكائهم وذاكرتهم.

هو.. وغوطة دمشق

وقد أحب علاّمة الشام، غوطة دمشق. أحبها حتى العشق والهيام، وأقام فيها ستين سنة، في أرضه التي ورثها عن أبيه في قرية «جِسْرِين» وعاشر أهلها، حتى قيل: إنه بات فلاحًا مثلهم. وباتت الغوطة بالنسبة إليه - كما يقول - أحب بقعة إلى قلبه في الأرض. ومن أجل ذلك وضع كتابه النفيس «غوطة دمشق»(٢) فأرّخ الغوطة وتحدث عنها، وتغزل بها غزل عاشق هيمان، وكساها ثوبًا من الجمال، إضافة إلى سحرها. وردّ الجميل إلى الأرض الطيبة، التي أحالت دمشق من صحراء قاحلة إلى جنة وارفة الظلال. أما المجمع العلمي، فقد كان عنده أغلى من فلذة كبده، وقد وهبه كل حياته وكل نشاطه. وخصّ مجلته بكل جهده وقواه.

إمام في الصحافة

كان محمد كرد علي إمامًا في الصحافة وحجة في التحقيق الأدبي والعلمي، وعلمًا في الكتابة والتأليف، وزعيمًا من زعماء القلم والفكر في بلاد العرب. وكان أول من أنشأ جريدة أو مجلة راقية في دمشق. وكان أول من أسس مجمعًا علميًا في الوطن العربي، ثم تلاه مجمع اللغة العربية في القاهرة، ثم بعض المجامع الأخرى، في عدد من

عندما زار المجمع العلمي الفرنسي تساءل: هل يقدر لنا في المستقبل أن ننشئ في بلادنا مثل هذا المجمع؟

محمد كرد علي:
نظرات في حياته وأعماله

الأقطار العربية. أما أسلوبه الأدبي، فهو الذي وصفوه بالسهل الممتنع. إنه رقيق في التعبير، بليغ في اللفظ. الكلمات فيه على قدر المعاني، والجمل تطول حينًا، وتقصر حينًا آخر. وهو في جميع الأحوال، لا يتكلف ولا يتصنع، بل يرسل كلماته على سجيتها، ويقصد إلى التركيز على المعنى. دون أن يعطي كبير اهتمام للمبنى. إنه نثر العالم المفكر، لا الأديب الذي تغريه الصنعة، ويسيطر عليه الأسلوب والمظهر.

أما كتابه «خطط الشام»، فهو أبرز آثاره، وأعظم أعماله. أنفق في تأليفه خمسة وعشرين عامًا، قرأ خلالها نحو ألف ومئتي مجلد بالعربية والفرنسية والتركية. وفيه يتحدث عن تاريخ الشام وحضارتها، على مرّ العصور والأزمان.

كان محبًا للموهوبين

بعد هذا، علينا أن نعترف بأن علاّمتنا الكبير كان محبًا لأصحاب المواهب من الجيل الصاعد؛ وقد أمر ذات يوم بإقامة حفل تكريمي لثلاثة من الأدباء والشعراء الناشئين. وكان ذلك في الثلاثينيات، والمجمع لايزال في مطلع حياته. أما هؤلاء الأدباء الذين أمر بإقامة حفل التكريم لهم، فهم الأساتذة الراحلون: أنور العطار، الدكتور زكي المحاسني والدكتور جميل سلطان. كان هؤلاء الأدباء الكبار لايزالون ناشئين، محدودي الشهرة والعطاء، ولكن العلامة كرد علي توسَّم فيهم الخير، ولمح أمارات الذكاء والإبداع والنبوغ فيهم، فأقام لهم حفل التكريم في قاعة المحاضرات بالمجمع. وتكلم في الحفل عدد من الخطباء، فأشادوا بالشعراء الشبان وأثنوا على عطائهم، وشجعوهم. وكان ذلك حافزًا لهم، لمضاعفة البذل والعطاء والتقدم، واستطاعوا فيما بعد، أن يضعوا بصماتهم واضحة في الحياة الأدبية.

كان كرد علي إمامًا في الصحافة، وحجة في التحقيق الأدبي والعلمي وعلمًا في الكتابة والتأليف

قصتي مع كرد علي

شيء آخر أحب أن أرويه، كدليل على حرص مؤسس المجمع على تشجيع الناشئين: كان ذلك في الربع الأخير من العام ١٩٤١م، حين أقدمت على إصدار مجلة «الصباح» الأدبية، وأنا مازلت في مطلع الشباب. عقب صدور الأعداد الأولى من «الصباح»، طاب لي أن أزور الأستاذ كرد علي في منزله، مستطلعًا رأيه بالمجلة، طالبًا نصحه وتوجيهه. لم يكن في مكتبتي هاتف يومئذ، فقد كان الهاتف قليل الاستعمال، ذهبت إلى منزله صباحًا دون سابق موعد، فوجدته جالسًا وراء مكتبه، غارقًا بين جبال من الكتب، وأهرامات من الصحف والأوراق. رحب بي كل الترحيب بادئ بدء. ولكنه ما لبث أن نظر إليّ من وراء نظارته الصغيرة، وغمز بإحدى عينيه وقال:

في المرة القادمة، اجعل زيارتك بعد العصر. وحين نظرت إليه، سائلاً عن سبب هذه الملاحظة، أجاب: لأنك بصراحة، قطعت سلسلة أفكاري، وعطلتني عن أعمالي الأدبية الكثيرة.

فنهضت واقفًا، ومددت يدي مودعًا. ولكنه رحمه الله تبسم بكثير من التودد، وقال لي: اجلس يا ولدي اجلس... لقد تعطلتُ وانتهى الأمر. لا تزعل يا بني، فأنا أتوقع لك مستقبلاً زاهرًا في الأدب والصحافة. ويبدو لي أنك كثير النشاط والحيوية، ومحب للمغامرة. وأنا أحب كل شاب نشيط ومغامر مثلك. وكان لكلمات العلامة الكبير وقع السحر في أذني. فقد زادتني حبًا بالعمل، وضاعفت من نشاطي، ودفعتني إلى مزيد من المغامرة والعطاء.

إمارة العلم

وبعد.. فإن محمد كرد علي يعتبر كان ركنًا متينًا، ودعامة قوية في صرح الحياة الأدبية والفكرية، لا في سورية فحسب، بل في الوطن العربي كله. وقد أنصفه أديبنا الكبير العالم منير العجلاني، عندما وقف يرثيه على القبر، عند تشييعه حين قال:

«إن ثمة إمارتين معقودتين في العالم العربي: إمارة الشعر، وكانت معقودة اللواء للمرحوم أحمد شوقي، وإمارة العلم وكانت معقودة اللواء للفقيد العلامة محمد كرد علي».

الهوامش:

١- تم توحيد اسمي المجمعين: مجمع القاهرة ومجمع دمشق أيام الوحدة بين سورية ومصر.
٢- صدر في سلسلة كتب «اقرأ» في القاهرة.

المراجع:
١- خطط الشام، لمحمد كرد علي
٢- المذكرات، لمحمد كرد علي
٣- غوطة دمشق، لمحمد كرد علي
٤- مجلة المجمع العلمي العربي، عدد خاص.
٥- عبقريات شامية، عبد الغني العطري.
٦- الأدب العربي المعاصر في سورية، سامي الكيالي.
٧- أعداد مختلفة من مجلة مجمع اللغة العربية.
٨- مجلة الدينار، عدد ١٠ نيسان/أبريل ١٩٥٢م.

عندما يدور الشهر.. أو يستدير القمر
أنت على موعد دائم مع

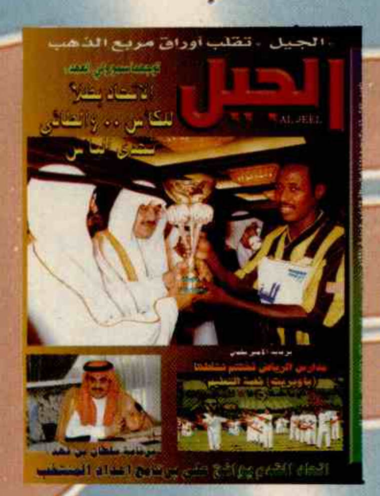
الجيل

«الصحافة الشابة لكل الأجيال»

تقرأ فيها باستمرار:

- معالجات عميقة وجادة وشيقة لأحداث الرياضة السعودية والعربية والعالمية.
- لقاء مع نجوم الرياضة في مختلف الألعاب.
- تحقيقات في مختلف المشكلات والقضايا الاجتماعية الشبابية.
- حوارات مع كبار المفكرين والأدباء والفنانين.
- دراسات نقدية لروائع الأدب، ومتابعات لأحداث الفن والثقافة.
- إبداعات الشباب في مختلف الفنون الأدبية.
- كل ما يهم الأسرة من طب وعلوم وتربية واقتصاد.

لكل ذوق.. ونحن نرضي كل الأذواق
مع «الجيل».. أنت تقرأ في كشكول الحياة

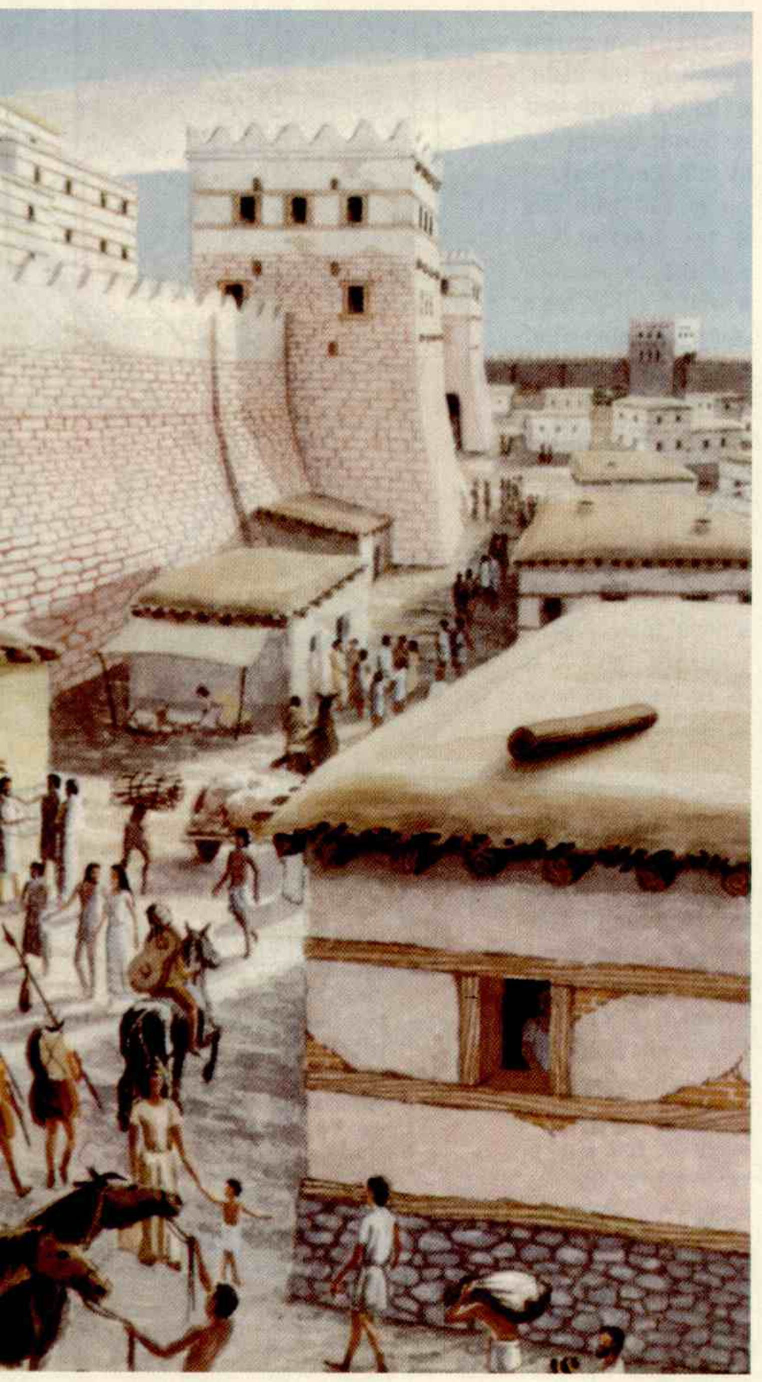






ما وراء حكاية

ترجمة: أدهم شاكر عضيمة



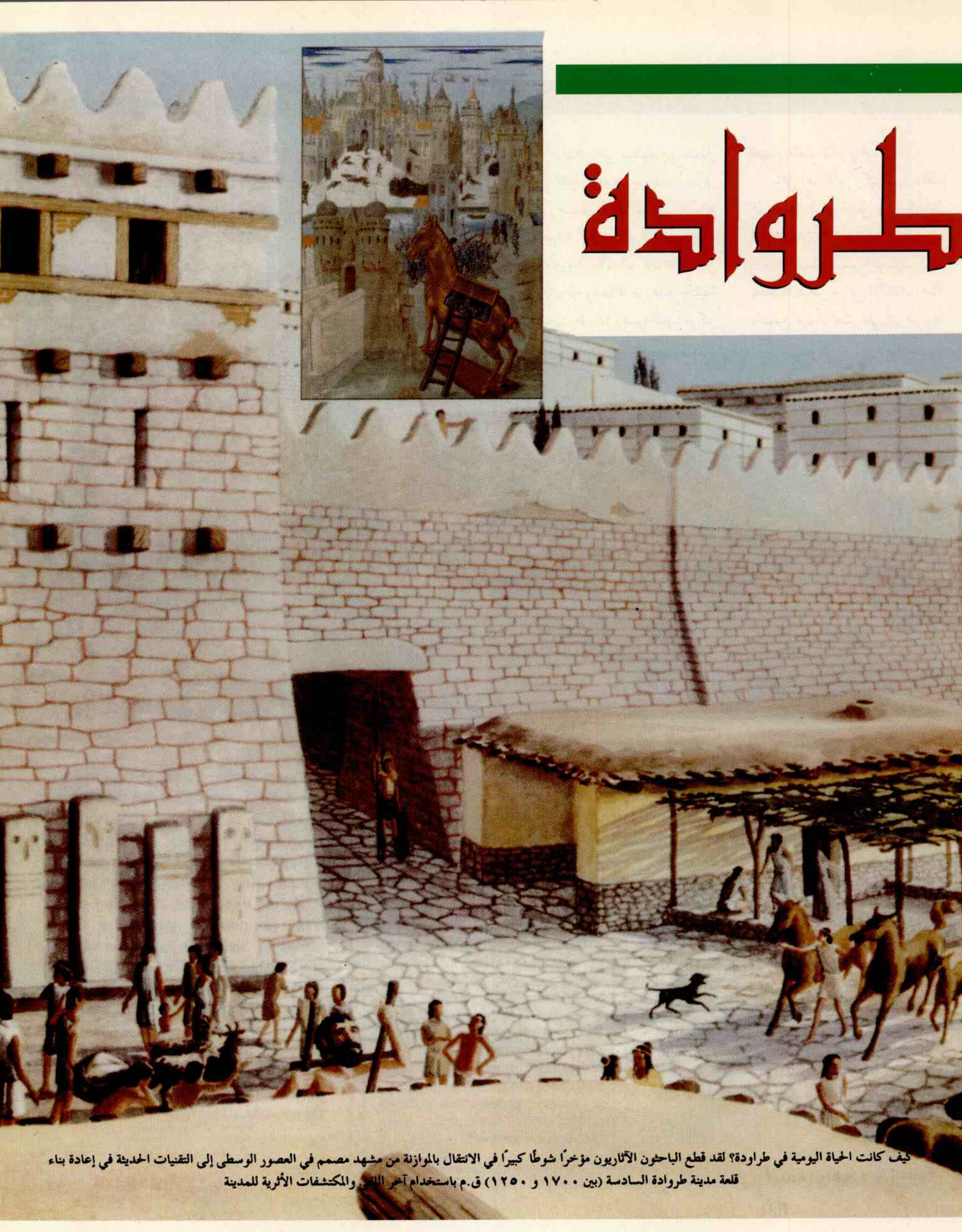
شعرت وأنا أقف على تل القلعة في طروادة بأن الأمر أشبه بترجمة سيئة لأحد الأفلام، ذلك أن الواقع يأبى أن يتساوق مع الصورة التي أحملها عن هذه المدينة الشهيرة. فهل المشهد الذي ينتصب أمامي هو المقصود به مدينة إيليون ILLION ذات الأبراج؟ تلك المدينة التي قيل: إنها كانت تزخر بالمباني المشرقة، والتي خلّدها هوميروس منذ أكثر من ٢٧٠٠ عام في ملحمته الإلياذة؟ وهل هذا التل الرابض الذي لا تكاد تصل أبعاده إلى مئتي متر طولاً ومئة وخمسين متراً عرضاً بركامه من أحجار البناء هو بقايا ما لا يقل عن تسع أحقاب من تاريخ المدينة؟

يلحظ مانفريد كورفمان KORFMANN، منسّق أعمال الحفريات في طروادة، علامات خيبة الأمل مرتسمة على وجهي، ويحاول توضيح ظاهرة طروادة. فعندما أبدع هوميروس بنظم أول ملحمة من الحكايا التي أعطيت له فإنه في الحقيقة قد غيّر العالم من حوله.

وفي الحقيقة كان هوميروس السبب في جعل هذه الآثار ولأمد طويل رمزاً للتنافس بين الشرق والغرب. ولهذا السبب قدم كسرى الفرس سرخس XERXES ألفاً من الثيران قرباناً عند معقل الملك برايام PRIAM قبل تجريده الحملة على اليونان. وفي ردة فعل انتقامية قدّم الإسكندر الكبير الذي كانت نسخة من إلياذة هوميروس لا تفارقه قرباناً عند قبر آشيل ACHILLES. وسواء أكان الغزاة رومانيين أم يونانيين أم عثمانيين، إن الجميع يعترفون بانتمائهم إلى طروادة، وأقاموا فيها أماكن عبادة، وعملوا من مسرح البطولة محجّاً ومنطقة سياحية.

وبعد، ما الأهمية التي ما زالت تحتفظ بها بقايا أصل طروادة؟ وماذا يأمل كورفمان من اكتشافاته فيها بالتعاون مع الفريق الدولي المؤلف من ٧٠١ عالم و٩٠ من المشاركين بالعمل

طروادة



كيف كانت الحياة اليومية في طراودة؟ لقد قطع الباحثون الآثاريون مؤخرًا شوطًا كبيرًا في الانتقال بالموازنة من مشهد مصمم في العصور الوسطى إلى التقنيات الحديثة في إعادة بناء قلعة مدينة طروادة السادسة (بين ١٧٠٠ و ١٢٥٠) ق.م باستخدام آخر اللقى والمكتشفات الأثرية للمدينة

المحلّيين، وهؤلاء يشكلون مجموعة تقوم بأكبر حفريات أثرية وأشهرها في منطقة المتوسط؟ وما الذي أشاح عنه مكتشف طروادة هاينريش شليمان SHLIEMANN، ولم يكتشفه هو ومن أتى من بعده، حتى تعمد السلطات التركية إلى إعطاء امتياز التنقيب إلى أحد أساتذة جامعة توبنج TUBINGEN، ومعه فريق من الخبراء أثبت جدارته في حقل نبش تاريخ تركيا بموجب ترخيص صدر عام ١٩٨٨م، تمامًا بعد خمسين عامًا من انتهاء عملية التنقيب؟

ويشير كورفمان إلى أنه لم يعد يهتم بتوضيح حرب طروادة وما تتبع ذلك من تدمير لطروادة السادسة حوالي ١٢٥٠ ق.م : أكانت حقيقة واقعة أم لا؟. ويعقّب كورفمان بالقول: إنه يعتقد بأنه ـ للأهمية الاستراتيجية لطراودة ـ لابد أنه كانت هناك عدة معارك شكّلت أرضية لملحمة هوميروس.

لقد كانت طروادة النقطة التي تقاطعت عندها الطرق التجارية القديمة شرقًا وغربًا، شمالاً وجنوبًا. يقول كورفمان: إن الريح كانت أقرب حليف لطروادة، وهو يشير إلى الأشجار والشجيرات في الجوار، وقد نمت بزاوية ميل واضحة.

ويدعم نظريته بالقول: إن المكان قد تعرّض للريح لمدة أسابيع في أثناء زيارته له، وهذه الريح شمالية شرقية، وليس هناك من سبب ـ كما يقول ـ لأن نفترض تغيراً قد حدث منذ زمن طروادة حتى اليوم.

إن أي إنسان يريد الإبحار بسفينته من العصر البرونزي عبر مضائق الدردنيل وصولاً إلى البحر الأسود، كان عليه إما أن ينتظر الأسابيع بانتظار الريح المواتية للإقلاع، أو أن ينقل البضاعة عن طريق اليابسة. وفي كلتا الحالتين يبقى خليج بيشيك BESIK الممر الوحيد، وهو في الحقيقة أهم ميناء في طروادة. وهنا كان الطرواديون يفرضون رسومهم على عبور البضائع على مشهد من التجار الذين كانوا يتأففون من هذه الرسوم. وعلى مدى آلاف السنين. يتابع كورفمان: كان المركز التجاري يخدم آسيا وأوروبا، ولابد أنه كان خلية نحل من النشاط، وانطلاقا من هذه الحقيقة أصبحت طروادة وضواحيها مركز اهتمام علماء الآثار والمحدثين.

وفي أحد الأيام ركبنا سيارة أقلّتنا عبر السهل الذي يفصل نهر سكاماندر SCAMANDER عن نهر سيموئيز SI-MOEIS حيث مسرح المعارك كما يحددها هوميروس في الإلياذة. وهناك يستطيع المرء أن يعثر على أي شيء إذا



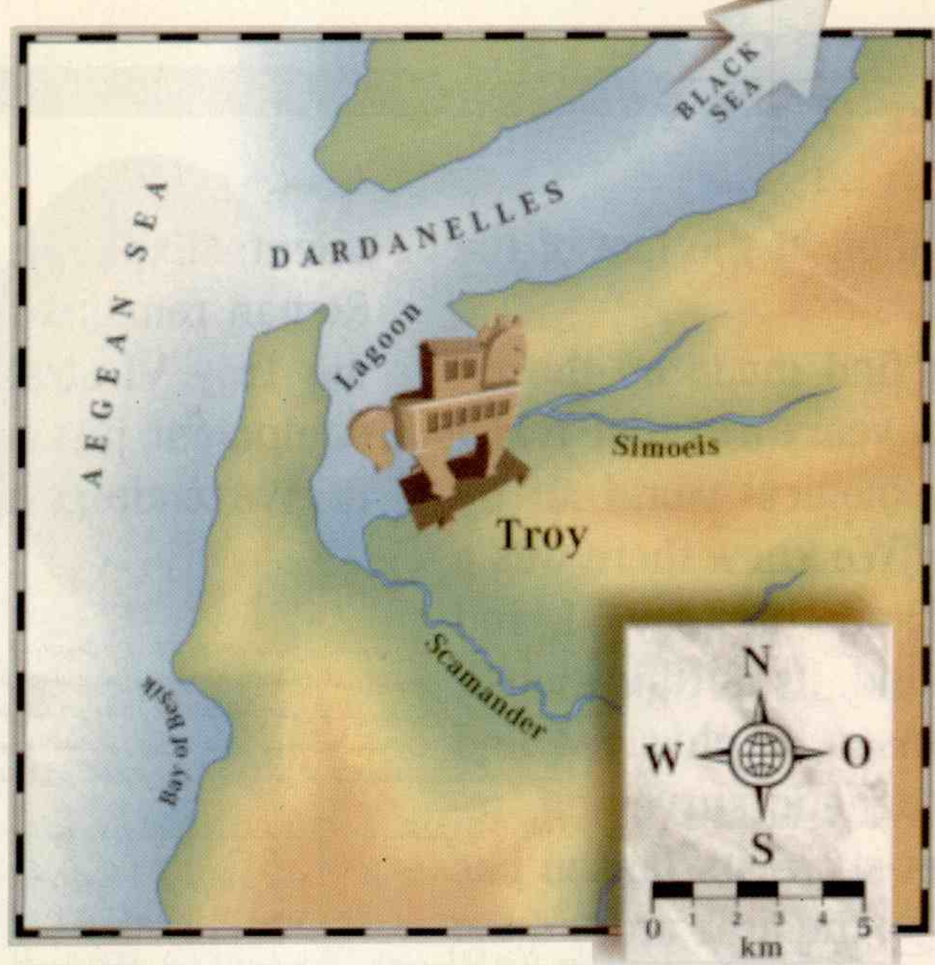
تظهر هذه المجموعة من الصور طرق البحث عن اللقى الأثرية وتحليلها بعد التحديد العلمي الدقيق لأماكن الحفر. وتستخدم في ذلك حفارات يمكنها الحفر حتى ٢٠ مترًا تحت الأرض



ماوراء حكاية طروادة

هو حفر في أي مكان كما يقول كورفمان. ومما يدعو إلى الدهشة الكمّ الكبير من اللقى التي عثر عليها المنقبون من مثل مستوطنة تعود إلى أوائل العصر الحجري، ومدفن يعود إلى فترة طروادة السادسة. وهناك على سفح القلعة تجد مدينة إيليون، وهي مدينة تسمى أيضًا ILIUM نسبة إلى إيلوس أحد أبناء تروس TROS باني طروادة TROY.

وبعد، لقد كان الذي عثر عليه علماء الآثار قبل عامين المحرّض الأول لأن يأخذ علم الآثار شكله الحالي، ويشدّ الانتباه إليه. ويشير جونتر يانسن NTER JANSEN عالم الطبيعيات الخبير بالمسح الجيو مغناطيسي إلى تأكده من وجود مدينة مدفونة تحت قلعة طروادة السادسة، وكيف أنه قد عقد العزم



اكتسبت طروادة أهميتها وغناها من موقعها الحسّاس قريبًا من ثغر مضيق الدردنيل. ولكن كم كان اتساعها الحقيقي؟

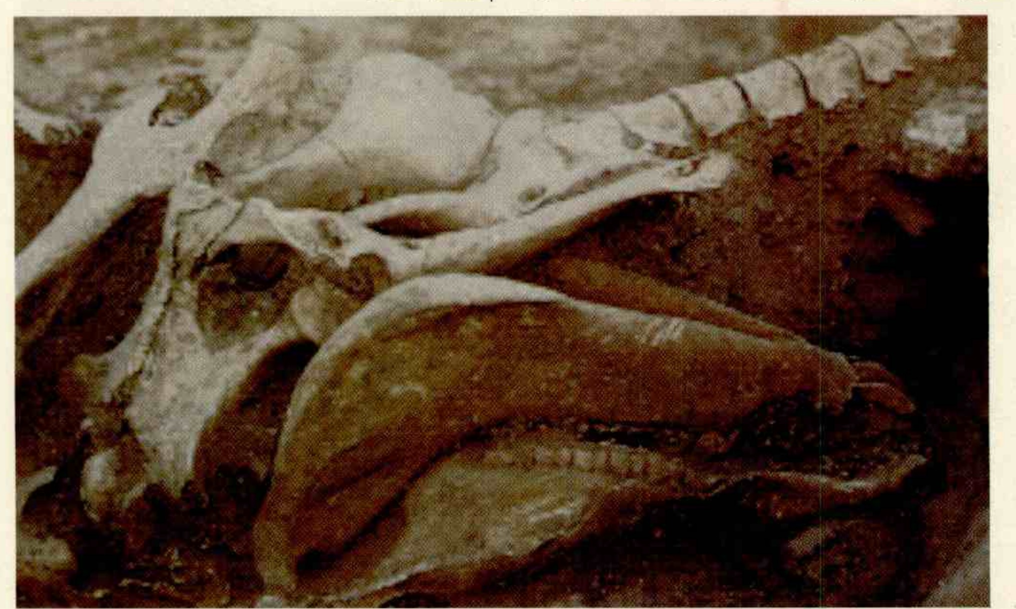


أشهر المنقبين عن تاريخ طروادة: انطلق هاينريش شلايمان (إلى اليسار) يتتبع آثار طروادة القديمة عام ١٨٧٠م متخذًا من إلياذة هوميروس دليلاً له. وتشكل التقنيات المنهجية التي طوّرها خلال عشرين عامًا في منطقة الحفريات أساس علم الحفريات الحديث. وعلى النقيض من خلفائه من علماء الآثار أمثال ولهلم دروبفيلد وكارل بيلجن ومانفريد كارفمان، فقد انطوت أهداف شليمان على الإثارة. حيث قام بامتلاك الحلي الذهبية التي وجدها في طروادة الثانية والتي تتضمن كنز الملك برايام. وتبدو في الصورة الوسطى زوجته صوفيا وهي تلبس باقة من أشهر الحلي المكتشفة. وقام بعد ذلك بتهريب المكتشفات من تركيا إلى متاحف برلين حيث اختفت عقب نهاية الحرب العالمية الثانية. وفي عام ١٩٩٣م اعترفت روسيا بحيازة الكنز، وفي عام ١٩٩٤م تمكن فريق من الباحثين وعلى رأسهم كوفمان من العثور على المكتشفات في متحف بوشكين في موسكو

على اكتشاف أسوارها وتحصيناتها. وقد أمضى يانسن ست السنوات الماضيات يستقصي وينقّب المنطقة من حول كل القلعة باستخدامه المسبار المغناطيسي، إنه لعمل شاق، كما يقول، وأنت تجد في البحث والتنقيب تحت شمس لاهبة من السادسة صباحًا حتى مغيب الشمس. وبواسطة جهازه البسيط هذا أمكن ليانس أن يسبر الحقول المغناطيسية التي هي دون الحقل المغناطيسي للأرض بمئات آلاف المرات. ومع أن هذا الجهاز يستخدم لتقصّي المخزون الجيولوجي وأحيانًا للبحث عن الألغام، إلا أن له استخدامات أخرى. فالأواني الفخارية مثلاً تصبح أكثر اختزانًا للمغناطيسية حينما تُشوى في النار، وكذلك العضوية حينما تتفسّخ، ويمكنني، كما يقول يانسن، أن أُسجل أدنى مستوى من الزيادة في الحقل المغناطيسي، وكذلك النقصان الناجم مثلاً عن جدران البناء الكلسيّة التي لا تحوي أية مغناطيسيّة.

ويقوم يانسن بتغطية المنطقة هيكتارًا بهيكتار وشبرًا بشبر جيئة وذهابًا، بينما تقوم الصور التي يسجلها الجهاز بكشف شوارع رومانية وجدران قد استقرت على عمق متر أو أكثر تحت السطح. ولا شك في أن الجهاز متعدد الفوائد، إذ إن الحفر الاستكشافي الذي يتناول ما يلي الآثار الرومانية قد قادنا إلى طبقات طروادة السادسة، ولسوء الحظ فإن الجهاز ليس بالحساسية الكافية لأن يعطي قراءات على ذلك العمق. ولهذا السبب بالذات اضطرّ علماء الآثار إلى طلب مدّ يد العون من العالم هيلموت بيكر BECKER من المكتب الحكومي للحفاظ على الآثار في بافاريا صيف عام ١٩٩٢م. وبتحليل المعلومات التي سجلها جهازه الذي أحضره معه، والذي يفوق جهاز كورفمان بعشر مرات، تمّ التوصل إلى اكتشاف مثير هو ارتسام غامض خط على جهازه يقطع الصورة المرتسمة من أولها إلى آخرها، وهذا لا يمكن إلاّ أن يكون التحصينات التي طال انتظار اكتشافها. وقد كشفت الحسابات التقريبية بأن مساحة المدينة المسوّرة لابد أن تقترب من العشرين هكتارًا، بمعنى أنها أكبر بعشر مرّات من تلك التي كشف عنها شليمان.

وانطلقت صيحة الانتصار: لقد تم أخيرًا اكتشاف أسوار طروادة! وكانت هذه الصيحة منشورة بالخط العريض في الصحافة، وفيها أيضًا صور هزلية لآشيل الذي اشتهر بأنه هو الذي سحلَ جسد هيكتور HECTOR ابن الملك برايما ثلاث مرات ولمسافة كيلو



اكتشفت في طروادة عظام خيول من شأنها أن تقود إلى تحديد تاريخ تدجين الخيول

مترين. إلا أن المفاجأة الحقيقية ليست في هذا الاكتشاف فقط، فبدلاً من إبراز أسوار المدينة إلى الضوء، جاءت الحفريات التي تمت في الصيف التالي لكي تكشف عن وجود خندق. ويشرح يانسن هذه المفاجأة المعترضة بأن الركام الذي كان يملأ الخندق قد تسبب في إعطاء قراءات خاطئة من جانب المسبار المغناطيسي، ومع ذلك فإن الخندق في حدّ ذاته هو استراتيجية دفاعية (خط دفاعي). وعلى كل حال فإن نظرة إلى الحفريات التي لا يكاد عمقها يتجاوز المترين وتربتها كلسية لا توحي في حالتها هذه حصرًا بأن لها ذلك التأثير أو تلك الأهمية، ذلك أن أي معتد آنذاك يمكنه تجاوز هذا الخندق، وربما على قدميه وليس ركوبًا على عربة كما يشير كورفمان. أضف إلى ذلك أنه من المؤكد وجود حائط ربما كان مشيدًا من الخشب أو اللبنات بشكل سورٍ أو حاجز يمكن للمقاتلين من خلاله إطلاق السهام أو رمي الرماح.

ولسوء الحظ، يقول كورفمان، قد يكون من الصعب إثبات وجود مثل هذه (التصوينة) حتى ولو كان بناؤها من الحجر بدل الخشب، ذلك أن الأساسات المقامة عليها التصوينة قوامها الكلس ولا تتعمق في الأرض، وهي تقريبًا تحت سطح الأرض مباشرة. وما يجعل كورفمان يتمسّك ببارقة أمل هو ما توصلت إليه العالمة اللغوية بريجيت مانز برجر MANNS PERGER وذلك أنها وجدت في المكان الذي يشير فيه هوميروس في الإلياذة إلى وجود حائط وخندق، وهو بصدد وصف القاعدة البحرية اليونانية. إن هذا الطراز من البناء كان شائعًا زمن هوميروس، ونعني بذلك القرن الثامن قبل الميلاد أي ٥٠٠ عام بعد أن برزت طروادة السادسة إلى الوجود.

نحن الآن وقت الظهيرة، نعود أدراجنا إلى المخيّم والعمل مازال على قدمٍ وساق في الفسحة المخصصة لترميم اللقى الأثرية، ومجموعة من العلماء تقوم بدأب على تنظيف المكتشفات التي لا حصر لها، ولاسيما آلاف القطع من السيراميك والعظام، دبابيس الزينة ورؤوس الحراب، مغازل يدوية وعملات. بعض هؤلاء العلماء يقومون بعد ذلك بإحصاء هذه اللقى وقياسها ورسمها وتسجيلها بشكل مداخل معلوماتية للحاسوب، وبعضهم الآخر منهمك بالفحوص المجهرية أو يحاول تجميع القطع الفخارية لآنية مكسورة.

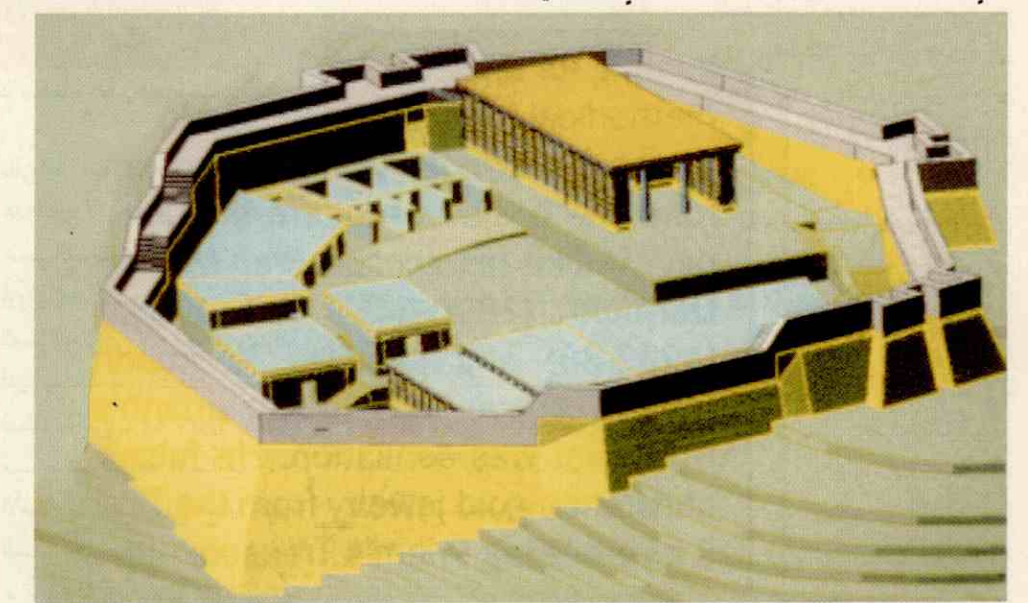
وهنا يعرّفني كورفمان بالعالم هانز بيتر أووربمان UERPMANN واصفًا إياه بالأستاذ الأوحد لعلم الآثار في ألمانيا، إلا أن أووربمان يرد على ذلك بتواضع العالم، ويقول: إن الدرجة العلمية لا علاقة لها بنوع عمله، لأن عمله ليس بالرفعة التي يبدو عليها، ولا ننسى، كما يقول، أن شليمان هو الذي طلب من عالم الأمراض رودولف فيرشوف أن يجري الفحوص على عظام معينة.

ومن مميزات عالم الآثار المعاصر، يتابع أووربمان، أنه يريد أن يصنّف كل قطعة من المكتشفات، وهذا عمل مضن لا سيّما إذا علمنا بأن عدد العظام البشرية المكتشفة في طروادة عام ١٩٨٨م يقارب المليون قطعة، وهناك نسبة ١٠٪ فقط من عينات هذه العظام قد جرى تصنيفها من قبل أووربمان تبعًا للحقب الزمنية.

وقد تمت عملية التصنيف تبعًا لنوع الحيوان وعمره وحجمه وجنسه. فما الذي نتعلمه من هذا؟ إن ما نتعلمه هو الكثير من العادات الغذائية للناس في تلك الحقبة، وكانت الأبقار والأغنام والماعز والخنازير هي مصادر اللحوم، إلا أن الطرواديين لم يكونوا على مايرام اقتصاديًا فيما بعد حقبة طروادة الثانية، ذلك أنهم كانوا يذبحون خنازيرهم قبل بلوغها السن المناسبة للذبح.

ولم يسترد الاقتصاد عافيته عند ظهور حقبة طروادة السادسة، وحينها تبدلت الأمور. ففي هذه الحقبة نجد عظام الماعز البرّي والغزلان الضخمة، ممّا يشير إلى أن الطبقة الاجتماعية الموسرة فقط هي التي كانت تنعمُ بمتعة الصيد لمدة أسابيع فوق التلال والجبال. ومن الواضح أنه حتى الأسود كانت طرائد لهم تلك الأيام.

ولأن النباتات ليس لها عظام فإن الجزم بما كان ينمو من نباتات حول طراودة هو أمر صعب جدًا، وربما يكون غير وارد. ولننظر في الأمر من الناحية العلمية: فبذور النباتات عليها أن تقترب من النار إن هي أرادت أن تترك أثرًا طويل الأمد، وذلك عن طريق تفحمها بمعزل عن الهواء. وتقوم



بعد آلاف السنين من تدميرها، أعيد بناء حصن طروادة الشهير في قسم الحاسوب التابع لجامعة توبينجن الألمانية. ولقد تمكن باحثون ألمان يساعدهم فريق بحث من شركة IBM بنمذجة صور مجسمة ثلاثية الأبعاد للمدينة القديمة كهذه الصورة التي تمثل مخططها عام ٢٥٠٠ ق م

سيمون ريهل RIEHL، وهي طالبة تعدّ دراسة لنيل الدكتوراه تحت إشراف أستاذها أووربمان بغربلة بعض البذور التي عثرت عليها في التربة السوداء، وتوازنها ببذور معروفة وذلك تحت عدسة المجهر، وتبيّن بأن البذور المسيطرة هي بذور الشعير الذي كان يُزرع في طروادة، وهذه حقيقة أوحت بها الأعشاب التي عثر عليها ممزوجة مع بذور الشعير.

هي في غاية الأهمية، ذلك أن الحصان آنذاك كان في أهميته، كالقنبلة الذرية في وقتنا الحاضر.

وهذا الاكتشاف ربما يعني تبعًا لذلك احتمال تحوّل طروادة إلى مركز لتجارة الأحصنة في بواكير تلك الفترة والتي ربما قد ازدادت أهميتها أكثر فأكثر خلال فترة العصر البرونزي. فماذا والحالة هذه لو كانت هذه السنّ قد سقطت في أثناء الحقبة الزمنية

ويتابع أووربمان القول: إن المخرج الوحيد من هذا المأزق هو اللجوء إلى عملية التسريع المخبري للقيام بهذه العملية، فلربما تأتي بنتيجة تعتمد في ذلك على خمسة ملليغرامات فقط من المادة، وسوف يكون للعلم دور فعال يقوم به في مجال النهوض بعلم الآثار. فمثلاً عند استخدامنا القياسات التحليلية في تتبع العناصر والنظائر المشعة ISOTOPES فإننا نأمل في فهم

من خلال القطع التي عثر عليها. ويبدو أن أووربمان شديد التفاؤل حيال الهمة العالية للتعاون بين عناصر فريق العمل، ويقول: «حدثني أحد زملائي قائلاً: إن علم الآثار هو بالفعل علم السرقات المستحبة KLEPTOMANIA، إذ إننا، بصفتنا علماء آثار، نحتاج إلى عمل مشترك ينسّق بيننا، ويرفع من هممنا».

إن هذه هي وجهة نظري أيضًا، يقول كورفمان، وها نحن أولاء مرة ثانية نقف على تلٍّ عليه قلعة، ولكننا هذه المرة نقف بعيدًا عن طروادة، وهذه القلعة لا علاقة لها بطروادة، إنها قلعة توبينجن في معهد كورفمان للتاريخ القديم وأوائل التاريخ الحديث. إنه المكان، وعلى وجه التحديد في البناء الرائع الذي تجري فيه عمليات توثيق المكتشفات الأثرية وترميمها التي تم اكتشافها الصيف الماضي إلى جانب تحليلها وتكويمها من أجل التقارير السنوية التي تتزوّد بها النشرة الخاصة باسم (دراسات طروادية) والمنشورات التخصصية الأخرى.

ويخطر لي سؤال أتوجه به إلى كورفمان: هل بمقدوره تصوّر نوع من المستقبل لطروادة مغاير لذلك الذي ينبش ما فيها؟



الباحث الآثاري هلموت بيكر يستخدم مقياس المغناطيسية MAGNETOMETER في عمليات التنقيب

ومع ذلك فإن هذا ليس كل شيء. هكذا قال أووربمان وهو يعرض عليّ عظمة ليس لها شكل محدّد، ويشرح ذلك بقوله: إنه «في إحدى طبقات طروادة الثانية أي حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، عثرنا على سنّ حصان».

واستجابة لتعابير وجهي البلهاء حيال هذه المعلومة يتابع أووربمان شرحه لأهمية هذا الاكتشاف ويقول: إن توافر المناخ المتوسطي للمنطقة يؤكد وجود الحصان البرّي آنذاك، وأن الفترة الزمنية التي عندها بدأ تدجين الحصان

لطروادة الثانية؟ إن التخمينات التي من هذا النوع لا يمكن حسمها إلاّ بتحديد عمر القطعة الأثرية بدقة. ويضيف أووربمان أن أفضل الأساليب لتحديد العمر الزمني في هذه الحالة، والمتوافر لدينا يعتمد على التحليل الإشعاعي لنظائر الكربون ١٤ -C، إلا أن هناك مأخذًا على هذا الأسلوب، إذ إن الأسلوب التقليدي في عملية تحديد العمر الزمني يتطلب ما يقرب من ٢٠ غرامًا من المادة لكي تتمّ العملية، وهذه الكمية قد تستوجب تخريب السنّ ذات الأهمية الكبيرة لدراساتنا.

السلسلة الغذائية للحضارات القديمة. وأيضًا باستخدام أساليب علمية مماثلة يمكن لعلماء التعدين القديم أن يتباهوا بمنجزات رائعة. فمثلاً يمكن لهم استنادًا إلى مقدار بسيط من الرصاص الداخل في تركيب البرونز، يؤخذ من عيّنات تعود إلى العصر البرونزي، أن يستدلوا على مواضع المناجم التي كان النحاس يستخرج منها. فهكذا الأسلوب نفسه يمكن للعلماء أن يعيدوا رسم خارطة الطرق التجارية للمتوسط عن طريق تحليل المواد النادرة للتربة الموجودة في صناعة السيراميك، وذلك

فينظر كورفمان من الشباك إلى سقوف منازل المدينة القديمة على نهر نيكار NECKAR. كان صوته مملوءًا بالمهابة لما سيقول، وفيه الكثير من التصميم حينما أجاب: «كم أتمنى أن أجد هنا من حولي حديقة عامة كبيرة.

وفي رأيي أن الوقت قد حان لأن نحترم هذا المشهد الذي يأخذ مثل هذا الحيّز في تاريخ الحضارة الإنسانية وندعه يرقد بسلام. وهذا مطلب أتابعه بحماسة منذ عدة سنين، وليس في نيتي التوقف عن ذلك الآن.



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

كتاب الروح

تأليف ابن قيّم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ

أمر الروح من الأسرار التي استأثر بها الله نفسه، فلم يُطلع عليها أحدًا من خلقه. وَيَسْألونَكَ عن الرُّوحِ قل الرُّوحُ من أمرِ ربي وما أُوتِيتُمْ من العلمِ إلا قليلاً. الإسراء:٨٥. فتكلم العلماء في أمرها ضمن هذا العلم القليل الذي آتاهم الله سبحانه وتعالى.

وممن بحث هذا الموضوع، الإمام ابن قيم الجوزية، ذلك العالم الفذ الذي عرضنا لأحد كتبه في العدد رقم ٢٥٣، ولم أر مَنْ أفرد ذلك في كتاب مفرد غيره.

وكما جاء في مقدمته، فهو «كتاب عظيم النفع، جليل القدر، كثير الفوائد ما صُنّف في معناه مثله، فلا تكاد تجد ما تضمنه من بدائع الفوائد وفرائد القلائد في كتاب سواه، ويشتمل على جملة من المسائل تتضمن الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل: الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء».

ويقول رحمه الله في أثناء حديثه عن مصير الأرواح في المسألة الخامسة عشرة: «فهذا ما تلخص لي من جمع أقوال الناس في مصير أرواحهم، ولا تظفر به مجموعًا في كتاب واحد غير هذا ألبته».

وقد قسم الإمام ابن القيم - رحمه الله - كتابه هذا على إحدى وعشرين مسألة، نسوقها هنا باختصار:

المسألة الأولى: في معرفة الأموات بزيارة الأحياء لهم.

المسألة الثانية: في تلاقي أرواح الموتى في قبورهم وتزاورها.

المسألة الثالثة: في تلاقي أرواح الأحياء والأموات وتزاورها.

المسألة الرابعة: في الموت هل يكون للروح والبدن أم للبدن فقط؟

المسألة الخامسة: في تميز الأرواح بعضها من بعض بعد خروجها من الأبدان.

المسألة السادسة: أتعاد الروح إلى الميت في القبر وقت السؤال أم لا؟

المسألة السابعة: في الرد على منكري عذاب القبر.

المسألة الثامنة: في الحكمة من عدم ذكر عذاب القبر صريحًا في القرآن الكريم.

المسألة التاسعة: في ذكر الأسباب الموجبة لعذاب القبر.

المسألة العاشرة: في ذكر الأسباب المنجية من عذاب القبر.

المسألة الحادية عشرة: في أن سؤال القبر يعم المسلمين والكافرين والمنافقين.

المسألة الثانية عشرة: في سؤال منكر ونكير، أهو خاص بالأمة المحمدية، أم يعم غيرها أيضًا؟

المسألة الثالثة عشرة: في القول في امتحان الأطفال في قبورهم.

المسألة الرابعة عشرة: هل عذاب القبر دائم أم منقطع؟

المسألة الخامسة عشرة: في مستقر الأرواح بعد الموت إلى يوم القيامة أين يكون؟

المسألة السادسة عشرة: في انتفاع الموتى بسعي الأحياء من الأعمال الصالحة.

المسألة السابعة عشرة: هل الروح قديمة أم حديثة، وهل تموت الأرواح أم لا؟

المسألة الثامنة عشرة: في تقدم خلق الأرواح على الأجساد أو تأخر خلقها عنها.

المسألة التاسعة عشرة: في حقيقة النفس.

المسألة العشرون: في الروح والنفس: أهما شيء واحد أم شيئان متغايران؟

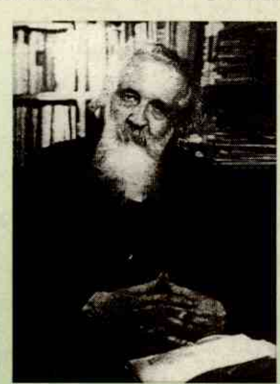
المسألة الحادية والعشرون: هل النفس واحدة أم ثلاث؟

والإمام ابن القيم يفصل القول في هذه المسائل جميعها، موردًا الأدلة، ويذكر كل الأقوال الواردة فيها، ثم يعرضها على المنهج السليم الذي تبناه، وهو منهج السلف الصالح، فيثبت ما وافق الكتاب والسنة، ويرد ما خالفها، ويقول في ذلك: «ونحن نذكر مأخذ هذه الأقوال وما لكل قول وما عليه من الصواب من ذلك الذي دل عليه الكتاب والسنة».

نافذة على ثقافة العالم

المسالك التي فتحها

HELENE TUZET



Les Voies ouvertes par Gaston Bachelard a la critique literaire

تأليف: هيلين تُوزه
ترجمة: د. محمد غسان دهان
مراجعة: أ. محمود فاخوري

يَعُدّ الجمهورُ باشلار (Bachelard) معلماً للنقد الأدبي الخاص بالتحليل النفسي. لكن باشلار سرعان ما كفَّ عن وصف نفسه بالمحلل النفسي، كما لم ير نفسه ناقداً قط. إنه فيلسوف، يريد أن يبني فلسفة للخيال. وتُشكِّلُ النصوصُ الأدبية بالنسبة إليه وثائقَ كغيرها من الوثائق. غير أن موقفه غامضٌ: إنه يريد أيضًا أن يصبحَ قارئًا يُعلِّمنا القراءةَ، وحالًما يعلمنا أصول الحلم.

فعندما نشر كتابه «النار في التحليل النفسي» (La Psychanalyse du feu)، اعتقد أنه قدَّم توضيحًا بسيطًا عن كتابه القيِّم السابق: «تشكُّل العقل العلمي» (La Formation de l'esprit scientifique)، حيث كان يرفض القوى الغامضة التي تتعارضُ فينا مع المعرفة الموضوعية. ويكاد يَستَشفُ أنه انطلق في عملية جديدة كلَّ الجدة، فبعد أن رفض مساوئَ حلم اليقظة، ها هو ذا يُشيد بقوته المبدعة.

علينا أن نحددَ باديءَ ذي بدء الصلات التي تربطه بالتحليل النفسي. وعلينا أن نميِّز بين شيئين: رأيه في هذا العلم، والطريقة التي يستخدم بها مناهجَه.

لم يتنكر باشلار لاكتشافات التحليل النفسي، وهو يأخذ بالانتصارات التي حققتها مدارسُ عديدة، ففي الكتب الأولى التي يهتمُّ فيها بالواقعة الأدبية، نراه يؤكد دور اللاشعور الرئيس في عملية الخلق. من هنا تأتي ضرورة التحليل. لكن كيف نحللُ الآثارَ الفنية؟ علينا أن نلاحظ أن الكلمة التي يحملها عنوانُ الكتاب الأول تختفي مع كتاب «الماء والأحلام» (L'Eau et les reves)؛ ويبين باشلار سببَ ذلك: للقيام بتحليل نفسي حقيقي لا بدَّ من ثقافة طبية ومن تجربة في العصاب النفسي لا يمتلكها. وهو يُثني في حديثه على شارل بودوان Charles Beaudouin أو ماري بونابرت Marie Bonaparte؛ وأمثالهما فهم يعالجون النصوص الأدبية على أنها وثائق سريرية. لكنه يتجنبُ أن يحذو حذوهم. وهو يقول إن التحليل النفسي للأعمال الأدبية علمٌ مختلف بمناهجه وبموضوعه على حد سواء. «ليس لدينا لمعرفة الإنسان سوى القراءة العجيبة التي تحكم على الإنسان، تبعًا لكتاباته، وللمواد التي يمتلكها، يظنُّ أنه من باب الحكمة والأهمية أن يقصر دراسته على منطقة نفسية غير منطقة اللاشعور العميق.

لقد لامَهُ شارل مورون Charles Mauron على هذا الخيار لومًا شديدًا. فهو يرى على ما يبدو، أن باشلار قد تراجع أمام ما هو مَقيت في الغرائز وضروب شذوذها؛ وهو يلومه بشكل خاص على افتقارة للدقة فيقول: «لم يَعُد الحلمُ يتميَّز من حلم اليقظة». وفي هذا القول جور. لقدَ أوضح باشلار بجلاء ما يقصده بهذه التمييزات، فهو لا يدرس الحلمَ الليلي، بل يدرس حلمَ اليقظة. ولا يعجبه، في الواقع، الحلمُ الليلي، لأنه مفرط في اللافردية، ولست أنا الذي أحلم، وليس ثمة «كوجيتو» للحالم.

والحق يقال إنه يستخدم، كما تفعل اللغة الدارجة، كلمة «حلم» كي يدل على «حلم اليقظة»، فثمة ممر مستمر يصل الأول بالثاني، كما هو الأمر، في الشجرة، بين الجذر والساق. «للحلم جذر وتدي يغوص في لاشعور حياة الطفولة البدائية السامي والبسيط، وله أيضًا شبكة جذور حزمية تعيش في طبقة أكثر سطحية». وحسب استعارة أخرى يكتفي بدراسة فروع الخيال المختلفة «فوق التطعيم»، عندما تكون الزراعة قد وضعت علامتها على «الطبيعة».

وكما يقول، على الحلم أن يكتفي بهذا، ولا يُعَدُّ هذا الاكتفاءُ هزيمة: فهذه المنطقة أكثر أهميةً لكونها إنسانية حقًا: «التطعيم هو العلامة الإنسانية».

وعلى هذا المستوى تتشكل «مركَّبات الثقافة» التي تُعَدُّ اكتشافًا من اكتشافات باشلار. (لنوضحْ أن المركَّبات، بالنسبة إلى باشلار، «وضعيات عفوية تتحكم بعمل التفكير»؛ وهي ليست حصارًا للحياة النفسية، وليس لها طابع مرضي واضح). ففي مركّب الثقافة، تتحدد أحلام طبيعية وتقاليدُ معروفة. وليقتصرْ استشهادُنا على أحد أشهر هذه المَركَّبات، المشار إليها، حسب عرف باشلار، ب «علامتها الثقافية»: مُركَّب أوفيليا complexe d'Ophelie، الناجم عن تلك المجموعة الطبيعية التي تُشَكِّل الماءَ، والمرأةَ، والشَعرَ، والزهرةَ، والشبابَ، والموت وتسميتُها، بالنسبة إليه، لعبةٌ، لكنها ليست لعبةً فقط. وهو يقول: «تكفي تسمية الأشياء غالبًا في إحداث «راسب»؛ فقبل الاسم، لم يكن سوى محلَول لا مُتَبلَر بهذه الطريقة تُضاف، بالطبع، إلى المركَّبات الأكثر عمقًا التي اكتشفها التحليل النفسي، بالتنوع والحرية، فيبتكر رمزية أكثر مرونةً من رمزية التحليل النفسي الفرويدي؛ وتنطبق اللعبة نفسها على

غاستون باشلار للنقد الأدبي

نماذج يونغ Yung المثالية: «قد يكون من البساطة بمكان أن تمحو الأمُّ، وهي أحد أشهر النماذج كلِّها، حياة الآخرين».

ويأتي في النهاية يوم يَجتثُّ فيه الجذر - وهو لا يذهبُ إلى دحض كل تحديد يؤديه الشعورُ، لكنه يرفضُ أن يُعيرَ أيَّ اهتمام لحصَّة العمل التخيلي التي تتحدد على هذا النحو. إنمقدمة كتابه «شاعرية الحيز» La Poetique de l'espace تضع اللمسات الأخيرة على القطيعة مع التحليل النفسي. فليس الشاعرُ، منَ الآن فصاعدًا، شيئًا آخر غير الضمير الشاعري في لحظة إنتاج الصورة. ويُعبِّرُ باشلار في كتابه «شاعرية حلم اليقظة» La Poetique de la reverie عن الرشاقة الداخلية التي يُحسُّ بها من جراء ذلك التحرير الثنائي: تحرير الصورة وتحرير محلِّلها.

الحق يقال: إن الخيالَ، بدءًا من كتاب «النار في التحليل النفسي»، كان بالنسبة إليه، على نحو متزايد، الوظيفةَ الأساسية للحياة النفسية، وظيفةً قصوى تسبق الفكرَ، والانفعال، والإرادة، فهو انبثاق أولي، يبدأ بملاحظة الواقع: وهو الذي يحدد التأملَ: «لا ننظر بشغف جمالي إلا إلى المناظر التي رأيناها أولاً في الحلم». كما أن الصورَ ليست رموزًا يبينها الكاتبُ الأخلاقي كي يُجسِّد فكرتَه: إن شاعرية نيتشه Nietzs-che «تسبق» فلسفته.

ويعترفُ باشلار للخيال بميزة ثلاثية: شكلية ومادية وحيوية. لكن بالنسبة إليه - ونحن هنا أمام فكرته الأكثر أصالة - ما هو أساسي هو خيال المادة والقوى. لا تأتي الأشكال إلا في المقام الثاني. ولا يجد الخيالُ جذوره المغذيةَ في الصور البصرية. «إنه يحتاج أولاً إلى حضور أكثر قربًا وأكثر إحاطة...» حضور «عنصر». وهذا العنصر لا ينفصل عن حيوية ديناميكية الحلم الذي يَعتمل في قرارة نفسه، سواء أكانت هذه الحركة تخليًا يُواسَى عليه صاحبُه أم كانت على الأغلب هجومًا، أم غزوًا.

إن «مذهبَ الطباع الشاعرية بوظائفه الأربع»، أي تصنيف الطباع تبعًا للعناصر الأربعة، فيه، بالتأكيد، ما يُفاجئنا. فلا بدَّ أنه ضلل القارئَ الذي تابع باشلار حتى وضع كتابه «تشكل العقل العلمي». فقد كان يرفض «العائق المادي». من الآن فصاعدًا، سَيَتبَعُ الخيال في قلب المادة ويستقرُ فيها مجاملاً. وسنسمعُ فيلسوف العلوم يُشيدُ مثلاً، بالماء، مستخدمًا لغة المهتمين بالدلالات اللغوية (السيميائيين) المتحمِّسة.

ولم يكفَّ باشلار عن التفكير بأن ثمة شيئًا تحت تمييز الطباع الأربعة التقليدي، تمييز يقابلُ العناصرَ الأربعة: «يمكن لحقيقة حلمية عميقةً أن تقابل خطأً بيولوجيًا قد يكون واضحًا لكنه عام جدًا».

في كل تعليق على هذا المذهب، يجب أن نضع في الصدارة نصًا ليعقوب بوم Jacob Boehme، يستشهدُ به باشلار في الفصل الرابع من كتابه «الهواء والأحلام»: «إذا تأمّلنا وفكرنا في أصل العناصر الأربعة، وجدنا ورأينا بوضوح في أنفسنا هذا الأصل وشعرنا به...». ويمكننا القول بمعنى يختلف بعض الشيء عن المعنى الذي يريده بوم: «العناصر الأربعة داخلية» إنها خلق إنساني، وهي تقابلُ الصيغَ التي تُدركُ الحياةُ الإنسانية بها العالمَ المادي.. إن نماذج الخيال سابقةُ الوجود، وتكيفُ التجربة تبعًا لضروب تفضيلها. وهذا ما يُعلِّلُ اختيارَ تصنيف قديم على ما يبدو ومرتكز على علم خاطئ. خاطئ، لكنه سهل الزعزعة وسريع الظهور بشكل يُملي عليه الارتكازَ على واقع: وهذا الواقع ذو طابع نفسي.

إن كل بحث جديد حقًا يستلزمُ فرضيةَ عمل، أي رأيًا قَبْليًا. ويهتدي باشلارَ بالتأكيد الذي يقول إن هناك، بالنسبة إلى كل كائن مُتَخيَّل، مادة مُفضَّلة، «مادة فعالة تُحدِّدُ وحدةَ التعبير ومرتبته»، يجب اكتشافها.

على الرغم من رفضه لاسم «ناقد» يحاول إبداء رأيه في الآثار الفنية، فيلقي خواطر في المحيط ويطلق كوكبة تلاميذ معترضين في عدة ميادين.

وقد حصل سوء تفاهم حول فكره، يُعزى إلى قوله المفرط: «إن كلَّ عنصر مُتخيَّل في حركته (ديناميكيته) الخاصة»، وعلى حركة وصلة بحركة. فباشلار لا يفصل المادة المتخيلة عن الحركة الإنسانية التي لا يمكن للواقع، على حد قوله، أن يتشكلَ لدى الإنسان بدونها: فنحن لا نفهم الأشياءَ الحسيَّة إلا في مقاومتها. حتى الكتاب المخصص للماء، وهو مادة نسترسل فيها، يحوي فصلاً عنوانه «الماء العنيف»، يَدْرُس فيه عدوانية الإنسان والعناصر المتبادلة. لقد خصص كتابًا كاملاً لدراسة صرف في الخيال المحرِّك: «لوتريامون» Lautreamont.

الاندفاعُ نحو حركة يخلقُ عضوَ هذه الحركة: إن نفسية دوكاس Ducasse العدوانية تتجسّدُ في المخلب، والملقط، والبراثن، والفم؛ فسلاحُ الاعتداء يستدعي صورةَ الحيوان المعتدي، القادر دائمًا على الانفتاح والتحول.

الصورة: إنها المحورُ الذي يدور حوله بحثُ فيلسوفنا. فقد تتطلبُ الـ«صورةُ في رأي باشلار»، دراسةً صعبةً؛ لأن هذه الصورة تفلتُ من القبض. لقد حاول عدة مرات وضعَ تعاريف وابتكارَ تصنيف: إن مصطلحاته متغيرةً، وهذا يعودُ إلى ثراء اللغة وغناها أكثر مما يعودُ إلى نقص في دقتها. باستخدامه لهذا الاسم أو ذاك، يميِّز صورًا رئيسةً: «تلك التي تتبعُ في الوقت نفسه قوى الطبيعة وقوى طبيعتنا» (وهذا التعريف ينطوي على مذهب تناغم موفَّق بين الإنسان والكون). والشجرةُ أفضل مثال على ذلك: صورةُ حياة في حركة شاقولية لا صورة شاقولية هندسية. إن شجرةَ «الهواء والأحلام» L'Air et les songes الهوائية تتممها الشجرةُ المعرقةُ (التي تضرب جذورها في التربة)، في «الأرض وأحلام يقظة الراحة» La Terre et les rev-eries du repos فتصبح ذلك الشيءَ الحسيَّ المكمِّلَ الذي، إذا ما حلمَ المرءُ به كاملاً، فهو علامة على حياة نفسية كاملة.

لقد كان بوسعه أن يُبيِّن على نحو أفضل رأيه في صلات الصورة بالكلمة، وأن يميِّز بشكل أوضح الصورة الأدبية. فقد شرع مرات عديدة بدراسة مجموعات من الصور، متنافرة في نظر العقل، يربط بينهما صلة انفعالية، أو ديناميكية. إن طريقة التجميع

الأكثر توفيقًا والتي تم استخلاصها هي طريقة تجميع الصور المركبة ذات الطوابق المتعددة (البيت، من القبو إلى السقيفة)، الصور التي «تُفضي في الوقت نفسه إلى عدة متطلبات مُلحّة من متطلبات الحياة المتخيّلة» وتسمح لنا بـ «الصعود والنزول على طول محور يذهب، في الاتجاهين، من العضوي إلى الروحي».

ظلت الصورة فترة طويلة، بالنسبة إلى باشلار، على الرغم من مظهرها التلقائي، غير مجانية: فهي تصدر عن ضروب التفضيل الخفية؛ وربما كان عملُ تصنيفي على هذا النحو ممكنًا. لكن عندما تحول فيلسوفنا إلى علم الظاهرات، أصبحت الصورةُ الملتقطة خارج كل سببية متعلقة في نظره بـ «علم كائن» مباشر. لم يعدْ هناك فائدة من المصاهرة: «فنُجوع الصورة في عزلتها».

أمام هذين المنهجين المتعاقبين والمتعارضين، ما يهمنا هنا أكثر من غيره هو الخصوبة النقدية لكلا المنهجين.

لنقلْ إن باشلار بقي فيلسوفًا. فهو يهدف إلى «بناء فلسفةَ الصورة الأدبية تدريجيًا». وهو لا يزعم أنه ناقد؛ لكنه يزعم أنه مفيد للنقاد. «إن تَستَرعِ أبحاثنا الانتباه

عندئذ على كل شاعر أن يفسحَ المجالَ أمام رسم تخطيطي، شبيه بالمسقط الزهري، يبين معنى تنسيقاته المجازية وتناظرها. لكنه لم يُجرِّب شيئًا من هذا.

لقد ألزم نفسه مرة واحدة، في معرض حديثه عن كتاب الحيوان عند لوتريامون، بدراسة إحصائية. لكن هذه البيانات المنهجية ليست ضالته المنشودة. فهو يتعاطى بشكل خاص، بصدد نماذج مفصّلة، ذلك «المنهج الاستقرائي التعاطفي» الذي يعطيه نتائج موفقة.

ففي عهد كتابته لكتاب «لوتريامون»، عَمِلَ مؤيدًا للتحليل النفسي واقترحَ على الناقد أن ينشطَ في قرارة نفسه المركّبات نفسها أو أنْ يَحدَّ منها. وهذا اتجاه محفوف بالمخاطر! وفي المؤلفات اللاحقة، يصبح المنهجُ أكثر مرونةً، لكنه لا يتغير في جوهره، القراءةُ بتمثل حلم اليقظة الخلاق وبالتمركز حيث تجري أحداثُ المسرحية في حدود الشعور واللاشعور؛ العيشُ مع الشاعر، في حالة تعاطف جوهري، تحت الألوان والأشكال. فالشكل يكون، بالنسبة إليه، «بَعديًا»، وما هو إلا بنية يفرضها العقلُ النيّرُ على عناصر الأثر الأصلية. فالدراسةُ التي أعدّها عن الدهليز - بصدد هذا - موحية. فهو يعيش الدهليزَ من الداخل في قلق

أصبعين - كما يرفع قطعةً من الكريستال - صورةً لإيلوار يرى فيها وثيقة ذات نقاء استثنائي». وهو يعرف كيف يجد، في نص يحتوي على إضافات واختلاطات، الصدقَ الأولي. وهو عينُ التسامح في تعامله مع شعرائه الأثيرين. وهذا لا يعني أنه لا يعي كمالَ الشكل: ثوب ضيّق، متوافق مع الصورة الكاملة. بل يعني أن ميدانَ بحثه يأخذ مكانَه دون الشكل، - هذا إن كان صحيحًا أن ميدانًا كهذا موجود دون الشكل. وهو في نظر باشلار موجود بالتأكيد.

وغنيٌ عن القول: إن تاريخ الأدب يبدو له بعيدًا عن المشكلات الحقيقية في كتابه «الأرض وأحلام يقظة الإرادة» La Terre et les reveries de la volonte. يأخذ - وهذا صحيح - بضرورة تاريخ الأحلام، شريطة أن يُعاش من جديد من الداخل. إن انضمامًا عميقًا إلى عقلية (السيميائي) مثلاً، أمر لا غنى عنه لفهم قسط وافر من الأدب الأوروبي منذ عصر النهضة. إلا أن المؤثرات والمصادر لا تشغله أبدًا. وإن كان يقول بوجود خلفية نفسية جماعية فلأنه يرى أن الروح الفردية لا تتصل بالأرواح الأخرى إلا عن طريق ذلك الكنز اللاشخصي الذي لا يعرف سنًا: اللاشعور الجمعي. لقد أهمل باشلار وجودَ ما نسميه بتيارات الفكر والحساسية الكبرى، المعروفة بتسلسل أحداثها وبسياقها التاريخي، مع أن قدرًا كبيرًا من الغموض ما زال قائمًا فيها. إن للدرجات الأدبية لمعانًا سطحيًا وعمقًا مجهولاً. وهكذا، عندما يدرس باشلار عند ويسمانس Huysmane تقويم الحجر الكريم والميلَ إلى الجماد ورفضَ الحياة النباتية (النباتي غير النظامي)، لا يُعير كثير أهمية لدرجة أتى بها بودلير Baudelaire أو لتقليد عفوي للأوساط الأدبية التي عرفتها نهاية القرن التاسع عشر. ولا شك أنه سيجيب عن هذا بقوله: «لا يمكننا أن نكتب باستمرارية حقيقية في الأسلوب إلا إذا طوّرنا أصولاً حُلمية عميقة». وهذه الأصول غير موجودة عند متغنٍّ آخر بالأحجار الكريمة، مثل غورمون Gourmont أو وايلد Wilde؛ إنها موجودة عند ويسمانس وفيلييه Williers.

عنده الخيال الوظيفة الأساسية للحياة النفسية، وظيفة قصوى تسبق الفكر والانفعال.

فلا بُدّ لها أن تأتي ببعض الوسائل وببعض الأدوات لتجديد النقد الأدبي».

لقد كان مقتنعًا بحاجة النقد الماسة إلى التجديد. إن «المعرفة النفسية، بالنسبة إلى الناقد العقلاني. بدهية ولا يتم تعلمّها»، إن ما يقترحه باشلار أولاً هو التعلّمُ وتعميق علم النفس المُركّباتي. بل يقترح بشكل خاص تبني منهجه الشخصي في القراءة، منهج ترتعد له فرائص القارئ المتعلم: وهذا يعني الانخراط في الحركة الخلاقة.

وهو يحاول بطريقة أو بأخرى، على الرغم من رفضه لاسم «ناقد»، إبداءَ رأيه في الآثار الفنية. فيلقي خواطرَ في المحيط، ويُطلق كوكبةَ تلاميذَ مفترضين في عدة ميادين. ويحلمُ، في البداية، بنقد تكشف فيه بنيةُ الصراع المجازي لدى شاعر عن تركيبته الفكرية. «ضروب المجاز يستدعي بعضها بعضًا وتتنسق على نحو يفوق الشاعرَ، إلى درجة يصبحُ الفكرُ الشاعري فيها بلا قيد ولا شرط تركيبًا من ضروب المجاز». ينبغي

فطري، أما المشكلةُ الهندسيةُ فلا تهمُّه إطلاقًا.

ويعد نفسه قَرَّاءً، إن لم يكن ناقدًا. قَرَّاءً جليدًا، قَرَّاءً لا يعرف الكللَ ولا المللَ، وهو مطالب بالصمود في وجه القصة المحكية حتى يتمكن من «الإقامة» في المنطقة التي انتقاها. ويخشى، وهو مُجمِّع صور، أن يعامل كمهووس؛ وبناءً على هذا، جُمعَت الفراشاتُ التي يمسكها إثر بحوث مضنية، وَضروبُ المجاز الأساسية لا تتفجر للوهلة الأولى، فبوسعها أن تبقى مطولاً فرضيةَ قراءة. غير أن مصوّر الأحداث يصبح أكثر فأكثر القارئَ السعيد الذي لا يحتفظ إلا بما يعجبه: فهذه القراءةُ المخفّفةُ لسنواته الأخيرة مكافأتُه.

وبفضل ارتداده الفلسفي، يتزامن منهجه في حدوده القصوى، وأكثر ضروب فرحه نقاوة: «حضورنا للصورة في دقيقة الصورة».

أمام منهج كهذا، لا يمكن لقائمة قيَمه أن تتفق وقائمة قيم النقد الكلاسيكي: فما يحبّذه هو أصالة النص. وما أشدّ فرحته عندما يتمكن من أن يرفع بين

لنقل إنه مجمّع صور. ويصف ريمون أرون Raymond Aron منهج باشلار بـ «التنقيطية». والحالة هذه، يصح أن نقول إن مؤلفاته الأخيرة تنحو هذا المنحى بشكل متزايد، وإذا كانت هذه الأعمال، بحيويتها المؤهلة، هي ما يُفضله جمهورُ القراء غير المتخصصين، فإن أعمال الفترة الأولى أرفع شأنًا في نظر الناقد الذي كان يسعى لخدمته. وكان يحدث له أن يقوم بدراسات مركزة على شخصية شاعر: وهكذا يحوي كتاب «الأرض وأحلام يقظة الإرادة» نظرةً شاملةً عن شاعرية ويسمانس المادية، المعتمد على جدلية الحجر والجرح:

HELENE TUZET

Les Voies ouvertes
par Gaston Bachelard
a la critique literaire

المسالك التي فتحها غاستون باشلار للنقد الأدبي

إنه عمل متميز ذو زخم وتماسك. كما كان يحدث له أن يشرعَ في رسم صور تأخذ شكلَ لوحة فنية مزدوجة: ومثال ذلك اللوحة الفنية المزدوجة لشاعرين هوائيين، شيلي Shelley ونيتشه Nietzsche. فهما يفضلان المادة نفسها ويلتقيان في الديناميكا نفسها: ومع ذلك يشكلان مجموعات تخيلية مختلفةً تمامَ الاختلاف. وهذه اللوحات الفنية المزدوجة هي من أجمل ما جاء به النقد الباشلاري. وأكثر من ذلك، نجد في نتاج باشلار براهين لا تُحصى على أن هذه المناهج تساعدنا فهم بعض النصوص المجردة من المعنى بالنسبة إلى نقد عقلاني؛ كما تساعدنا في حل التناقضات والاستحالات الظاهرية. ويسمح له الانتماء الحيوي التقرب من أصحاب الرؤى الهرمسية أمثال بوم. ولقراءة بلاك Blake، بطل الانتزاع، يتوجب على القارئ أنَ يستنفرَ عضلاته كلها وأن يرفق بالجهد شهيقًا أجش ونفسًا محمّلاً بالغضب. وهكذا ستصبح الرؤى «معيشة». كما يشترك باشلار بتعاطف حيوي مع نيتشه في استقبال العَوْد الأبدي L'Eternel Retour: وهو ليس إدانة كئيبة، بل «قصة شموس مشرقة».

يتعلق الأمر أحيانًا بتعاطف سري وأكثر كتمانًا.

يقبل في مؤلفاته الأولى، تقييداً طبيعيًا، ناجمًا من الأعماق، لكنه يبدو دائم التراجع أمام تحليل عمل مبدع.

ففي كتاب موريس دو غيران Maurice de Guerin «كاهنة باخوس» La Bacchante، يقطفُ باشلار صورةً لمجموعة نجوم لا تشد أحدًا وتبدو باهتةً؛ لأنها ليست موصوفةً عيانًا: فهو يكشف فيها عن صورة حركة خالصة: الحركة البطيئة والمستمرة، التي تُعلّمنا عيشَ الزمن الليلي.

إنها «تُعلّمنا»: أن هذا الاهتمامَ في تعلم الحلم ودراسة الخيال حاضر في كل مكان عند باشلار. لن نتوقف كثيرًا عند هذه الفكرة، لكن لون مؤلفاته الخاص يفلت ممن يُهمل صحته، وقوة انقباض عضلاته، وذلك القلق الأخلاقي، الصحيّ خاصة: فهو لا يُصرُّ فقط على وضع حلم اليقظة في خدمة رياضة ذهنية داخلية وعلاج نفسي، بل يُصر على وضع قراءة القصائد أيضًا. ويقول: «جميع الانتصارات على العناصر الأربعة صحية بشكل خاص ومقوية ومجدّدة» الأمر يتعلق، طبعًا، بانتصارات في بلد حلم اليقظة.

أردت أن أبين فتوحات النقد الباشلاري الإيجابية، لا ضروب قصوره. وفي الاتجاه الذي قاد فيه دراسته كان بوسعه التركيز أكثر على خيال «النوعية»: فهو يفرد له فصلاً في كتابه «الأرض وأحلام يقظة الراحة»؛ وكان من الجدير تأكيد هذه الناحية. إن فيزياء «النوعيات» القديمة التي يقللُ العلمُ الحديث من قدرها هي في الواقع فيزياء الشعراء الحقة.

النقص الأخطر، في رأينا، يكمن في أنه لم يُعرْ اهتمامًا كافيًا لفضيلة الكلام الخلاقة. إن نتاج باشلار يحوي، بالطبع، بضعَ دراسات جميلة تأخذ الكلمات مادة لها. وهي كلمات إنسانية كنبتة «الدلبوث» التي تنمو عند الشعراء قرب ضفاف الأنهار، على الرغم مما يُقرُّه علم النبات في كتابه «الهواء والأحلام»، نراه قد تمسك بالكلام تمسكًا بالغًا، إذ إن كلَّ كلام كلامٌ هوائي. ويرى في اللغة ظاهرةً «تكاد» تكون أولية: فهي سابقة للفكر والحس. ويتجلى هذا الأمر في هذه الجملة الرائعة" «تتقدم اللغة دائمًا بعض الشيء على فكرنا، وهي تتخطى في غليانها حبّنا». إلا أن الكلمة ليست سابقة للصورة ولا مبدعة للصور.

إن يعد باشلار نفسه ناقدًا أدبيًا يكن إنكارٌ آخر خطير: إنكار النتاج العضوي وإنكار تكونه. يبدو أنه لم يتصور أبداً أن بنيةَ عمل يمكن أن تكون «أولية» فتتحكم في ولادة الصور وظهورها. فهو يقبل، في مؤلفاته الأولى، تقييداً طبيعيًا، ناجمًا عن الأعماق، لكنه يبدو دائم التراجع أمام تحليل عمل مبدع تشترك فيه، في جدلية صارمة، العناصر المنبثقة عن منطقة خفيفة النور، والفكرُ، والإرادةُ الواعية. والخلاصة، هو، لا يشعر أنه قادر على عمق قراءة تُنعش الإبداع المنظم والكامل. ولا يمكنه أن «يحتفظ» إلا بما هو على مستوى الصور المنفصلة من ناحية أخرى، عندما كتب «شاعرية الحيز» ظن وقتئذ أن الصور تظهرُ أولاً منعزلةً. أما بالنسبة إلى تركيبها، فلم يعد يتعلق إلا بالفكرة الواضحة، وهو يتكلم على هذا بشيء من الازدراء. ويقول: «إن كان للشاعر مهنة فهي تكمن في المهمة «الثانوية» لربط صور. كان بوسع هذه الكلمات إغضاب فاليري -Val ery. وعلينا أن نعترف أن أيًا من تحاليل باشلار لا يخصُّ نصًا بمجمله، نصًا له بداية ووسط ونهاية، حسب قاعدة أرسطو Aristote التي هي قاعدة مأخوذة من الطبيعة: نصًا أعطاه مؤلفه كنص كامل ومكتمل، سواء رأينا فيه شيئًا ملموسًا أو مخلوقًا حيًا.

لا يمكننا أن نغادر باشلار دون أن نشير إلى أننا نجد أيضًا عند مُطلق الأفكار العظيم هذا أصل نقد يرتكز على دراسة طبقات الفكر الهامة. وقد جاء فيّ كتابه «النار في التحليل النفسي»: «إن نكن جديرين بإيجاد مزاحمين نوظّفهم في دراسة (...) مفهومات الكل والنظام والتطور والتنمية... فلن نعيا في أن نجد، في أصل هذه المفهومات، تقويمات ذات نبرة عاطفية لا تقبل الجدل». ينضم باشلار هنا إلى مفهوم «الكلام المؤثر الغيبي» الذي جاء به أ.و. لوفجوا A. O. Lovejoy.

وإن لم يفعل هنا شيئًا سوى أنه أشار إلى مجموعة مسالكَ، فإنه لم يكتف بالشروع في دراسة طبقات الزمن والحيّز؛ دراسة كان لا بد لجورج بوله George Poulet أن يستأنفها ويُعمّقها، بطريقة جديدة كل الجدة. وكتاب «لوتريامون»، بأصالته، دراسة عن الزمن الإنساني. فعند دوكانس، يوجس باشلار خيفة في المقام الأول من حدس زمني معين: «قوة الارتباط الزمني المرعبة»... لم يعرض عليه الزمن النباتي، الزمنُ المتواصلُ، المنحني انحناء سعفة نخل، تبديلاته». ويقترحُ باشلار هنا تصنيفًا للشعراء تبعًا للزمن الذي يعيشون فيه.

أما بالنسبة إلى باشلار محلّل الحيِّز الداخلي، فثمة أمور كثيرة تستحق الذكر: لقد كانت دراسةُ العمودية وجدليةُ الصعود والنزول إحدى جُلّى اهتماماته؛ إن الهاجس الأخلاقي الذي أشرنا إليه، والذي يتجلى في رغبة تعليم الإنسان النهوض عن طريق علم المداواة بالصور، أسوةً بالصنوبر على حافة الهاوية، يلازمه حتى في تأمله الأخير، حيث تبدي نارُ شمعةٍ في ضعفها الملموس رغبتها في الارتفاع.

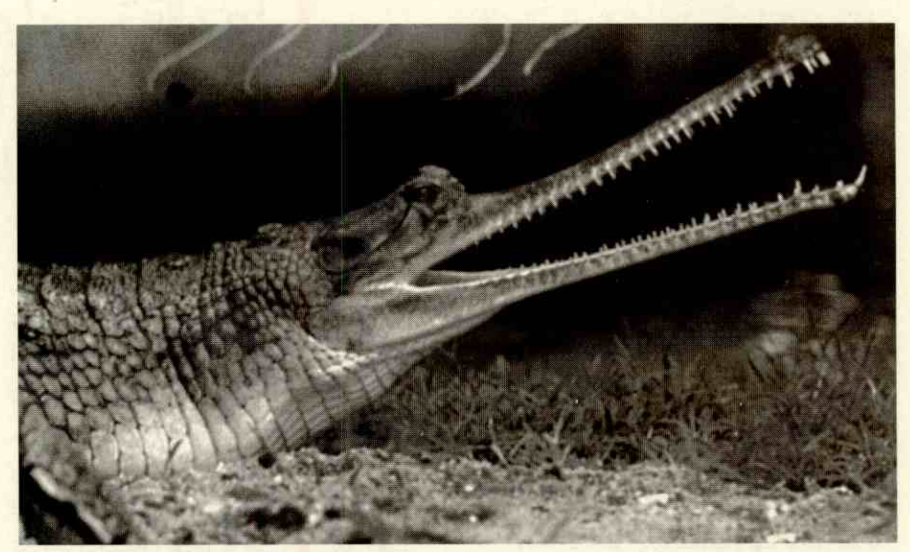
وهذا الهاجس يملأ كتابَ «الهواء والأحلام». فالكتابان اللذان كرسهما للأرض يزيدان من أهمية الجاذبية الأرضية، ويقودانا في مجالات داخلية لم يعترف بها التحليلُ النفسي الكلاسيكي إلا على نحو موجز.

علينا أن نتوقف عند هذا الحد ونستخلص النتائج. لقد قلنا ما فيه الكفاية كي نستشف الخصوبة الاستثنائية لهذا النتاج الذي قلما أراد، على الصعيد الأدبي، شيئًا آخر غير تعليمنا القراءة المثلى.

الكيمياء
لغة التفاهم بين الحيوانات

د. مسعد شتيوي

في جميع أنحاء المملكة الحيوانية، من أصغر الكائنات إلى أكثرها تعقيدًا، توجد وسيلة ما للتفاهم أو الاتصال COMMUNICATION، وعلى الرغم من أن معظمنا يفكر في هذه الوسيلة على أنها الصوت، إلا أنه في الحقيقة توجد أربع طرق للاتصال: المسموعة AUDITORY والمرئية VIS-UAL والحسية TACTILE والكيماوية CHEMICAL (الشم والتذوق).



ذكور التمساح تجذب إليها الإناث بإطلاق رائحة قوية من غدد تحت الفك

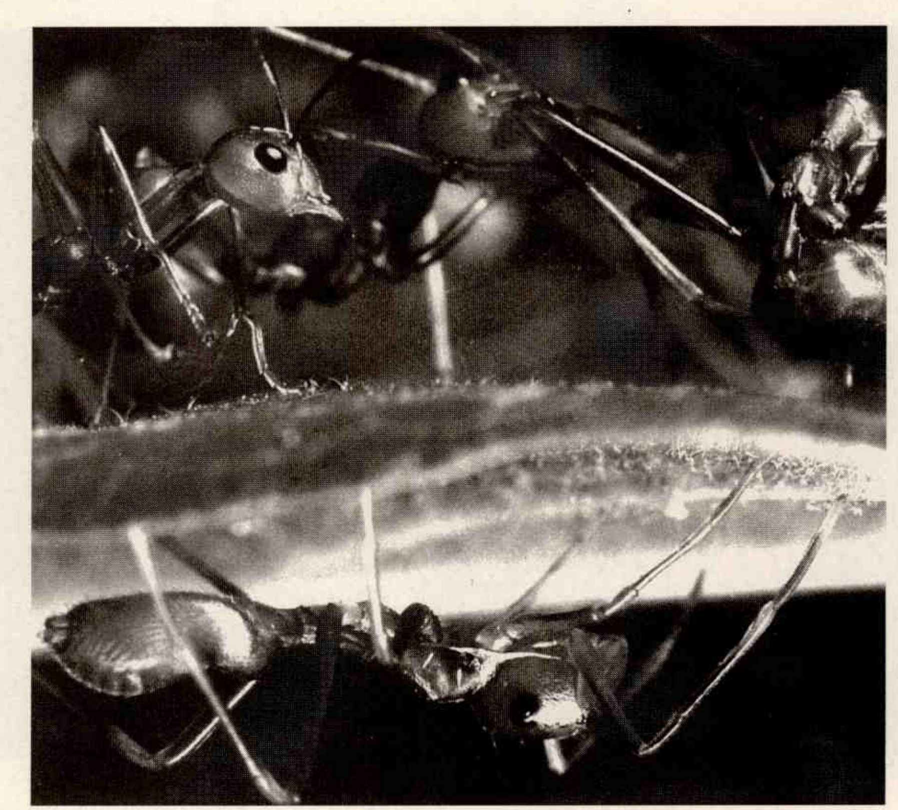
زقزقة العصافير، نقيق الضفادع، نباح الكلب، كركرة الرومي أمثلة واضحة للاتصال السمعي. هذه الأصوات تمكّن الحيوانات من أن تتحدث وهي مختبئة، ولكن من عيوبها أنها تُسمع أيضًا من قبل الآخرين، وربما تؤدي إلى دعوة العدو للغذاء. هذا بالإضافة إلى أن الاتصال السمعي يكون محدودًا بالمسافة التي يقطعها الصوت.

الوسيلة الثانية للاتصال - المرئية VISUAL: تستطيع الحيوانات أن ترسل رسائل مرئية من طريق تحريك الذيل مثلاً أو إغماض العين أو خفض الرأس أو نبش الأرض أو تحريك الشعر، أو تقويس الظهر أو أي حركات أخرى. ولأن الحيوانات التي ترسل هذه الرسائل المرئية يجب أن تُرى في أثناء التخاطب فإن هذه اللغة ربما تجذب أي عدو قريب. كذلك فإن مسافة التخاطب بالطريقة المرئية تكون محدودة بمدى الرؤية للطرف المستقبل.

أما الاتصال باللمس TACTILE فيتطلب الاحتكاك المباشر بين الحيوانات، ومن أمثلته اللعق والعض والصفع والحك والدفع.. الخ.

الوسيلة الرابعة، وهي الأكثر شيوعًا من وسائل الاتصال، هي الاتصال الكيماوي CHEM-ICAL COMMUNICATION تلك اللغة غير المرئية.. لغة الروائح ODORS أو الرسائل الصامتة، وهي التي سوف نركز عليها في هذا المقال. تتكون مفردات هذه اللغة من مواد كيماوية تعرف بالفيرمونات PHEROMONES، وهي كلمة مشتقة من اللاتينية PHERIEN وتعني يحمل، HORMAN وتعني: يثير. وهذه الرسائل الكيماوية عادةً تسبب استجابة فورية IMMEDIATE RE-SPONSE. وتجدر الإشارة إلى أنه ليست كل الروائح فيرمونات، فالإنسان يتعرف العديد من الروائح، في الطعام مثلاً، ولكننا لا نتفاهم بعضنا مع بعض من خلال هذه الروائح، بل على العكس فإننا نبذل قصارى جهدنا لإزالة أي رائحة قد تحملها أجسامنا باستخدام العطور والمستحضرات الصناعية. ويقصر الباحثون استخدام كلمة فيرمون PHEROMONE على وصف الرسائل الكيماوية المتبادلة بين حيوانات من السلالة نفسها SPECIES، وعليه فقد نَصفُ رائحة ODOR بأنها فيرمون بالنسبة إلى حيوان معين، وفي الوقت نفسه نعدّها مجرد رائحة بالنسبة إلى حيوان آخر. فعلى سبيل المثال إذا ترك أرنب رائحة كرسالة لأرنب آخر فإنها في هذه الحالة تعدّ فيرمونًا، أما بالنسبة للثعلب الذي يتبع هذه الرائحة بغية افتراس الأرنب فإنها تكون مجرد رائحة، وليست رسالة موجهة له، أي ليست فيرمونًا.

وتتكون الفيرمونات من عدة توليفات من مواد كيماوية تفرز من غدد موجودة في مناطق مختلفة مثل الوجه والرأس والصدر والأذرع والأرجل والظهر والكفل وبين الأقدام... وفي بعض الحيوانات توجد غدد في مناطق الإخراج



للنمل رائحة خاصة تدل على العش الذي ينتمي إليه، والوظيفة التي تؤديها كل نملة في هذا العش

حتى تضيف رائحة لفضلات الجسم.

ولكل رائحة رسالة محددة A SPECIFIC MESSAGE ويمكن أن تنتقل في صورة سائل أو بخار أو غاز، وقد تنتقل في الماء أو في الهواء أو على الأرض. وتستخدم حاستا الشم SMELL والتذوق TASTE لتفسير هذه الرسائل الكيماوية. والفيرمونات تحمل معلومات عن أشياء عديدة مثل: الشخصية IDENTITY، منطقة النفوذ TERrEITORY، والجنس SEX، والطعام FOOD، والتجمع ASSEMPLY، والخطر DANGER.

الشخصية IDENTITY

لكل نوع من أنواع الحيوانات SPECIES رائحة خاصة به. وداخل النوع الواحد هناك روائح إضافية تعمل كجوازات سفر تعرّف شخصية كل حيوان INDIVIDUALL AN-IMAL أو العائلات المختلفة FAMILIES أو أفراد المستعمرات المختلفة COLINIES. فعلى سبيل المثال يتميز النمل ANTS برائحة خاصة تدل على العش NEST الذي ينتمي إليه، والوظيفة JOB التي تؤديها كل نملة في هذا العش. وحينما تلتقي نملتان فإنهما تستخدمان قرون الاستشعار ANTENAE، وهي الأعضاء الخاصة بالشم، لتعرّف الواحدة الأخرى. وقد وجد أنه إذا دخلت نملة غريبة مستعمرة لا تنتمي إليها، فإن النمل في هذه المستعمرة يتعرفها من طريق رائحتها ويعدّها عدوًا، ثم يبدأ في الهجوم عليها. ومن الطريف أنه في إحدى التجارب المعملية وجد أن إزالة الرائحة الخاصة ببعض النمل التابع لعشيرة معينة ثم إضافة رائحة خاصة بنوع آخر عدو له، أدّى إلى مهاجمته بأفراد من عشيرته نفسها. وفي تجربة أخرى تم غمس نملة برائحة نملة ميتة ثم أعيدت إلى عشها، فلوحظ أن أقرانها يخرجونها من العش لكونها ميتة، وفي كل مرة تحاول فيها العودة يتم إخراجها ثانية على الرغم من أنها حية تتحرك وتقاوم. وحينما تمت إزالة رائحة الموت فقط تم السماح لهذه النملة بالبقاء في العش.

منطقة النفوذ TERRITORY

يستخدم الحيوان رائحته الشخصية في تحديد منطقة نفوذه فمثلاً عندما يريد حيوان القندس أو السمور BEAVER - نوع من القوارض - تحديد منطقة نفوذه فإنه يخلط الطين بنشارة الخشب والحصى ويعمل منها أقراصًا ثم يغمرها بمادة كيماوية تسمى CASTOREUM يفرزها من غدد تحت الذيل، وتعطى الخليط رائحة خاصة، وقد وجد أنها تتكون من ٤٥ مادة INGREDIENT على الأقل. ولذلك فإنه يعتقد أن التوليفات المختلفة منها تحمل معاني مختلفة.

وتفرز الأرانب سائلاً عديم الرائحة من غدد في الذقن لتحديد الأرض والنباتات الموجودة في منطقتها، وهذه العملية تعرف بـ CHINNING. والأرنب الأمريكي القطني الذيل COT-TONTAIL يتميز بأن الذكر يضع رائحته في مساحة كبيرة ربما تبلغ ثمانية آلاف متر مربع، ولا يفوقه في ذلك من الأرانب سوى الأرنب ذي الحذاء الثلجي SNOWSHOE الذي قد يحدد لنفسه مساحة تبلغ ٧٢ ألف متر مربع.

أما الأيائل والغزلان ANTELOPES فتتميز بوجود غدد في الوجه FACIAL GLANDS تستخدمها في تحديد مقاطعاتها، وتقوم بوضع الرائحة عند مستوى العين على أوراق الأشجار حتى يسهل تعرّفها.

ويستخدم البول URINE وما به من مواد كيماوية في تحديد مناطق النفوذ لكثير من الحيوانات. فالدببة BEARS مثلاً تتبول على الأرض، ثم تأخذ الطين المبلل، وتلصقه على الأشجار، ثم تحك نفسها به، فتلتصق شعيرات من جسمها فيه، مضيفة بذلك مزيدًا من رائحة الدببة إليه. وتستخدم الذئاب والكلاب WOLVES AND DOGS البول في تحديد مناطق نفوذها. ولعلك قد لاحظت أحد الكلاب وهو يتشمم شجرة أو سور حديقة أو علبة فارغة لعله قد يجد رسالة تركها له كلب آخر. وإذا وجدها فإن رد فعله يختلف باختلاف الرسالة. فإذا ما نبش في الأرض بعنف برجله الخلفية أو بدا عليه التذمر والانفعال فربما قد فهم من الرسالة أن ذكرًا آخر يتحداه. أما إذا تشممها مرة ثانية وأخذ ينبح فربما تكون رسالة من الجنس اللطيف. وإذا لم يبد أي فعل على الإطلاق فربما تكون رسالة من صديق لا يعيره اهتمامًا أو من



تحدد الغزلان مناطق نفوذها من طريق غدد توجد في وجهها

ذكر صغير لا يشكل لـه أي تهديد. وغالبًا ما يتبـول الكلب على الرسالة التي تلقاها بمجرد قراءتها وإبداء رد فعله أو رأيه فيها تاركا بذلك توقيعه الخاص «أي رائحته»، أو بصمته بلغة الحيوانات. وعلى الرغم من أن الكلب السابق قد حدد لنفسه منطقة نفوذ بتبوله في هذا المكان أو ذاك، فإن الكلب التالي ربما يرفض ذلك ويتبول فيها مدعيًا إياها أيضًا، ولتأكيد ذلك فإنه يقوم بزيارتها عدة مرات تاركًا رائحته الخاصة في كل مرة لتثبيت ملكيته لها، وربما تطلب الأمر تحديد يوم للدفاع عنها. ولعلنا سمعنا عن كلاب الصيد المسماة GREYHOUNDS (السلوقي) التي قد تحتاج ترويضًا وتهذيبًا لمدة عشر سنوات، وعلى الرغم من ذلك يلاحظ صاحبها فجأة أنها سلكت سلوكًا غير مهذب وتبـولت في أركان المنزل وعلى الأثاث والسجاد، ولا يستطيع أن يضع لذلك تفسيرًا، وأخيرًا يهتدى إلى السبب، إنه الببغاء الذي اشتراه حديثًا. لقد حاول هذا الببغاء الشقي تقليد نباح الكلب فأحدث بذلك ارتباكًا في سلوك كلاب الصيد المهذبة التي لم تعهد من قبل كلبًا ليس له أي أثر أو رائحة. لم تجد أمامها إذن سوى تحدّي ذلك العدو الذي تسمعه ولاتراه، وعلى الفور قامت بتحديد مناطق نفوذها بطريقتها الخاصة.. ألا وهي في أرجاء المنزل كافة وفي أنظف الأماكن.. وعلى العدو المواجهة والتحدّي إذا استطاع.

الجنس SEX

تعدّ الرسائل المتعلقة بالجنس - بالإضافة إلى رسائل التحذير - هي أساس المراسلة بوساطة الفيرمونات. وتنفرد الحشرات بامتلاك الفيرمونات الجنسية وأوسعها مدى. فعلى سبيل المثال تفرز أنثى فراشة MOTH فيرمونات جنسية قوية بالدرجة التي تمكنها من جذب الذكور من مسافة أميال، بالإضافة إلى أن قرون الاستشعار في ذكور الحشرة نفسها بها عدد كبير من الخلايا الحساسة للرائحة يبلغ حوالي ١٥٠ ألف خلية، معظمها حساس للفيرمونات الجنسية (٦٠-٧٠٪).

وفي إحدى التجارب تم ترقيم ذكور SILK-WORM MOTH ومن قطار متحرك تمّ إطلاقها على مسافات مختلفة من إحدى الإناث المحبوسة، فلوحظ انجذاب بعض الذكور إليها من مسافة سبعة أميال. وقد اختلف الباحثون في تفسير ذلك، فبعضهم يعتقد أن الفيرمونات الجنسية وحدها لا تستطيع أن تفعل ذلك، وآخرون يرون أنّ لها مفعول السحر على الذكور. وعمومًا فقد أجمع جميعهم على قدرة فيرمونات الأنثى على جذب الذكور من مسافة تراوح بين ميل إلى ثلاثة أميال دون صعوبة تذكر. هذه الفيرمونات الجنسية القوية تفرز من زوج من الغدد الدقيقة التي تقع في قمة بطن الأنثى MOTH'S ABDOMEN وعلى الرغم من أن الكمية التي تستطيع الأنثى إفرازها ضئيلة للغاية إذا أفرزتها مرة واحدة، إلا أنها تستطيع جذب حوالي تريليون من الذكور. وتتوقف الأنثى عن إفراز هذه الفيرمونات الجنسية الجاذبة بعد تمام تلقيحها.

وفي تجربة أخرى استمرت خمسة أيام استطاعت خلالها أنثى ذبابة الأناناس المنشارية PINE SAWFLY وهي محبوسة أن تجذب إليها أكثر من ١١ ألفًا من الذكور. ووجد أيضًا أن أنثى الصرصور COCKROACH تفرز رائحة جنسية قوية بالدرجة التي تجعل الذكر يستجيب


ملكة النحل تفرز فيرمونات جنسية تجذب إليها الذكور

إذا ما تم تهويته بقطعة ورق سبق أن مشت عليها الأنثى.

أما ملكة النحل QUEEN BEE فتفرز فيرمونًا في أثناء طيرانها للتلقيح MATING FLIGHT من القوة بحيث يجذب إليها الذكور من على بعد مئات الياردات.

والحيوانات الكبيرة تفرز هي الأخرى فيرمونات جنسية فذكورالتمساح AL-LIGATOR تستطيع جذب الإناث إليها من طريق إطلاق نفثة من رائحة قوية من غدد موجودة تحت الفك، وقد لوحظ أن بخار هذه الرائحة يظل موجودًا كالضباب طوال موسم التلقيح في الربيع على المستنقع أو البحيرة التي يعيش فيها التمساح.

ويستخدم البول في نقل فيرمونات الجنس بالإضافة إلى فائدته في تحديد مناطق النفوذ. فقد لاحظ الباحثون أن إناث الكابوريا أو سرطان البحر CRAB تفرز مادة كيماوية لجذب الذكور، وقد استطاعوا إثبات ذلك بأن وضعوا ذكورًا في ماء سبق أن وضعوا فيه إناثًا مستعدة للتلقيح، فوجدوا أن الذكور تصبح أكثر هياجًا وتأخذ وضع التلقيح. فتأكدوا بذلك من أن الرائحة، وليست الرؤية SCENT NOT SIGHT هي التي تجذب الذكور إلى الأناث. وفي الأسماك تفرز الإناث مواد كيماوية مع البول قبل وضع البيض ومن خلال هذه الرائحة يتبع الذكر الأنثى ويقوم بتلقيحها. وهناك أنواع من السمك يقوم فيها الذكور بدور الإغراء من طريق إفراز رائحة تجذب إليه الأناث.

أما الدراسات على الكلاب DOGS فقد أولاها الباحثون جانبا كبيرًا من اهتمامهم، ولذلك فقد توصلوا إلى كثير من المعلومات التي تبين عظمة الخالق سبحانه وتعالى. فقد وجدوا مثلاً أن بول الأنثى في الكلاب يُظهر ٥٢ اختلافا كيماويًا على مدار العام الواحد، وعن طريق شم وتذوق هذا البول يستطيع الذكر أن يحسب مدى استعداد الأنثى للجماع في هذا اليوم من عدمه. ولا يخطئ ذكر واحد في حساباته، ولذلك نرى العديد من الذكور المستعدة للجماع تتبارى للفوز بأنثى واحدة. أما ذكر العرسة WEASEL (ابن عرس) فأكثر دهاءً، فحينما يكتشف أثرًا لرائحة أنثى مستعدة للجماع، فإنه لا يتبعها فقط، وإنما يطمس معالم الطريق بوضع رائحته عليه على أمل أن يضلل غيره من الوصول إليها. وفي بعض الحيوانات الأخرى (الأرنب ـ السنجاب ـ الثعلب) نجد الذكر يرش الإناث ببوله حتى لا يقترب منها ذكر غيره. إذن فغريزة الاستئثار بالأنثى ليست موجودة في الإنسان الذي كرمه الخالق فقط، وإنما هي موجودة في الحيوانات الدنيا كذلك، ويقال: إنها غير موجودة في الخنزير، وقد يكون ذلك أحد أسباب تحريمه، والله أعلم. وعلى العكس فإنها موجودة بشدة في الكباش لدرجة التناطح حتى الموت.

الطعام food

لم ينته الحديث عن النمل.. تلك الحشرة الضعيفة التي أودعها الله الكثير من أسراره، وجعلها تعيش في مجتمعات، وتتصرف بطريقة راقية: أمم أمثالكم. الأنعام:٣٨. فحينما تعثر النملة الكشافة SCOUT على مصدر للطعام فإنها تقوم على الفور بإفراز الفيرمون اللازم من الغدد الموجودة في بطنها لتعليم المكان، ثم ترجع إلى العش، وفي طريق عودتها لا تنسى تعليم الطريق حتى يتعقبها زملاؤها، وفي الوقت نفسه يضيفون مزيدًا من الإفراز لتسهيل الطريق أكثر فأكثر. ومن العجيب أن النمل يقلل الإفراز عندما يتضاءل مصدر الطعام ويرسل عددًا أقل من الأفراد إلى مصدر الطعام، وحينما ينضب هذا المصدر تمامًا فإن آخر نملة، وهي عائدة إلى العش، لا تترك أثرًا على الإطلاق.

وهناك العديد من التجارب التي يمكن إجراؤها على دروب النمل هذه ANT TRAILS فإذا أزلت جزءًا من هذا الأثر بفرشاة مثلاً، فإن النمل يبحث في المكان وقد أصابه الارتباك حتى يهتدي إلى الأثر ثانية. وإذا وضعت قطعة من الورق بين العش ومصدر


تفرز الأرانب سائلاً عديم الرائحة لتحديد الأرض والنباتات في مناطق نفوذها

الطعام فإن النمل يمشي فوقها واضعًا أثرًا كيماويًا فوقها. وإذا قمت بتحرير الورقة أو لفها فإنك بذلك تقود النمل بعيدًا من مصدر الطعام ولكن لفترة قصيرة، حيث إنه إذا لم يكن هناك طعام عند نهاية الأثر، فإن النمل يترك هذا الأثر، ويبدأ في البحث عن طعام من جديد. يمكنك أيضًا تحريك الطعام من مكانه لترى كم سيستغرق النمل من وقت حتى يهتدي إليه. أما الذبابة المنزلية HOUSEFLY فإنها لا تترك أثرًا كيماويًا يقتفي به أقرانها، ولكنها بدلاً من ذلك تترك رائحة على الطعام تجذب الذباب الموجود في منطقة الشم المحيطة.

التجمع ASSEMBLY

الوسيلة التي تجتمع بها الحيوانات غالبًا هي الفيرمونات وإن تعددت الأسباب وراء هذه الاجتماعات. والأمثلة على ذلك كثيرة: يرقات نحل العسل LARVAE HONYBEES تفرز فيرمونات يكون الهدف منها استدعاء الشغالات WORKERS للتجمع لتغذيتها في أثناء تطورها (الفيرمونات تقوم بعمل البكاء في هذه الحالة). أنثى أبو مقص EARWIG تفرز فيرمونا يجعل صغارها بجانبها حتى تستطيع رعايتها إلى أن تصبح يافعة. وعلى العكس فإن بعض صغار الأسماك هي التي تقوم بإفراز الفيرمونات التي تجعل آباءها بالقرب منها لحمايتها، وربما يمنع آباءها من التهامها.

وتستخدم الخنفساء المرقطة LADYBUG فيرمونًا خاصًا لتجميع الخنافس في مجموعات كبيرة وقت البيات الشتوي HIBERNATION ثم يقوم الخنفس الكشاف بالبحث عن شجرة تصلح لهذا الغرض، وعند العثور عليها فإنه يرسل فيرمونًا خاصًا لتجميع الخنافس المخصصة لثقب لحاء الشجرة.

وفي نحل العسل حينما تزدحم الخلية الحالية ويذهب الكشافة للبحث عن خلية جديدة، فإن الملكة تحاول الحفاظ على السرب من التشتت من طريق إفراز فيرمون خاص بالتجميع -AS SEMBLY PHEROMONE. أما الـ SLIME MOLD أو العفن اللزج فهو من أبسط الكائنات الحية، فبعض العلماء يعدّونه نباتًا، وبعضهم يرونه حيوانًا، وهناك من يعدّه خليطًا بين هذا وذاك.



ذكر الثعلب يرش الأنثى ببوله حتى لايقترب منها ذكر غيره

وبصرف النظر عن تصنيفه فإنه يبدأ حياته كخلية واحدة قادرة على إفراز مادة كيماوية بمعدل منتظم. هذه المادة وطريقة إفرازها تعمل على جذب العديد من هذه الكائنات الأحادية الخلية وتجميعها في كتلة واحدة حتى يحدث التكاثر.

الخطر DANGER

يخصص النمل مجموعة من الأفراد لحراسة العش. وحينما يحدث هجوم على العش يقوم النمل الحارس QUARD ANTS بإفراز الفيرمون المناسب لإرسال إشارة تحذير ALARM SCENT فيندفع النمل الموجود في المنطقة القريبة لدرء الخطر، وإذا كان الهجوم شديدًا، فإن النمل يستغيث بإفراز المزيد من الفيرمونات لاستدعاء جنود أكثر دون أن يؤثر ذلك في العمل القائم بالعش. وإذا انتقلنا إلى عالم النحل BEES أو الدبابير WASPS فلعلك قد سألت يومًا ما لماذا تندفع مجموعة كبيرة من هذه الحشرات للدغ أي شخص يهاجم الخلية؟ السر في ذلك يكمن في أن أول نحلة تلدغ الشخص تقوم بوضع الفيرمون مع اللدغة، أو بمعنى آخر وضع علامة تقول هذا عدو لكم فقاوِمْنَه، فيقوم النحل بتعرف العدو ومهاجمته.

وقد تحدث تحذيرات بين أنواع من الحشرات دون أن ندري بها: وما أُوتيتم من العلم إلا قليلاً. الإسراء: ٨٥. ولكننا نلاحظ فقط أنَ تغيرًا فجائيًا قد طرأ على سلوكها بسبب حدوث مؤثر خارجي. فإذا قمت مثلاً بتحريك نبات مغطى بالآلاف من حشرة المن APHIDS، فإن معظم الحشرات تتساقط على الأرض. من المحتمل إذن أن هناك من أرسل إشارات تحذير جعلت المن يتساقط على الأرض لتأمين نفسه، ثم يعود ثانية بعد زوال الخطر.

وفي الأسماك وجد أنه عند وضع سمكة جريح من نوع MNNOW مع مجموعة من النوع نفسه، نجد أن المجموعة كلها تهرب فزعة. وإذا قمنا بصب ماء من آنية بها سمكة مصابة على مجموعة أخرى، فإن المجموعة كلها تصاب بالفزع مما يدل على وجود فيرمون بالماء.

ويجب التفريق بين إشارات التحذير التي هي فيرمونات تسعى إلى الاتصال ببقية أفراد العشيرة، ومواد كيماوية أخرى تستخدم سلاحًا يهاجم به الحيوان عدوه مثل المادة التي يرشها الحيوان المعروف بالظربان SKUNK على أي عدو له. هذه المادة لا يتعامل بها الحيوان مع أقرانه ولذلك تعدّ فيرمونًا.

وختامًا فتلك كانت أمثلة قليلة لتوضيح الدور المهم الذي تقوم به الفيرمونات بوصفها لغة صامتة للحيوانات التي ميز الله الإنسان منها بلغة الكلام، ولكنه لم يحرمها سبحانه وتعالى من التفاهم والتعامل فيما بينها بلغة أخرى، لغة الفطرة والغريزة، لغة الطبيعة والكيمياء، ولله في خلقه شؤون. سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم. فصلت: ٥٣. صدق الله العظيم.

المراجع

CHEMICAL COMMUNICATION BY ILO HILLER. TEXAS PARKS & WILDLIFE. MAY 1980.

مختار الوكيل الذي نسيناه

عبدالجواد طايل



صورة له ترجع إلى عام ١٩٧٩م مع مجموعة من الأدباء الكبار والشباب، من بينهم د. محمد عبدالمنعم خفاجي والأديب ثروت أباظة والصحفي مأمون غريب والشاعر إبراهيم صبري ومحافظ الدقهلية م. توفيق كرارة وكاتب المقالة وآخرون.

وهكذا صدق الشاعر حينما قال: «كلُّ شيءٍ فيكِ ينسى بعد حين»

فها هي ذي الذكرى التاسعة على رحيل واحد من أهم شعراء مصر والعروبة وأبرزهم الدكتور مختار الوكيل تمر على الجميع مرور الكرام دون أن يذكرها أو يتذكرها أحد بكلمة في جريدة أو في حديث في إحدى القنوات المسموعة أو المرئية، وما أكثرها اليوم، وما أكثر ما نسمع ونرى خلالها من سفاسف وادّعاءات.

ومختار الوكيل هو أحد شعراء جماعة «أبو للو» التي أسسها الدكتور أحمد زكي أبو شادي عام ١٩٣٢م، ورأسها أمير الشعراء أحمد شوقي ثم شاعر القطرين خليل مطران، وفضلاً عن شاعرية مختار الوكيل

وشخصيته العذبة، فقد كان دبلوماسيًا نابهًا حيث تقلد العديد من المناصب بالسلك الدبلوماسي بجامعة الدول العربية إلى أن أصبح رئيسًا للوفد الدائم لجامعة الدول العربية في جنيف منذ منتصف الخمسينيات وعلى مدى أحد عشر عامًا.

والشاعر مختار الوكيل لم تشغله وظيفته بالسلك الدبلوماسي أو تنأى به عن هموم أمته العربية وقضاياها الإسلامية، فعلى الرغم من اغترابه، جغرافيًا، فقد ظل مشدودًا إلى جذور أمته وأسلافه تاريخيًا، وثقافيًا، ودينيًا.

وقد كان لمصاهرته للمجاهد الإسلامي الكبير الشيخ علي الغايات الذي كان يصدر مجلة «منبر الشرق» من مصر، والذي نُفي إلى سويسرا أثر بالغ وعظيم في استمرار هذا التوجه الإسلامي لدى الشاعر مختار الوكيل. فقد أنشأ في جنيف ـ وللمرة الأولى ـ بجهوده الذاتية أول مركز ثقافي إسلامي ، أمكن من طريقه عقد الصلات المتينة بين سويسرا والعالم العربي، كما كان له دور بارز في تعليم الأجانب من الجنسيات المختلفة اللغة العربية وآدابها.

ومختار الوكيل الذي حاضر باللغات الأجنبية المتعددة عن القضايا العربية؛ السياسية والثقافية له مؤلفات عديدة في الآداب والشعر والسياسة؛ فقد كان لامتزاجه بشعوب ذوي ثقافات عريقة، ولغات مختلفة دور كبير في ترجمة الآداب الناطقة بهذه اللغات ونقلها إلى اللغة العربية. فمن بين ما قام بترجمته إلى العربية مسرحيتا «تاجر البندقية» و«كما تحب» لوليام شكسبير و«تلميذ الشيطان» لبرنارد شو، و«هكذا نجونا» لنورثون وايلدر و«سعادة الأسرة» لتولستوي، فضلاً عن ترجمته الشهيرة لقصيدة «إلى قُبّرة» للشاعر الإنجليزي «شيلي».

أما إبداعات مختار الوكيل الشعرية فهي أكثر من أن تُحصى، مع اتّسامها بالعذوبة، والعمق، ورهافة الحس، حيث بدأ نشر شعره في عدة مجلات كانت تصدر في ذلك الحين، إلاّ أن أهمها كانت مجلة «أبو للو» التي استطاعت أن تستوعب موهبته الشعرية المبكرة كما استوعبت مواهب كثير من الشعراء الذين ظهروا وأبدعوا في تلك الحقبة، فقد كان ينشر قصائده جنبًا إلى جنب مع قصائد الصفوة من شعراء مصر والعالم العربي من أمثال أحمد زكي أبي شادي ومحمود حسن إسماعيل، وصالح جودت، وعبدالمعطي الهمشري، وعلي محمود طه، وإبراهيم ناجي، وأبي القاسم الشابي وغيرهم ممن أسهموا في تجديد دماء القصيدة العربية الحديثة.

وقد نشر ديوانه الأول «الزورق الحالم» عام ١٩٣٤م الذي صدّره بهذه الأبيات:

إلى الضفاف البعيدة
يا زورقي الذهبي
اذهب بروحي الشريدة
لوكرها الأبديّ
على تخوم الوجود

هكذا كان يحلم الشاعر مختار الوكيل، حيث كان للحلم آنذاك معنى جميل وللخيال صورة مبهجة، كان يحلم مع عشرات الشعراء من رفاقه وأبناء جيله الذين أغنوا بدواوينهم الرائعة وكلماتهم العذبة المكتبة العربية الحديثة.

وعلى الرغم من غزارة إنتاج مختار الوكيل، فإن هذا الإنتاج كان يتنوع ويتوزع بين الإبداع والترجمة والمشاركات الأدبية الأخرى. ولذا فقد تأخر صدور ديوانه الثاني «موكب الذكريات» إلى عام ١٩٨١م ثم أتبعه بديوانين «عندما يعود الحب»، و«من عطر الحب». ثم صدر ديوانه الأخير في عام ١٩٨٨م الذي رحل فيه عن عالمنا وأسماه «على باب طه» حيث جاء تتويجًا لكل إبداعاته الشعرية السابقة بما أسبغ عليه من نزعة إيمانية عميقة تجلّت في تلك القصائد الرائعة التي استلهمها من التراث الإسلامي ومن زياراته للحرمين الشريفين.

وأبرزت فلسفته بوصفه إنسانًا مسلمًا. وهبه الله ملكة الشعر والعزف على أوتار الكلمة، فما كان منه إلا أن استغل هذه الموهبة استغلالاً إيجابيًا رائعًا.

فهذا الشاعر الذي يتغنى بالحب والحياة هو ذاته الذي يدنو من المدينة المنورة عند زيارته لها فينتشي بعبير المكان ويلهج بشعره قائلاً:

ولما دنا الركبُ من يثرب
أضاءَ السنا حالكَ الغيهبِ
وهبّتْ على ركبنا نسْمَةٌ
تضوعُ بمسكٍ لها طيِّبِ
وغنّى السلامُ على بابها
مؤذِّنُها في سنى المغربِ
فأنشأتُ ألهجُ في نشوةٍ
بشعرِ فتىً مُغرمٍ مُعجَبِ

وها هو ذا يرسم صورة ناطقة حينما شَرُف بزيارة الكعبة للمرة الأولى إذ يقول:

الملايينُ عُكَّفٌ
تبذلُ الروحَ في جَذَلْ!
خلعوا ملبس الحيا
ة وجاؤوا بلا أملْ
غير رضوان ربِّهم
ونجاة من الزَّلَلْ
سعيُهُم خالصٌ إلى
ربِّهم.. دينُهُم كَمُلْ

هذه بعض جوانب إبداعات الشاعر الروحية والتي كان يتميز بها

كانت له معارك أدبية مع العقاد إلا أنه رثاه ، وكان دائم التحدث عن فضله على اللغة العربية والأدب العربي والإسلامي .


صورة له في إحدى المحاضرات بقصر ثقافة مصر الجديدة، وبجواره كاتب المقالة.

الشاعر في سطور

- هو أحد شعراء جماعة (أبو للو) التي أسسها المرحوم الدكتور أحمد زكي أبو شادي ١٩٣٢م ورأسها أمير الشعراء أحمد شوقي ثم شاعر القطرين خليل مطران.
- تولى رئاسة الوفد الدائم لجامعة الدول العربية في سويسرا.
- أنشأ في جنيف لأول مرة وبجهوده الذاتية أول مركز ثقافي إسلامي عربي عقد الصلات المتينة بين سويسرا والعالم العربي.
- له مؤلفات عديدة في الشعر والأدب والسياسة، وحاضر باللغات الأجنبية عن القضايا العربية السياسية والثقافية.
- ترجم إلى العربية مسرحيتي «تاجر البندقية»، و«كما تحبّ» لوليام شكسبير، و«تلميذ الشيطان» لبرنارد شو و«هكذا نجونا» لنورثون وايلدر و«سعادة الأسرة» لتولستوي، فضلا عن ترجمته الشهيرة للشاعر الإنجليزي «شيلي».
- صدر ديوانه الأول «الزورق الحالم» ١٩٣٤م، ثم موكب الذكريات ١٩٨١م ثم «عندما يعود الحب» و«من عطر الحب» ثم ديوانه الأخير «على باب طه» ١٩٨٨م، ومن مؤلفاته أيضًا كتاب رواد الشعر الحديث في مصر وشعراء النبي.
- توفي في جنيف عام ١٩٨٨م في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر.

ويتوق إلى الإكثار منها لأنها تمثل أحد أهم أركان شخصيته وتكوينه الثقافي.

وعلى الرغم من أن مختار الوكيل كانت له معارك عديدة في مطلع حياته الأدبية مع كبار الأدباء ومن بينهم العقاد، إلاّ أنه قد رثاه فيما بعد بأكثر من قصيدة، وكان دائم التحدث عن فضله على اللغة العربية والأدب العربي والإسلامي، وهكذا فعل مع الكثير من رفقائه وأقرانه الذين لازموه وشاركوه رحلة الشعر والأدب أمثال الشعراء عامر بحيري وحسن كامل الصيرفي وصالح جودت وغيرهم.

أما على الجانب الآخر فقد كان لمختار الوكيل قصائد رائعة في الوصف والغزل والطبيعة، وأحسب أن شاعرنا كان فارسا لا يُبارى ولا يُشق له غبار في هذا المضمار، وإذا كان لنا أن نقف وقفة - ولو قصيرة - عند هذا اللون من شعره فحسبنا أن نجتزئ بعض المقاطع من رائعته «الحب والموت والبعث في فينيسيا» - البندقية - التي ضمها ديوانه «موكب الذكريات» حيث قام الشاعر في هذه القصيدة بالتجديد شكلاً ومضمونًا، فهو يرى في تلك المدينة العائمة - فينيسيا (البندقية) ما لم يره غيره من شعراء أوربا أو في الشعراء العرب الذين كتبوا عنها أمثال علي محمود طه.

فقد تغنّوا بجمالها وسحرها وروعتها وجندولها دون أن يفطنوا إلى نهايتها المحتومة التي تبنأ هو بها حيث يقول:

أبحرتُ بالجندول من تور شيللو (١)
والبدرُ صبٌّ مُدنفٌ مُدلٌ
حان على عشاقه، مُطلٌ
في لَيلة وافى بهَا زماني
مصريةِ الأعطافِ والأردانِ

***

يا بلدة العشاقِ والجندولِ
يا عذبةَ الثغرِ لدَى التقبيلِ
جئنا إليك من ضفاف النيل
جئنا إليك بالهوى النشوانِ
بالدفء يا حورية الأجفانِ

***

في موكب الحبِّ مضى الجندولُ
أعطافُهُ ترقصُ إذ تميلُ
ووردهُ في موجه مطلولُ
لما شدا الملاحُ بالأغاني
خلتُ الريالتو(٢) مسرحًا للجاني
يا أيُّها الجندولِ يا دليلي ....
هذى إذن قبورُ (سان ميشيل)(٣)
الموجِ فيها دائم العويلِ
كأنّهُ سخرية الفنانِ
من عالمٍ بهِ الأماني

***

الموتُ حيٌّ ههنا يا صحبي
لا تنكروه إنّه في ركبي
أقام في الجندول يرعى حبّي
ويجمعُ الأعداءَ بالخلاّنِ
ويمزجُ القبلات بالطعانِ

***

هكذا كانت حياة الشاعر مختار الوكيل مزيجًا من الغناء واللوعة والغربة والحب والإيمان، بدأ شاعرًا يافعًا في رحاب جماعة أبوللو معاصراً أقطابها وروادها الأوائل، ورحل عنّا بعد أن أعاد تأسيسها تحت اسم «أبو للو الحديثة».. وقد كان لي حظ اللقاء بهذا الشاعر الكبير والاقتراب منه والاستماع إليه وإلى تجاربه والاستفادة منها دون علمه وأدبه وفكره. رحمه الله.

الهوامش

١- جزيرة صغيرة من أجمل الجزر المحيطة بفينسيا.
٢- جسر الريالتو الشهير في الحي المعروف بهذا الاسم في فينسيا وقد خلده شكسبير في مسرحية «تاجر البندقية».
٣- جزيرة (سان ميشيل) هي المقبرة الرئيسة لفينسيا والجزر المحيطة بها، وهي من آيات الفن المعماري الإيطالي.



أواني الطعام والشراب في التراث العربي والإسلامي

إعداد:
عبد الحميد حسانين حسن

أ

الإبريق: من أواني الشراب، ذكر صاحب لسان العرب (برق) أنه إناء وجمعه أباريق، فارسي معرب، وذكر قول الشاعر:

ودَعا بالصَّبوحِ، يومًا، فجاءتْ
قِيْنَةٌ في يمينها إبريق

وقيل: إن الإبريق إناء من خزف أو معدن له عروة وفَم، وهو معرب (أبْ ريز)، أي صاحب الماء بالفارسية، وجاء في المعجم الوسيط أنه وعاء له أذن وخرطوم ينصبُّ منه السائل.

وفي القرآن الكريم: *يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق*. **الواقعة**: ١٧-١٨.



ب

البُرْمَة: من آنية الطعام، وفي اللسان (برم): قدر من حجارة، والجمعُ بُرَم وبرَام وبُرْم، وهي في الأصل المتخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن وقد ذكر قول الشاعر النابغة الذبياني:

والبائعات بشطَّي نخلة البُرَمَا

وقيل: البُرمة: القدر مطلقًا.

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يومًا على عائشة وعلى النار بُرْمة(١)



ت

التَّوْرُ: من آنية الشراب، وذكر صاحب لسان العرب (تور) أنه إناء معروف تذكره العرب تشرب منه. وقيل: هو عربي، وقيل دخيل. وهو من صفر أو حجارة، وقد يُتوضأ منه. وجاء في الحديث عن عبد الله بن زيد قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجنا له ماء في تور من صُفرٍ، فتوضأ به(٢).



ج

الجام: جاءفي المعجم الوسيط أنه إناء للشراب والطعام من فضة أو نحوها، وقد غلب استعمالها في قدح الشَّراب، وذكر صاحب لسان العرب أنه إناء من فضة، عربي صحيح، وذكر قول ابن الأعرابي: الجام الفاثُور من اللّجين.

الجَفْنَة: (الفاثور: الطست أو الجفنة)، وذكر صاحب لسان العرب (جفن) أن الجفنة هي أعظم ما يكون من القصاع. والجمع جفان وجفَن وجَفَنَات. وفي الحديث عن عكراش بن ذؤيب قال: أُتيَ الرسول صلى الله عليه وسلم بجفنة كثيرة الثريد والوَدَكِ، فأقبلنا نأكل منها(٣).



ر

الرِّفْدُ : من آنية الشراب، يقال: الرُّفد والرِّفد والمرفَد، والمِرفَد، ذكر لسان العرب (رفد) أنه العُسُّ الضخم، وقيل القدح العظيم الضخم، وهو أكبر أنواع الأقداح، يروي الثلاثة والأربعة والعدة.

الرَّكوة: ذكر صاحب كتاب فقه اللغة وسر العربية وغيره من أصحاب المعجمات، الرَّكوةُ: مثلثة الراء، والجمع ركوات وركاء. جاء في اللسان (ركا): إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء. وذكر ما جاء عن جابر رضي الله عنه: أُتي النبي صلى الله عليه وسلم بركوة فيها ماء. وذكر صاحب محيط المحيط أنه يقال: ركوة القهوة ونحوها إبريق صغير تغلى فيه. وفي الأثر عن عبد خير أن عليًا رضي الله عنه قال: يا قنبر ائتني بالركوة والطّست، ثم قال له صُبَّ فصبَّ عليه (٤). ومن هنا يتضح أن الركوة إناء للشرب وكان يستخدم أيضًا للوضوء.



ص

الصَّحفة: من آنية الطعام، وذكر صاحب لسان العرب (صحف) أنها كالقصعة، وهي تشبع الخمسة ونحوهم، وذكر قول الكسائي في أحجام تلك الأواني، حيث قال الكسائي: أعظم القصاع الجَفْنة، ثم القَصعة، تليها تشبع العشرة، ثم الصَّحْفَة تشبع الخمسة ونحوهم، ثم المئكلة تشبع الرجلين والثلاثة، ثم الصُّحيفة تشبع

الرجل. وفي التنزيل قال تعالى: *يُطَافُ عليهم بِصِحَافٍ من ذهب وأكواب.* **الزخرف**: ٧١



الطبق: من آنية الطعام، ذكر صاحب لسان العرب (طبق) أن الطَّابَق والطابِقُ والجمع طوابق وطوابيق: ظرف يطبخ فيه، فارسي معرب، وجاء في المعجم الوسيط (أطبق)، أنه إناء يؤكل فيه. وفي الحديث عن عكراش بن ذُؤَيْب «... ثم أتينا بطبق فيه ألوان من الرطب، فجالت يد الرسول صلى الله عليه وسلم في الطبق وقال: «يا عكراش كل من حيث شئت» (٥).

ع

العُسّ (والجمع: عساس وعِسَسَة) في اللسان (عسس): من آنية الشراب، وهو القدح الضخم، يروي الثلاثة والأربعة، والرِّفد أكبر منه. والعُسْعُس: الآنية الكبار ويقال أيضًا أعساس، وذكر الثعالبي في فقه اللغة أن العُسّ من خشب (٦).

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: «.... فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على رأسي فقال: يا أبا هريرة فقلت لبيك رسول الله وسعديك، فأخذ بيدي فأقامني وعرف الذي بي، فانطلق بي إلى رحله. فأمر لي بعُسّ من لبن فشربت منه...» (٧).



الغُمَرُ: (جمعه أغمار): من آنية الشراب، ذكر صاحب لسان العرب (غمر) أنه القدح الصغير، وهو أصغر الأقداح، وقيل أيضًا: هو القعْب الصغير، وقيل: القَعْبُ أعظم منه، وهو يروي الرجل.

وجاء في المعجم الوسيط (غمر) نقلاً عن اللسان أنه أصغر الأقداح يقتسم القومُ به الماء بينهم إذا قلّ في السفر، بأن يُلقوا فيه حصاة ويُعطى كل منهم من الماء قدْرَ ما يغمر هذه الحصاة.



القارورة: من آنية الشرب، ذكر صاحب لسان العرب (قرر) أنها واحدة القوارير، وقيل لا يكون إلا في الزجاج خاصة. قال بعض أهل العلم: معناه أوانيَ زجاج في بياض الفضة وصفاء القوارير. قال تعالى: *قواريرَ من فضة.* **الإنسان**: ١٦.

القَدَح: (واحد الأقداح): من آنية الشرب، جاء في لسان العرب (قدح) أنها أحد أواني الشرب، وذكر قول أبي عبيد: بأنه يُرْوي الرجلين. وعن أبي هريرة قال: أُتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أُسْري به بقدح لبن وقدح خمر(٨).

القِدْر: (واحد القُدُور): من آنية الطعام، وذكر ابن منظور (قدر) أنه إناء للطبخ. ونقل عن الليث قوله: القديرُ ما يطبخ من اللحم بتوابل، فإن لم يكن ذا توابل، فهو طبيخ. وفي الحديث عن أبي ثعلبة الخُشَنيّ قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته: يا رسول الله قدور المشركين نطبخ فيها؟ قال: «لا تطبخوا فيها». قلت: فإن احتجنا إليها، فلم نجد منها بدًّا؟ قال: «فارْحضوها رحْضًا حسنًا. ثم اطبخوا وكلوا»(٩). وارحضوها اغسلوها.

القِرْبَة: من آنية الشراب، وجاء في لسان العرب (قرب) أن القِرْبة من الأساقي، وذكر قول ابن سيده: القِرْبة الوَطْبُ من اللبن، وقد تكون للماء، وقيل: هي المخروزة في جانب واحد. وجمعها في أقل العدد: قِرْبات وقِرِبات وقِرَبات، والكثير: قِرَبٌ.

القَصْعَةُ: (جمعها: قِصَع وقِصاع): من آنية الطعام، وهي القصعة الضخمة تشبع العشرة، وفي المعجم الوسيط (قصع): وعاء يؤكل فيه، وكان يتخذ من الخشب غالبًا.

القَعْبُ: (والجمع: قعاب وقِعَبَة) من آنية الشراب، وجاء في لسان العرب (قعب) أنه القدح الضخم الغليظ، وقيل: قَدَح من خشب مقعّر... وهو يُروي الرجل. وذكر قول ابن الأعرابي: أول الأقداح الغُمَرُ، وهو الذي لا يبلغ الريّ، ثم القعب، ثم العُسُّ. وفي الحديث عن عبد الله بن عباس قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح في رمضان، فصام رمضان، وصام المسلمون معه، حتى إذا كان بالكديد، دعا بماء في قَعْبٍ وهو على راحلته فشرب»(١٠).

القِناع: من آنية الطعام، وذكر صاحب لسان العرب (قنع) أن القِنْع والقِناع: الطبق من عُسُب النخل يوضع فيه الطعام، وقيل أيضًا: الفاكهة. والجمع: أقناع وأقنعة. وفي الحديث عن جابر قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه فدخل على امرأة من الأنصار، فذبحت له شاة، فأكل منها وأتته بقناع من رطب» (١١).



الكأس: (واحدة الأكؤس والكؤوس والكئاس) : من آنية الشراب، وجاء في لسان العرب (كأس)، أنَّ الكأس مؤنثة: وهي الزجاجة التي بها شراب، وقيل الكأس الشراب بعينه، وقيل: الخمر نفسها اسم لها. وقيل: الكأس: هي الزجاجة ما دام فيها خمر، فإذا لم يكن فيها خمر فهي قدح. وفي القرآن الكريم: *بأكواب وأباريق وكأس من معين.* **الواقعة**: ١٨. وقال تعالى: *وكواعب أترابا وكأسًا دِهاقا.* **النبأ**: ٣٣ - ٣٤.

الكوب: (واحد الأكواب) من آنية الشرب، وذكر صاحب لسان العرب (كاب) أنه الكوز الذي لا عروة له، وذكر قول الفراء: الكوب هو الكوز المستدير الرأس الذي لا أذن له. وفي القرآن الكريم: يُطافُ عليهم بآنية من فضة وأكواب. الإنسان: ١٥. وكذلك: *يطوف عليهم ولدانٌ مُخَلَّدُون بأكوابٍ وأباريق وكأسٍ من معين.* **الواقعة**: ١٧- ١٨.

الكوز: (واحد الأكواز والكيزان والكوزة): من آنية الشراب، وذكر صاحب لسان العرب (كوز): أن الكوز في الأواني، معروف، وهو عربي صحيح ويقال: كاز يكوز واكْتاز يكتازُ إذا شرب بالكوز. وفي محيط المحيط (كاز) الكوز: إناء من فخار له عروة وبلبل أو هو أصغر من الإبريق فارسي. وهو قول اشتهر عن أبي حنيفة، قال ابن سيده: لا يعرّج عليه، بل الكوز عربي صحيح. وفي الحديث عن أبي مَطَر قال: «بينما نحن جلوس مع أمير المؤمنين علي رضي

الله عنه في المسجد على باب الرحبة جاء رجل فقال أرني وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عند الزوال، فدعا قنبر فقال ائتني بكوز من ماء فغسل كفيه ...» الحديث(١٢).



المِرْجَلُ : (واحد: المراجل): آنية الطعام، وذكر صاحب لسان العرب (رجل) أنّ المرجل: القدر من الحجارة والنحاس، مذكّر، وقيل: هو قدر النحاس خاصة، وقيل: هي كل ما طبخ فيها من قدر وغيرها ويقال: ارتجل الرجل: طبخ في المرجل.

المِسْخَنَة: من آنية الطعام، وجاء في لسان العرب أن المسخنة من البِرَام، وهي القدر التي كأنها تَوْر، وقيل: هي الصغيرة التي يُطبخُ فيها للصبي، وذكر ما جاء في الحديث عندما سأل رجلٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم: «هل أُنزل عليك طعام من السماء؟ فقال: نعم أُنزل عليَّ طعام في مسخنة». وفي المعجم الوسيط (سخن) المسخنة: القِدْرُ يسخَّنُ فيه الطعام.

الهوامش

١ـ صحيح البخاري: كتاب الطعام: باب الأُدْم.
٢ـ سنن ابن ماجه: الجزء الأول: الحديث رقم ٤٩٠.
٣ـ سنن ابن ماجه: الجزء الثاني: الحديث رقم ٣٣١٧.
٤ـ الفتح الرباني: الجزء الثاني: ص ٩.
٥ـ سنن ابن ماجه: الجزء الثاني: الحديث : ٣٣١٧.
٦ـ فقه اللغة وسر العربية: ص ٢٦٣.
٧ـ صحيح البخاري: كتاب الأطعمة: باب التسمية على الطعام.
٨ـ لسان العرب: قدح.
٩ـ صحيح البخاري: كتاب الأشربة: باب شُرب اللبن.
١٠ـ سنن ابن ماجه، الجزء الثاني: الحديث ٢٨٥٨ ولسان العرب: (قعب)، وانظر أيضًا محيط المحيط، المعجم الوسيط: (قعب).
١١ـ مسند الإمام أحمد، طبعة شعيب الأرناؤوط: الجزء الرابع: الحديث ٢٦٣٦. ولسان العرب: (قنع)، وانظر أيضًا محيط المحيط، والمعجم الوسيط: (قنع).
١٢ـ شرح السنة : الجزء الحادي عشر : الحديث ٢٨٤٩.

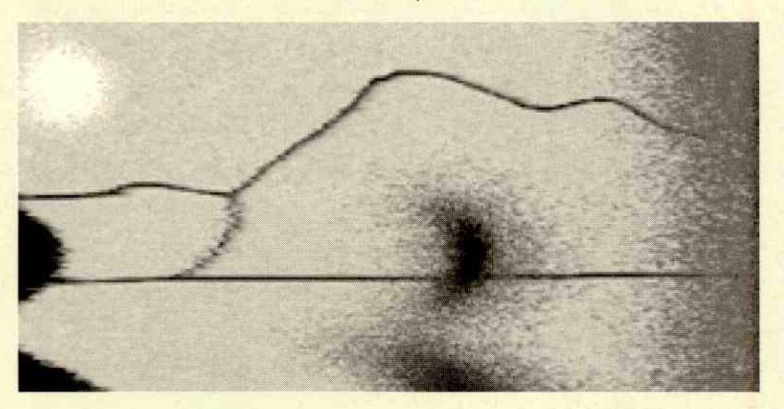
المراجع

- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد مصطفي الأعظمي، الرياض: شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة.
- سنن النسائي بشرح السيوطي، بيروت: دار الفكر، ١٣٤٨هـ، ١٩٣٠م.
- شرح السنة للبغوي، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، ط١، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، استانبول: المكتبة الإسلامية.
- الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد، ترتيب أحمد عبد الرحمن البنا، القاهرة: دار الشهاب.
- فقه اللغة العربية وسر العربية، الثعالبي، بيروت: دار الكتب العلمية.
- لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر.
- محيط المحيط، بطرس البستاني، بيروت: مكتبة لبنان، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.
- مختصر سنن أبي داود، الحافظ المنذري، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت: دار المعرفة.
- مسند الإمام أحمد، طبعة شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

قصيدة

وقتٌ لِرُؤيتها

إبراهيم عباس ياسين



تأتينَ ـ رغم اليَباسِ المُرِّ ـ كالمطرِ   يُخْضَرُّ، فوق الدجى، لحنًا على وَترِ
تأتينَ .. تصحو الينابيعُ التي انتحرت   فوق الرمالِ.. وتعلو قامةُ الشَّجَرِ
تأتي القصيدة إسرارًا تُراودني   عن سرِّها بعد طول النأي والسفرِ
وهاهو الوقت فوق الليل يحملني   من شاطئ الجرحِ حتى شرفة القمر
تأتينَ ؟ أيُّ شتاءٍ لم يمت كمدًا؟   وكيف لا تُعشِبُ الأنوارُ في صُوري؟!
يستيقظُ الصبح ـ إذْ تأتينَ ـ مُبْتهلاً   نشوانَ يضحك بالأنداءِ والزَّهَرِ
فأجْتَلي شمسَ أحلامي التي انكسرت   وأستبينُ الذي ضَيَّعْتُ من عُمري
ماذا سأنشدُ في لُقْياكِ يا امرأةً   تستوطن القلبَ بالآيات والسُّوَرِ؟
واستيقظت في دمائي ألفُ قافيةٍ   بِحَمْدِ كَفَّيْكِ تزقو ساعةَ السحرِ
كفَّاكِ من وحْي أقمارٍ مُنَزَّلَةٍ   ومن تراتيلِ فجرٍ عاشقٍ عَطِرِ
وما نَشَرْتُ على الآفاقِ أشرعةً   ـ إلا لعينيكِ ـ روحي في دُجىً خَطِرِ
عيناكِ ـ أشْهَدُ ـ ما شِعْري بدونهما   إلا عويلَ رمادٍ مطفأ الشَّرَرِ
ووجهك الصبحُ يجلو نبض أغنيتي   لَمَّا يطلُّ على رؤيايَ كالقمرِ
تأتينَ ؟ مُدّي لريشِ القلب أجنحةً   وَغَلْغِلي بدمي كالصبح.. وانتشري!
أنتِ النشيدُ الذي يَقْتاتُ من رئتي   وَيَنْتَشي برحيق الضوء من بَصري
أعْلَنْتُ حُبَّكِ سِرًّا لا يُطال، ولا   يُقالُ يومًا لِغَيْرِ الشمسِ والمطرِ
وآيةُ العشقِ أن تَبْقي على شفتي   مدى السؤال.. سؤالاً شائكَ الخَبَرِ
لا تقلقي.. للهشيم المرِّ قافيتي   إن لم تُتَوِّجْكِ كالأقمارِ..فانتظري!!



الدكتور محمود بن محمد سفر في «منتدى الفيصل»

نبذة من سيرته :

- من مواليد مكة المكرمة ١٣٥٩هـ/١٩٣٩م.

- حصل على بكالوريوس الهندسة المدنية من جامعة القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، والماجستير من جامعة ستانفورد بكاليفورنيا، والدكتوراه من جامعة ولاية كاليفورنيا الشمالية عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، كما نال دبلوم الإدارة العليا للرؤساء التنفيذيين من جامعة ستانفورد بكاليفورنيا عام ١٩٨٠م.

- عمل في سلك التعليم الجامعي حتى أصبح عميداً لشؤون الطلاب بجامعة الملك سعود - بجانب عمله الأكاديمي - فعضواً بالمجلس الأعلى للجامعة، فأميناً عاماً للمجلس الأعلى للجامعات، ثم عيِّن وكيلاً لوزارة التعليم العالي. وكان عضواً في جميع مجالس الجامعات السعودية حتى عام ١٤٠٤هـ.

- رأس عدداً من اللجان المهتمة بشؤون التعليم العالي، كما رأس لجنة إعداد خطة التنمية الثالثة لوزارة التعليم العالي، واختير، بإجماع الدول العربية الخليجية، أول رئيس مؤسس لجامعة الخليج العربي بالبحرين (١٩٨٤-١٩٨٨م).

- اختير عضواً بمجلس أمناء المشرق والمغرب بمدينة شيكاغو الأمريكية، وعضواً باللجنة الاستشارية لجامعة الأمم المتحدة بطوكيو.

- عُيِّن أستاذاً بقسم الهندسة المدنية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن في عام ١٤٠٤هـ حتى تاريخ تعيينه وزيراً للحج في عام ١٤١٤هـ.

- شارك في عضوية وفود ممثلة للمملكة العربية السعودية في مؤتمرات عربية ودولية، كما شارك في كثير من المؤتمرات التي ناقشت قضايا التنمية والتعليم، وانتُخب مقرِّراً عاماً للمؤتمر الأول لوزراء التعليم العالي والمسؤولين عن البحث العلمي في الوطن العربي الذي عُقد في الجزائر عام ١٩٨٠م.

- نال شهادة تقدير وثناء من سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين لدوره في تأسيس جامعة الخليج العربي بالبحرين، ونال وسام النجم الساطع من جمهورية الصين.

- من مؤلفاته: التنمية قضية، الحضارة تحد، إنتاجية مجتمع، الإعلام موقف، ثغرة في الطريق المسدود (بالاشتراك)، دراسة في البناء الحضاري، ثقب في جدار التخلف.

- من بحوثه: التكنولوجيا: نقل أم استيعاب؟ التعليم التقني ضرورة وتحد، منظور حضاري لقضايا الترجمة والتعريب، التقنية والبدء الحضاري، موقفنا من الحضارة الغربية المعاصرة، الإصلاح الحضاري وواجب الأمة، التنمية في العالم الإسلامي بين الطموح والواقع، من مظاهر التحدي الحضاري للأمة الإسلامية.

ومن أقواله :

«إننا ندعو إلى أن تخرج برامج التربية الدينية في المدارس والجامعات والمساجد ودور العلم عن إطارها التقليدي، وتقترب من أذهان الشباب ومشكلات عصره ببساطة الأسلوب وحسن العرض وعمق المفاهيم؛ بدلاً من أن تجعل الشباب يلهث خلفها في محاولات مرهقة تفقده حيويته في متابعة ما يُلقى عليه من دروس ومواعظ وإرشادات».

الحضارة تحد! ط١، ١٤٠٠هـ، سلسلة الكتاب العربي السعودي، تهامة، ص٢٥.

«هناك كثير من العوامل الخارجية التي يجب التنبه إليها من منطلق فكر وطني مخلص يدحض الدعوات الهدامة.. لعل من أخطرها التمسك بالرأي القائل بأن زيادة السكان لها أثر كبير في عرقلة حركة النمو؛ مما جعل ذلك القول أشبه بمشجب صُنع في الخارج وتم استيراده إلى الداخل لتعلق عليه الدول المتخلفة أخطاءها في حق الإنسان في العيش!».

إنتاجية مجتمع، ط١، ١٤٠٤هـ، ص١١٠-١١١.

«إنَّ الإعلام بوسائله الحديثة المتقدمة قادر على أن يعلِّم المجتمع، ويثقف النشء، ويثبت القيم الصالحة، ويركز الحق المستقيم، ويعين على الحق ويزهق الباطل».

الإعلام موقف، ط١، ١٤٠٢هـ، ص١٠١.

«لقد فقدنا الوعي الصحيح بدورنا كأفراد وجماعات في عمليات التنمية، وأصبحنا جميعًا من «أصحاب الحقوق» وما أدراك ما أصحاب الحقوق.. إنها سمةُ التخلف في جيلنا حتى أصبحنا لا نعرف إلا حقوقنا على حكومتنا وجهلنا تمامًا واجبنا».

ثغرة في الطريق المسدود: دراسة في البعث الحضاري، سلسلة تصدر عن دار آفاق الغد بالقاهرة، ص٧٨-٧٩.

«علينا أن نوجد جسرًا بين المسلمين والنصارى بصورة تجعل الغرب يتقبل المفهوم الإسلامي بأسلوب حضاري وليس بأسلوب عنصريّ صليبي متسلط كما هو حادث!!».

من مقال: المسلمون من التكديس إلى الإبداع الحضاري (في كتاب: فقه الدعوة ملامح وآفاق، ص١٧٧).

«إننا في محاولة تدريب مجتمعاتنا الناشئة تقنيًا لابد أن نأخذ بعين الاعتبار المسار التاريخي لتطور العلوم والتقنية في الغرب واليابان. فالأمة الجادة تستطيع أن تختصر ٤٠٠ عام من تاريخ التطور العلمي والتقني للعالم الغربي إلى ٤٠ عامًا.. ولكنها لا يمكن أن تستسيغ الحضارة التقنية المعاصرة دفعة واحدة مهما أوتيت من مال».

دراسة في البناء الحضاري، ص٩٩.

تتلقى المجلة أسئلة القراء البريدية على العنوان: ص.ب ٣ - الرياض ١١٤١١، وبالفاكس: ٤٦٤٧٨٥١ ، وبالهاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ بين الساعة ١٢-١ ظهرًا، والساعة ٨-٩ مساءً.

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين

سمو النائب الثاني رعى حفل تسليم جائزة الملك فيصل العالمية للفائزين بها

سموه: مؤسسة الملك فيصل الخيرية تسدي خدمات جليلة للإسلام والمسلمين وللعلم والمعرفة

سمو الأمير خالد الفيصل: رسالة الجائزة للعالم هي أن الإسلام دين التسامح ودين النهضة

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، مساء السبت ١٧ شوال ١٤١٨هـ، الحفل الذي أقامته مؤسسة الملك فيصل الخيرية بمناسبة توزيع جوائز الملك فيصل العالمية للفائزين للعام الحالي ١٤١٨هـ.

وقد وصف سمو الأمير سلطان ما تقوم به مؤسسة الملك فيصل الخيرية من أعمال وما تسديه من خدمات بأنها جليلة تخدم الإسلام والمسلمين والعلم والمعرفة.

وأعرب صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير، المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية، عن بالغ الشكر والتقدير لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وسمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني، لما تجده مؤسسة الملك فيصل الخيرية من مؤازرة ودعم معنوي ومادي. وقال سموه: إن الرسالة التي تريد مؤسسة الملك فيصل الخيرية إبلاغها من خلال الجائزة هي أن الإسلام دين البشرية ودين التسامح، ودين التقدم، ودين النهضة الفكرية والعلمية والإنسانية والأخلاقية، وأشار إلى أن الفائزين بالجائزة هم من خيرة رجال العالم من المفكرين، ومن القادة، ومن رجال العلم والأدب، مبيّنًا أنهم أغنوا الساحة الإنسانية بأعمالهم القيمة، التي استفادت منها البشرية.

وتقدم سموه بالتهنئة للفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لهذا العام «لما قدموه من خدمات جليلة للأمة التي تعتز بالانتماء إليها، وأعمال أثّرت في الفكر الإنساني بأجمعه في عالم اجتاحته الاضطرابات والمحن الفكرية والاجتماعية والنفسية، نسأل الله أن ينفع بهم وبأعمالهم لتخفف عن أهل الدنيا مصائبها».

بعد ذلك قام الأستاذ الدكتور عبدالله الصالح العثيمين بتقديم الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لهذا العام ١٤١٨هـ، ومسوغات منحهم الجائزة.

ندوة عن مصادر المعلومات في العالم الإسلامي

تُعدُّ مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض بالتعاوَن مع البنك الإسلامي للتنمية في جدة - حاليًا - لتنظيم ندوة عن «مصادر المعلومات في العالم الإسلامي» واستضافتها في شهر أيلول/ سبتمبر من العام الميلادي المقبل ١٩٩٩م.

وشكلت لجنة تحضيرية للندوة برئاسة فيصل بن عبدالرحمن المعمر لتحديد محاور الندوة تحقيقًا لأهدافها المتمثلة في وضع خطة علمية للوصول إلى معلومات دقيقة عن العالم الإسلامي في مختلف المجالات، ودراسة مصادر المعلومات ذات العلاقة بالعالم الإسلامي، ومصادر المعلومات المتعلقة بالأقليات المسلمة في العالم، وغير ذلك.

فهرس لمخطوطات مكتبة مكة المكرمة

أصدرت مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض في إطار جهودها لخدمة الباحثين،



افتتاح ندوة «التعليم في المملكة: رؤى مستقبلية»

رابطة العالم الإسلامي ترفع مذكرة إلى الكونجرس الأمريكي بشأن القدس

٢٤٥٠ ناشرًا في معرض القاهرة الدولي للكتاب

مؤتمر دولي في بيروت حول حقوق الملكية الفكرية

انعقاد مؤتمر إسلامي عالمي في ساحل العاج



صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز يسلم د. روبرت بيرسل جائزة الملك فيصل العالمية للطب

ثم قام صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز بتسليم الجوائز للفائزين وألقى الفائزون بجوائز الملك فيصل العالمية لهذا العام كلمة أعربوا فيها عن اعتزازهم بالجائزة، وأكدوا سمو مكانتها، وتأثيرها البالغ في خدمة الإنسانية دون تمييز.

صاحب الفخامة الرئيس عبده ضيوف رئيس جمهورية السنغال الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، أكد «أن الجائزة تشجيع للشعب السنغالي، كما هي تشجيع لي، على مواصلة العمل لخدمة الإسلام، وإننا لندرك مغزى هذه الجائزة ومدلولها» وقال: «إن هذه المؤسسة الشهيرة التي توضح سمعتها العالمية رسالتها المهمة، تذكر بأمانة الأفكار والأعمال الممتدة للملك الراحل فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، الذي مازال مصدر إلهام قوي لنا جميعاً».

والدكتور عبدالستار الحلوجي الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية (بالاشتراك)، أوضح أن الجائزة جاءت لتضفي على الدور الروحي للمملكة العربية السعودية دوراً حضارياً متميزاً، يتمثل في تكريم النابهين من العلماء والمبدعين»، واستطرد مضيفاً: «لعل مما يضاعف من قيمة الجائزة ويزيدها بهاءً ورُواء، أنها تحمل اسماً عزيزاً على كل مسلم هو اسم الملك فيصل، الذي كان سياسياً فذاً وزعيماً مهماً، وكان بالنسبة إلى أمته عقلها المتفتح، وضميرها الحي، وقلبها الكبير، ومن عجب أن الملك فيصل الذي كان في حياته عطاء ربانياً لأمته العربية والإسلامية، أصبح بعد وفاته عطاء ربانياً للبشرية كلها». وأكد د.الحلوجي أن الجائزة تمثل مكانتها بين الجوائز العالمية المشهود لها، كواحدة من أكبرها وأعظمها قدراً، وتعلقت بها الأبصار واشرأبت لها الأعناق، وهفت إليها القلوب، وأصبح بلوغها شرفاً يحرص عليه، وتكريماً يطمح إليه كل باحث مجيد.

الأستاذ الدكتور يحيى محمود بن جنيد الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية (بالاشتراك)، ذكر في كلمته أن من مزايا الجائزة تعدد مجالاتها في كل فرع من فروعها، وفي ذلك تحفيز لأهل التخصصات على العناية بالبحث لتقديم أعمال قد تحظى بالقبول ويمنح أصحابها هذه الجائزة الكبيرة في قيمتها المعنوية، وقال: «إن الجائزة بتوجهها نحو قطاع المكتبات والمعلومات في هذا العام تقدم له دعماً وسنداً معنوياً محفزاً، ومن جانب آخر تلفت الانتباه إلى أنه قطاع مؤثر كغيره من القطاعات المعرفية.

الأستاذ الدكتور جون لويس جيران الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للطب (بالاشتراك) أعرب عن سعادته البالغة لتقدير جهوده العلمية في مجال تخصصه، وقال: «إنه لشرف عظيم أن أنال جائزة الملك فيصل العالمية للطب، لاسيما أن هذه الجائزة - كما هو معروف عنها على نطاق واسع - تسعى إلى تقدير الإنجازات الفردية في أحد المجالات المختارة، وإن حرص مؤسسة الملك فيصل الخيرية على تقدير الإنجازات التي تستفيد منها الإنسانية جميعاً يتجلّى بوضوح في اختيارها لموضوع «التحكم في الأمراض المعدية»، فالأمراض المعدية لا تعرف الحدود ولا الفواصل الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية». وفي السياق ذاته المتمثل في تثمين البعد الإنساني للجائزة قال الأستاذ الدكتور روبرت هاري بيرسل الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للطب «بالاشتراك»: «لقد علمتنا هذه الدراسات أمراً مهماً، وهو أن الثقافات قد تختلف من منطقة إلى أخرى، ولكن المرض وما يسببه من ألم لا يعرفان الحدود، وهزيمة المرض في أغلب الأحيان من أصعب الأمور، وعبّر عن تطلعه لليوم الذي تتم فيه السيطرة على مرض التهاب الكبد الوبائي وغيره من الأمراض، «وإذا لم أشهد ذلك اليوم، فإنني آمل أن ينذر آخرون أنفسهم لمواصلة المعركة، فربما يأتي يوم تكرمونهم في هذا المكان بمنحهم جائزة الملك فيصل العالمية للطب، كما تكرمون الدكتور جيرن وشخصي».

الأستاذ الدكتور أندرو جون وايلز الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للعلوم أعرب عن عميق شكره لهيئة الجائزة لـ«هذا التقدير الرائع» ودعوته شخصياً لتسلم الجائزة التي وصفها بأنها تتويج لحلم طفولته وهو إثبات نظرية فيرما في الرياضيات وبرهانها.

وقد حضر حفل توزيع جائزة الملك فيصل العالمية لهذا العام سمو الأمير محمد بن عبدالله بن جلوي، وسمو الأمير بندر بن محمد بن عبدالرحمن، وصاحب السمو الملكي الأمير فهد بن محمد بن عبدالعزيز، وأصحاب السمو الملكي الأمراء وأصحاب الفضيلة العلماء، وأصحاب المعالي الوزراء، ومعالي الأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج العربية جميل الحجيلان، ومعالي نائب رئيس مجلس الشورى الدكتور عبدالله بن عمر نصيف.

كما حضر الحفل عدد من كبار المسؤولين، وأعضاء هيئة التدريس في الجامعات، ورجال الفكر والأدب والثقافة، والعاملين في المؤسسات العلمية البحثية.

فهرساً في ٥٩١ صفحة لمخطوطات مكتبة مكة المكرمة.

يضم الفهرس الذي أشرف على إعداده د. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان وصفاً للمخطوطات المحفوظة في مكتبة مكة المكرمة وعددها ١٥٢٦ مخطوطة، مقسمة على أبواب تبعاً لموضوعها، وأُلحقَ بالفهرس كشّافان: الأول للمؤلفين، والثاني للعناوين.

من ناحية ثانية واصلت مكتبة الملك فهد الوطنية إصدار أجزاء جديدة من الببليوجرافيا الوطنية السعودية حيث صدرت الأجزاء ١١، ١٢، ١٣ لتغطي في ١٤٥٢ صفحة حركة الإنتاج الفكري السعودي الصادر خلال أعوام ١٤١٤ - ١٤١٥ - ١٤١٦هـ.

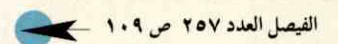
«المعرفة» مجلة مسموعة

في خطوة للارتقاء بالخدمات الثقافية المقدمة للمكفوفين وضعاف البصر، قامت الأمانة العامة للتربية الخاصة بوزارة المعارف بتحويل مجلة «المعرفة» التي تصدرها الوزارة إلى مجلة مسموعة على شرائط كاسيت.

ستوزع المجلة المسموعة في المرحلة الأولى على المعلمين المكفوفين، ثم تعقبها مرحلة تالية يتم فيها التوزيع على المعلمات الكفيفات وضعاف البصر.

جوائز جازان الأدبية

أعلنت - مؤخراً - أسماء الفائزين في مسابقة جازان الأدبية لعام ١٤١٧/١٤١٨هـ



الأمير سلمان يفتتح ندوة «التعليم العالي في المملكة: رؤى مستقبلية»

سموه: الاهتمام بالتعليم في المملكة يمتد من عهد الملك عبدالعزيز إلى عهد خادم الحرمين الشريفين



صاحب السمو الملكي
الأمير سلمان بن عبدالعزيز

نيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام، رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض مساء يوم ٢٥ شوال الماضي افتتاح ندوة «التعليم العالي: رؤى مستقبلية» التي نظمتها وزارة التعليم العالي.

وقال سمو الأمير سلمان في كلمته: إن المملكة العربية السعودية تولي اهتماماً خاصاً لاستثمار عقول أبنائها الذين نهلوا العلم في كل مكان من العالم، وأصبح منهم الخبراء والمختصون في كل مجالات الحياة.

وأشار سموه إلى أن الابتعاث وتحصيل العلوم العالية بدأ منذ عهد الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - وهو ممتد إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - يحفظه الله.

وأضاف سموه أن هذه الندوة وسيلة للترابط مع العالم، لأننا لا نستطيع أن نعزل أنفسنا عن العالم.

وكان معالي وزير التعليم العالي د. خالد العنقري قد ألقى كلمة تناول فيها دور التعليم في العالم المعاصر، فقال: «لقد أضحى عالمنا المعاصر ساحة تتلاحق في رحابها تطورات علمية وتقنية سريعة تلهث وراءها الشعوب لكي تدركها أو تدرك على الأقل بعضًا منها، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالعلم. وبات مؤكدًا أن أي مجتمع يتراخى أو لا يسعى إلى تطوير نظم تعليمه من واقع إطلالة تقويمية واعية من آن إلى آخر سوف يواجه خطر التخلف الحضاري في عالم لن يكون فيه مكان للمتخلفين تقنيًا».

وقال الدكتور عبدالله الراشد وكيل وزارة التعليم العالي للشؤون التعليمية ورئيس اللجنة التحضيرية للندوة: إن سياسة التعليم العالي في المملكة تقوم على أسس راسخة ورؤى عميقة ذات مضمونات وغايات كبرى جوهرية، وتناول الدكتور الراشد دور التعليم في التنمية البشرية، مؤكدًا اهتمام المملكة بالإنسان بوصفه غايةخطط التنمية ووسيلتها، وتطرق إلى ما يشهده التعليم من امتداد نوعي وانتشار كمّي.

وهذه الندوة التي أقيمت في الفترة من ٢٥ - ٢٨ شوال ١٤١٨هـ تقصد إلى دراسة واقع التعليم العالي في المملكة لتعزيز الجوانب الإيجابية المتعددة وتطويرها، واقتراح الأبدال اللازمة للتفاعل مع معطيات الحاضر ومستجدات المستقبل في أبعاده المختلفة، وتضمنت الندوة أربعة محاور رئيسة هي: برامج التعليم العالي، وأعضاء هيئة التدريس، والطلاب، وتمويل التعليم العالي، واشتمل برنامج الندوة على إحدى وعشرين جلسة علمية، خصت ثلاث عشرة جلسة منها لمناقشة خمسة وأربعين بحثًا وورقة عمل شارك في إعدادها نخبة من المتخصصين في التربية والتعليم، وعدد من المؤسسات الحكومية ومؤسسات القطاع الخاص.

وتضمن البرنامج أيضًا خمس محاضرات عن تجارب دولية في التعليم العالي، وثلاث جلسات ناقش فيها عدد من الوزراء وكبار المسؤولين والمتخصصين ورجال الأعمال قضايا أساسية لمستقبل التعليم العالي في المملكة، وقد مثلت المجلة للطبع، وأعمال الندوة لاتزال مستمرة.

في مجالات الشعر والقصة القصيرة والمقالة، حيث برزت ظاهرة اقتسام الجائزة في الفروع المختلفة.

نال جائزة الشعر على التوالي: أيمن عبدالحق علي وأحمد إبراهيم الحربي، تلاهما محمد سلطان إبراهيم الخفاف مناصفة مع عبدالصمد محمد الحكمي، ثم محمد قحل مناصفة مع وداد محسن الردادي.

وحازت أميمة منور البدري مناصفة مع لينا عبدالرحمن أبو نواس الجائزة الأولى للقصة القصيرة تلاهما طاهر يحيى حكمي مناصفة مع محمد علي البدوي، ثم يوسف حمد العطوي مناصفة مع علي محمد العبيري.

وتقاسم جائزة المقالة ناصر أحمد جربين مع خليل أحمد مهدي، تلاهما زينب هارون برناوي مناصفة مع نوال أحمد يحيى ربيع، ثم إيمان محمد الملحاوي مع عائشة سريع مشهور.

معرض ثلاثي للخط العربي

استضاف المركز السعودي للفنون التشكيلية في جدة - مؤخرًا - معرضًا ثلاثيًا للخط العربي للفنانين د. عبدالله فتيني، مختار عالم، وإبراهيم العراقي.

عكس المعرض ما وصلت إليه موهبة الفنان السعودي في هذا الفن الذي يعد أساس فنون الزخرفة الإسلامية وأرقاها.

كتب جديدة

إنتاج الوهم أو عباءة الثقافة، تأليف جاسر عبدالله الجاسر.

أظافر صغيرة وناعمة، مجموعة قصصية لفهد العتيق.

صدر الكتابان عن نادي جدة الثقافي الأدبي.

امرأة دون اسم، مجموعة شعرية لثريا العريض، صدرت في نشر خاص عن مطبعة التريكي في الرياض.

حوليات سوق حباشة: الباحث في أدب الجزيرة العربية وتاريخها، إعداد د. عبدالله بن محمد أبو داهش، صدر عن دارة الملك عبدالعزيز.

دراسة مقارنة بين الأدبين العربي والغربي، تأليف د. عاصم حمدان.

رشة عطر، ديوان لمفرج السيد.

صدر الكتابان السابقان عن نادي المدينة المنورة الأدبي.



دور المبرمجات في تنمية ثقافة الطفل في دول الخليج العربية، دراسة للدكتور محمد بن سليمان حمود المشيقح، صدرت عن مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية.

الإمارات

إحصائية

كشفت إحصائية أصدرتها دار الكتب الوطنية في أبو ظبي عن انخفاض في أعداد القراء والقارئات المترددين على قاعاتها خلال شهر كانون الثاني/ديسمبر ١٩٩٧م موازنة بالشهر السابق عليه.

وقابل هذا الانخفاض زيادة في إجمالي عدد الكتب المقروءة خلال الفترة نفسها. وتمثلت المطالعات العربية بنسبة ٦٩٪ من إجمالي المطالعات.

كتب جديدة

طفول، مجموعة قصصية لسعاد العريمي.

مندلية، مجموعة قصصية لحارب الظاهري.

علي بن المسك التهامي يفاجئ قاتليه، ديوان للشاعر عارف الخاجة.

صدرت الكتب الثلاثة عن اتحاد كتّاب الإمارات وأدبائها.

إسرائيل ومشاريع المياه التركية، تأليف عوني عبدالرحيم السبعاوي، صدر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

البحرين

معرض البحرين للكتاب يحتفي بطرفة بن العبد

يقام في المنامة معرض البحرين الدولي الثامن للكتاب، والذي تنظمه ـ للمرة الأولى ـ مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع خلال الفترة من ١٥ إلى ٢٥ ذي القعدة الجاري (١٤ـ ٢٤ آذار/مارس ١٩٩٨م).

يضم المعرض ٢٧٠ جناحًا تعرض قرابة خمسين ألف عنوان في مختلف فنون المعرفة، ويحتوي للمرة الأولى على قسم خاص بالكتاب الأجنبي، ويصاحبه ملتقى يحمل اسم الشاعر البحريني الجاهلي طرفة بن العبد، بمشاركة باحثين بحرينيين وعرب من المهتمين بشعر طرفة والشعر الجاهلي بعامة، وترافقه قراءات شعرية لشعراء من البحرين تأثروا بأسلوب طرفة الشعري.

كما يقام معرض لكتب وأبحاث ورسوم الأطفال، ومجموعة من الندوات والمحاضرات الثقافية والفكرية.

وقد دشنت مؤسسة الأيام صفحة خاصة عن المعرض على شبكة الإنترنت العالمية.

سلطنة عمان

مهرجان مسقط الثقافي الفني

اختتم قبل أيام مهرجان مسقط الثقافي الفني الأول الذي شارك فيه عدد من نجوم الأدب والثقافة والفن في العالم العربي.

شمل المهرجان أيامًا للشعر العربي امتدت ثلاثة أيام، بواقع جلستين للقراءات كل يوم يشارك فيها ٣ شعراء عرب كبار. كما أقيمت أمسيات فنية أحياها عدد من نجوم الغناء.

الكويت

المعرض الثالث للإعلام والإعلان

يفتتح المعرض الثالث للإعلام والإعلان والتسويق في فندق سفير برعاية وزير الإعلام الشيخ سعود بن ناصر الصباح خلال الفترة من ٢٥ إلى ٢٨ من ذي القعدة الجاري (٢٣ ـ ٢٦ آذار/ مارس ١٩٩٨م).

الشيخ سعود ناصر الصباح

يشارك في المعرض أكثر من ستين هيئة ومؤسسة حكومية وأهلية من داخل الكويت وخارجها، وتعرض فيه أحدث الوسائل التقنية في العالم في مجال الإعلام والإعلان.

يذكر أن السعودية تحتل المركز الأول بين دول الخليج بوصفها أكبر سوق إعلاني، حيث بلغت قيمة الإنفاق الإعلاني فيها خلال الأشهر الخمسة الأولى من عام ١٩٩٧م ١٤١ مليون دولار.

وفاة عبدالأمير عيسى

توفي في الكويت الشاعر الغنائي والصحافي عبدالأمير عيسى، في شهر شوال الماضي إثر أزمة قلبية عن عمر يناهز ٥٤ عامًا.

وكان الراحل قد مال إلى العزلة قبل ثلاث سنوات إثر وفاة زوجته، بعد ما كان من أكثر الشعراء إنتاجًا وأغزرهم عملاً.

والفقيد عضو في جمعيات المعلمين والفنانين والصحافيين، وكان يمارس الكتابة بشكل أسبوعي عبر إحدى المجلات الكويتية، ومن مسرحياته «أعضاء الجن».

كتب جديدة

الجزائر: الحركة الإسلامية والدولة التسلطية، تأليف توفيق المديني، صدر عن دار قرطاس.

خذني إلى حدود الشمس، مجموعة شعرية للدكتورة سعاد الصباح، صدرت عن دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع.

الاقتصاد السياسي للبطالة: تحليل لأخطر مشكلات الرأسمالية المعاصرة، تأليف د. رمزي زكي، صدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

اليمن

صندوق لحماية الآثار والمخطوطات

انتهى العمل في إعداد مشروع صندوق لحماية الآثار والمحافظة عليها من العوامل البشرية والطبيعية، ورفع إلى جهات الاختصاص تمهيدًا لإقراره.

وحددت الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات أهداف الصندوق في: دعم نشاطات الهيئة، ودعم مشروعات الآثار المختلفة، والسعي لاستعادة ما هو موجود في الخارج من آثار ومخطوطات، والعمل على تحسين المتاحف ودور المخطوطات، وإقامة

رابطة العالم الإسلامي

ترفع مذكرة إلى الكونجرس الأمريكي بشأن القدس الشريف

رفع الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي د. عبدالله بن صالح العبيد مذكرة إلى رئيس الكونجرس الأمريكي وأعضائه بشأن القدس الشريف مشيرًا إلى أن متابعة الرابطة للمواقف الدولية المتعلقة بمدينة القدس، ومنها موقف الكونجرس نفسه الذي كان قد صوّت على قرار يتضمن الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة لإسرائيل، وكان من نتائج هذا الاعتراف:

- نقل السفارة الأمريكية إلى القدس وفق ما كان طرحه السيناتور الجمهوري روبرت دول الذي دعا إلى افتتاحها في ٣١ أيار/مايو ١٩٩٩م.
- تخصيص مئة مليون دولار أمريكي لإنشاء السفارة الأمريكية في القدس.
- وقف المعونات الأمريكية للسلطة الفلسطينية حتى تتوقف عن معارضة بيع الأراضي الفلسطينية لإسرائيل.

وأكد الأمين العام عروبةالقدس مستندًا إلى حقائق التاريخ، وأن القرآن الكريم أشار إليها، كما ورد ذكرها في الحديث النبوي الشريف، مما جعلها تتبوأ مكانة عالية وغالية في قلوب المسلمين جميعًا.

وفنّد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي المزاعم الإسرائيلية بأن القدس مدينة عبرانية متجاهلين وثائق التاريخ التي تؤكد أنها ظهرت بوصفها مدينة في بدايات العصر البرونزي حين بناها الكنعانيون العرب، مما يؤكد أن تاريخ العرب في فلسطين يرجع إلى ما قبل ستة آلاف سنة وفق ما تؤكده الكشوف الأثرية والمراجع التاريخية. وذكر أن القدس تمتعت برعاية المسلمين منذ عهد الخليفة الثاني عمر بن

المعارض المحلية لنشر الوعي الآثاري بين المواطنين.

ويُمَوَّل الصندوق من عدة مصادر، منها ما يرصد له في ميزانية الهيئة، وما تقدمه الهيئات الدولية من منح ومعونات، فضلاً عن تخصيص جزء من عائدات المتاحف والمواقع الأثرية.

معرض كتاب

اختتم - مؤخرًا - معرض صنعاء الدولي الرابع عشر للكتاب بمشاركة ١٧٣ دار نشر محلية ودولية قدمت خمسين ألف عنوان.

وتضمن المعرض نشاطات ثقافية وفنية، منها أمسيات شعرية وقصصية ومحاضرات وندوات حول حماية الملكية الفكرية وأدب الطفل وقراءات نقدية وملتقيات للقصة والرواية ومهرجان للفنون التشكيلية.

كتب جديدة

دور النحور، ديوان علي بن هشيمل (ت ٦٩٥هـ)، مع دراسة د. عبد الولي الشميري، صدر في ثلاثة أجزاء عن سلسلة «الإبداع» التي تصدرها مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب والفنون.



مصر

الأدب العبري للطفل في خدمة الأيديولوجية الصهيونية

أكدت دراسة علمية أجرتها باحثة مصرية أن الإنتاج الأدبي الموجه للطفل الإسرائيلي يركز على موضوعات بعينها تؤثر في نفسية الطفل ووجدانه، وتشكل اتجاهاته لتخلق النموذج الصهيوني.

وأشارت الباحثة د. سناء عبداللطيف حسن في دراستها لأدب الأطفال العبري

محاضرات وندوات

«إعادة قراءة الواقع العراقي»، عنوان أمسية أحياها في جاليري الكوفة في لندن إبراهيم الحريري.

«تجربتي مع الأدب والسياسة»، عنوان محاضرة ألقاها في الجامعة الأمريكية بالقاهرة لطفي الخولي.

«الأديب شاهدًا انتقاديًا على عصره»، عنوان محاضرة جماعية ألقيت في معهد جوته بدمشق بمناسبة الذكرى الثمانين لمولد الكاتب الألماني هينريش بول، شارك فيها د. صلاح حاتم، ود. عبده عبود.

«نحو مشارف قرن جديد»، عنوان محاضرة ألقاها في القاعة الثقافية بدار مؤسسة الأهرام الصحفية في لندن محمود السعدني.

«السياسة الاقتصادية المصرية في المرحلة المقبلة»، عنوان محاضرة ألقاها في مقر الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والتشريع والإحصاء بالقاهرة د. يوسف بطرس غالي.

«مستقبل الثقافة في العالم العربي»، عنوان محاضرة ألقاها في مركز الدراسات الحضارية بدمشق د. حامد خليل.

«المكونات الأولية للمعالم المملوكية»، عنوان محاضرة ألقاها في دار الآثار الإسلامية بالكويت د. ناصر رباط.

«المدينة التاريخية والذاكرة العمرانية»، عنوان محاضرة ألقاها على هامش ندوة «العمارة في عالم متغير» في وكالة الغوري بالقاهرة د. عبدالحليم إبراهيم.

«الدراسات الإسلامية في الجامعات الأمريكية»، موضوع ندوة أقيمت في دار أمريكا بالدار البيضاء تحدث فيها باحثون أمريكيون ومغاربة.

«رمضان في الأدب العربي»، عنوان ندوة أقيمت في مقر المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، شارك فيها الدكاترة: إبراهيم عبدالرحمن، صلاح



الخطاب، وأن أبناء الديانات السماوية تمتعوا في ظل الحكم الإسلامي بجميع حقوقهم في ممارسة شعائرهم واحترام مقدساتهم ومختلف أنشطتهم الحياتية، وأنهم عاشوا في سلام، كما ظلت القدس تستقبل الزائرين لأداء مناسكهم الدينية من دون أي تفرقة.

وتطرقت المذكرة إلى الاعتداءات الإسرائيلية على المقدسات الإسلامية، ولاسيما المسجد الأقصى منذ قيام الكيان الإسرائيلي في عام ١٩٤٨م، ثم طرحت سؤالاً يدور حول تصوّر يمكن أن يكون مستقبل القدس؟

وتضمنت المذكرة إشارة إلى القرارات الدولية الصادرة التي تمنع إسرائيل من المساس بمدينة القدس والتغيير في جغرافيتها أو اتخاذها عاصمة لها.

وانتهت المذكرة إلى أن قرار الكونجرس الأمريكي الأخير «باعتبار القدس عاصمة أبدًا لإسرائيل فيه كثير من الظلم، إضافة إلى أنه يهدر مصداقية المواقف الأمريكية المطلوبة للمحافظة على السلم والأمن في العالم، وهو أيضًا قرار يضع حكومة أمريكا وشعبها أمام إشكالات تتعلق بالقانون الدولي وحقوق المسلمين التاريخية في المدينة، لأن كل المضمونات التي تضمنها قرار الكونجرس الأمريكي تصطدم مع قرارات هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي».

منذ نشأته وإلى الآن إلى دوران الأدب العبري الموجه للطفل في فلك الأيديولوجيات الصهيونية، عبر التركيز على مقولة المعاناة اليهودية عبر العصور، والاتجاه إلى تثبيت الوعي بما تدعو إليه الصهيونية من الزعم بالحق الديني والتاريخي لليهود في فلسطين، وتنمية الإحساس بالتفوق والتمايز والاستعلاء على العرب لدى الأطفال اليهود.

وقسمت الدراسة أدب الطفل العبري إلى ثلاث مراحل: الأولى فترة الهسكالاة في وسط أوروبا (١٧٩٠ - ١٨٤٠م)، والثانية فترة الهسكالاة في مشرق أوروبا (١٨٤٠ - ١٨٨٠م)، والثالثة فترة حركة إحياء صهيون (١٨٨١ - ١٩٠٥م).

ندوة الإعلام الإسلامي في خدمة القضايا الإسلامية

شارك ستون خبيراً وإعلاميًا يمثلون ٥١ دولة إسلامية في ندوة دولية عن «دور الإعلام الإسلامي في خدمة قضايا الأمة الإسلامية»، أقيمت في القاهرة خلال النصف الأول من شهر شوال/الماضي.

نظمت الندوة لجنة الشباب بالمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، وافتتحها سماحة شيخ الأزهر د. محمد سيد طنطاوي.

المصريون القدماء اعتنقوا المانوية

كشفت برديات عثر عليها في محافظة الوادي الجديد أن بعض المصريين القدماء اعتنقوا سرًا في العصر البيزنطي ديانة المانوية الفارسية.

يذكر أن هذه الديانة ظهرت في إيران خلال القرن الثالث الميلادي، وكانت خليطًا من الزرادشتية والنصرانية وبعض الديانات الهندية. وتعد هذه المرة الأولى التي يكتشف فيها أن هناك مصريين اعتنقوا هذه الديانة.

جاء هذا الكشف ضمن قرابة ٢٠٠٠ بردية عثر عليها بالقرب من مدينة موط عاصمة واحة الدافلة بالوادي الجديد.

متحفان جديدان

تقرر إنشاء متحفين جديدين في كل من مدينة الاسكندرية ومدينة شرم الشيخ.

يقام المتحف الأول في المبنى الذي كانت تحتله قنصلية الولايات المتحدة في الاسكندرية، ويضم قاعات للحضارة المصرية

فضل، وعبداللطيف عبدالحليم، وأدارها د.علي الحديدي.

«مكانة العلم في الحضارة الإسلامية»، عنوان محاضرة ألقاها في مقر المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة د. أحمد فؤاد باشا.

«الشورى بين النظرية والتطبيق»، عنوان محاضرة ألقاها في كلية الآداب بمراكش د. عز الدين عمر موسى.

«الشعر في الحب الإلهي»، موضوع حلقة أقيمت في بهو (صالون) الفراهيدي بالقاهرة، تحدث فيها الدكاترة: محمد سلام، والطاهر مكي، ومسعود عبيسي، وأدارها د. مصطفى الشكعة.

«الإسلام والرياضة»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي اليرموك الرياضي بالكويت د. خالد المذكور.

«ثمرات البر»، عنوان محاضرة ألقاها في الصالة الثقافية بمدينة الأمير محمد بن عبدالعزيز الرياضية بالمدينة المنورة الشيخ محمد المختار.

«أدب الفكاهة»، موضوع محاضرة ألقاها في الصالون الثقافي بنادي الصيد بالقاهرة محمود السعدني.

«إسهام علماء المسلمين في الحضارة»، عنوان محاضرة ألقاها في مكتبة مبارك العامة بالجيزة د. حامد عبدالرحيم.

«لا تقنطوا من رحمة الله»، عنوان محاضرة ألقاها بدعوة من لجنة زكاة عثمان بالكويت الشيخ عبدالحميد البلالي.

«الله أم الإنسان: أيهما أولى برعاية حقوق الإنسان»، عنوان محاضرة ألقاها في معهد الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن د. محمد سعيد رمضان البوطي.

«الرواية المعاصرة»، موضوع محاضرة جماعية أقيمت في قاعة بورسيل روم في رويال فيستيفال هول في لندن، شارك فيها وليم بويد ونادين جورديمر.

«اقرأ في كتاب الأحياء»، عنوان محاضرة ألقاها في المسرح الصغير بدار الأوبرا بالقاهرة د. أحمد مستجير.

«رمضان شهر القرآن»، عنوان محاضرة ألقاها في قصر ثقافة مدينة ٦ أكتوبر بمصر د.محيي الدين الصافي.

د. الراشد يفوز بجائزة أمين مدني للبحث
في تاريخ الجزيرة العربية


د. سعد بن عبد العزيز بن سعد الراشد

فاز الأستاذ الدكتور سعد بن عبدالعزيز الراشد رئيس قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود، ووكيل وزارة المعارف المساعد للآثار والمتاحف، بجائزة أمين مدني للبحث في تاريخ الجزيرة العربية، للسنة الثالثة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

ذكر الأستاذ إياد أمين مدني أمين عام الجائزة، أن الدكتور سعد الراشد حصل على الجائزة بتوصية من اللجنة العلمية المشرفة على الجائزة، وبموافقة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب.

وأضاف الأمين العام للجائزة أن الدكتور راشد حصل على الجائزة عن أعماله في الكشف الأثري للمدن والموانئ الإسلامية في الجزيرة العربية. وعن دراساته المنشورة وأعماله التنقيبية في منطقة الربذة.

كما بين أن جائزة هذا العام، كانت في أحد موضوعين، الأول: الحياة الاقتصادية في الجزيرة العربية كما تعكسها كتب الرحالة في مختلف العصور، والثاني: الكشف الأثري للمدن والموانئ الإسلامية في الجزيرة العربية، وقد رُشح لها العديد من الكتب والأبحاث القيمة التي لقيت عناية اللجنة العلمية المشرفة وتمحيصها طوال الشهور الماضية، وأسفرت عن فوز البحث المشار إليه.

وقدم أمين عام الجائزة شكره وتقديره إلى سمو الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب على تفضله بالموافقة على توصية اللجنة العلمية المشرفة، مؤكدًا في الوقت نفسه جهد اللجنة العلمية، وما بذلته حتى تمّ اختيار الفائز وفق معايير علمية وموضوعية دقيقة.

وتتكون اللجنة العلمية المشرفة على جائزة أمين مدني للبحث في تاريخ الجزيرة العربية من كل من الشيخ حمد الجاسر، والدكتور عبدالرحمن الأنصاري، والدكتور محمد بن سعيد الشعفي، والأستاذ عبدالله الشهيل، والأستاذ محمد هاشم رشيد.

وكانت جائزة أمين مدني للبحث في تاريخ الجزيرة قد أقرت بموافقة سامية بناء على توصية من صاحب السمو الملكي الرئيس العام لرعاية الشباب وتحت مظلة النادي الأدبي بالمدينة المنورة.

وأقيم الاحتفال الأول لها في العام ١٤١٤هـ تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة المنورة، وحصل على الجائزة مناصفة كل من الأستاذ الدكتور محمد العيد الخطراوي والأستاذ الدكتور لمعي مصطفى، وفي عامها الثاني نالها كل من الأستاذ الدكتور محمد بن سعيد الشعفي والأستاذ الدكتور محمد أحمد الرويثي.

والفائز بجائزة هذا العام الدكتور سعد الراشد من مواليد صبياء ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م، وحاصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة ليدز البريطانية ١٩٧٧م، وتولى عددًا من المناصب الإدارية في الجامعة، وشارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية، وله مجموعة من الأبحاث المنشورة باللغتين العربية والإنجليزية، علاوة على المشاركة في التقنيات الأثرية في كثير من مناطق المملكة.

منذ عصور ما قبل التاريخ وإلى العصر الإسلامي، فضلاً عن مركز للترميم وقاعات للندوات والاجتماعات والعروض السينمائية.

أما المتحف الثاني في شرم الشيخ فيركز - بصفة خاصة - على آثار سيناء وتاريخها عبر العصور المختلفة.

مهرجان للثقافة الأرمنية وليلة ثقافة كويتية

احتضنت دار الأوبرا المصرية - مؤخرًا - مهرجانًا للثقافة والفنون الأرمنية، أقيم تحت رعاية وزير الثقافة فاروق حسني ووزير الثقافة الأرمني أرمن سمباتيان.

تضمن المهرجان معرضًا للفنون الشعبية، وأغاني فلكلورية من التراث الأرمني. وأقيم على هامشه معرض للسجاد وروائع النحت الأرمنية.

من ناحية ثانية استضافت دار الأوبرا ليلة ثقافية كويتية تضمنت عروضًا مسرحية وأخرى للأزياء الوطنية، وقصائد للشاعرة جنة القريني والشاعر عبد القادر الإبراهيم، وأمسية غنائية لعبدالله الرويشد، ومعرض تشكيلي لفريد العلي.

كتب جديدة

شاطئ العمر، الديوان الأول للشاعر عبدالحسيب الخناني، صدر عن دار الآداب في القاهرة.

البحث عن يوم سابع، مجموعة قصصية لليلى إبراهيم الأحيدب، صدرت عن مكتبة مدبولي.

الفتنة الثالثة الكبرى؛ ماذا أعد المسلمون لها؟، تأليف د. علاء الدين التهامي تقديم د. عبدالحليم عويس، صدر عن دار التفسير.

مختصر بغية الإنسان في وظائف رمضان، تأليف ابن رجب الحنبلي، تحقيق أحمد فريد، صدر عن دار الإيمان.

الحق في التعبير، وأزمة المؤسسة الدينية، كتابان جديدان للدكتور محمد سليم العوا، صدرا عن دار الشروق.

أحلام نبيلة، رواية لعزيزة عبدالله، صدرت عن مكتبة الخانجي.

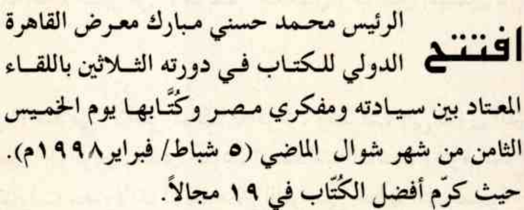
ماذا حدث للمصريين؟، تأليف جلال أحمد أمين، صدر ضمن سلسلة «كتاب الهلال» عن مؤسسة دار الهلال.

القدس الشريف رمز الصراع وبوابة الانتصار، تأليف د. محمد عمارة، صدر عن دار نهضة مصر.



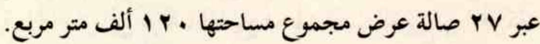
٢٤٥٠ ناشراً في معرض القاهرة للكتاب

القاهرة ـ مراسل «الفيصل»:



افتتح الرئيس محمد حسني مبارك معرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الثلاثين باللقاء المعتاد بين سيادته ومفكري مصر وكتّابها يوم الخميس الثامن من شهر شوال الماضي (٥ شباط/ فبراير١٩٩٨م). حيث كرّم أفضل الكُتّاب في ١٩ مجالاً.

الرئيس حسني مبارك



شارك في المعرض هذا العام ٢٤٥٠ ناشراً يمثلون ٧٦ دولة، حيث عرضوا ثلاثة ملايين وسبعمئة ألف كتاب عبر ٢٧ صالة عرض مجموع مساحتها ١٢٠ ألف متر مربع.

وواكب المعرض نشاطات ثقافية وفنية متنوعة، وكان المحور الرئيس للنشاط الفكري ندوة «مصر نهاية قرن وبداية قرن»، وإلى جانب الندوة الرئيسة شهد المعرض نشاطات أخرى منها ندوة «كاتب وكتاب» ولقاءات مفتوحة مع ١٢ وزيراً وشيخ الأزهر وبطريرك النصارى، إضافة إلى المقهى الثقافي، والذي استضاف لقاءات مفتوحة وقراءات قصصية، ومخيم الإبداع الثقافي، وفيه عرضت نماذج من الفنون الإقليمية، وسوق عكاظ بلقاءاته الشعرية وقراءاته النقدية، علاوة على مخيم الإبداعات الجديدة في مجالات الشعر والقصة والرواية، والملتقى الفكري للشباب، ولقاءات متنوعة للجمهور مع مفكري مصر ومبدعيها في مجالات الفن والثقافة والرياضة وأكثر من ٣٠ شاعراً وأديباً عربياً. كما تضمن برنامج المعرض استضافة الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي ليصل عدد المشاركين إلى ٤٢٠ مفكراً وأديباً.

وشهد المعرض هذا العام مشاركة العراق كدولة وكناشر خاص، إضافة إلى مشاركة لناشرين سودانيين، ورفضت إدارة المعرض ككل عام الطلب الإسرائيلي للمشاركة.

هموم الفكر والوطن، تأليف د. حسن حنفي، صدر عن دار قباء للطباعة والنشر.

فلسطين

القاهرة تستضيف اجتماعات اتحاد الكُتّاب الفلسطينيين

قرر اتحاد الكُتّاب الفلسطينيين عقد مؤتمره العام السادس في وقت لاحق بمدينة القاهرة بدعوة من نظيره المصري.

وتجيء الدعوة في إطار جهود اتحاد الكُتّاب المصريين لرأب الصدع بين أفرع الاتحاد الفلسطيني، ومساعدة الاتحاد على ترتيب أوضاعه تمهيداً لمسعى يهدف إلى رفع التجميد عنه وعودة عضويته كاملة في اتحاد الكُتّاب العرب.

رحيل الشاعر سهيل سليم

توفي الشاعر الفلسطيني سهيل سليم عن عمر يناهز ستين عاماً إثر مرض عضال.

والراحل من مواليد حيفا ١٩٣٨م، وله عدد من الدواوين منها «اغتصاب»، و«من صدى النزيف».



الأردن

كتب جديدة

مراودة المستحيل: حوار مع الذات والآخرين، تأليف إدوار الخراط، صدر عن دار أزمنة في عمان.

العلاقات الأردنية الفلسطينية إلى أين؟ أربعة سيناريوهات للمستقبل، تأليف مصطفى حمارنة وآخرين، صدر عن مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية.

سورية

حماة تحتفي بالحموي

احتفلت حماة بمرور سبعمئة عام على وفاة ابنها العالم والطبيب العربي يحيى بن أبي الرجاء المعروف باسم صلاح الدين بن يوسف الكحال الحموي.

وأقيمت بهذه المناسبة ندوة علمية عن الحموي وأعماله والتي في مقدمتها كتابه الضخم «نور العيون وجامع الفنون» الذي نشره مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م بتحقيق محمد ظافر وفائي ،ومحمد رواس قلعه جي.

متحف للتاريخ الطبيعي في خان أسعد باشا

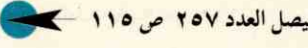
شكلت لجان متخصصة من أجل تحويل خان أسعد باشا الأثري في سوق البزورية بدمشق إلى متحف للتاريخ الطبيعي.

ينفذ المشروع بالتعاون بين وزارة الثقافة السورية وجامعة طوكيو اليابانية، ومن المقرر الانتهاء منه في نهاية القرن الميلادي الحالي.

يذكر أن الخان أنشأه أسعد باشا العظم عام ١٧٥٢م ـ ١١٦٦هـ وتبلغ مساحته ٢٥٠٠ متر مربع ويضم طابقاه ٨٤ غرفة ويلحق به إسطبل، ويتميز بقببه الثماني وجدرانه المبنية بالأحجار الكلسية البيضاء والبازلتية السوداء، وتتواصل حالياً أعمال ترميمه، والمتوقع أن تنتهي خلال العام الميلادي الحالي.

كتب جديدة

الصحافة السورية ورجالها، تأليف منذر



اختتام الملتقى الأول عن الشيخ محمد خير الدين

الجزائر ـ خاص:

اختتم في النصف الأول من شهر كانون أول/ ديسمبر ١٩٩٧م، فعاليات الملتقى الأول عن الشيخ محمد خير الدين الذي قامت بتنظيمه: جمعية محمد خير الدين الخيرية بمشاركة عدد كبير من الأساتذة الجامعيين والباحثين المهتمين بالجهود العلمية والإصلاحية التي قام بها الشيخ الراحل محمد خير الدين.

ومن أهم محاضرات هذا الملتقى:

محاضرة الشيخ علي المغربي رئيس المجلس الإسلامي الأعلى سابقًا بالجزائر، وتطرقت إلى تناول القيم الروحية والإصلاحية التي انتهجها الشيخ محمد خير الدين داخل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الذي حارب المعتقدات الفاسدة وقاوم البدع والخرافات التي ينكرها الإسلام.

ومحاضرة الأستاذ الهادي الحسني، التي تناولت محاولات الاستعمار الفرنسي تحطيم الشخصية الجزائرية، والقضاء على القاضي المسلم بتجريده من كل صلاحياته، ودور جمعية العلماء في مقاومة تلك المحاولات.

محاضرة الدكتور عبدالكريم حساني ـ وهو أحد تلامذة الشيخ محمد خير الدين ـ التي تناولت حياة الشيخ الراحل، وأهم المحطات في هذه الحياة العامرة بالكفاح والنضال من أجل ترسيخ عروبة الجزائر وانتمائها الإسلامي، وتطرق المحاضر إلى موقف الشيخ محمد خير الدين من الحركة الوطنية في الجزائر قبل ثورة التحرير، وإلى دوره الفاعل في تنمية الإحساس بالقضية الوطنية في تلك المرحلة العصيبة من تاريخ الجزائر.

وإلى جانب المحاضرات والأنشطة الأخرى التي قُدمت خلال هذا الملتقى اتفق الجميع على مواصلة تنظيم هذه التظاهرة الثقافية في موعدها من كل عام إحياءً لذكرى هذا الإمام الصالح.

الموصللي، صدر عن دار المختار في دمشق.

وحدي، مجموعة شعرية لمصطفى المهاجر، صدرت عن اتحاد الكتاب العرب.

آثار وأسرار، تأليف على القيّم، صدر عن دار البشائر.

ابن خلدون وعلم الاجتماع الحديث، تأليف فؤاد البعلي، صدر عن دار المعري.

نقد العقلانية العربية، تأليف إلياس مرقص، صدر عن دار الحصاد.

إنها فاطمة الزهراء، تأليف د. محمد عبده يماني، صدر عن دار المنار للنشر والتوزيع.

تطور الكتابات والنقوش على النقود العربية من الجاهلية إلى العصر الحديث، تأليف إلياس البيطار، صدر عن دار المجد.

لبنان

مؤتمر دولي حول حقوق الملكية الفكرية

تستضيف بيروت مؤتمرًا دوليًا حول حماية حقوق الملكية الفكرية خلال يومي ٢٢، ٢٣ من ذي القعدة الجاري (٢١ ـ ٢٢ آذار/ مارس ١٩٩٨م).

يشارك في تنظيم المؤتمر وزارة الاقتصاد والتجارة، والمنظمة العالمية للملكية الفكرية (ويبو)، ومجموعة «مجلة الاقتصاد والمال».

طبعة عربية من «لوموند ديبلوماتيك: العالم الديبلوماسي»

تبدأ دار النهار للنشر التي تصدر صحيفة «النهار» بدءًا من شهر ذي القعدة الجاري (آذار/ مارس ١٩٩٨م) في إصدار طبعة عربية من مجلة «لوموند ديبلوماتيك» الفرنسية الشهرية.

تصدر الطبعة العربية على شكل ملحق شهري يوزع مع جريدة «النهار»، ويتولى الإشراف عليها سمير قصير.

يذكر أن «لوموند ديبلوماتيك» تصدر حاليًا بخمس لغات إضافة إلى الفرنسية هي: الايطالية، والألمانية، والانجليزية، والإسبانية، واليونانية.

معرض الخريف

شارك ٥٧ فنانًا وفنانة من مختلف الأجيال في الدورة الحادية والعشرين لمعرض الخريف للفن التشكيلي الذي استضافه ـ مؤخرًا ـ متحف سرسق في بيروت.

ضم المعرض ما يزيد على مئة وثلاثين عملاً فنيًا منها أربعة وسبعون عملاً لمشتركين جدد.

ومن أبرز الفنانين المشاركين: عارف الريس، وكنعان حليم، ومحمد الرواس، وجمال معلوف.

كتب جديدة

حانة القرد المفكر، ديوان لسعدي يوسف.

ذكريات رضا الثامر، تأليف رضا الثامر.

صدر الكتابان السابقان عن دار النهار للنشر في بيروت

الوضع القانوني لمدينة القدس ومواطنيها العرب، تأليف أسامة حلبي، صدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

كلمن، تأليف أحمد بيضون، صدر عن دار الجديد.

أساطير من بلاد ما وراء النهرين، تأليف ستيفاني دالي، ترجمته إلى العربية نجوى نصر وصدر عن دار بيسان.

الحداثة والتراث، تأليف نديم نعيمة، صدر عن مؤسسة نوفل.

حكايات المؤسسة، رواية لجمال الغيطاني، صدرت عن مؤسسة الانتشار العربي.

حجر النعاس، مجموعة شعرية لسمير سعد مراد، صدرت عن دار المعجم العربي.



تونس

مجلة ثقافية جديدة

انضمت إلى ركب المجلات الثقافية المعرفية العربية مجلة جديدة تحمل اسم «رحاب المعرفة».

تصدر المجلة عن دار نشر تحمل الاسم ذاته، ويرأس تحريرها جعفر ماجد. وأوضحت افتتاحيتها طموح المجلة إلى أن تكون جسراً للتواصل الثقافي بين المثقفين والمبدعين في تونس وخارجها.

كتب جديدة

أنثى الماء، مجموعة شعرية لآمال موسى، صدرت عن دار سراس للنشر.

المغرب

جائزة الفاسي

تقرر أن يكون موضوع جائزة علال الفاسي لعام ١٩٩٩م «قضية الحرية في الفكر السياسي عند علال الفاسي».

تقدم الجائزة كل عامين مؤسسة علال الفاسي، ويدور موضوعها حول دراسة الأعمال الفكرية والأدبية التي كتبها المجاهد الراحل، أو القضايا التي اهتم بها. وهي مفتوحة للباحثين العرب والأجانب بإحدى اللغات الأربعة التالية: العربية، الفرنسية، الاسبانية، والإنجليزية، ويمكن أن يشترك مرشحان في بحث واحد.

ودعت هيئة الجائزة الراغبين في المشاركة أو الاستفسار إلى مخاطبتها على عنوانها التالي: ص.ب ٥١٧٥ ـ السويسي ـ الرباط ـ المغرب.

ملتقى للفنون التشكيلية والخط العربي

نظمت جامعة محمد الأول في وجدة الملتقى الجامعي الثاني للفنون التشكيلية والخط العربي في السادس والعشرين من شهر شوال الماضي.

شمل الملتقى الذي يختتم أعماله في غرة شهر ذي القعدة الجاري محاضرات ومائدة مستديرة حول الفنون التشكيلية، ومعملاً لفن الخط العربي، وآخر لفن الصباغة المائية، كما أنجزت جداريات في حرم الجامعة.

كتب جديدة

البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، تأليف سعيد يقطين، صدر عن المركز الثقافي العربي في الرباط.

دوائر من حنين، مجموعة قصصية لسعيد الكفراوي، صدرت عن دار توبقال للنشر بالدار البيضاء.

الحلم الأخضر مجموعة قصصية لمليكة نجيب، صدرت عن مطبعة الفردوس بالرباط.

سلا.. مدينة الألف سنة، تأليف مجموعة من كبار المفكرين بإشراف إسماعيل العلوي وإدريس المريني، صدر عن منشورات أيكلا.

الشكل القصصي في القصة المغربية، جـ٢، تأليف عبدالرحيم مودن، صدر عن منشورات عكاظ.

العرب وتحديات الهيمنة والعولمة، تأليف د. محمد عابد الجابري وآخرين، صدر عن المجلس القومي للثقافة العربية.

ساحل العاج

مؤتمر عالمي

عقد في مدينة أبيدجان عاصمة ساحل العاج ـ غرب إفريقية، مؤتمر عالمي بعنوان «الإسلام دين العدل والسلام والتضامن والتنمية» وذلك في المدة من ٢١ ـ ٢٣ شوال ١٤١٨هـ. وشارك في أعمال المؤتمر وزراء الشؤون الإسلامية ورؤساء المجالس والهيئات والمنظمات والمؤسسات والمراكز الإسلامية.

وقد افتتح المؤتمر فخامة رئيس جمهورية ساحل العاج الحاج هنري كونان بيدي. وتضمن جدول الأعمال ستة محاور رئيسة هي: «الإسلام دين الوسطية»، و«الإسلام وكرامة الإنسان»، و«الإسلام وتكامل الحضارات»، و«الإسلام والتنمية»، و«الإسلام والأسرة»، و«الإسلام والأمن البشري». ويعد هذا المؤتمر أول مؤتمر إسلامي كبير يعقد بمنطقة غرب إفريقية.

إيران

صحيفتان جديدتان

انضمت إلى ركب الصحافة الإيرانية صحيفتان جديدتان، أولاهما تمثل تيار اليمين المحافظ تحت اسم «فروا» أي الغد والثانية مستقلة باسم «جامعة» أي المجتمع.

أسس الصحيفة الأولى وزير العدل السابق أحمد توكلي، وهو عضو حالي في البرلمان، فيما أسس الصحيفة الثانية مجموعة من المستقلين.

الصين

اكتشاف ديناصور.. بأجنحة

عثر في منطقة لياونج بشمال الصين على بقايا ديناصور له أجنحة يرجع تاريخه إلى ما قبل ١٤٥ مليون سنة.

ويعود هذا النوع من الديناصورات الطائرة ـ كما يقول العلماء ـ إلى «التيرويود» وهي أسرة من الديناصورات آكلة اللحوم.

فرنسا

محاكمة القرن

أثارت محاكمة الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي بتهمة العداء للسامية في كتابه «الأساطير المؤسسة للسياسات الإسرائيلية» الذي صدر عام ١٩٩٥م ضجة واسعة وردود فعل متباينة، حتى لقد وصفها بعض الناس بأنها محاكمة القرن وردّة عن حرية الفكر في بلد يزعم رعايته لكل الحريات.

فبينما تجاهلت كبريات الصحف الأوروبية المحاكمة، وما تنطوي عليه من اعتداء على حرية الفكر التي يتشدق بها الغرب، التزم الفرنكفونيين المغاربة الصمت، وساد الشارع العربي والإسلامي شعور بالغضب، ووصف



المفكرون العرب والمسلمون هذه القضية بأنها شبيهة بمحاكمة الضابط الفرنسي درايفوس الذي اتهم ظلمًا وعوقب في محاكمة جائرة عام ١٨٩٤م، مما اضطر أديب فرنسا الكبير إميل زولا - آنذاك - إلى كتابة مقالة نشرها في صحيفة «لورور» بعنوان «إني أتهم».

ولاقى جارودي تأييدًا عربيًا وإسلاميًا واسعًا تمثل في عروض لسداد أي مبلغ غرامة يحكم بها عليه، واستنكار من المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة واتحاد الكتاب العرب، واتحاد الصحافيين العرب، وغيرها من المنظمات العربية والإقليمية.

وكان جارودي في ذلك الكتاب قد فضح أساليب الصهاينة في اختلاق أحداث مزورة بهدف تحقيق مكاسب، حيث وصف ما أشيع عن إبادة الزعيم الألماني النازي أدولف هتلر لستة ملايين يهودي خلال الحرب العالمية الثانية بأنها: «أسطورة» مما أثار عليه نقمة اللوبي الصهيوني في فرنسا.

معرض «مصر في باريس»

استضاف متحف لاجيون دونور التاريخي على ضفاف نهر السين في باريس - مؤخرًا - معرضًا كبيرًا بعنوان «مصر في باريس».

يضم المعرض بانوراما بالصوت والصورة والوثيقة لكل ما يرمز بشكل مباشر أو غير مباشر للحضارة المصرية عبر عشر صالات تؤرخ زمنيًا وموضوعيًا للوجود المصري في باريس، بدءًا من المسلّة الموجودة في ميدان الكونكورد، ومرورًا بهرم اللوفر، إلى ديكور القصور والمنازل وتماثيل الميادين وأسماء الشوارع التي من أصل مصري في العاصمة الفرنسية.

من ناحية ثانية تجرى حاليًا استعدادات لإقامة ندوة دولية عن «التأثر والتأثير المتبادل بين الثقافتين المصرية والفرنسية» خلال شهر تموز/ يوليو المقبل ١٩٩٨م بمشاركة عدد من الكتاب المصريين والفرنسيين.

الاحتفاء بالجواهري

يحتفي معهد العالم العربي في باريس بالتعاون مع المنتدى العراقي بالشاعر العربي الكبير الراحل محمد مهدي الجواهري في نهاية شهر ذي الحجة المقبل (أواخر نيسان/ أبريل ١٩٩٨م).

وأعد المعهد برنامجًا للاحتفال يستغرق يومين، ويتضمن أمسيات شعرية ونقدية، وقراءات لأشعارالراحل، ومسرحيات ومعرض تشكيلي عراقي وحلقة دراسية، ويشارك في تلك الفعاليات عدد كبير من الشعراء العرب، لا سيما العراقيين والدارسين والمتخصصين في الأدب العربي، والمهتمين بشعر الجواهري من عرب وعجم.

الفرنسيون تحولوا عن الكتب إلى التلفاز

كشفت دراسة علمية فرنسية أن الفرنسيين اتجهوا إلى مشاهدة التلفاز وتركوا القراءة، حيث تبين أن واحدًا من كل أربعة فرنسيين لم يقرأ أي كتاب خلال العام الماضي.

إلا أن الدراسة أشارت إلى أن ما نسبته عشرة في المئة من القراء الفرنسيين قرؤوا أكثر من خمسين كتابًا في العام المنصرم، وتضاعفت مبيعات الكتب العلمية ست مرات. فيما انخفضت مبيعات الروايات البوليسية بمقدار خمسة وعشرين في المئة.

معرض فني فرنسي - ألماني

اختتم في منتصف شهر شوال الماضي معرض «قرن من العلاقات الفرنسية - الألمانية» الذي استضافه متحف البتي باليه في باريس.

ضم المعرض مجموعة من أعمال فنية ما بين لوحات وأعمال نحتية ومؤلفات موسيقية وأعمال أدبية تؤرخ جميعها للعلاقات الوثيقة بين ألمانيا وفرنسا خلال الفترة بين عامي ١٧٨٩ - ١٨٨٩م

رحيل الفيلسوف كاستور باديس

نعت الأوساط الثقافية الفرنسية الفيلسوف وعالم الاجتماع اليوناني الأصل، الفرنسي الإقامة كورنيليوس كاستورياديس، الذي توفي في شهر رمضان الماضي إثر نوبة قلبية عن عمر يناهز ٧٥ عامًا.

وللراحل كتابات عديدة في مجالات الفلسفة وعلم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد، ومن أبرزها «التأسيس المتخيل للمجتمع» ١٩٧٥م و«منجز ويجدد إنجازه» ١٩٩٧م،

رسائل جامعية

«صورة مصر في الثقافة والتراث الإغريقي» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدم بها طارق مصطفى رضوان.

«دراسة تحليلية عزفية لمؤلفات البالاد عند فريدريك شوبان»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية الموسيقية بجامعة حلوان في مصر، تقدمت بها داليا ماهر.

«السرد في مقامات بديع الزمان الهمذاني»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب في بني سويف بمصر، تقدم بها أيمن إسماعيل بكر.

«عوامل تغير الأحكام في التشريع الإسلامي: تغير المآل وتغير القصد»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الأول في وجدة بالمغرب، تقدم بها إدريس بو شعراء.

«رؤية التاريخ عند جوستاف فلوبير»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، تقدمت بها غادة عمر.

«أثر برنامج لتنمية مهارات التفكير الإبداعي في تحسين مستوى الصحة النفسية لدى عينة من الطلاب الجامعيين»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة القاهرة، تقدم بها سعيد يونس أبو العيص.

«صورة الأندلس في الأدب المصري المعاصر»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة القاهرة، تقدم بها عبدالله عبدالحليم.

«أثر استخدام استراتيجية التعليم التعاوني في الاقتصاد المنزلي في تنمية بعض مهارات السلوك الاجتماعي»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية بجامعة حلوان بالقاهرة، تقدمت بها إيمان عبدالحكيم الصافوري.

«النشاط البحري التجاري البريطاني في مصر من ١٨٣٨ - ١٨٨٢م»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية البنات بجامعة عين شمس تقدم بها خلف الميري.



أحدث الكتب

الليالي الأخيرة في باريس، العيد، روايتان لفيليب سوبو، صدرتا عن دار نشر جاليمار في باريس.

حديقة النباتات، رواية لكلود سيمون، صدرت عن دار نشر مينوى.

الأساطير والطوباوية والتبشيرية في الخطاب السياسي العربي المعاصر، تأليف سمير بو زيد، صدر عن دار نشر هارتمان.

الصحافة والديموقراطية، تأليف جان كلوزال، صدر عن دار نشر إل. جي.دي جي.

ماريان والنبي، تأليف صهيب بن شيخ، صدرعن دار نشر جراسيه.

مباح لنا الأمل، تأليف فاسيلاف هافيل، صدر عن دار نشر المان ليفي.

روسيا

مؤتمر: الإسلام في روسيا: التقاليد والآفاق

اختتم ـ مؤخرًا ـ المؤتمر العلمي «الإسلام في روسيا: التقاليد والآفاق» الذي أقيم في المركز البرلماني في موسكو برعاية الحكومة والهيئات الإسلامية ومشاركة علماء وباحثين إسلاميين.

استمر المؤتمر يومين وتفرعت عنه عدة لجان ناقشت السياسة والقانون والإسلام في روسيا، والطوائف والعلاقات بين القوميات، والحوار بين الأديان في المجتمع الروسي.

يذكر أن المجتمع الروسي يضم ١٧٦ قومية ونحو ٥٠ طائفة دينية.

الكُتّاب الروس يحتفلون بمئوية توفيق الحكيم


توفيق الحكيم

احتفل اتحاد كُتّاب روسيا في الثلث الأخير من شهر رمضان المبارك الماضي بالذكرى المئوية لمولد الأديب المصري الراحل توفيق الحكيم.

وقدم رئيس قسم العلاقات الخارجيةلاتحاد أوليج بوفيكين بحثًا عن دور الحكيم في إغناء الحياة الأدبية والفكرية والفنية، وعرضت ترجمات مسرحيات الحكيم ورواياته على مسارح موسكو وبطرسبرج.

جائزة الكتاب الروسي لأناتولي أزولكسي

منح الروائي أناتولي أزولكسي جائزة الكتاب الروسي عن روايته «القفص».

وجائزة الكتاب الروسي تأسست عام ١٩٩٢م بهدف إشهار الأدب والمؤلفين الروس في البلدان الغربية حيث تبلغ قيمتها ١٢ ألفا وخمسمئة دولار. وتدعمها وترعاها مجموعة بوكر البريطانية.

بريطانيا

صحيفة عربية جديدة

بدأ العد التنازلي لصدور صحيفة يومية عربية جديدة في لندن باسم «الزمان» تصدر في وقت واحد في ثلاث عواصم غربية هي: لندن وفرانكفورت ونيويورك، وتطبع في إحدى العواصم العربية.

«الزمان» يقف وراء صدورها مجموعة من المستثمرين العرب، ويرأس تحريرها سعد البزاز، وسوف يكون صدورها ستة أيام في الأسبوع، بحيث تحتجب يوم الجمعة، وهي مسجلة كشركة بريطانية.

جائزة وايت برد لهيوز

منح شاعر البلاط البريطاني تيد هيوز جائزة «وايت برد» لأفضل كتاب أدبي صدر

«الروماتيزم والتأهيل»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة القاهرة، تقدم بها شريف المعداوي.

«ابن فركون شاعرًا»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها أحمد عبدالمغني حسن شرف.

«القصة المصرية عند يوسف جوهر»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية آداب قنا بجامعة جنوب الوادي في مصر، تقدمت بها إيمان محمد إلياس.

«رموز الشعر الأمازيغي وتأثرها بالإسلام»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط بالمغرب، تقدم بها عمر أمرير.

«موقف الصحف والمجلات القومية المصرية من الأطفال»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في معهد الدراسات العليا للطفولة بمصر، تقدمت بها سمية سعد الدين.

«تماثيل البرونز للآلهة في العصر اليوناني والروماني بمتحف القاهرة والوجه البحري»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في قسم الآثار بطنطا تقدم بها فتحي علي إبراهيم دبور.

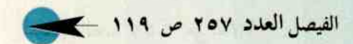
«التنافس الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا في خليج بنين»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في معهد الدراسات الإفريقية بالقاهرة، تقدم بها أحمد سيد نجم.

«يوميات الأديب الفرنسي أندريه جيد»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدمت بها أماني فؤاد.

«المسألة الليبية والسياسة المصرية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة تونس، تقدم بها إبراهيم أبو القاسم.

«تحليل السياق من المعنى لمرجريت داريل»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الألسن بجامعة عين شمس، تقدمت بها منال التاودي.

«دلالات الزمن في الفعل الفرنسي في رواية: مرحبًا أيها الحزن لفرانسواز ساجان»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بطنطا في مصر، تقدم بها طه رشدي.





عام ١٩٩٧م عن كتابه «قصص من أوفيد».

نال هيوز الجائزة بعد منافسة مع الروائية بولين مولفيل عن روايتها «حكاية فينيلو كويست» والروائي جراهام لوب عن السيرة الذاتية التي كتبها عن فيكتور هوجو.

يذكر أن هيوز شبه معتزل منذ سنوات، وأعلن عن عدم تمكنه من تسلم الجائزة نظرًا لمرضه وأناب عنه في تسلمها صديقه الإذاعي ميلفين براج.

معرض لرائد الانطباعية

يقام حاليًا في المتحف البريطاني القومي للفنون معرض بعنوان «فان دايك.. رائد الانطباعية».

يضم المعرض سبعين عملاً فنيًا لهذا الفنان الذي عاش في القرن الخامس عشر، وعُدّ من رواد الحركة الانطباعية، حيث استلهمت لوحاته عناصر الطبيعة الثرية في تناغم مع الحالة الوجدانية للفنان، وخصص جناح مستقل لعرض أعماله النحتية المعبرة عن الجانب الديني والعقدي.

معرض قصائد ولوحات معاصرة

نظمت مكتبة الشعر في لندن معرضًا فريدًا في نوعه بعنوان «قصائد ولوحات معاصرة».

أقيم المعرض في قاعة رويال فستيفال هول بمشاركة عدد من الرسامين والمصورين الفوتوغرافيين الذين استلهموا موضوعات لوحاتهم من قصائد لشعراء معاصرين.

وعقدت على هامش المعرض ندوة أسهم فيها ثمانية من الشعراء البريطانيين، تحدثوا خلالها من زوايا مختلفة عن القصائد واللوحات المستلهمة منها.

أحدث الكتب

التوظيف الكامل والنمو، تأليف جيمس توبين، صدر عن دار نشر ادوارد إيلجار.

المباني المدنية في مملكة القدس الصليبية، تأليف دينيس برينجل، صدر عن دار نشر جامعة كمبردج في لندن.

رسائل يوم الميلاد، مجموعة شعرية لتيد هيوز، صدرت عن دار فيبر أند فيبر.

أسرار العشق المبدع في كتابات محمد إقبال، تأليف آن ماري شيمل، صدر عن مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

بلاد فارس القديمة، تأليف جوزيف ويسيهوفر.

صناعة الخزف والحضارة الإسلامية، تأليف جيزا فيهر فاري.

الفاطميون، تأليف هاينر هالم.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن دار نشر أي. بي. توريز

نصوص: أفكار في الأدب والمسرح والسياسة لم تنشر من قبل، تأليف عارف علوان، صدر عن دار النبوغ في لندن.



الولايات المتحدة

جائزة الكتاب القومي

منح الروائي شارلز فرايزر جائزة الكتاب القومي في مجال الرواية لعام ١٩٩٧م عن روايته «الجبال الباردة».

وفاز أستاذ علم التاريخ بجامعة ماساتشوستس جوزيف أليس بجائزة المؤلفات التاريخية عن كتابه «أبو الهول الأمريكي: توماس جيفرسون».

أحدث الكتب

الاتصالات وتكنولوجيا الإعلام، تأليف جيرالد سوسمان، صدر عن دار نشر تاوسند أوكس.

العالم السفلي، تأليف دون دي ميلو، صدرت عن دار نشر بيكادور.

إسبانيا

عام لوركا

افتتح العاهل الإسباني خوان كارلوس وقرينته - مؤخرًا - عام الاحتفال بشاعر إسبانيا الكبير لوركا الذي يعقد تحت شعار «١٩٩٨م سنة فدريكو جارثيا لوركا».

تشمل الاحتفالات تنظيم معارض ومحاضرات وندوات وأمسيات في العديد من المدن الإسبانية فضلاً عن عروض سينمائية ومسرحية ومعارض خاصة، منها معرض مخلفات لوركا تحت عنوان: «إشارات صداقة: مجموعة فدريكو جارثيا لوركا»، كما يتم طبع الأعمال الكاملة للوركا.

يذكر أن لوركا غادر مدريد عام ١٩٣٦م إلى موطنه في غرناطة حيث أعدم في ١٩ آب/ أغسطس من العام نفسه.

ألمانيا

احتفال بمئوية بريخت وجدل حول موهبته

احتفلت الأوساط الثقافية الألمانية والأوربية في منتصف شهر شوال المنصرم (شباط/ فبراير ١٩٩٨م) بالذكرى المئوية لمولد الكاتب المسرحي الألماني برتولد بريخت.

شهدت الاحتفالات جدلاً واسعًا بين أنصار بريخت وخصومه الذين روجوا شائعات عن سرقاته الأدبية، نافين عنه صفتي الموهبة، والعبقرية، ورادين مؤلفاته إلى أسماء أخرى قالوا: إنهم كتبوها ونسبها بريخت إلى نفسه. مما أثار محبي الكاتب الراحل فانبروا للدفاع عن تراثه.

جائزة تشجيعية لكاتب مغربي

منح الكاتب المغربي عبداللطيف بلفلاح الجائزة التشجيعية للأكاديمية البافارية للفنون والآداب في ميونيخ.

وتمنح هذه الجائزة سنويًا لأحد الأدباء أو الكُتّاب الأجانب الذين يكتبون باللغة الألمانية.

أحدث الكتب

بضعة أشياء، ديوان لبسام مجّار، صدر عن منشورات الجمل في كولونيا.

أطلس اللغات واللهجات العربية الموجودة في سورية، إعداد بيتربنشتيد، صدر في جزأين عن دار هرا سوفيتش.

قصة قصيرة



الكيس الآخر

علي محمد محاسنة

جرت هذه الواقعة منذ أمد بعيد في قريتنا الصغيرة بأزقتها الضيقة المظلمة التي تقفر من المارة بعد صلاة العشاء.. إلا في ليالي الصيف المقمرة.

كنت صاحب الدكان الوحيد في القرية وقد أنعم الله عليَّ بيسر الحال ومحبة أهل قريتي.. وقبل أن نذهب بعيداً أريد أن أذكر جميلهم الذي طَوَّق عنقي منذ تلك الأيام فهم مَنْ أضاف إلى اسمي كلمة «الخير» والكثير من الناس لا يعرف ذلك معتقداً أن اسمي المسجل في القيود هو (رجب الخير).. فقد أكرموني بهذا من بين أبناء القرية ممن لهم اسم رجب.. وهم كثير.

.. أما حكايتي هذه.. فقد وقعت ذات ليلة باردة جافة في أواخر الخريف.. ومازالت أحس حرارة أحداثها كأنما جرت منذ ساعات.. أقفلت دكاني مبكرًا تلك الليلة، فلم تكن هناك حركة تذكر، وحملت إلى البيت بعض حلوى «الهرايس» والحلاوة الطحينية، وهذه كانت أشهى الحلوى وأثمنها، ولا يطالها إلا الميسورون، ومثل تلك الليلة كانت مناسبتها.

حول المدفأة الهادرة بنار حطب السنديان واللزاب تنبعث منها رائحة الصنوبر الزكية دارت صحون الحلوى.. وبدأ دور القهوة والأحاديث العائلية الدافئة.. بينما راح صفير الرياح في الخارج يشتد بما ينبئ بقدوم عاصفة.. واهتزت الأبواب تذكرنا بنعمة الدفء والأمان.

فجأة انفتح بعنف باب نافذة جانبية مواجهة للغرب كأنما ضربته يد جبارة.. واندفع الهواء واضطرب فانوس الكاز حتى كاد ينطفئ وتطايرت الأشياء الخفيفة من حولنا. لكننا سريعاً أصلحنا الوضع وتحلقنا من جديد حول المدفأة. ومع تلك الجلبة استيقظت (ليلى) صغيرتي المدللة من منامها وجاءت تستطلع الأمر.. طاب لها المجلس وشرعت عيناها السوداوان تتفحصان الصحون الفارغة والبقايا الشاهدة على ما كان قبيل استيقاظها.. لاحظ الآخرون ذلك وضحكنا.. وضحكت ليلى وهي تنظر في وجوهنا ببراءة صغار القطط.. ومعنى ذلك أن عليَّ الذهاب في هذه العاصفة إلى الدكان.. وأمام ليلى هذه لا أملك الخيار فهي أعز بكثير من ركضة تحت العاصفة.. تلثمت بشماغي.. ووثقته بالعقال جيداً وخرجت..

في الدكان.. قررت أن أكثر من الهرايس والحلاوة احتياطًا حتى لا أضطر للعودة ثانية...

على باب الدكان وأنا أقفله.. الريح الشديدة تنازعني مصراع الباب العريض حتى إنه أفلت من يدي ذات مرة وارتطم بالجدار.. وبيدي الكيس الممتلئ بالحلوى.. تذكرت نافذة بيتي وقسوة الريح والبرد.. اهتزت جوانحي وحمدت الله من الأعماق.. ووجدت يدي تنزع القفل ثانية من الحلقة.. وأعود إلى داخل الدكان أتحسس بيدي باحثًا عن علبة الكبريت في الظلمة لأشعل المصباح من جديد.. أخيرًا وجدتها.. أخذت كيسًا ثانيًا.. ملأته من الهرايس الشامية ومضيت.. ولكن إلى الحارة القبلية.. حيث بيت «عبدالرحيم أبو المكارم» رفيق طفولتي في كُتّاب الشيخ «أبو الفضل».. وكان شهمًا رقيق الحال..

في الطريق المعتم لمحت هيئة إنسان يسبقني على بعد قليل في الاتجاه ذاته يحمل على ظهره شيئًا كبيرًا ينوء بثقله وكان هذا مشهداً مألوفًا في القرية.

رحت أتباطأ فلم أرد أن يعرفني أحد في مسعاي ذاك.. وبدا لي كذلك أن الشبح قد زاد من سرعة انطلاقه كأنما أراد مثل ما أردت.. لكنه يمضي في ذات الاتجاه الذي أقصده، وتباطأت أكثر.. وأسرع هو.. اقترب من باب عبدالرحيم.. وهنا كان لابد لي أن أتوارى حتى لا يراني ذلك المجهول أو من يفتح له الباب.. اختبأت خلف جدار مهجور على المنعطف المجاور وجلست القرفصاء انتظر ريثما ينصرف هذا أو ينتهي من شأنه.. قلت لنفسي.. سأدع كيس أولادي هنا.. خلف الجدار.. وأعود لأخذه بعد أن أنتهي من مهمتي مع عبدالرحيم فليس من اللائق أن أقابله وبيدي كيسان فأقدم واحداً وأرجع بالآخر.

الليل وصفير الريح.. وصوت الباب ينفتح وزفرة ارتياح قوية من ذلك الطارق وهو يضع عن ظهره ما حمل.. عرفت صوت عبدالرحيم يرحب كعادته قبل أن يعرف الطارق.. وصوتًا يطرح السلام «هذا بعض ما لكم عند عبدالله» وصوت عبدالرحيم «ولكن من أنت..؟ ما.. ومن عبدالله؟؟». وبعدها خطوات انصراف ذلك الطارق مسرعًا.. ولم أعرف وإلى الآن من كان عبدالله ذاك.

عندها.. أطرقت واستغرقت وأنا أسمع عبدالرحيم يتمتم لنفسه وهو ينوء بإدخال الكيس الكبير.. وجلبة الصغار.. «كيس ثان فيه.. حلاوة.. و«تغيب الأصوات وراء طرقة باب يغلق.. انتظرت قليلاً خلف الجدار إلى أن ابتعد المجهول.. أحسستُ بصغر ما حملت إزاء ما كان يحمله.. قررت أن أحكم اللثام فلا يتعرف عليَّ عبدالرحيم.. نهضت والريح مازالت تُعْوِل بإصرار.. أحمل بيدي الاثنتين كيسا كبيراً فيه الحلاوة والهرايس.. وآخر فيه الهرايس فقط إلى الباب..

طرقته.. جاء من الداخل صوت عبدالرحيم.. (مرحبًا.. لحظة من فضلك..) انفتح الباب.. (حياك الله.. هلا)... ألقيت التحية مقتضبة من وراء لثامي وسريعًا وضعت الكيسين معًا على الأرض عند قدميه.. شدني من يميني بقوة ولم يدع لي فرصة الانصراف فوراً وأنا لا أريد أن أتحدث.. ولا أن يعرف من أنا.. أحسست أن يدي كانت في يد كائن عظيم ذي مهابة.. انتزعت يدي بصعوبة من قبضته وانطلقت مسرعًا كالطريد الخائف. وأشياء حارة تجيش في صدري.. وأصوات صغيرة فرحة كصوت ليلى.. «وهذا العم عبدالله.. يعني حلاوة كثيرة وهرايس..»

مضيت وعلى وجنتي دحرجة صغيرة كنت أحس سخونتها رغم برودة الريح تلك الليلة.. إلى الدكان.. مرة أخرى.

قالها الشيخ الرقيق أبو صالح وهو يمسح جفنيه بأطراف أنامله وقد تراصت على جبينه المشرق خطوط وقورة يتوجها أثر السجود.


الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن «مؤسسة الجزيرة» للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب:٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف: ٤٠٢٥٥٥٥ ..تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.





الوتر الحزين

عزف الشاعر الفلسطيني أحمد القدومي على وتره الحزين أشجى الألحان الممزوجة بالحنين إلى الوطن. فقد ضمّ ديوانه بين دفتيه سبع عشرة قصيدة كلها منظومة على بحور الشعر العربية الأصيلة ما عدا قصيدتين نظمهما على شعر التفعيلة. وبين القصائد مجموعتان الأولى رباعيات، والثانية سباعيات.

وأبرز موضوع يترقرق في ثنايا الأبيات والقصائد حديثه الطويل عن آلامه وأشجانه وأحزانه وبؤسه وشقائه وشؤمه وكمده وشجنه وشجاه بسبب بعده عن وطنه وأرضه وبلده فلسطين، وتشرده وحرمانه من أرضه التي درج عليها في طفولته وصباه وشبابه، وتحنانه الدائم للقدس عروس الدنيا ومسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ونلمح كذلك حديثًا عن آهاته وحسراته وزفراته.

يبدو لنا في بعض القصائد صوتٌ مدوٍّ بالحب والفخر بالرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الأشاوس، وشعور بالعزة والعظمة بتاريخ المسلمين وجهادهم وفتوحاتهم وأمجادهم العظيمة، وصوت آخر من الفخر بأطفال الحجارة الأبطال الذين زلزلوا الأرض تحت أقدام الصهاينة الغزاة، وبثورة الشعب العارمة وغضبه الثائر، وإيمانه بالحق السليب.

ولون آخر يبرز في بعض القصائد وهو حديثه الشجي عن حبه لوطنه، وأن حياته وقف على هذا الوطن، وذكرياته عن الماضي، ولذاذة النجوى وسحر الأيام وضحكها. وعن السمّار والأشعار والأزجال التي كانت تروى في الليالي الحلوة. ونراه يصمم على العودة إلى الوطن بقوله: سأعود إلى هاتيك الربا، وأحيانًا يسأل: متى يعود المسافر المهاجر الطُّريد، وقلبه متقد بالشجون التي تكاد تقتله؟ ويتحدث عن حبه للجبال والسفوح التي يذرف عليها دماء من الدموع.

ونرى حينا لونًا رقيقًا من حب حزين يشيع في بعض الأبيات، فيصف عيون محبوبته النجلاء وجمالها الساحر سحر النسيم، ويقرر التزامه حبها: إني أحبك دائمًا.

وفي قصيدة من القصائد تحدث عن مولد سندبادة عمره لعلها ابنته، وفي أخرى طرح بعض الأسئلة الفلسفية عن وجوده، وختمها بالحديث عن بؤسه وشقائه.

هذه أهم الأغراض التي تترقرق في ثنايا هذه القصائد الشعرية.

ويقع هذا الديوان في مئة صفحة من القطع الصغير، وصدر عن دار الفكر العربي في القاهرة بطبعته الأولى عام ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

البحر والضفاف

يضمُّ هذا الديوان للشاعر يوسف بن عبداللطيف أبو سعد من الأحساء مجموعة كبيرة من القصائد التي يتميز معظمها، إن لم نقل كلها، بالطول الشديد، والتي بدا صاحبها طويل النفس جدًا مما يدل على سعة معجمه اللغوي ومقدرته على توليد المعاني.

ومن خلال استعراضنا لهذا الديوان بدت لنا قصائد المناسبات، ولاسيما القصائد التي رد فيها على الشعراء الذين ألقوا بعض القصائد بمناسبة تكريمه من قبل نادي المنطقة الشرقية الأدبي في الأحساء، وقد غمرته الفرحة والابتهاج بهذه المناسبة التي كانت كأنما هي عرس للأدب والأدباء، وكانت غالبة وطاغية على أكبر مساحة في الديوان. وبدت كذلك حية نابضة بالمشاعر والأفكار ممزوجة بتجربة الشاعر الكبيرة في الحياة بعيدة عن المعنى الباهت لشعر المناسبات.

وتطالعنا أيضًا بعض القصائد التي تحمل بين ثناياها عواطف الأبوة الرقيقة تجاه الأبناء والأحفاد، فقد وصف لنا الطفولة بكل ألقها وروحها المرحة من خلال ابتسامات حفيداته وتصرفاتهن، مما يشيع في النفوس الفرح والسرور، ويطرد الحزن والسآمة.

ونلمح صوتًا آخر في الديوان يزمجر عاليًا كقصف الرعد ودوي القنابل، وبخاصة عندما يتحدث عن فلسطين الجريح أو القدس الأسيرة أو سرايفو المظلومة.

وفي الديوان قصيدة رثى فيها والدته بدا عليها الحزن العميق والأسى القاتل والألم الممض.

وأما بقية قصائد الشاعر فإنها تصور لنا تجربته الشعرية وما تحمل من هموم وآمال وثقافة وأفكار وعقيدة ودين ورؤية إلى ما يحدث في الحياة، والتزام عميق بالإسلام الحنيف ومبادئه، فنراه يلوم المسلمين لابتعادهم عن كتاب الله الذي فيه عزهم ونصرهم ورفعتهم ومجدهم، ويطالبهم بالتمسك بأهداب الدين والابتعاد عن الثقافات الوافدة الفاسدة التي تحارب الدين ظاهرًا أو باطنًا، والصوت الإسلامي واضح في هذا الديوان.

وفي الديوان ظاهرة تستحق التوقف، وهي أن قصائده أكثرها منظومة على البحور الشعرية العربية الأصيلة، ومزج في بعضها القليل بين الشعر العمودي وشعر التفعيلة، وختم الديوان بقصيدة نبطية.

يقع الديوان في ٣١١ صفحة من القطع المتوسط وصدر بطبعته الأولى عن مطابع الابتكار في الدمام.

صور من سور القرآن الكريم

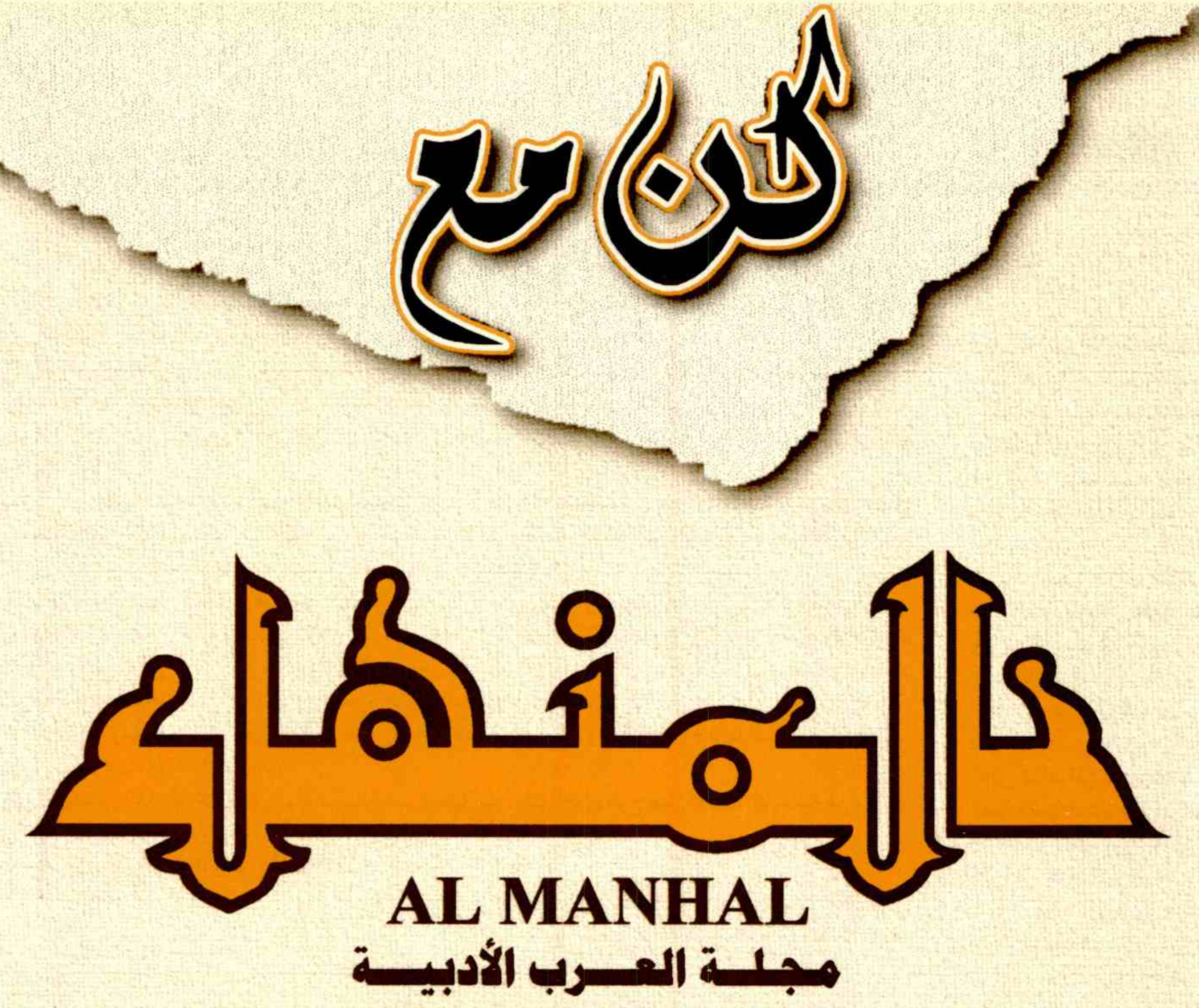
محاولة لإبراز الآيات القرآنية ذات الصور الناطقة بذاتها، وبيان جمالها، فقد قام عبدالكريم الحمصي باختيار عدد من الآيات «ذات الميزة الخاصة بجمال اللقطة الفنية، والغنية عن أدوات التشبيه».

فبعد أن يأتي مؤلف الكتاب بالآية، يقوم بالتعليق عليها، ثم يأتي بشاهد شعري أو نثري من نظمه وتأليفه، مستفيدًا من روح الآية. ولا يدرج المؤلف ضمن تناوله آيات من مثل «يوم يكون الناس كالفراش المبثوث» لأن الصورة فيها قائمة على أدوات التشبيه، والآيات من هذا النوع كثيرة في القرآن الكريم.

وأما الآيات التي يدور حولها بحث المؤلف فمن مثل: «فأذاقَهُم لباسَ الجوع والخوف»، «ما يأكلونَ في بطونِهم إلا النار»، «والصبح إذا تنفّس»، «ويسبّح الرعد بحمده»، «ضاقت عليهم الأرضُ بما رَحُبَت». وهكذا جمع المؤلف نحوًا من ١٦٥ آية من ٧٠ سورة، وناقش الصور الجمالية فيها، وقوة بلاغتها. وقام في كثير من الأحيان بتفتيق المعنى للمساعدة على فهم الصورة والوصول إلى روحها.

ويؤكد المؤلف أن ما قام به في هذا الكتاب «هو عمل أدبي محض، وليس تأويلاً أو تفسيراً للقرآن الكريم أو بعض الآيات».

الكتاب يقع في ٢٠٨ صفحات من القطع المتوسط، وقد صدر عن دار الفكر في دمشق.



تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣

طليعة الصفوة المثقفة

واحرص على اقتنائها

قضايا الحياة الثقافية يتناولها أعلام الفكر والأدب
فتش عن الثمين واحرص على اقتنائه
نحن نضع العالم بين يديك
أكثر من ٦٠ عاما في خدمة الأدب العربي من المحيط الى الخليج

مسابقة مجلة الفيصل

1- جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ- ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (500 ريال، 350 ريالا، 150ريالا).

ب- خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا).

ج- عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا).

د- خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

2- ترسل الإجابات على العنوان التالي في مدة أقصاها 60 يومًا:

مسابقة مجلة «الفيصل» ص ب (3) الرياض (11411) المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

أجوبة مسابقة العدد ٢٥٤

ج١: شروط وجوب القصاص (على سبيل الاختصار):
- أن يكون المقتول معصوم الدم.
- أن يكون القاتل بالغًا وعاقلاً.
- أن يكون القاتل مختاراً، فإن الإكراه يسلبه الإرادة.
- ألاّ يكون القاتل أصلاً للمقتول؛ فلا يُقتص من والد بقتل ولده، وولد ولده وإن سفل.
- أن يكون المقتول مكافئًا للقاتل حال جنايته، بأن يساويه في الدين والحرية.
- ألاّ يشارك القاتل غيره في القتل ممن لا يجب عليه القصاص.

ولهذه الشروط تفصيل واسع في كتب الفقه؛ فليراجعها من أراد ذلك. وفّق الله عز وجل المسلمين إلى الفقه في دينه، والعمل بشريعته.

ج٢: هو محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي (١٢٩٣-١٣٧٧هـ =١٨٧٦-١٩٥٨م): عالم إسلامي وأديب باحث، يقول الشعر. ولد في نفطة (من الجنوب التونسي)، وانتقل إلى تونس مع أبيه عام ١٣٠٦هـ، وتخرج بجامع الزيتونة، ودرّس فيه. أنشأ مجلة «السعادة العظمى» ١٣٢١-١٣٢٣هـ، وولي قضاء بنزرت ١٣٢٣هـ، ثم استعفى وعاد إلى التدريس بالزيتونة ١٣٢٤هـ، وعمل في لجنة تنظيم المكتبتين العبدلية والزيتونة. زار الجزائر ثلاث مرات، ويقال: أصله منها. ثم رحل إلى دمشق ١٣٣٠هـ، ومنها إلى الآستانة، ثم عاد إلى تونس ١٣٣١هـ؛ فكان من أعضاء «لجنة التاريخ التونسي». انتقل إلى المشرق، واستقر في دمشق مدرسًا في المدرسة السلطانية قبل الحرب العالمية الأولى. وانتدبته الحكومة العثمانية في خلال تلك الحرب للسفر إلى برلين، مع الشيخ عبدالعزيز جاويش وآخرين، فنشر بعد عودته إلى دمشق سلسلة من أخبار رحلته، في جريدة «المقتبس» الدمشقية.

ولما احتل الفرنسيون سورية انتقل إلى القاهرة (١٩٢٢م)، وعمل مصححًا في دار الكتب المصرية خمس سنوات. وتقدم لامتحان «العالمية» الأزهرية، فنال شهادتها. درّس في الأزهر، وأنشأ جمعية الهداية الإسلامية، وتولى رئاستها وتحرير مجلتها؛ كما ترأس تحرير مجلة «نور الإسلام» الأزهرية، ومجلة «لواء الإسلام». كان من أعضاء هيئة كبار العلماء، ومن أعضاء مجمعي دمشق والقاهرة. تولى مشيخة الأزهر أواخر ١٣٧١هـ، واستقال ١٣٧٣هـ. كان عالمًا فذًا، هادئ الطبع وقوراً. وقف في وجه الاستعمار والتغريب، وانتُخب رئيسًا لجبهة الدفاع عن شمال إفريقية، في مصر. من مؤلفاته: حياة اللغة العربية، الخيال في الشعر العربي، مناهج الشرف، الدعوة إلى الإصلاح، طائفة القاديانية، مدارك الشريعة الإسلامية، الحرية في الإسلام، نقض كتاب في الشعر الجاهلي، نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم، بلاغة القرآن، محمد رسول الله، تونس وجامع الزيتونة؛ إلى جانب ديوان شعره: خواطر الحياة.

نتائج مسابقة العدد ٢٥٤

أ- فازت بالجائزة المالية الأولى، وقيمتها ٥٠٠ ريال سعودي، مفيدة بنت صالح بوعبيد، الزهراء، تونس.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقيمتها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، داود يحيى أتيم أبوه، الخرطوم، السودان.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقيمتها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، عدنان أحمد أحمد الربع، صنعاء، اليمن.

ب- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١- هدى بنت دليجان الدليجان، الأحساء، المملكة العربية السعودية.
٢- أتينال أبو طالب السيد علي، الغربية، مصر.
٣- مهدي أنيس محمد السيلاوي، عمّان، الأردن.
٤- جلال عبدالأكرم السقا، دمشق، سورية.
٥- مبارك كرزابي بن أبيه، زاكورة، المغرب.

ج- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١- خيرة بياز بنت الميسوم، الجلفة، الجزائر.
٢- إسماعيل حامد إبراهيم، المحرق، البحرين.
٣- محمد إياز علي أحمد الدينوري، بشاور، الباكستان.
٤- محمد عبدالله ترفالور، الدوحة، قطر.
٥- أحمد رامي علي القطان، الرميثية، الكويت.
٦- محمد أحمد بكر محمد فقيه، خميس مشيط، المملكة العربية السعودية.
٧- عماد إسحق سليم الحيح، الرصيفة، الأردن.
٨- بلقيس بنت عبدالله بن البشير بالكحيح، آسفي، المغرب.
٩- عبدالرحمن أحمد محمد الدميني، القليوبية، مصر.
١٠- هشام بن حسن بن محمود سعيد، سوسة، تونس.

د- كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

١- عائشة محمد عبدالرحمن، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.
٢- أحمد عبود محمد العامودي، الدمام، المملكة العربية السعودية.
٣- الهاني ثعلوب، ولاية ميلة، الجزائر.
٤- فخرالدين فضل الله عباس، الخرطوم، السودان.
٥- سوسن محمود العلبي، دمشق، سورية.

أسئلة مسابقة العدد ٢٥٧

(سؤالان فقط)

س١: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تزيد في حسنات المسلم وتمحو من سيئاته. اذكر ثلاثة أحاديث في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

س٢: عالم لبناني معاصر، ولع بالكهرباء والفيزياء والرياضيات، وكثرت اختراعاته؛ حتى قيل إنه سائر في طريق «إديسون». من هو؟

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد ٢٥٧
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال

ليس عليك نَسْجُهُ فاسْحَبْ وجُرّ

- يضرب هذا المثل لمن لا يتعب في شيء فلا يبالي به، ولا يهمه أن يلحقه الضرر.

فقد لا يهتم المرء بما لا يضنى فيه ويتعب، كمثل امرئ لبس ثوبًا تعب في نسجه فحينذاك يهتم به ويحافظ عليه ولا يدعه يلامس الأرض حتى لا يضره جره فوقها، أما إذا أتاه ذلك الثوب دون عناء سحبه وجره دون أن يرى في ذلك ما يؤذي لأنه شيء لم يتعب فيه.

أخطب.. وأبلغ!!

يروى عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه - أنه قال لصُحار العبديّ (ت نحو: ٤٠هـ) يومًا:

- أأنتم أخطب العرب حقًا؟!

فقال صُحار: إن ذلك ليقال!

قال معاوية: فما الخطيب فيكم إذن؟

فقال: من رد بقليل الجواب على كثير النطق!

فقال معاوية: وما عن البلاغة فيكم؟

قال: كلام يعتلج في قلوبنا فنقذفه كما يقذف البحر الموج!

فقال معاوية: وما البلاغة إذن؟

قال صُحار: البلاغة يا أمير المؤمنين أن تسرع فلا تبطئ، وأن تقول فلا تخطئ!

ثلاثة وجدوا ولم يولدوا

يسأل بعض الناس عن ثلاثة أشياء لم تولد في رحم، بل خلقت في حينها، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم كمعجزات، هذه الأشياء هي:

*** ناقة صالح عليه السلام، فقد طلب إليه قومه أن يأتي بآية تدلّ على أنه نبي، فعينوا له صخرة صماء، وطلبوا أن يخرج لهم منها ناقة عُشَرَاء تمخض، فأجاب الله تعالى طلبهم بشرط أن يؤمنوا ويتبعوا الرسول، لكنهم عصوه وذبحوها.**

حية موسى عليه السلام التي انقلبت من العصا فابتلعت حبال السحرة وعصيهم.

كبش إبراهيم عليه السلام الذي أنزله الله تعالى من السماء، وافتدى به إسماعيل عليه السلام.

من وصايا لقمان

يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنورالحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء.. يا بني إذا أتيت مجلس قوم فارْمهم بالسلام، ثم اجلس فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا، وإن أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم.

أربع خلال

سئل «روكفلر» أغنى أغنياء العالم يومًا: كيف توصلت إلى اقتناء الثروة الطائلة؟

فأجاب الملياردير الكبير بأربع خلال لا غنى عنها لمن يرغب في ادخار المال وتوسيع الثروة وهي:

ألا يشتري من الأشياء إلا ما كان ضروريًا له.

أن يدخر بعض ما يربحه.

أن يكون أمينًا دقيقًا في عمله.

أن يقلع عن العادات السيئة نهائيًا.

أسماء ومعان

- جلبان: جراب من الجلد يوضع فيه السيف مغمورًا، وعشب موسمي يؤكل وتؤكل بذوره.

- جلّنار من الفارسية «كلنار» من مقطعين «كل» وردة، و«نار» شجر الرمان ومعناها: ورد شجر الرمان، وزهرة الرمان.

جماز: الوثاب السريع العدو.

- جمالة: مؤنث جمال، والمجموعة من النوق لا جمل فيها.

- جمدار: من الفارسية «جامعة دار» حارس الملابس، وتاريخيًا: موظف يشرف على ملابس السلطان.

- جمعان: فعلان من جمع.

- جملاء: الجميلة المليحة الحسناء.

- جمة: الكثير من الشيء، واسم منطقة شمال عمان.

عالم.. وجاهل

يروى أن رجلاً ذهب إلى العالم الكبير الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) قاصدًا سؤاله عن مسألة وإحراجه، فجعل الخليل يفكر ويفكر فطال تفكيره وأبطأ في الجواب، عن عمد، فأعجب الرجل بنفسه وقال للخليل متفاخرًا متباهيًا:

- لمَ تكثر التأمل فليس في هذه المسألة من الصعوبة ما يستدعي النظر! فرد عليه الخليل في تؤدة: - قد عرفت مسألتك وجوابها لأول وهلة، وإنما أفكر في جواب أسرع لفهمك فأتعبت نفسي بما قصدت راحتك به!

أفضل الناس

في أحد مجالس الشورى التي يعقدها الخليفة عبدالملك بن مروان قيل له يومًا:

- من هو أفضل الناس يا أمير المؤمنين؟ فقال الخليفة العادل: أفضل الناس عندي من تواضع عن رفعة، وعفا عن قدرة، وأنصف عن قوة.

اكتشف نفسه ٣ مرات

قال الجنرال ديجول أعظم قادة فرنسا وساستها في القرن العشرين:

إن الرجل الذي يتميز بخلق عظيم يجد جاذبية خاصة في المتاعب التي تصادفه، لأنه وسط هذه المتاعب - دون غيرها - يكتشف الرجل، ولأول مرة، قدراته وإمكاناته، أنا شخصيًا اكتشفت نفسي ثلاث مرات: عندما قُدْتُ المقاومة ضد قوات النازي في بلادي، وعندما

استراحة العدد

قاومت جنرالات فرنسا المتمردين في الجزائر، وأخيراً وأنا أقف متحديًا الوجود الأمريكي في أوربا.

الكرم العربي

دخل أحد الشعراء على خالد بن يزيد الأموي، فاستأذنه في قول الشعر فأذن له فقال:

فقل للندى والجود: حُرَّان أنتما؟
فقالاَ يقينًا إنّنا لعبيد...
فقلت ومن مولاكما فتقاولا...
عليٌ وقالا خالد ويزيد

فقال يا غلام، قم فأعطه مئة ألف درهم
وقل له: إن زدتنا زدناك، فأخذهما وأنشد يقول:

هو البحر من أي النواحي أتيته
فلجته المعروف والجود ساحله
جواد سبيط الكف حتى لو انه
ثناها لقبضٍ لم تطعه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير روحه
لجاد بها فليتق الله سائله!

فقال يا غلام: قم فأعطه مئة ألف درهم وقل له:
إن زدتنا زدناك، فأخذها وأنشد يقول:

ساحة المصمك التي تحيط بحصن المصمك بمدينة الرياض وقد هيئت لإقامة أنشطة الفنون الشعبية والتراثية

تبرمت لي بالجود حتى نعشتني
وأعطيتني حتى حسبتك تلعب
وأنبتَّ ريشًا في الجناحين بعدما
تساقط مني الريش أو كاد يذهب
فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى
حليف الندى ما للندى عنك مذهب

فطرب ابن يزيد وصاح: يا غلام، قم فأعطه مئة ألف درهم وقل له إن زدتنا زدناك.

وعندئذ قال الشاعر القنوع:

ـ لا لا حسب أمير المؤمنين ما سمع، وحسبي ما أخذت... ويكفي أن أقول: إنك رب الجود والكرم.

القراءة حياة ثانية

يقول المفكر المصري الراحل عباس العقاد عن هوايته في القراءة: إنما أهوى القراءة لأن عندي حياة واحدة في هذه الدنيا، وحياة واحدة لا تكفي، ولا تحرك ما في ضميري من بواعث الحركة..

والقراءة دون غيرها هي التي تعطيني أكثر من حياة واحدة في مدى عمر الإنسان الواحد، لأنها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق، وإن كانت لا تطيلها بمقادير الحساب.

أصل تسمية الشهور الهجرية

المحرم: سمي بذلك لأن القتال محرم فيه.

صفر: تسميته تلك جاءت من أن ديار العرب كانت تصفر، أي: تخلو من أهلها بخروجهم فيه ليمتاروا الطعام من المواضع أو ليسافروا هربًا من حر الصيف. يقال: أصفرَت الدار إذا خلت..

ربيع الأول وربيع الآخر: جاءاسماهما من وقوعهما في الربيع وقت التسمية.

جمادى الأولى وجمادى الآخرة: سميا بذلك لأنهما أتيا عند التسمية في الشتاء حيث يتجمد الماء.

رجب: كان العرب يعظمونه بترك القتال فيه.. يقال رجب الشيء أي هابه وعَظَّمه.

شعبان: كانت القبائل تتشعب فيه للحرب والإغارات بعد قعودهم في رجب

رمضان: سمي كذلك اشتقاقًا من الرمضاء لأنه وقت التسمية واكبه اشتداد الحر.. يُقال رَمضَت الحجارة إذا سخنت بتأثير الشمس .

شوال: جاء اسمَه بسبب الإبل التي كانت تشول فيه بأذنابها أي ترفعها طلبًا للتلقيح

ذو القعدة: كانت العرب تقعد فيه عن القتال.

ذو الحجة: سُمي بذلك لأن الحج كان يقام فيه.



يقصد الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قصة قصيرة

تلافيف الزمن العوسجي

عبدالباسط آدم مريود

واد مدني ـ السودان

للعين آمالٌ أجمل من إشراقات صباح ندي.. خفة في الروح والدم، وجسدٌ يتطاول مشرئبًا يعانق عالي نخلات القنديلة(١) شامخًا يغازل أحلامها الموؤودة، تداوي انكساراتها الحادة بالالتصاق الشفيف والحميم بصغيرتها ذات الأربع زهرات النضرة، تجلسها أمامها وأصابع الصغيرة تعبث بلعبة بلاستيكية لدبٍ هرم، وهي تعالج لها شرائط تسريحها القانية الحمرة، وتجدل لها خصلاتها في شكل عقصة حصان.

ماما أنا عاوزه بابا.. مشتاقة لبابا..

تختلط كلمات الصغيرة المشوبة بشقاوة الأطفال وبراءتهم بهاجس عم عبدو، وتوقيعات دفتر التمام. تنتقل عينها من الضفائر المجدولة المغرورقة بروائح الشامبو الأطفالي والزيت إلى رقاص ساعة الأورينتORIENT النسائية في يدها، وتسابق الزمن يحثها على مغادرة الدار، ترتب مستلزمات الخروج.. المكياج الرخيص.. الثوب الأبيض الناصع.. الحذاء وحقيبة اليد السوداوين.. الخمار المنسجم بلونه الأوحد مع زخرف كل من البلوزة الغارقة في البنفسج والتنورة المزركشة.. والصغيرة تمسك بطرف ثوبها وبإصرارٍ تغازلها

إيمت بابا حيرجع الليلة يا ماما

داعبت تلك الكلمات الثقب الأوزوني في بؤرة لا وعيها..

ياريت يرجع بابا.. يا حبيبتي.. قالتها وهي تربت الصغيرة بكلتا يديها على خديها..

بكره يرجع بابا من الغربة.. يحمل ليك معاه عرائس وهدايا كثيرة... ثم طبعت قبلة حارة على الفم الصغير.. خطت خطوات إلى الباب الخارجي ثم فجأة وهي على العتبة الخارجية تعثرت.. كادت أن تسقط.. غشيتها لمسة تشاؤمية استعاذت وبسملت.. وصوت الصغيرة يلاحقها وهي تغلق الباب بعنف.. ماما... ماما.. لحظتها تنازعها شعور بعدم مداومة العمل، لكن هواجس الغياب وخصم المرتب المتهالك، وغلاء السوق.. أقساط الروضة للصغيرة.. البقّال.. القصّاب.. بائع اللبن.. الخضرجي كل هذا الرتل لا يضاهي القنبلة المؤقتة لإيجار المنزل، وصاحبه اللئيم بنظراته المستخفة خلف عدساته المقعرة السميكة.. وهيكله الأرجوازي ببطنه المنبعج ولسانه السليط الذي يتوعدها كل شهر بإخراجها من الدار لمجرد تأخر الدفع الشهري يوم أو اثنين، وهو يدري سلفًا أن الأمر بيد الحكومة التي تغالي في تعذيب الموظفين بتأخير الرواتب متعللة بالتضخم مرة، وبالزرع الذي غمرته السيول والضرع الذي جف لأن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم..

وقفت عند الشارع ويدها ملوحة لأول حافلة ركاب لتلقي بنفسها داخلها وهي تغص بالكتل البشرية المتباينة في كل شيء، اللون، الجنس، حتى أنماط الوشم وأشكاله، شيءٌ في الخد.. وآخر على الجبهة.. صوبت نحوها عيون مُشفقة تسافر ساخرة منها، وحبات عرق امتزج بعطر الزوج الغائب تدلت على جبهتها واليد تخرج منديل «الكلينكس» الورقي الخفيف لتمسح العرق، والأخرى تمسك بحقيبة اليد وعمود إمساك الركاب المتوسط الحافلة، وعيونٌ أخرى تفترسها بشبق ونهم عارم تسافر، وهي تقاتل بعناد لتجد موطئ قدم لنظرها فيسعفها طفلٌ بريء يبتسم لها من بين أحضان أمه

المنشغلة، وربما متشاغلة عنه بالنظر للحياة خارج الحافلة.. بادلته الابتسام والغمز بعينيها.. ويهمس داخلها للزوج البعيد

إن كنت عدت كان اليوم للصغيرة أخ مثل هذا الصغير

لا أدري لماذا تصر على الهروب بطريقتك هذه؟

لن يغير غيابكم الوطن

الغنى في الغربة فقر، والفقر بين الأهل والوطن غنى، يخرجها صوت الكمساري من سرحانها.

الوزارة.. الوزارة.. «في حدي نازل».

تتحرك بسرعة ناحية الباب الخلفي للحافلة وسط زحام شديد وهي تصيح:

نعم الوزارة من فضلك.

تخرج زفرة حرّى، ونفسًا عميقًا، ثم تنهيدة، وهي تهم بالجلوس خلف طاولة مكتبها بالطابق الثاني بوزارة الزراعة الإقليمية، تعلق حقيبة يدها على خلفية الكرسي، تصلح من هيئتها وهندامها ثم تتناول الملف الأول الموسوم بخط أنيق.. برنامج السماد الزراعي تقلب صفحاته بسرعة ثم تلقيه على يسراها.. فالملف الثاني برنامج الزيارات الأسبوعية لكل قرية صفحة خاصة بها عرديبة، الشيخ طلحة، ود النور.. فقوائم أصحاب الحيازات الزراعية لقمان، ود الزين، عثمان الله جابو، فملف مدخلات الإنتاج التقاوى، الأسمدة، تندفع إليها أحلامها دفعة واحدة التلفاز الملون، الثلاجة، غرفة الجلوس، عربة صغيرة ولماذا لا؟ فها هي ذي الآن تزحف للدرجة الرابعة، والعربة تكسبها هيبة، إذًا تكفي دفعة واحدة من التقاوي الهولندية والسماد الأردني لترفل هي والصغيرة في العز والبحبوحة، ولكن الزوج الغائب ما عساه أن يفعل؟ ولا يصدق أن تكون ليلة القدر قد نزلت عليها... وفي مخيلتها المنحنية انحناء حُلمها. يتمدد شريط انكسارها، وهي تعابث الملفات وشحنة من الهموم المتورمة تغشاها تنادي الوطن، وتناجي الحبيب الغائب:

ليتك تحمل لي كفنًا بعلم الوطن عند عودتك، فالوطن يقاسي لحظات المخاض الصعب للسفر إلى الله في ملكوته.. لم يأت التتار الجدد لكنهم فينا، وما مدينتي ببغداد ذاك العهد، ولكنها تغتسل من بقايا إثم ليلة غير شرعية تحاول أن تستوعب فيضان أنهار أسئلتها المشتعلة: غياب الزوج المهاجر.. فقدان التماسك والتوحد.. متى يكون فجر الخلاص والعودة؟ ليت الوطن يقفل فاه الفاغر دومًا لأبنائه الذين لفظهم فتسكعوا وتشردوا بين الأرصفة والمدن البعيدة التي احتوتهم لكنها لم تحتو همومهم، فتبعثرت رؤاهم وتكلست أحلامهم...

عابثت أسنانها بطرف خفيف من قلمها البيك «BiC» المرتاح بين أناملها، فتحركه ليطارد شعيرات شاردة من كبت خمارها وخنقه، وعيناها على الأسطر التي أمامها.

بخبث ونفاق ظاهر يداهمها صوت زميل يقتحم عليها وحدتها.

لماذا كل هذا السرحان والشرود يا مولانا؟

وبحركة لا شعورية تحاول لملمة ثوبها وخمارها، تناول منها ملفًا وخرج... ولم يبارح عتبة الباب حتى أطل برأسه:

ما سمعت آخر أخبار قضية اختلاس الأسمدة الأخيرة؟

رفعت إليه وجهها الذي كساه الخوف:

الجماعة اعترفوا.

كلهم حتى المدير العام.. والمبلغ وصل العشرين مليونًا.

اللهم أبعدنا عن الحرام وأولاد الحرام.

زملاء العمل، الهمس، القيل والقال، النفاق الاجتماعي، إنها دنيا من المتناقضات في هذا المكان، التباين العرقي، التمييز الجهوي، المفارقات حتى في ألوان الطيف السياسي، نفاق الرؤساء، حشدٌ من العاملين، ولا عمل، تطبيل بالولاء للوطن ولا ولاء إلا للغايات المادية المظهرية. عليها أن تنأى بنفسها، أن تهرب وتتقوقع، وتتمركز حول ذاتها، ستلذ لها وحدتها، إذًا عليها أن تلتف حولها ليشع داخلها بالسكينة لتبتعد عن عذابات الضمير، يحاصرها الآخرون يعزلونها بنظراتهم الساخرة:

عاملة فيها مثال للشرف والأمانة والنزاهة.

سأظل كالطود الشامخ كنخل البركاوي والقنديلة.

يتناهى لسمعها بوق حافلة الترحيل عاليًا يمتزج بضوضاء خروج العاملين، تحمل حقيبتها مسرعة. في طريق عودتها تتراءى لها ذكريات الألق والفرح القديم، فرح الحب لحظة ميلاد بيت الحلال وعش الزوجية، إنها تلافيف للزمن العوسجي وشعور غامر بحزن الفراق للزوج.. وفي الليل الذي يحتضن لها تلك الذكريات الندية المطلة على ثبج الغمام البعيد يتراءى موزاييك وجه الغائب.. تحتضن صغيرتها بشدة وتولي ظهرها للحائط، وليوم تداعت فيه لحيظات الانكسار تأرقت الذات الواعية المثالية.. وعادت آمال تحلم باللقيا، ليصبح الصبح فتغتسل طهرًا ولماذا لا تحلم برغم وأد أحلامها؟

والصغيرة تتكور في أحضانها بحثًا عن بقايا دفء في صدرها.. وهي التي تبحث عن الدفء، والليل يغطي جبال همومها وأحزانها.. وهي تأمل أن تكون إشراقات صباحها ندية.

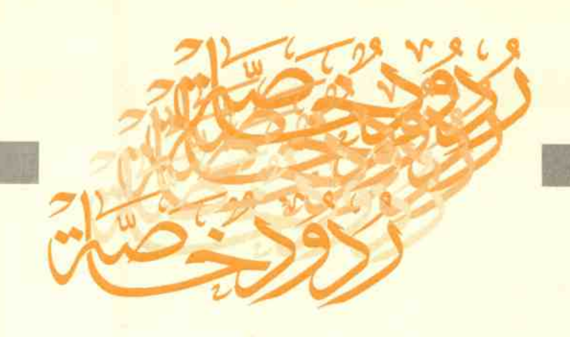
التعليق:

قصة الأخ عبدالباسط جيدة بمضمونها وبنائها القصصي، فقد أحسن الكاتب في رسم العالم الذي يحيط بشخصيته الأولى، وأفلح في التعبير عَمّا يدور في خلدها، وهي تعاني من ابتعاد زوجها عنها، ومن أسئلة صغيرتها التي هي في واقع الأمر التميمة التي تحفظ الأم من وساوس الشيطان، ومن الإغراءات المادية تحت وطأة الحالة الاقتصادية التي دفعت الزوج لترك زوجه وطفلته. إن الصراع الداخلي الذي يبرزه ذلك الحوار الذي أفلح القاص في صياغته مرسوم ببراعة تدل على موهبة قصّية تفسدها الأخطاء الإملائية والنحوية التي تبدأ بالظهور في النصف الأخير من القصة. إن اللغة بإملائها ونحوها وصرفها وصياغتها هي وسيلة الإيصال المثلى، وإنّ على من يريد إتقان فن التوصيل أن يهتم بجوانب اللغة كلها ليأتي نصه صحيح الشكل خصوصًا إذا توافر له المضمون الجيد كما هو الأمر في قصة الأخ عبدالباسط.

إن «لم» تجزم الفعل المعتل وعلامة الجزم حذف حرف العلة وبذلك يكون صواب «لم تحتوي» هو «لم تحتوِ» وإن كلمة «لأبناءه» لا تكتب هكذا وإنما «لأبنائه» لأن الهمزة همزة متوسطة وأتمنى أن يضع الأخ عبدالباسط همزات القطع في أماكنها.

وأود الإشارة إلى خطأ نحوي آخر وذلك في قوله «يحاصرها الآخرين ويعزلوها» وواضح أن الصواب «يحاصرها الآخرون ويعزلونها» وهذه النون مِمّا ينساه الكاتبون غالبًا.

نرجو للأخ عبدالباسط إتقانًا أكثر في أعماله القادمة سواء أكان ذلك في الشكل أم في المضمون.



الأخ مسلّمي الشيخ أحمد ـ أم شديدة ـ الجزيرة ـ السودان:

وصفُ نفسك بأنك عاشق «الفيصل» يسعدنا كثيرًا، لأنه تعبير عن ارتباطك الشديد بمجلتك، مما يجعلنا نأمل أن تكون عند حسن ظنك وظن الإخوة القراء جميعهم، ولوحة جميلة تلك التي رسمتها ريشتك، والتي تقول فيها«الفيصل عشقي فيك مؤبد»، فنتمنى لك التوفيق في صقل موهبتك هذه، وأن تتابع ما ينشر في الفيصل عن الخط العربي وغيره من الفنون التي تهتم بها المجلة كثيرًا. أما اقتراحك بإيجاد باب يعنى بالخط والرسم، فسوف يكون محل بحث، فنأمل أن تستجيب المجلة لك وللإخوة القراء من محبي الفنون الجميلة.

الأخت مريانة منير فكري ـ العوامية ـ سوهاج ـ مصر

سوف تصل إليك الأعداد التي فزت بها في مسابقة «الفيصل»، ونشكر لك هذه الثقة في مجلتك، واهتمامك بالحصول عليها في مطلع كل شهر، فمرحبًا بمشاركاتك، وبمشاركات الإخوة القراء، والمجال مفتوح لكل واحد منهم ليكشف عن موهبته في أي مجال من مجالات الإبداع المختلفة.

الأخت خولة حسن أبو خليفة ـ السيدة زينب ـ ص.ب ٣١٥ ـ سورية:

يمكنك المشاركة في مسابقة «الفيصل»؛ لأن فرز الرسائل يتم بعد شهرين من صدور العدد، أما الاشتراك في المجلة فليس مقصوراً على أحد، فهي مجلة عامة تخاطب القراء من مختلف المستويات، وتتوجه إليهم، وتعبر عنهم، فما الداعي إذن لإبراز الهوية العلمية ـ كما تقولين ـ للاشتراك في المجلة؟

أما أعداد المجلة السابقة، فهي بالفعل صدرت في ثلاث مجلدات تضم الأعداد الصادرة منذ إنشاء المجلة وحتى العدد ١٨٠.

الأخ محمد يحظية بن عبدالعزيز ـ بواسطة أبي بكر بن عبد الرحمن ـ أستاذ بمعهد العلوم العربية والإسلامية ـ نواكشوط ـ موريتانيا:

نشكر لك إطراءك المجلة، وما تلتزمه من ضوابط في سياستها للنشر، ونأمل الوفاء بما وعدت، وأن تكتب إلينا مقالات في مجال تخصصك، فضلاً عن التعريف بما لدى بلادك من إرث حضاري نابع من الدين الحنيف.

وسوف تصل إليك بعض الأعداد التي ستزيدك معرفة بالمجلة، وما صدر من مقالات فيها. فمرحبًا بك صديقًا دائمًا للمجلة.

الأخ هارون المهدي ـ ميغا ـ الرياض:

تجد مقالتك منشورة في هذا العدد من المجلة، وما تأخر نشرها إلا لكثرة ما يرد إلى المجلة من مواد، وإبلاغ الكاتب أن مقالته مجازة للنشر، هو تأكيد منها أنها سوف تنشر في الوقت المناسب الذي تراه المجلة حسب ماهو موضوع من ضوابط، فمعذرة لكل الإخوة الكتاب الذين قد يتأخر نشر موضوعاتهم.

الأخت هويدا محمد موسى ـ الصحافة غرب ـ الخرطوم ـ السودان:

نشكر لك اهتمامك بالكتابة إلى المجلة، وإشادتك بها، فكل ما نأمل أن تكون مجلتكم «الفيصل» عند حسن ظنكم بها، وأن يقدم إليها قراؤها من الاقتراحات والملاحظات ما يعين على تجويد ما يقدم على صفحاتها.

ونفيدك أن كل فائز بالمجلة، تصل إليه الأعداد التي فاز بها حسب المدة الزمنية المحددة في النتائج التي تنشرها المجلة، فتأكدي من وصول العدد إليك، وإذا حدث أن مر الشهر من غير تسلمك إياه، فالمرجو إبلاغنا، لاتخاذ اللازم.

الأخوين عبدالقادر سلطان ـ بوني ـ الهند، علي ـ باكستان ـ إسلام أباد:

يسرنا كثيرًا الاستجابة لطلب الإخوة القراء بقدر ما نستطيع، ولكن تأتينا طلبات كثيرة للحصول على الاشتراك المجاني، مما جعلنا نعتذر عن ذلك، وتوضيحه في زاوية «إيضاحات»، فمعذرة لجميع من يطلبون اشتراكات مجانية، وكل ما نستطيعه إرسال بعض أعداد المجلة حسب ما يتاح، متمنين للأخ عبدالقادر دوام النجاح والتوفيق في دراساته العليا للعلوم العربية والإسلامية، وكنا نأمل أن يكتب الأخ علي اسمه كاملاً، فهل يفعل في المرات المقبلة. سوف تصل إليكما بعض أعداد المجلة.

الأخ أمارا كوني ـ القاهرة ـ مصر:

نأمل أن يوفقك الله في دراستك بالأزهر الشريف، وأن تكون داعية في سبيل الله في قارة تتعرض لحملات التنصير والغزو الفكري في كل لحظة.

وما جاء في خطابك من حسن الظن نشكرك عليه كثيرًا، ولكن إمكانات المجلة تجعلها عاجزة عن تلبية طلبك، علمًا بأن هناك جهات متخصصة في هذا الشأن يمكنها أن تلبي طلبك، فعليك بمكاتبتها، وسوف تجد منها الجواب الذي يبهجك إن شاء الله.

الأخت صدرية بو ضياف ـ باتنة ـ الجزائر:

تجدين الرد المناسب على خطابك فيما سبق من طلبات مشابهة لطلبك، ولما تبدينه من حرص على دينك، واتجاهك إلى الاستزادة من المعارف التي تمكنك من التعامل مع الحياة بمنظور ديني مستنير، فإننا سوف نرسل إليك بعض الأعداد التي ستجدين فيها ما يفيدك، مع التمنيات لك بالتوفيق في

بين القارئ والقارئ

«أرغب في الحصول على أعداد ومجلدات القصص المصورة الصادرة في بيروت قبل أكثر من عشرين عامًا مثل «طرزان»، «الوطواط»، «سوبرمان»، «بساط الريح»، «المغامر» الخ... لغرض الدراسة والبحث، وذلك بالمبادلة بمطبوعات أخرى أو بمقابل مادي».

محمد فالح الجهني
ص.ب ٦١٠٩٣ - المدينة المنورة
المملكة العربية السعودية

أرغب في الحصول على كتب تتناول التربية والتعليم في العالم، وبخاصة في المغرب العربي، ولديَّ استعداد لتزويدهم مقابل ذلك بكتب شرعية أو فكرية، وسوف أرد على الواهب بمثل مبادرته الكريمة أو بمقابل مادي.

إبراهيم بن محمد الخميس
الرياض ١١٥٣٧ - ص.ب ٦٨٨١٦
تنبيه: صحح صندوق البريد إذ ذكر في العدد (٢٥٥) أنه ٨٦٨١٦

آمل الحصول على كتاب الأستاذ ياسر الفهد «الصحافة الثقافية في الخليج العربي» لأنني لم أعثر عليه في المكتبات العامة في المغرب، وهل يمكن للأستاذ ياسر إهدائي بعض الكتب التي صدرت له.

محمد نجيم
ص.ب ٢١٥٩ - الرمز ٤٦٠٠٣
آسفي - المغرب

آمل من الإخوة القراء تزويدي بالمصحف الشريف، وبعض الكتب الدينية التي تفيدني في معرفة أمور ديني.
عبدالعزيز أبو بكر عباس
ABDUL AZIZ ABUBAKER ABBAS
P.O BOX A 233 ABOABO
KOMASI - GHANA

ملحوظة:

تسعى هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ عبدالجبار صلاحو - إدلب - سورية

من الجامعات المصرية التي بها كليات وأقسام للإعلام:
جامعة القاهرة بها كلية للإعلام، ثم إن هناك أقسامًا للإعلام في جامعات الأزهر، وسوهاج، والزقازيق، وتضم الجامعة الأمريكية بالقاهرة كلية للإعلام. وتوجد جامعات القاهرة والأزهر والجامعة الأمريكية في مدينة القاهرة، أما جامعتا سوهاج والزقازيق، فمقر كل منهما في المدينة التي تحمل اسمها.

الأخ محمد فالح الجهني - المدينة المنورة:

عنوان دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر:
بيروت ص.ب: ١١٣/٦٠٠٠ الحمراء، شارع المقدسي - سنتر يونس - الطابق الثاني - هاتف ٣٥٠٤٦٥/٦ ٣٥١٢٨٠ فاكس ٣٥٠٦٥١
عنوان دار MARVEL COMIX
387 PARK AVENUE. ST.
NEW YORK, NY 10016 - U.S.A
TEL: 2126960808

الأخ محمد بو طالب

عنوان المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت:
ص.ب ٢٣٩٩٦ - الصفاة - الرمز البريدي ١٣١٠٠
عنوان الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية:
ص.ب ٧١٥٣ - الرياض ١١٤٦٢ هاتف ٤٨٢٧٧٧٧ - فاكس ٤٨٢٩١٠٩
عنوان مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية:
ص.ب ٥١٠٤٩ - الرياض ١١٥٤٣ هاتف ٤٦٥٢٢٥٥ - فاكس ٤٦٥٩٩٩٢
عنوان المجمع الثقافي بأبي ظبي:
ص.ب ٢٣٨٠ - أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة هاتف ٢١٥٣٠٠

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات الحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة - بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.





بداية تاريخ المطابع والنشر في المملكة

رسالتي إلى «الفيصل» الغراء تتناول تعقيبًا على مقال الدكتور إبراهيم بن عويض العتيبي المنشور بالمجلة، العدد رقم ٢٤٧ محرم ١٤١٨هـ/مايو ويوليو ١٩٩٧م تحت عنوان «بداية تاريخ المطابع والنشر في المملكة».

وأبدأ القول بأن كاتب المقال قد أعطى القارئ العربي في كل مكان تاريخ بداية الكلمة المطبوعة بالمملكة، ودخول المطابع، وذكر نبذة تاريخية عن بداية التدوين والكتابة في بعض الدول قديمًا ومنها بلاد الرافدين ومصر والصين، وهذا شيء طيب ومحمود، لكن هناك بعض الملاحظات على التواريخ التي أشار إليها، وبعض المعلومات التي كان يجب أن يشير إليها حتى يكون المقال شاملاً ووافيًا بالغرض، وليعمّ النفع وتعود الفائدة على القارئ. وأيضًا هناك بعض المعلومات الخاطئة في ما أشار إليه في عرضه لمقال الشيخ رشدي ملحس رئيس الشعبة السياسية بوزارة المالية، التي عثر فيها على وثيقة مكونة من ست صفحات مطبوعة، وهي خطاب رفعه مدير مطبعة الحكومة إلى وكيل وزارة المالية برقم ١١٠ في ٣٠ محرم ١٣٧١هـ، الذي تضمن الإشارة إلى بعض بواكير المطابع بالمملكة، وبعض الصحف التي صدرت آنذاك.. والمعلومات التي كان يجب الإشارة إليها، تتلخص في المؤسس لكل صحيفة أو جريدة، وأبرز المحررين والكتاب في تلك الدوريات، والاتجاه الصحفي لكل دورية، وفترة نشاط كل منها، والخصائص الثقافية المميزة لكل صحيفة.

وتعليقًا على هذا المقال، أقول: إن المملكة العربية السعودية عرفت النشر منذ عام ١٣٠١هـ عندما أصدرت المطبعة العثمانية التي جُلبت إلى الحجاز دورية باسم «حجاز ولايتي سلنامة»(١) ويقول د. محمد حمدون: يبدو أن د. عبدالله الحامد خلط بين «حجاز» الصادرة بالتركية ١٣٠١هـ و«حجاز» الصادرة باللغتين العربية والتركية عام ١٣٢٦هـ(٢). وهذه الدورية المشار إليها صدر منها خمسة أعداد فقط.

في عام ١٣٢٦م صدرت «حجاز» باللغة العربية بمكة المكرمة في ٨ محرم ١٣٢٦هـ. المؤسس: الحكومة العثمانية، وأبرز المحررين فيها رئيس كتّاب الوالي العثماني، وهي أسبوعية غير منتظمة، رسمية، تنشر أخبار الدولة واستمرت حتى ٢١ربيع الآخر١٣٣٣هـ، وكانت أول مطبعة وصلت الحجاز عام ١٣٠٠هـ وسميت بالمطبعة الأميرية.

ومن الصحف التي صدرت بعد ذلك حسبما جاء بمقال رشدي ملحس الذي نشر في جريدة أم القرى في عدديها الأول بتاريخ ٢صفر١٣٤٧هـ ـ العدد ٢٠٧ ـ والثاني بتاريخ ٣٠ رجب١٣٤٧هـ العدد ٢١١:

ـ صحيفة الحجاز، وقد أشرنا إليها من قبل.

ـ صحيفة «صفا الحجاز» وصدرت في عام ١٩٢٦م، وليس في عام ١٩٢٧م كما جاء في المقال.

ـ الإصلاح: وقد صدرت في جدة عام ١٣٢٧هـ، وكان مؤسسها مصطفى راغب نوكل «شركة من أعيان جدة»، وكان من أبرز محرريها أديب هراري، وهو لبناني. وكانت تصدر أسبوعية سياسية أدبية تجارية. وقد عاشت بضعة أشهر، وتوقفت بوفاة صاحب امتيازها، وكانت مضادة لجمعية الاتحاد والترقي وشعارها «إن أريد إلا الإصلاح». هود:٨٨

ـ شمس الحقيقة «شمس حقيقتي» صدرت بمكة في المحرم ١٣٢٧هـ، والمؤسس لها حزب الاتحاد التركي الحاكم، وأبرز محرريها عبدالله قاسم، ومحمد توفيق مكي ـ وهي وطنية علمية تجارية انتقادية فكاهية يومية ـ صدرت مرة كل أسبوع مؤقتًا، ولم تعمّر إلا بضعة أشهر، توقفت خلالها مرات، أسلوبها ركيك، وشعارها «حب الوطن من الإيمان».

ـ صحيفة القبلة: صدرت في مكة عام ١٣٣٤هـ، والمؤسس لها الحكومة الهاشمية، وأبرز محرريها: محب الدين الخطيب، حسن الصبان، وهي دينية سياسية تصدر مرتين أسبوعيًا.. وكانت تصدر بانتظام حتى توقفت في ٢٥صفر١٣٤٣وكانت: ذات أسلوب صحفي جيد، حملت على الاستعمار وشعارها: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها..الآية، البقرة:١٤٣. ثم حُذف احترامًا للقرآن الكريم.

ـ المدينة المنورة: وقد صدرت في المدينة عام ١٣٢٨هـ / ١٧تشرين الثاني ١٩٠٩م، ومؤسسها الشيخ مأمون الأذربجاني، وأبرز محرريها الشيخ محمد مأمون ـ وهي سياسية أدبية تجارية مناسباتية. وصدر منها ٧ أعداد أو ٨ فقط.. تركية عربية ولها اتجاه إسلامي.

ـ صحيفة الفلاح: وقد صدرت في مكة في ٢٤ذي الحجة ١٣٣٨هـ، مؤسسها عمر شاكر، وهي ثقافية اجتماعية، وكانت تصدر «مرتين أسبوعيًا»، استمرارًا لصدورها من قبل في دمشق، حتى توقفت تمامًا في ٢٠صفر١٣٤٣هـ، وكانت مهتمة بالخبر، ولم تكن منسجمة مع الوضع أولاً.

ـ صحيفة بريد الحجاز: صدرت في جدة في ٢٩ربيع الأول١٣٩٣هـ، ومؤسسها

محمد صالح نصيف، وكانت تصدر يومية، ثم صدرت مرتين أسبوعيًا، وكانت تهتم بالأخبار المحلية والعالمية، وقد احتجبت خمسة أشهر، ثم احتجبت نهائيًا في جمادى الأولى ١٣٤٤هـ.

ـ صحيفة أم القرى: صدرت في مكة في ١٥جمادى الأول١٣٤٣هـ، رسمية، ومديرها المسؤول الشيخ يوسف ياسين، وتبعت وزارة الإعلام فيما بعد. ومن أبرز محرريها : رشدي ملحس، سعيد عبدالمقصود، فؤاد شاكر، المرحوم عبدالقدوس الأنصاري، أحمد ملائكة....إلخ.

ـ وقد أشار كاتب المقال ـ كما يقول صاحب المقال د.العتيبي إلى أن مجلتين قد صدرتا في الحجاز في تلك الحقبة وهما:

أـ المجلة الزراعية: ويصدرها طلاب مدرسة جرول الزراعية بمكة المكرمة في رجب ١٣٣٨هـ، وهي ثقافية زراعية، وقد توقفت بعد ثلاثة أعداد فقط، فكانت تهتم بأخبار طلبة المدرسة وتعدُّ أول مجلة علمية.

ب ـ مجلة الإصلاح: وقد صدرت في مكة في ١٥صفر١٣٤٧هـ، والمؤسس لها مديرية المعارف العامة، وكانت تصدر مرتين أسبوعيًا، ولم تتقيد بذلك، إسلامية إصلاحية، وكانت تطبع بمصر «السلفية»، ثم مكة «الماجدية»، واحتجبت في ١٣٥٢هـ. وكانت تهتم بالحديث والتفسير والحديث والمواعظ ومقاومة الفساد وتنمية الوعي الديني.

وفي النهاية أرجو أن أكون قد أضفت بعض الشيء إلى ما كتبه صاحب المقال.

إبراهيم عبدالوهاب شرف
الإدارة القانونية ـ جامعة المنصورة ـ مصر

الهوامش:

١ـ الموسوعة العربية الميسرة ـ ط دار القلم، القاهرة ١٩٦٤.
٢ـ انظر بحثه «الصحافة والأدب في المملكة» الفيصل ع ٩٦ ص٦٧.

من المراجع
مجلة المنهل ـ العدد السنوي المتخصص، الثقافة العربية، شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ.



الفيصل والوحدة الموضوعية

الوحدة الموضوعية وتماثل الموضوعات سمة من سمات العدد ٢٥٤ من «الفيصل»، فنجد حديثًا عن الغربة والاغتراب في «أدب الغرباء» لأبي الفرج الأصفهاني، وهو من نوادر التصنيف حقًا، ونردد مع ذلك الغريب قوله:

أنا في الغربة أبكي
ما بكت عين غريب

وفي قصيدة الدكتور إبراهيم السامرائي المهداة إلى أخيه وزميله في الاغتراب الدكتور حسن ظاظا، يبثُّ فيها أشجان الغربة ولواعجها، نتذوق مرارة الغربة والاغتراب والبعد عن الوطن والديار، وكأنه يخاطب كل غريب عن بلده في قوله:

أأنت من جئت لا أهلاً ولا وطنًا
ولا أخًا لك قد يسعى لمغترب

ونرى في عيني طفلة الأمس «دهشة المغترب الفنان في أرض جديدة». كما تعرج بنا الدكتورة نورة الشملان على الوقوف عند أبي حيان التوحيدي ، ذلك المغترب البائس، ولكن غربته لم تكن لبعده عن وطنه وديرته، إنما كانت غربة شعورية عن مجتمعه وأهله وهو يعيش بينهم، كان التوحيدي يشعر بغربة فكره ومعتقده بين أناس يخالفونه فيها، مما حداه إلى أن يحرق كتبه حتى لا ينتفع بها أحد بعده، وخيرًا فعل من حيث لا يدري؛ لأن هذه الكتب كانت تدعو إلى الزندقة والإلحاد في قالب إسلامي يدلسه على الناس، حتى إن أبا الفرج بن الجوزي قال فيه وفي غيره من الملحدين: زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي والتوحيدي والمعري، وشرهم التوحيدي، لأنهما صرحا ولم يصرح.

ونشفق على عائشة حماتي من غربتها وما شعرت به في رحلتها عبر القطار «في الطريق إلى العاصمة» بحثًا عن لقمة العيش من خلال وظيفة حكومية.

ومن غربة الأبدان، تنقلنا «الفيصل» إلى غربة اللغة بين أبنائها، والحيرة والاضطراب بين التغريب (بالغين المعجمة) والتعريب (بالعين المهملة)، فهذا الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري أصابه صداع العقول من داء التغريب الذي حل بلغتنا العربية، ومن أجل ذلك يدعونا إلى العمل على تعريب المصطلحات، ونستلهم جهود الدكتور أحمد منيف العائدي رحمه الله في تعريب علوم الطب في سورية التي تعد بحق الدولة العربية الأولى في تعريب العلوم في جامعاتها ومعاهدها العلمية، وحبذا لو حذت بقية الدول العربية حذوها في هذا المجال. وقبل ذلك يدعونا رئيس التحرير في «إطلالته» إلى ضرورة الإبقاء على الأرقام العربية المتداولة، وعدم تغريبها واستبدالها بالأرقام اللاتينية، حاشدًا آراء الكثير من المهتمين بهذا الشأن وأقوالهم، فضلاً عن مقررات المجامع والهيئات العلمية والرسمية.

والبيئة ونظافتها تهتم بها «الفيصل» من عدة جوانب، فهناك اهتمامات علمية صحفية؛ حيث يدعو المهندس محمد عياث الأشرف إلى بذل

جهد موجه ومنسق من قبل صانعي الصحافة للحفاظ على البيئة، ويحدد بعض النقاط المهمة التي يجب وضعها في الحسبان عند تحرير المادة البيئية. أما أحمد عبدالسلام البقالي، فيوظف الشعر للدعوة إلى النظافة البيئية، وقد راعه ما رأت عينه «من تلوّث الهواء».

وللطب نصيبه الأكبر في بابي العلوم والأدب من هذا العدد، إذ تعرفنا الكاتبة جميلة حسن عبدالعزيز الجديد في علاج السرطان كفانا الله وإياكم شر هذا المرض الخبيث. ومرض الشيخوخة وصفه الشاعر العربي قديمًا وحديثًا، بل ألفت فيه كتب مفردة، مثل كتاب «العمر والشيب» لابن أبي الدنيا، وغيره من الكتب. وفي هذا العدد يستضيفنا جرجس ناصيف في رحلة مع الشيخوخة على متون القصائد، يستذكر الشيوخ فيها أيام الشباب ورفاق الصبا، فتحتبس عبرة شيخ منهم في عينيه وهو يقول:

وكيف يفيض الدمع أو يبرد الحشا
وقد باد أقران وفات شباب

والصَّلَع - وأنا من القوم الصُّلْع، (وقد صار رأسي جهة (إلى القفا)، أو كاد، وذاك مرض لم أجد له علاجًا بعد - له نصيب في الشعر العربي، يعرِّفنا بعضه محمد عصام علُّوش، ويفند الدكتور غسان حتاحت المزاعم والإشاعات التي تسيء إلى الأطباء وتتهمهم بسرقة الأعضاء البشرية وزراعتها في أجسام أناس آخرين.

وأطفالنا الأعزاء لهم مساحة واسعة في قلب «الفيصل»، فهذا طفل يقرأ القرآن ويدرسه، فيكون سببًا في هداية ذلك المحارب القديم عبدالشكور كونزا، وإرشاده إلى الطريق إلى الله. وما ذاك إلا أن هذا الطفل كان على فطرته السليمة التي فطره الله عليها، والتي لم تلوث بالأفكار والمعتقدات المضلة. ولذا نجد عبدالجواد طايل يدعو طفلته إلى أن تكون هكذا على سجيتها وفطرتها:

طفلتي كوني كما أنت على فط
ـرتك الأولى.. على تلك العقيده

وأطفال كهؤلاء هم جيل المستقبل المنشود، عليهم تعقد الآمال في تجديد مجد هذه الأمة واسترداد قدسها السليب من دنس يهود، ولذا يدعوهم عبدالبديع الغزالي إلى الاهتمام بالعلم والعمل معًا للنهوض بأعباء المسؤولية، ويذكرهم بأنهم «فرع أصل قد تطاول في الزمن».

هذا بعض من وحدة الموضوع في هذا العدد من الفيصل، ولو سبرنا أغواره، ودرسناه بعمق، لوجدنا فيه الكثير من الكنوز، فمزيدا من العطاء يارواد «الفيصل» وكتابها، والله يرعاكم.

إبراهيم باجس عبدالمجيد
الرياض

مناقشات وتعليقات

ومن يقف في وجه الطوفان ؟



طالعنا في العدد ٢٥٣ من مجلتنا المتميزة مقالاً للدكتور محمد عبدالعليم مرسي عن التلفاز وتنشئة الأطفال في المجتمع المسلم.

والطفل في أي مجتمع من المجتمعات هو رجل الغد وثمرة يانعة تُقطَف بعد أن نعتني بها، ونقدم لها من حبات قلوبنا الكثير، ولكننا في بعض الأحيان نجد أنفسنا عاجزين تمامًا عن التدخل في كل محاور تربيتهم، وذلك بسبب الاحتكاك الاجتماعي الذي يُفرض علينا داخليا عبر الأصدقاء والأقرباء، أو خارجيًا كما في حالنا مع الإعلام الخارجي وتأثيراته، وكيف لنا أن نقوم بإبعادهم عن دائرة الإعلام وعالمه الأخاذ الساحر، مع كل مغرياته وأساليبه المبتكرة يومًا إثر يوم؟!

لقد استطاع العقل البشري جعل العالم كالكرة السحرية في يده، وكم كانت خيالاتنا تحلمُ في أزمان سحيقة في معرفة كل شيء عن أي بقعة عالمية، وفي الوقت نفسه حالما تحققت الأمنية بتطور الإعلام الفضائي أُحيلت وجندت كل قنوات البث للتفاهات، بل أصبحت مرتعًا للدونيات واللا أخلاقيات التي لا يرضى عنها الإسلام، وقد وضعها في قوالب محرمة على المسلم الحق.

ونستطيع القول: إن هذا الجهاز قام بتوجيه العقول والأجساد إليه، فأصبحت توابع منقادة إليه لا تملك أمام طغيانه حولاً ولا قوة.. ومهما يكن من هذا التطور فإننا نؤكد وبشدة أنّ سلبيات هذا الطوفان المتزايد قد أصبحت أكثر من إيجابياته بألف مرة، وذلك بسبب طرق الاستخدام السيئة لوسائل الإعلام وللتلفاز تحديداً.

وفي الجانب الآخر من القضية فإنّ الدراسات التربوية والاجتماعية في كل المجتمعات قد سارعت لضبط المشكلة وحصر نتائجها، وما زالت ترجو أن تتمكن من الإلمام بهذه القضية المعاصرة والشديدة الحساسية.. ولكن هيهات كلما ازدادت قربًا من وضع الحلول رمانا العلم والعقل بتطور أكبر.

والنتائج المحصودة هيّ أنّ العنف طغى على شباب العالم، وبدأ يتنقل بين عقول أبنائنا - نحن المسلمين - في فترة تعليمنا لهم أصول المحبة والإخاء والصفاء لكل قلوب البشر، وكم هو مؤلم ذلك الأسلوب الرديء بدخول أفلام العنف والجنس والمخدرات في شبابنا العربي

وبضغطة زر واحدة..

لقد بدأ هذا الداء يتغلغل في دماء طبقة اليافعين والشباب فيقضون فترات طويلة مع خيالاتهم وأفلامهم، ثم ينزلون ساحة الواقع متأثرين ومطبقين هذه اللقطات، وإن كانت تتنافى بتاتًا مع أخلاقنا الإسلامية.

وكأنّ الوهم قد سرى في عقولهم بأنّ ما يشاهدونه هو قمة التحرر والتقدم، والعكس هو الصحيح.

ويحضرني سؤالٌ خطير يؤرق ذهن الطبقة المثقفة الواعية في كل الأرجاء ومنذ بداية ظهور هذا الشبح الإعلامي وإلى ساعاتنا هذه ما الحل،؟ وكيف الخلاص من هذا الطوفان وطغيانه؟

إننا نملك وسائل الإعلام والقدرات المالية ونملك، أيضًا اللغة التربوية الحديثة، ولكنها جميعها توضع في غير مكانها، وكل هذه الموجودات معدومة الفعالية في أفقنا العربي وفضائنا الإعلامي، وذلك بسبب انصراف المخرجين والمسؤولين عن الإعلام في أغلب الأحيان إلى البرامج والأفلام التي تحمل خلفها قاعدة عريضة من المال، وإن كان الطريق مسمومًا ومغرقًا باللقطات المؤذية للعين والذاكرة والعقل أيضًا.

وعوضًا عن تصنيع مثل هذه الأفلام وتوجيه كادر لدبلجة الأفلام الأجنبية يمكننا إيجاد بديل مناسب، وهو أن نأخذ الفكرة الصالحة، فنحيلها إلى مضمون جيد وقيّم يتوافق مع قواعدنا الإسلامية، فنفيد ونستفيد من ذلك الفريق المؤهل، وتنعكس النتائج مزهرة في المستقبل وفي الأجيال الصاعدة.

وريثما يتم التفكير بتوجيه القدرات المالية لمثل هذه المشاريع يمكننا إرساء البديل المؤقت بنشر المخبرين التربويين والذين يجب أن يطوفوا بين عقول الناشئين والشباب وقلوبهم مستمعين لمتطلباتهم ومتعرفين الهاجس الذي يدفعهم لمشاهدة مثل تلك الأفلام فنزودهم بالأفكار الصحيحة، ونوضح لهم الآثار السلبية، ونبين لهم نتائج التراكم الكمي والنوعي لمثل هذه النوعية، وننشر في عقولهم وعيًا يثمر على مدى الأيام.

إننا نبحث عن الحل عوضًا من عرض المشكلة.. مؤكدين المستقبل لأنه الباقي لنا والأمل المزروع فينا، وعلى الرغم من أننا على ما يبدو لا نستمع سوى لأصداء عميقة تغرس في أرجاء المعمورة المزيد من الألم على فلذات أكبادنا وشبابنا، ومن ثم على مستقبل أمتنا.

ويبقى شعاع من التنبه واليقظة نرى فيه عزاءنا الوحيد علّنا نتدارك كل السلبيات، ونحيل إعلامنا إلى كوكبة من الإيجابيات الفعّالة تنشر في مبادئنا وقيمنا وأخلاقنا شيئًا من السمو إلى الأفضل دومًا.

خلود إسماعيل معطي
كلية العلوم الإنسانية - دمشق
ص.ب ٥٣٨١ سورية





طالعت في العدد ٢٥٣ من مجلة الفيصل مقال د. حسان المالح «تعدد الزوجات دون ضوابط والآثار النفسية» حيث أخذ الكاتب يفند ظلم الرجل للمرأة وازدياد حالات التعددية. كذلك الآثار النفسية التي تلحق بالمرأة من جراء ظلم زوجها لها بالتعددية.

بداية أقول: إن الإسلام شرع تعدد الزوجات بعد أن حفظ للمرأة كيانها المستقل بما لها من حقوق مشروعة في الميراث، وحقق لها الاستقلال الاقتصادي فيما تملك من غير أن يكون للزوج دخل في ذلك، وجعل للزواج أحكامًا، ووضع للطلاق وتعدد الزوجات والعلاقة القائمة بين الزوجين قواعد ونظمًا، وقرر لها من الحقوق والواجبات المتبادلة ما به تحسن المعاشرة حيث قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ البقرة:٢٢٨، وأعطى الإسلام للمرأة تقديرًا ومكانة لم تحظ بمثلها في شرع سماوي سابق خاصة في حق الامتلاك والميراث، فقال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ النساء:٣٢. لهذا صان الإسلام استقلالية المرأة، ونحن نعلم أن الشرائع السابقة جعلت المرأة وكل ما تملك ملكا لزوجها.

وتعدد الزوجات في الإسلام أمر طبيعي لتتمتع المرأة بكرامتها وشخصيتها كزوجة، والله سبحانه وتعالى هو صاحب هذا التشريع، وعلينا ألاّ نعارض هذا التشريع بداية، ولكننا إذا أعملنا تفكيرنا فيه فسوف يتضح لنا أنه تشريع حكيم.

ذلك لأن الإحصاءات تؤكد أن تعداد النساء أكثر من تعداد الرجال في كل دول العالم، وكما أن تعداد الإناث في الإنسان أكثر من تعداد الذكور، فإن هذه الظاهرة موجودة في الحيوان أيضًا. فالتكاثر أساسًا يأتي من وظيفة المرأة في الحياة، وهي بقاء النوع، وهذا بمشاركة من الرجل. فعندما نرى أن عدد النساء أكثر من عدد الرجال، وافترضنا أن لكل رجل زوجة واحدة، فسيصبح عندنا فائض من النساء، والمرأة عندها تختار بين موقفين: أحدهما: أن تكون زوجة ثانية، أو أن تبقى بلا زواج، فإنها ستفضل أن تكون زوجة ثانية على أن تظل بلا زواج. والحكم في تعدد الزوجات إنما يكون بإدخال الزوجة الثانية في عملية الاختيار لا أن يكون الحكم بيد الزوجة الأولى. وكون الزوجة الثانية ترضى أن تكون زوجة ثانية على ألا تكون بلا زواج هو المناط في حكمة التشريع، وما يقال في الزوجة الثانية يقال في الزوجة الثالثة، فكونها

ترضى بأن تكون زوجة ثالثة هو الذي يحكم به على التشريع، وليس الزوجة الأولى ولا الثانية، لأن رضاها بأن تكون زوجة ثالثة هو الوضع الذي رأته أفضل لها. وما يقال في الزوجة الثالثة يقال في الزوجة الرابعة فلأن يكون نصيب المرأة في الرجل الرابع خيرًا من أن تكون بلا زواج على الإطلاق.

وما من شك في أن نظام الزوجة الواحدة الدائمة نظام مثالي، ومن البدهي أيضا ألا يطبقه إلا المثاليون وخاصة ذوي العزم، وما لهؤلاء فحسب جُعلت هداية الدين.

ونظرة إلى واقع الحياة البشرية في تاريخ مجتمعاتها الغابرة والحاضرة تطلعنا على تعدد النساء في حياة الرجل الواحد سواء جهرًا أو سرًا، وسواء برخصة من القانون والدين أو حتف القانون والعقيدة. وما من عاقل يفضل التعدد بغير رخصة على التعدد برخصة، هي رخصة إذن تستخدم بحقها وعند حصول مسوغاتها الطبيعية من أحوال البيئة أو من أحوال الأفراد. فما القول في زوجة أقعدها المرض؟ وما القول في الزوج العقيم؟ وما القول في الزوجة الفاترة؟ وما القول في الزوجة السقيمة الأعصاب؟ أطلاقها أرحم لها أم إردافها بزوجة أخرى، لا شك أن الأمر واضح.

وعلى ذلك، فإن الإسلام وضع من الضمانات للعدل بين الزوجات ما يُطَمْئن المرأة على سلامة وضعها مع تعدد الزوجات. فالإسلام يشترط القدرة على النفقة على الزوجة الواحدة، وهو يشترط هذه القدرة بالنسبة إلى الزوجة الثانية والثالثة والرابعة، لأن الزوج إذا كان معسرًا فإن للمرأة حق التطليق منه، ولو كانت واحدة، وهنا تنتفي شبهة الظلم في النفقات. والعدل بين الزوجات في سائر شؤون الحياة تشريع إسلامي في المأكل والمشرب والمسكن والعشرة حتى الابتسامة يجب على الزوج ألا يخص بها زوجة دون أخرى. والذين يسيئون استخدام هذا التشريع هم الذين يتيحون لأعداء الإسلام أن يهاجموا تشريعاته، فإذا كان الله سبحانه وتعالى عندما أباح التعدد في قوله «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مَثْنى وثُلاث ورُباع. النساء:٣. فإنه أرشد إلى الاقتصار على زوجة واحدة عند خوف الظلم، لأنه أردف هذا القول الكريم بقوله: فإنْ خفتُم ألا تَعْدلُوا فواحدة. والقول بعدم إمكان العدل بين الزوجات اعتمادا على قوله تعالى في الآية ١٢٩ من السورة الكريمة نفسها. وَلَنْ تَسْتطيعوا أن تَعْدلوا بين النساء ولو حَرَصْتُم. هو استشهاد خاطئ؛ لأن المراد هنا هو الميل القلبي، وليس العدل في النفقات. والإنسان يملك العدل في النفقات، ولكنه لا يملك العدل في الميل القلبي. لأن الميل القلبي من صنع الله.

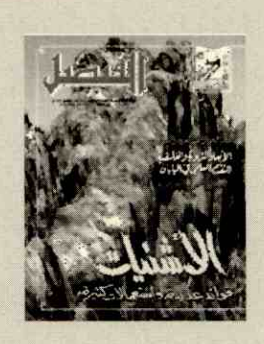
إن تشريع تعدد الزوجات تشريع حكيم أحاطه سبحانه وتعالى بالضمانات التي يجب التزامها حتى لا يسيء أحد إلى التشريع ويطلب منع تعدد الزوجات.

هكذا نرى أن الإسلام جعل للمرأة كيانا مستقلاً اقتصاديًا ليحق له تشريع تعدد الزوجات الذي هو ضرورة اقتضتها ظروف الحياة. فقد وجد الإسلام التعدد بلا قيود ولا حدود وبصورة غير إنسانية تحت مسميات أخرى غير شرعية. فنظَّمهُ وشذَّبه وجعله علاجا ودواء لبعض الحالات الاضطرارية التي يعاني منها المجتمع.

وبتعدد الزوجات استطاع الإسلام أن يحل مشكلة اجتماعية هي من أعقد المشكلات التي تعانيها الأمم والمجتمعات اليوم، فلا تجد لها حلا عندما يختل الميزان ويصبح عدد النساء أضعاف الرجال. فشرع الإسلام تعدد الزوجات، وصان للمرأة كرامتها، وللأسرة طهارتها، وللمجتمع سلامته.

صلاح عبدالستار محمد الشهاوي

دمشيت - ٣١٧٢١ - طنطا - مصر



تعدد الزوجات وآثاره النفسية

ما زال موضوع تعدد الزوجات يشغل بال كثير ممن لم يتدبروا النصوص القرآنية الواردة في ذلك. حتى أصبح التعدد مادة دسمة يتندر بها من لم يعرفوا الإسلام، ولم يدركوا حقيقته. لم يسلم منهم سيدّ الخلق محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

حينما تزوج تسع نسوة اتهموه عليه السلام بأنه صاحب شهوة، ولم يفهموا معنى التعدد عنده صلى الله عليه وسلم. فهل يسلم من هم دونه صلى الله عليه وسلم من ألسنتهم الحداد؟!

إن حال هؤلاء البُعداء من الإسلام لا يُستغرب أبدًا، فهم أصحاب تشكيك وتزوير واتهام للإسلام وأهله، ولكن الشيء الذي يستغرب فعلاً حينما ينبري ابن من أبناء الإسلام إلى مسألة التعدد ، ويصفها بأنها لم تنصف المرأة المسكينة التي يتزوج عليها زوجها، ويأتي إليها بالثانية تنغص عليها حياتها، وتورثها الأمراض والعُقد النفسية، وربما تُكابر وتطلب من زوجها الطلاق، وبعد ذلك يتشتت الأبناء، وكل ذلك بسبب الزواج من أخرى جاءت لتحرم الأولى استقرارها الأسري، وتهدم بيتها على رأسها. ولقد أثارني موضوع الدكتور حسان المالح في العدد ٢٥٣ ص ٧٧ من الفيصل حول تعدد الزوجات، وآثاره النفسية. فقد شطح فيه كثيرًا، وصور لنا أن الزواج من أخرى فيه ما فيه من المحاذير. وقد ركز كثيرًا على الجانب النفسي الذي يصيب الزوجة الأولى حينما ترى زوجها يتزوج عليها والمتمثل في إصابتها بالقلق والحسرة والشعور بالضيق وعدم الأمان وفقدان الثقة في الرجل. هذا ما ذكره الدكتور المالح. ويقول عن

بعض تلك السيدات، وهي تصف شعورها بعد زواج زوجها عليها: «تشعر بأن الأرض قد تزلزت من حولها، وأن كل ما بنته في حياتها من أسرة وزوج وأطفال يُواجه خطر التهدم والتفكك، وذلك بسبب قدوم هذه الزوجة الجديدة التي ستحطم ـ كما يقول الدكتور ـ حياتها وحياة من حولها».

وقد ذكر الدكتور حسان كلامًا كثيرًا في هذا الموضوع يصعب إيراده هنا، وكله حول الظلم الذي أصاب الزوجة الأولى من جراء هذا الزواج المكرر. إذًا ماذا عن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على إباحة ذلك للزوج؟ وإن ما يحمل هؤلاء على منع التعدد هو قضية العدل الموجود في الآية الكريمة: فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فواحدَة. النساء:٣. وغفلوا عن أنَ المراد بالعَدل هَنا (هو الحب الكامن في القلب).

فيا أبناء الإسلام كونوا أقوياء بدينكم، ولا تعينوا أعداءه على ما يريدون به من شر وما يريدونه لأبنائه. فالله عز وجل لا يأمر بشيء فيه محظور. فهل يعقل أن يأمر الله عز وجل بالتعدد، ثم يُنهى عنه لعدم توافر الشروط فيه ومن ضمنها العدل؟ فالعدل إذن غير الذي تخيلتموه بعقولكم، بل هو الميل لإحدى الزوجات بالحب (وليس بالمعاملة). فهذا منهي عنه قطعًا، وهو معنى الميل إلى إحدى الزوجات دون الأخرى والذي يأتي صاحبه يوم القيامة وشقُّه مائل. وإذا كان هناك حالات شاذة من بعض الأزواج في عدم العدل والإحسان إلى الزوجات فليس معنى ذلك أن نلغي أمرًا مشروعًا في الدين من أجل تلك الحالة الفردية. والحمد لله هناك كثير من البيوت تعيش في خير ومحبة في ظل هذا التعدد.

نسأل الله الهداية لنا ولجميع المسلمين، وأن يفهموا دورهم، وما هو مطلوب منهم نحو هذا الدين الذي لا عزة لأحد إلا بالتمسك به، والعمل بهديه، والسير على نهجه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبده محمد على جمّاح الحمدي
المدينة المنورة ـ الجامعة الإسلامية



عودة إلى الأرقام المشرقية

يسرني أن أهنئكم بقراركم الجيد العودة إلى الأرقام العربية الأصيلة شاكرًا لكم هذه الخطوة المباركة سائلاً الله عز وجل أن يسدد خطاكم لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

أستاذنا الفاضل:

إن مجلة الفيصل بتوجهها الخير منذ أن توليتم رئاسة تحريرها عزيزة علينا، ولذلك كنا نتألم عندما كانت تستخدم الأرقام الأجنبية التي يزعم بعضهم أنها الأرقام العربية مع أنها من أصل هندي، طورها العرب واستخدمت في بعض دول شمال إفريقية ثم انتقلت إلى الأندلس، ونقلها عنهم الأوربيون وأسموها في البداية «الأرقام العربية» ثم صححوا التسمية فيما بعد وذكروا في موسوعاتهم المشهورة أنها أرقام هندية نقلها العرب إليهم.

إن معظم الدول العربية والإسلامية، استخدمت الأرقام العربية التي اقتبسها العرب من الهند وطوروها وأصبحت عربية، وهناك لغات كثيرة تكتب هذه الأرقام بالحروف العربية مثل اللغات التركية والأوردية والفارسية والكردية والملايوية والهوسا والسواحلية ولغات شعوب إسلامية أخرى، وقد غير أتاتورك الحروف والأرقام العربية بحروف لاتينية وأرقام أجنبية، وحتى الجزائر عندما كانت تتبع الدولة العثمانية كانت تستخدم الأرقام العربية، وبعد الاستعمار الفرنسي استخدمت الأرقام الأجنبية. وهذا ما حصل أيضا في أندونيسيا حيث غير الاستعمار الهولندي الحروف والأرقام وكذلك في إفريقية.

إن عدد الفيصل «شعبان ١٤١٨هـ» عدد متميز لالتزامه الأرقام الأصيلة. ولقد سررت كثيرا بقراركم التاريخي الذي أعدتم فيه الأمور إلى نصابها، وكنا نود لو أنكم من البداية لم تلجؤوا إلى تلك الأرقام التي أصبحت جزءًا من حضارة الغرب، وما ذكرتموه من مسوغات لا يسوغ استخدامها.

إن بعض الصحف المهاجرة اندفعت مع الأسف لهذا الطريق، ولم تراع الأسباب الكثيرة التي تدعو إلى التمسك بالأصالة، علما بأن صحفًا مهاجرة أخرى تستخدم النوعين من الأرقام.. (ربما لأن عمال المطابع لا يعرفون العربية، ومن أجل ألا يخطئوا في ترتيب الصفحات).

أكرر شكري لكم لاستنادكم على قرار هيئة كبار العلماء وفتوى مجمع الفقه الإسلامي.. ويسرني أن أرفق لكم وثيقة تؤيد وجهة النظر الجيدة باستخدام الأرقام المشرقية وهي: صورة مقال للأستاذ عبدالله القفاري في نشرة مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية.

ختاما أسأل الله لكم مزيدا من التقدم والنجاح على طريق الخير، والله يوفقكم ويرعاكم وتقبلوا خالص التحية.

عبدالله أحمد عبدالرحمن
ص.ب ٤٣١٠٧ ـ الرياض ١١٥٦١

بين الطب والتلفاز



د. غسان حتاحت

تستمد البرامج الطبية والصحية في التلفاز أهميتها ومكانتها من مؤسستين طالما وثق الناس بهما: أولاهما هي التلفاز نفسه، تلك الوسيلة الإعلامية الخطيرة التي تقدم الصورة والصوت في آن واحد، والتي تدخل معظم البيوت فتؤثر فيها أيما تأثير، وثانيتهما هي المؤسسة الطبية العريقة، التي حازت عبر القرون المتعاقبة ثقة الناس واحترامهم ومحبتهم.

فكلام التلفاز له ثقله، وكلام الطبيب له ثقله، فكيف بكلام الطبيب في التلفاز؟ لذلك نرى أن ما يذكر في البرامج الطبية التلفازية يترك عادة أثرًا كبيرًا، وأعمق بكثير مما يتركه حديث الطبيب في عيادته، ومن هنا كان لابد من أن ننظر إلى هذه البرامج الطبية نظرة جادة كل الجدية.

ولعل من أسوأ طرق تقديم هذه البرامج أن يتحدث الطبيب بأسلوب علمي جاف، وبكلام ممتلئ بالمصطلحات الطبية المعقدة، فلا يصل من كلامه إلى عامة الناس إلا القليل، وحتى هذا القليل قد يكون مشوبًا إلى حد بعيد بكثير من سوء الفهم.

ولقد رأيت مرة أحد الأطباء يتحدث عن أمراض الكلية فيقول:

«إن بعض اضطرابات الأنابيب الكلوية تؤدي إلى إحماض استقلابي، يعاوض عنه الجسم كما هو معلوم (معلوم من قِبَل مَنْ؟) بتقلون تنفسي، مما يؤدي إلى زيادة طرح ثاني أوكسيد الفحم عن طريق الرئة، وإذا كان هذا الاضطراب مترافقا مع آفة كبدية...»

وكان هذا الطبيب يطعم كلامه بين آونة وأخرى بمصطلحات أجنبية، وكأنه كان يخشى أن يفهم المستمعون كلامه فكان يعمد إلى زيادة غموضه وصعوبته.

وكنت ترى مقدم البرنامج، وهو يومئ برأسه موافقا بين لحظة وأخرى، مما يوحى إلى المشاهد أنه ـ أي المشاهد ـ هو الوحيد الذي تعجز مداركه عن استيعاب ذلك الكلام السهل الممتنع.

وقد اكتفيت بما سبق ذكره من كلام هذا الطبيب، لأنني لا أريد أن آخذ من وقت القارئ ما أخذه ذلك الطبيب من وقت المشاهد عبثًا ودونما فائدة، ذلك أنني أعتقد بأن ما يشرحه الطبيب في برنامج صحي تلفازي يجب أن يصل إلى كل فرد من عامة الناس بمن فيهم صالح أجير الخباز الذي يبيعني الخبز كل يوم، بل وأم صالح أيضا.

ولقد حدث أكثر من مرة أن سمع الناس حديث طبيب ما عن أحد الأمراض فأصابهم القلق والخوف والوهم، فبعد كل حديث عن السرطان مثلا ترى كثيرًا من المشاهدين يندفعون في اليوم التالي هلعين إلى عيادات الأطباء يستشيرونهم ويسألونهم.

ولقد تحدث مرة أحد أطباء الأطفال عن الحمى وارتفاع الحرارة، فقال: إن خافضات الحرارة لاينبغي أن تعطى إلا إذا أزعج ارتفاع الحرارة الطفل، ذلك أن ارتفاع الحرارة آلية دفاعية للجسم ينبغي احترامها كأي أمر فطري غريزي، أما العلاج فيجب أن يوجه إلى الطفل المريض وليس إلى ميزان الحرارة، ثم إن ارتفاع الحرارة يتعلق بالسبب المؤدي إليه فليس ارتفاع الحرارة في التهاب السحايا مثلا كارتفاع الحرارة في الزكام، فالأول خطير والثاني يسير.

لاشك في أن ما ذكره طبيبنا هذا كلام علمي صحيح، أوافق عليه تماما، لكنني فوجئت في اليوم التالي لإذاعة هذا الحديث بصالح عامل الفرن الذي أستقبل صباحي برؤيته، وهو يقول لي: إن الدكتور فلان قال البارحة: إنه لا ينبغي أن نداوي أطفالنا عندما يمرضون، هل هذا كلام معقول؟

وقد كانت لي تجارب عدة مع البرامج الطبية في التلفاز، فقد تحدثت مرة في أحد هذه البرامج عن سلس البول الليلي عند الأطفال، وهو حالة شائعة جدًا، لكن أكثر الناس يخجلون من استشارة الأطباء بشأنها ظنًا منهم أن ذلك أمر معيب أو بذيء أو مشين، لذلك عندما تحدثت عن هذا الموضوع فوجئت بعدد غير قليل من المراجعين الذين شجعهم حديثي بعد أن وجدوا أن مثل هذه الشكوى كمثل أية شكوى أخرى، إذ ليس في الطب شكوى بذيئة وأخرى مهذبة.

وبين الموضوعات المختلفة التي تحدثت عنها في برامج طبية تلفازيًا أذكر حديثًا عن مشكلات التعلم عند الأطفال، وهذا الموضوع هو البحث المفضل لديَ، وقد كتبت عنه عدة مقالات نشرت في عدد من الدوريات العربية الواسعة الانتشار، كما قدمت عنه محاضرات شتى في نقابات الأطباء والصيادلة وأطباء الأسنان. (أما نقابة المهندسين فلم يطلب أحد مني ذلك). وكان شريكي في البرنامج أحد المسؤولين عن التعليم وهو غير طبيب، وقد تحدث في التلفاز عن هذا الموضوع وعرضته عرضا جيدًا، شرح كثيرًا من غوامض مشكلات التعلم، ذلك أن الحديث كان حصيلة خبرة غير قليلة.

في اليوم التالي تلقيت اتصالاً هاتفيًا من إحدى السيدات، عبرت فيه عن إعجابها بالحديث، وذكرت أن لديها طفلاً عنده اضطرابات في التعلم كما وصفتها تماما، ثم سألتني هل أعرف عنوان من شاركني في البرنامج أو رقم هاتفه كي تعرض عليه حالة طفلها!

وقبل هذا الاتصال كان قد وصلني رأي آخر بالبرنامج، فقد قال لي صالح أجير الفران وهو الذي أستقبل صباحي برؤيته:

لقد كانت والدتي البارحة تشاهد التلفاز عندما ظهرت فيه، فنادتني وقالت لي: يا صالح تعال وانظر إلى هذا الطبيب الذي يفهم في الكلام.. وعندما جئت رأيتك تتحدث فقلت لوالدتي: إن هذا الطبيب هو أحد زبائن الفرن وأراه كل يوم.

تقبلت رأي صالح وأم صالح بابتسامة، وإن كنت شعرت في قرارة نفسي أنه ليس مما يفخر به المرء أن يقال إنه يفهم في الكلام، بل الفخر أن يفهم المرء في الفعال لا في الكلام، لكنني أخذت ما ذكره صالح على محمل المدح، وأنا أعلم أن ما قصده هو أن حديثي كان واضحًا تتقبله النفس بارتياح.

فعلى المرء أن يعامل الناس ويخاطبهم على قدر عقولهم، فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم. كما قال المتنبي، وهو كما تعلمون شاعر (يفهم في الكلام).

دارة الملك عبدالعزيز



صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز في زيارة للدار

من محتويات الدارة عدد كبير من المخطوطات الأصلية والمصورة

أنشئت دارة الملك عبدالعزيز بموجب المرسوم الملكي ذي الرقم (م/٤٥) في ٥ شعبان ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، وتسعى الدارة إلى خدمة تاريخ المملكة العربية السعودية وجغرافيتها وآدابها وآثارها الفكرية والعمرانية خاصة، والجزيرة وبلاد العرب والإسلام عامة، وجمع المصادر التاريخية المتعددة من وثائق وغيرها المتعلقة بالبلاد السعودية وتصنيفها. والدارة هيئة علمية مستقلة يدير شؤونها مجلس إدارة يرأسه صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض.

أبرز ما تضمه دارة الملك عبدالعزيز

أ- مكتبة الملك عبدالعزيز الخاصة

تتكون من مجموعة متنوعة من المؤلفات والدوريات النادرة وتشتمل على ١٥٥١ مجلد.

ب - مركز الملك عبدالعزيز للمعلومات والوثائق

ويشمل مركز الوثائق والمخطوطات.

حصلت الدارة على مجموعات كثيرة من الوثائق التاريخية المتعددة، وقامت بتصوير كثير من الوثائق التاريخية الموجودة لدى المراكز العلمية و دواوين المحفوظات (الأرشيفات) خارج المملكة.

من أبرز المجموعات الوثائقية في المركز:

- الوثائق المحلية وتبلغ أكثر من خمسين ألف وثيقة.
- الوثائق العربية، والوثائق العثمانية، والوثائق البريطانية، والوثائق الهولندية، والوثائق الأمريكية، والوثائق الفرنسية، والوثائق الإيطالية، والوثائق الألمانية.

جـ - المخطوطات

يضم المركز أكثر من ١٦٠٠ مخطوطة، ومن أندرها مخطوطة «المقنع في الفقه»، التي نسخت في الدرعية عام ١٢٢٠هـ.

د - قسم الأوراق الخاصة

هـ - مسح المصادر التاريخية ومركز التاريخ الشفوي

بدأت الدارة بإجراء مسح للمصادر التاريخية الوطنية من الوثائق والمخطوطات وتصوير المواقع التاريخية، وإجراء مقابلات مسجلة بالصوت والصورة مع المعاصرين للملك عبدالعزيز - يرحمه الله - وتاريخ المملكة، وقد قامت عدة فرق بزيارة مناطقة المملكة كافة، وتمكنت من تحقيق عدد من الإنجازات.

و- المكتبة ومركز المعلومات

تحتوي على كتب متخصصة لخدمة أغراضها وأهدافها، ومن أبرز أقسام المكتبة ومركز المعلومات: قسم أدب الرحلات إلى الجزيرة العربية، وقسم المعلومات التاريخية السعودية، وقسم الرسائل العلمية، وقسم المؤلفات النادرة.

ز- أرشيف الملك عبد العزيز في الصحافة

ح - قاعة الملك عبدالعزيز التذكارية

تضم العديد من المقتنيات التاريخية والصور الفوتوغرافية ذات العلاقة بالملك عبدالعزيز.

البحوث والنشر

تشرف إدارة البحوث والنشر على جوانب البحث والنشر العلمي، وتم طباعة العديد من المؤلفات والدراسات المتخصصة.

مجلة الدارة

مجلة فصلية تعنى بنشر البحوث المتعلقة بتراث المملكة وفكرها وتاريخها.

الندوات العلمية والجوانب الثقافية

- ندوة الوثائق التاريخية في المملكة العربية السعودية ١٣-١٥ رجب ١٤١٧هـ.
- ندوة أدب الرحلات إلى الجزيرة العربية خلال القرون ١٦-٢٠م.
- الموسم الثقافي يرمي إلى التواصل مع الباحثين وتقديم محاضرات لأبرز القضايا التاريخية والجغرافية ذات العلاقة بأهداف الدارة، وتتم دعوة عدد من المتخصصين من داخل المملكة وخارجها لتقديم المحاضرات؛ وتقيم الدارة معارض في داخل المملكة وخارجها بما يخدم أهدافها.



صدر حديثًا عن:

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

ثلاثة أجزاء من:

معجم الأمثال العربية

للأستاذ خيرالدين شمسي باشا



تأسيس عمر بن الخطاب رضي الله عنه للديوان

تأليف: **د. مصطفى فايدة**

الأستاذ بجامعة مرمرة في اسطانبول

نقله من التركية:

د. مسعد بن سويلم الشامان

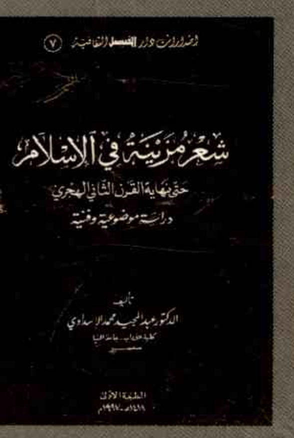
الأستاذ المشارك بكلية الآداب، جامعة الملك سعود بالرياض

للاستفسار أو لحجز نسخ: هاتف:٤٦٥٢٢٥٥، فاكس: ٤٦٥٩٩٩٣ ص.ب ٥١٠٤٩، الرياض ١١٥٤٣، المملكة العربية السعودية.

*** ** ***

كما صدر حديثًا عن:

دار الفيصل الثقافية



شعر مزينة في الإسلام

حتى نهاية القرن الثاني الهجري

تأليف: د. عبد المجيد محمد الإسداوي

للاستفسار أو لحجز نسخ: هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦، ٤٦٥٣٠٢٧، فاكس: ٤٦٤٧٨٥١ ص.ب ٣، الرياض ١١٤١١، المملكة العربية السعودية.